



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٢٦ ع ٣ ، ٣٧٠ صفحة (٢٠١٨م)

ردم ٠٩٨٩ - ١٣١٩

رقم الإيداع : ٠٢٩٤ / ١٤



مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٦ العدد ٣

٢٠١٨م

مركز النشر العالمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص ب : ٨٠٩٠٠ - جدة : ٢١٥٨٩
الهيئة العامة للغذاء والدواء
<http://spc.kau.edu.sa>

■ هيئة التحرير ■

رئيساً

أ.د/ أحمد بن محمد صالح عذب
aazab@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ محمد بن جعفر عارف
Marif@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ عبد الرحمن بن رجا الله السلمي
aralsulami@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ محمد بن صالح ناخي الغامدي
Msalghamdil@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ آمال بنت يحيى الشيخ
Ayalshaikh@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ سامية بنت عبد الله بخاري
Sbukare@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ زكريا بن أحمد الشربيني
zalsherpeny@kau.edu.sa

عضواً

أ.د/ نهى بنت سليمان الشرفاً
Nalshurafa@kau.edu.sa

عضواً

د. زيني بن طلال الحازمي
Zalhazmi@kau.edu.sa

عضواً

د. سليمان مصطفى آيدن
slaydinn@hotmail.com

المحتويات

القسم العربي

الصفحة

- المؤسسات الإسلامية ودورها في إرساء السلام الاجتماعي
هاني بن أحمد عبد الشكور..... ١
- أحكام العقوبات المالية المتعلقة بأهل الكتاب في البلاد الإسلامية
مازن بن عبدالعزيز بن محسن الحارثي..... ١٩
- التوحيد لدى النصارى مفهومه ودلالاته العقدية
بدرية بنت محمد عبد الله الفوزان..... ٤٧
- مكة المكرمة في مطلع القرن السابع الهجري (١٣م) من خلال رحلة ابن المجاور (تأريخ المُستَبصر)
نواف عبد العزيز الجحمة..... ٧٧
- مشروع بعثة الحكومة الفرنسية إلى مكة في عهد الشريف حسين بن علي عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م
(دراسة تاريخية وثائقية)
سعيد بن مشبب بن سعيد القحطاني..... ٩٩
- الأبعاد الاجتماعية لإستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي دراسة وصفية على عينة
من طلبة المرحلة الثانوية بمدينة جدة
عبد الرحمن بن عبدالله الرحمن العمري..... ١٣٩
- مفهوم ووعي الشباب السعودي برؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ دراسة ميدانية على طلاب
جامعة الملك عبدالعزيز
أنمار حامد مطاوع..... ١٧٣

- ظاهرة إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين
- ميساء علي رابدة ١٩٣
- بنية الخطاب السردى في رواية (ساق البامبو)
- حصّة أحمد الدوسرى ٢١٥
- مسيرة الدّات بين (الوطن) و(الأنا) في: "إن لم... فمَنْ؟!.." لخالد الفيصل قراءة تطبيقية
لجمالية التلقي
- رانية بنت محمد شريف العرضاوى ٢٤١
- النظرية النقدية انطلاقاً من الوظيفة الاتصالية: دراسة تحليلية لتجربة معاصرة
- عادل بن خميس الزهراني ٢٧١
- الأنا و الآخر في قصيدة: "قراءة في وجه لندن" للشاعر غازي القصيبي مقارنة موضوعاتية
- أشجان محمد هندي ٢٩٧
- فاعلية النشاط غير الصفي في تنمية المهارات اللغوية للناطقين بغير العربية
- خالد محمد حسين اليوبي ٣١٩
- اكتساب التناوب بين مفعولي أعطى وأخواتها من قبل متعلمي العربية كلغة ثانية
- أنور بن سعد الجدعاني ٣٦٠
- الجملة العربية بين نظرية المكونات المباشرة لشومسكي ونظرية التبعية لتينبير
- نجيب الربضي و يعقوب الشمري ٣٧٠

المؤسسات الإسلامية ودورها في إرساء السلام الاجتماعي

هاني بن أحمد عبد الشكور

أستاذ الدراسات العليا الشرعية - جامعة الملك عبد العزيز

جده - المملكة العربية السعودية

مستخلص. يراد بالمؤسسات الإسلامية تلك التي تساهم في تنفيذ بعض البرامج الإسلامية في المجتمع من خلال المسجد والأوقاف والعمل الخيري والدعوي وهذا البحث محاولة في بيان إتيان الاسلام برسالة السلام الواضحة في مقاصده العليا ومن ثم دور هذه المؤسسات في تحقيق وإرساء السلام في المجتمع من خلال دورها الوظيفي، وتناول البحث ثلاثة نماذج منها وهي المسجد والأوقاف والقطاع الثالث، وكان من نتائج البحث أهمية دعم هذه المؤسسات وتنميتها وتسهيل مهامها ومراقبة ما يحتاج لمراقبة لما لذلك من أثر كبير في تحقيق السلم على المجتمع والأمة وتحقيق مقاصد الشريعة.

المقدمة

جميع أطياف البشر مسلمهم وكافرهم، وكذا من قرأ سيرته صلى الله عليه وسلم وهي النموذج العملي لتطبيق هذا المبدأ يجدها كذلك ذاكرة بتطبيق هذا المبدأ حياً واقعاً في حياة الناس في عهده صلى الله عليه وسلم، التي كانت حياته منصبة في تحقيق العدل والسلام وترسيخ جذورهما في الفرد المسلم والمجتمع المسلم والأمة المسلمة.

وفي عصرنا الحاضر مع ضياع كثير من تعاليم هذا الدين القويم وتحريف لكثير من مفاهيمه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد، فإن الإسلام رسالة السلام إلى العالمين ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم رسول المحبة والسلام، ومن تتبع نصوص القرآن الكريم وسنة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وجد أن هذه الدين جاء لنشر الأمن والسلام بين

وفيه فرعان:

الأول: عناية الإسلام بالسلم الاجتماعي.

الثاني: أسس السلم الاجتماعي في المجتمع النبوي.

المبحث الثاني: المؤسسات الإسلامية ودورها في إرساء السلم الاجتماعي.

وفيه ثلاثة فروع:

الأول: في المسجد.

الثاني: الأوقاف.

الثالث: القطاع الثالث.

والخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد**في بيان المصطلحات**

(١) المؤسسات الإسلامية.

(٢) السلم.

أولاً: المؤسسات:

مفردتها مؤسسة: أصلها (أسس) البناء: أسسه، والأساس: قاعدة البناء التي يقام عليها، وأصل كل شيء ومبدؤه.

والمؤسسة: كل تنظيم يرمي إلى الإنتاج أو المبادلة للحصول على الربح^(١).

وباستقراء بعض التعريفات الاصطلاحية لكلمة المؤسسة يمكن القول:

بأننا نعني بالمؤسسة الإسلامية: الكيان الذي يضم عدداً من الأشخاص يهتم بالنواحي الإسلامية

كلها أو بعضها وفق تنظيم محدد وأهداف معينة.

وتتقسم المؤسسات الإسلامية إلى قسمين:

مؤسسات مالية: كالبنوك الإسلامية ونحوها.

(١) المعجم الوسيط (أس).

عن معناها الصحيح، أصبحنا نشهد تهديداً للسلم الاجتماعي الذي نبع من تهديد للسلم على المستوى الفردي، وأصبح السلم على مستوى الأمة مهدداً تبعاً لذلك؛ بل والعالم أجمع، ولهذا كان لازماً على المهتمين بالشأن الإسلامي على مستوى الحكومات والمؤسسات المجتمعية والأفراد إعادة ما ضاع من تعاليم الدين وتصحيح ما حُرّف منها؛ لكي يعود الأمن والسلام على مستوى الفرد والجماعة والأمة والعالم.

وقد ضمن الإسلام في تشريعاته وتوجيهاته السلم للمجتمعات إذا أحسن المسلمون القيام بواجبهم كل على قدر مسؤوليته ومكانته التي بوأه الله إياها.

وللمؤسسات الإسلامية في المجتمع المسلم كالمسجد والأوقاف ونحوها دور كبير في تحقيق السلم الاجتماعي وبيان حقائق الإسلام ومقاصده السامية إذا أحسن القائمون عليها أداء واجبهم وفق ما شرعه الله لهم.

وفي هذه الورقات يحاول الباحث إبراز شيء من هذا الدور لهذه المؤسسات الإسلامية لعله يكون بياناً للجاهل، وتذكيراً للغافل، وتوضيحاً للمشكك، ودفعاً للقائمين على هذه المؤسسات وأمثالها لتؤدي دورها الكبير الذي أنيط بها.

وسيكون الكلام في هذا ضمن الخطة التالية:

المقدمة: وهي هذه.

تمهيد: وفيه بيان المصطلحات لهذا البحث والتعريف بها.

المبحث الأول: عن أسس السلم الاجتماعي في الإسلام.

الاجتماعي حالة من الوفاق وتضمن بالدرجة الأولى الكليات الخمس ومكملاتها: المحافظة على الدين، النفس، الأموال، الأعراض، العقول»^(٣).

وفي هذا التعريف إشارة إلى أن تحقيق السلم الاجتماعي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالضروريات الخمس التي جاءت التشريعات الإسلامية بالحفاظ عليها وتحقيقها في حياة الناس، وكما قال الشاطبي رحمه الله: «اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس»^(٤).

ويقول الشيخ ابن بيه حفظه الله: «وبدون سلام لا حقوق؛ لأن فقدان السلم هو فقدان لكل الحقوق بما فيها حق الوجود؛ فالسلام هو الحق الأول والمقصد الأعلى الذي يحكم على كل جزئيات الحقوق، ومن خلال الاستقرار الذي هو أوثق طريق لتأكيد المقصدية يمكننا أن نؤكد أنه لا مقصد يعلو على مقصد السلم»^(٥).

ويمكن اعتبار هذا الكلام تأكيداً واستطراداً لكلام إمام من أئمة المسلمين السابقين هو العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله الذي يقول: «التحية بالسلام تتضمن السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها، فهي الأصل المقدم على كل شيء . ومقصود العبد من الحياة إنما يحصل بشيئين: بسلامته من الشر، وحصوله على الخير كله، والسلامة من الشر، مقدمة على حصول الخير، وهما الأصل، ولهذا إنما يهتم المخلوق بسلامته أولاً ثم غنيمته ثانياً، على أن السلامة المطلقة تتضمن حصول الخير فإنه لو فاته

ومؤسسات غير مالية: كالمساجد ودور

التعليم غير الربحي ونحوها.

وقد يجتمع في المؤسسة الواحدة الجانب

الربحي مع غير الربحي، كالأوقاف التي تهتم بتغطية جانب معين في الحياة الإسلامية مع عنايتها بتنمية رأس مال الوقف مع الحفاظ على أصله لضمان استمرار مصارفه المحددة. ثانياً: السِّلْم:

بافتح: الدلو بعروة واحدة؛ كدلو السقائين،

وبالكسر: المسالم، والصلح، والسلام، والإسلام^(١).

وعليه فالمرادف لمصطلح السلم الاجتماعي:

السلام الاجتماعي: أي الذي يكون داخل المجتمع مسلماً أو غير مسلم.

ويمكن أن يعرف السلم الاجتماعي: بأنه:

توافر الاستقرار والأمن والعدل الكامل لحقوق الأفراد في مجتمع ما أو بين مجتمعات أو دول^(٢).

المبحث الأول

أسس السلم الاجتماعي في الإسلام

أولاً: عناية الإسلام بالسلم الاجتماعي

الإسلام دين المحبة والسلام والأمن

والاستقرار، يسعى لإقامة العدل والأمن والسلام بين جميع البشر وفق المنهج الرباني الذي ارتضاه الله لعباده، وقد عرف شيخنا العلامة عبد الله بن بيه السلم بأنه: «حالة تسود فيها الطمأنينة النفسية والروحية والسكينة بين أفراد المجتمع لتنعكس على العلاقات بين الأفراد والجماعات ليكون السلم

(٣) مجلة السلم (ص ٢٢).

(٤) الموافقات (١٠/٣).

(٥) مجلة السلم (ص ٢٣) بتصرف.

(١) القاموس المحيط (سلم).

(٢) الحوار وبناء السلم الاجتماعي (ص ١٢).

والاضطراب في المجتمع «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»^(٤).

ودعا المجتمع المسلم في الوقت نفسه إلى إشاعة السلام بين أفرادهِ عن طريق المحبة بقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَّلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٥).

ودعا الأمة كلها أفراداً وجماعات ودولاً إلى سلوك طريق السلم والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَحَحُوا لِّلْسَلَامِ فَاْجَحَّحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]^(٦).

وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: «أن كل من هادنه من الكفار لا يقاتله، وهذه كتب السيرة والحديث والتفسير والفقه والمغازي تنطق بهذا، وهذا متواتر من سيرته فهو لم يبدأ أحداً بقتال»^(٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ولم يكره أحداً قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث يقول:

حصل له الهلاك والعطب أو النقص والضعف، فتضمنت السلامة نجاته من كل شر وفوزه بالخير، فانتمظمت الأصلين للذين لا تتم الحياة إلا بهما»^(١).

وهو ما عناه الإمام الطاهر بن عاشور بقوله: «إن المقصد العام من التشريع وهو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه»^(٢).

السلام مسئولية الفرد المسلم والمجتمع المسلم والأمة المسلمة:

لقد حدد الله سبحانه رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم بأنها رسالة السلام، وأن تعاليمه هادية إلى طرق السلام كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ^(٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا لم تظلم هذا الاسم (السلام) ووفيته معناه وجدته مستلزماً لإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع وثبوت المعاد وحدوث العالم وثبوت القضاء والقدر...»^(٣).

ونجد هذا واضحاً في دعوة الإسلام للفرد المسلم بأن يكون عنصر سلام في مجتمعه وأتمته بتجنب كل ما يؤدي إلى إشاعة الفوضى

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٨٤) مختصراً، ومسلم (٤١) مختصراً، والترمذي واللفظ له (٢٦٢٧) وقال حسن صحيح، والنسائي في الصغرى (٤٩٩٥).

(٥) أخرجه مسلم (٥٤). وانظر في تحية المسلم (السلام عليكم) في أحكام أهل الذمة (١/١٩٥-١٩٦).

(٦) تفسير القرطبي (٣٩/٨).
(٧) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم (ص ٩٥).

(١) بدائع الفوائد (١٢٥/٢).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (ص ٢٧٣).

(٣) أحكام أهل الذمة (١/١٩٤-١٩٥).

العظام والمهام الكبيرة الملقاة على عاتق سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ولكي يبدأ هذه المرحلة (تأسيس المجتمع والدولة المسلمة) لابد من وضع الأسس القوية الصحيحة لها وكانت تتمثل في:

أولاً: بناء المسجد

هو مكان العبادة في المقام الأول إلا أنه مع ذلك كان مكاناً لكل أمر يهم المسلمين، مثل:

(١) إيواء ضعفاء وفقراء المهاجرين الذين عرفوا بأهل الصفة^(١)، ونسبت الصفة إليهم، ثم صارت ينزل بها الغرباء من الوفود التي تقدم على النبي صلى الله عليه وسلم معلنة إسلامها وطاعتها.

(٢) كان المسجد داراً للتعليم ونشر الدعوة بين المسلمين.

(٣) كان محفلاً لإنشاد الشعر ذباً عن الدعوة الإسلامية وعن صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

(٤) كان مكاناً لاعتقال أسير الحرب المشرك كما جاء في قصة ثمامة بن أثال.

(٥) نصب خيمة فيه لعلاج جرحى المسلمين في الحرب كما في قصة خيمة ربيعة أيام غزوة الأحزاب.

(٦) كان ديواناً لاستقبال الرسل والسفراء الذين يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] «^(١).

والخلاصة أن ديناً اسم الرب فيه (السلام) وتحية أتباعه (السلام) ويدعو إلى (دار السلام) أي الجنة، ويحيي أهلها بالسلام (سلام عليكم بما صبرتم) ليس بعيداً عنه أن يكون دين السلام وقد سماه الله في كتابه (السِّلم) ودعا المؤمنين إلى الدخول فيه كافة حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] «^(٢).

ثانياً: أسس السلم الاجتماعي في المجتمع النبوي:

كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها الأول محمد عليه الصلاة والسلام^(٣).

والهجرة حدث عظيم استحق أن يكون بداية العام الهجري الجديد عند المسلمين منذ أن وضع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه التقويم الهجري^(٤)، وكان ذلك بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم باعتباره الأنسب والأقوى من أحداث السيرة العطرة^(٥)، وبالهجرة بدأت الأحداث

(١) هداية الحيارى (١٢/٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٣/٣).

(٣) فقه السيرة للبطوني (ص ١٩٣).

(٤) المجتمع المدني في عهد النبوة (ص ٦٥).

(٥) ينظر السيرة النبوية لمحمد أبو فارس (ص ٢٣٤).

(٦) ينظر المجتمع المدني في عهد النبوة (ص ٨٩) وما بعده.

حظي المسلمون فيها بغنائم لا بأس بها فأنزل الله ناسخاً لهذا ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] (٤).

ثالثاً: الصحيفة:

وهي تمثل القيمة الدستورية للدولة الجديدة الذي ينظم علاقة المواطنين بعضهم ببعض، وعلاقة الدولة مع الآخرين، ويرجح الدكتور أكرم العمري أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، ثم جمع المؤرخون بينهما؛ إحداها تتناول موادة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار، وحقوقهم وواجباتهم (٥).

لقد كان إصدار الوثيقة يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم الاجتماع السياسي، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينة إلى أمد ولأول مرة بحكم القانون؛ حيث ترد الأمور إلى الدولة، ومن خلال تغيير شامل وتحول سريع طوى الدستور صفحة اجتماعية طابعها القبلية، وفتح صفحة جديدة أكثر إيجابية وأقرب إلى الترابط والتكافل والوحدة الفكرية (٦).

(٧) كان مكاناً لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين (١).

وباختصار لقد كان بناء المسجد هو الخلية الأولى للبناء الاجتماعي للأسرة والجماعة بوصفه أداة صهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة والبيع والشراء وإقامة المناسبات المختلفة... فلم يكن المسجد معبداً أو مقراً للصلاة وحدها؛ بل كان شأنه شأن الإسلام نفسه متكامل في مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع (٢).

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

لأهمية مبدأ التأخي بين المؤمنين في الإسلام وعظم آثاره على المسلمين فقد كانت المؤاخاة في السيرة مرتين، مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار (٣).

وكانت هذه الأخوة المدنية مهمة لحل الأزمة المعاشية التي اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة، ولتنظيم علاقاتهم الاجتماعية مع إخوانهم الأنصار ريثما يستعيد المهاجرون مقدراتهم المالية ويتمكنوا من بلوغ مستوى الكفاية الاجتماعية، وبلغ من تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على المؤاخاة أن كان ميراث الأنصاري يؤول بعد وفاته لأخيه المهاجر بدلاً من ذوي رحمه من الأخوة أو الأبناء أو النساء، واستمر الأمر كذلك حتى غزوة بدر حينما

(٤) دراسة في السيرة (ص ١٥٣) بتصرف.

(٥) المجتمع المدني في عهد النبوة (ص ١١٢)، وانظر معنى الوثيقة

(ص ١١٩) وما بعده من المرجع نفسه.

(٦) دراسة في السيرة (ص ١٥٢).

(١) ينظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٢٩٧-٢٩٨).

(٢) دراسة في السيرة (ص ١٤٩).

(٣) فقه السيرة للبوطي (ص ٢٠٣) نقلاً عن فتح الباري (١٩١/٧).

والمسجدة: السجادة^(١).

أما في الاصطلاح: فقد عرفه الزركشي بأنه: (كل موضع من الأرض)^(٢)، لقوله صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا»^(٣)، وهذا من خصائص الأمة كما قاله القاضي عياض رحمه الله؛ لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته^(٤).

وعرفه الدكتور إبراهيم الخضيرى بأنه: المبنى الموقوف المخصص للصلوات الخمس المفروضة وغيرها.

المسجد كما مر بنا في المبحث السابق أساس بناء المجتمع المسلم، وبه يتميز عن غيره من المجتمعات، وقد وردت النصوص المستفيضة في الحث على عمارة المساجد وفضل روادها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا»^(٥)، وقوله: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ» وفي لفظ «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ..﴾ الآية»^(٦).

وقد كان المسجد مدرسة الإسلام الأولى، وقد أدت المساجد في القرون الأولى رسالتها على خير

وهكذا استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤسس لمجتمع قوي في المدينة ربما كان من الصعب لأول الأمر أن يتكون هذا المجتمع بسهولة وبقوة ؛ لإختلاف الدين بين أفراد (اليهود والمسلمين) وإختلاف الأعراق (المهاجرين والأنصار) ووجود رواسب تنافس وقاتل بين بعض فئاته (الأوس والخزرج) ، إلا أنه استطاع بوثيقة المدينة أن يضمن الحرية الدينية والتعاون بالمشترك بين المختلفين في الدين ، وبالمؤاخاة أن يذيب الفوارق العرقية ، وباجتماع المسلمين في المسجد أن يذيب رواسب الجاهلية ويصهرها في نصرة الإسلام والمسلمين .

المبحث الثاني

المؤسسات الإسلامية ودورها في إرساء السلم الاجتماعي:

أولاً: المسجد.

ثانياً: الأوقاف.

ثالثاً: القطاع الثالث.

أولاً: المسجد:

المسجد لغة: مأخوذ من كلمة (سجد): (بكسر الجيم): صلى الجماعة والمسجد (بفتح الجيم)، الجبهة، حيث يكون ندب السجود.

والمساجد من بدن الإنسان: الأعضاء التي

يسجد عليها.

(١) انظر المعجم الوسيط (سجد).

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد (ص ٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم (٥٢١).

(٤) إعلام الساجد (ص ٢٧).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٦٧١) .

(٦) أخرجه أحمد في المسند برقم (١١٧٢٥) واللفظ له، وابن ماجه برقم

(٨٠٢)، والترمذي برقم (٢٦١٧) وقال: حسن غريب.

فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف... وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها) أ.هـ^(٣).

(٢) المسجد مكان العبادة والصلاة التي هي سبب الراحة والاطمئنان، وسمو الروح إلى ربها ومولاها، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أَرْخْنَا بِهَا يَا بِلَالُ»^(٤)، و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»^(٥)، فالمسجد يزرع في نفوس مرتاديه الراحة والطمأنينة والسكينة والخشوع، وهذا شيء مما لا يحتاج إلى دليل لإثباته حيث يشهد له الحس والمشاهدة.

(٣) وصف الله المساجد بأنها موضع الإيمان، ومقصد الباحث عن نور الله وهديه الذي هو سبب الهداية في الدنيا والاستقامة والسير على منهج الشرع، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... فِي نُورِهِ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ...﴾ [النور: ٣٥ - ٣٦].

قال ابن القيم رحمه الله: (فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة، فقد ذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض، ونوره في قلوب عباده المؤمنين: النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استتارت به أقطار العالم

وجه، ثم انحسرت قليلاً، وبدأت في الآونة الأخيرة دعوات طيبة مباركة تلاقي صداً جيداً في الأمة الإسلامية لإعطاء المسجد رسالته في الحياة^(١)).

ويمكن أن نوجز هنا بعضاً من الأدوار الهامة التي يؤديها المسجد في المجتمع محققاً بذلك السلم الاجتماعي :-

(١) المسجد هو واحة الأمان والسلام لمرتاديه كما قال تعالى في شأن المسجد الحرام ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ، حيث امتن الله على مرتاديه بأنه آمن وسط بيئة غير آمنة ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾

[العنكبوت: ٦٧]^(٢)، والأمان وإن جاء في المسجد الحرام صريحاً فهو في غيره جاء بأسلوب الإشارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِيَةً﴾ [البقرة: ١١٤] ، فمن دخلها للذكر وعمارتها بالصلاة ونحوها وجد الأمن لازماً أو متعدياً، ولهذا لا يجوز التعدي على المساجد التي آمن الله مرتاديهما وعظم وزر وجرم من منعها من أداء دورها المنوط بها في المجتمع.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (.. بل المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة وهو الصحيح؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع

(٣) المرجع السابق (٧٧/٢).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٨٥).

(٥) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٣٢٩٩)، وأبو داود برقم (١٣١٩).

(١) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية (٨/١).

(٢) تفسير القرطبي (١٤٠/٤).

الجمعة من أعظم النعم التي اختص بها دين الإسلام وتميز بها عن غيره من الشرائع، فهي موعظة أسبوعية عامة توقف القلوب الغافلة، وتشدّ الهمم العالية، وتصل النفوس بخالقها جل وعلا لتعبد الله على علم وبصيرة حتى يأتيها اليقين، كل ذلك وغيره من الفوائد الكثيرة إنما يدل على أهميتها، والحاجة إلى العناية بها^(٥).

فلو أن خطبة الجمعة فعلت تفعيلاً صحيحاً راشداً في المساجد لكانت أعظم منبراً إعلامي يبيث للمسلمين مبادئ دينهم الحنيف، وينشر بينهم المفاهيم الصحيحة، ويبث بينهم رياح السلم والأمان فضلاً عن ما يعقد في المساجد من دروس وعظ وحلق علم وتحفيظ لكتاب الله التي تحفظ الشباب من مضلات الفتن والأهواء والشهوات، وتضع أرجلهم على طريق الحق والهداية والرشاد.

(٥) المسجد رمز المساواة بين جميع المسلمين، حيث يستوي فيه الكبير والصغير، والغني والفقير، والشريف والوضيع، وتذوب كل هذه الفوارق البشرية وتستوي أمام الخالق العظيم في تراصها وتساويها في صفوف الصلاة، مع حرص الجميع على تسوية هذه الصفوف وعدم الإخلال بنظامها عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ»^(٦) وفي رواية «مِنْ

العلوي والسفلي، فهما نوران عظيمان أحدهما أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعيش فيه آدمي ولا غيره، لأن الحيوان إنما يكون حيث يكون النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يكون البتة، فكذا أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ميتة ولا بد، وقلب فقد منه هذا النور: ميت ولا بد، لا حياة له البتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه^(١).

والمراد بالبيوت هنا على أكثر أقوال المفسرين: المساجد، وذكر الطبري بسنده عن عمرو بن ميمون قال^(٢): أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: المساجد: بيوت الله، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها، فكم من النور والهدى الذي يرجع به مرتادو المساجد، وكم من أثر إيجابي سيكون على المجتمع بوجود هذه المساجد، وهؤلاء المصلين الذين حصلوا نور الله في قلوبهم.

(٤) المساجد حياض العلم والوعظ والإرشاد، ففي المسجد يحضر المسلمون أسبوعياً درس خطبة الجمعة فرضاً لازماً على كل مسلم بالغ عاقل بلا خلاف بين المسلمين^(٣)، وتجب الجمعة والسعي إليها سواء كان من يقيمها سنياً أو مبتدعاً أو عدلاً أو فاسقاً، ولا خلاف في هذا بين أهل العلم، وعليه إجماع الصحابة رضوان الله عليهم^(٤)، وخطبة

(١) الوابل الصيب (ص ١٠٧).

(٢) تفسير الطبري (١٨/٤٤٤).

(٣) انظر المغني (٣/٢٠٣).

(٤) المرجع السابق (٣/١٦٩-١٧٠).

(٥) خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية (ص ٨) بتصرف.

(٦) أخرجه البخاري برقم (٧٢٣).

تَمَامِ الصَّلَاةِ»^(١)، فالمسجد يزيل الفوارق ويوحد المجتمع ويؤلف بين أفراده خمس مرات في اليوم واللييلة، وكم في هذا من أثر عظيم على استقرار المجتمع وسقي شجرة السلم فيه، وتربية أفراده على التعاون بينهم لتحقيق السلم والاستقرار فيه، كما تعاونوا في صلاتهم ورسوا صفوفهم في إقامة أعظم شعيرة في الإسلام طوعية طاعة لله وطلباً لصحة صلاتهم .

(٦) المسجد ملجأ للفقراء والمحتاجين وطالبي العلم والفتوى والمشورة، ودليل المحتارين وطالبي الهداية، وسبق أن بينا في المبحث الأول وجود مكان بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصفة كان لفقراء المسلمين سكناً، ولغريائهم ملجأ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينفقدهم من حين لآخر إذا جاءته الصدقة أو العطايا^(٢)، حتى تخرج منهم الحفاظ والعلماء والعباد^(٣).

وللمسجد أدوار أخرى كثيرة في المجتمع غير ما ذكر، ولكي يقوم المسجد بدوره المرجو في تحقيق السلم الاجتماعي بمفهومه الشامل يرى الباحث أنه لا بد من:

١. اختيار المكان المناسب لبناء المسجد ليكون وسط الحي أو الدور كما جاء بذلك حديث عائشة رضي الله عنها: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّوَرِ وَأَنَّ

تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ»^(٤)، قال البغوي: (يريد بها المحال التي فيها الدور)^(٥)، وحكمة أمره لأهل كل محلة ببناء مسجد فيها أنه قد يتعذر أو يشق على أهل محلة الذهاب للأخرى فيحرمون أجر المسجد وفضل إقامة الجماعة فيه فأمروا بذلك ليتيسر لأهل كل محلة العبادة في مسجدهم من غير مشقة تلحقهم^(٦). ومع إحسان اختيار المكان كذلك لا بد أن يحسن التصميم للبناء ويكون مصمماً على ما يحقق أهدافه ويضمن له الاستمرار والدوام، ويبعد عن الاهتمام بالزخارف والنقوش التي أجمع العلماء على كراهتها، ما بين كراهة تنزيه وكراهة تحريم^(٧)، لما في ذلك من تشتيت ذهن المصلين وصرفهم عن مقصود بناء المساجد.

٢. إحسان اختيار إمام المسجد والقائمين عليه، فيكون من أهل القرآن والعلم والسمت الصالح حتى ينتفع الناس بهديه وقراءته وعلمه وسمته ، ويقوم المسجد بأداء رسالته على أكمل وجه. ٣. إنشاء الأوقاف على المساجد ورعايتها وتطويرها وصيانتها وحفظها من التلف أو الزوال أو التصدع، ويمكن أن يحقق ذلك بأن يكون بكل مسجد وقف عليه يصمم مع تصميم خرائط المسجد كإنشاء عمارة سكنية تابعة له أو

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٥٥).

(٥) انظر شرح السنة (٣٩٧/٢).

(٦) عون المعبود (٨٩/٣).

(٧) انظر فقه السيرة للبوطي (ص١٩٧).

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٣٣).

(٢) انظر المجتمع المدني في عهد النبوة (ص٩٩).

(٣) المرجع السابق (ص٩٦).

وأول وقف من المستغلات الخيرية في الإسلام وقف النبي صلى الله عليه وسلم وهو سبعة حوائط^(٥) بالمدينة كانت لرجل يهودي اسمه مخيريق، وكان محباً ودوداً للنبي صلى الله عليه وسلم وقاتل مع المسلمين في وقعة أحد وأوصى إن أصبت -أي قتلت- فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله تعالى^(٦)، وقد قتل يوم أحد وهو على يهوديته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مخيريق خير يهود»^(٧)، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحوائط السبعة فتصدق بها، أي - أوقفها - ثم تلاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٨).

وأوقف معظم الصحابة الذين كانت لهم أموال، ومعظم أوقافهم كانت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خلا وقف عمر وأبي طلحة رضي الله عنهما أجمعين^(٩)، وكان وقف النبي صلى الله عليه وسلم يأكل منه ويطعم، وجاء في كتاب وقف عمر أنه جعله صدقة على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل بالمعروف وأن يطعم صديقاً غير متمول فيه^(١٠)، فلم ينحصر الوقف في الإسلام منذ نشأته الأولى في الجوانب التعبدية فقط؛ بل تعداه إلى جميع مقاصد الخير في المجتمع وتعددت

دكاكين أو صالات ونحو ذلك، ينتفع من ريعها لصالح عمارة المسجد.

٤. العناية بمراقبة المساجد وتطوير القائمين عليها فكرياً وعلمياً وإدارياً عن طريق إقامة الدورات الشرعية والعلمية والتدريبية والندوات الخاصة والمحاضرات التوعوية في هذا الشأن مع تشجيعهم ورفع مكانتهم وعدم معاملتهم كموظفين في جهة إدارية، فدورهم أكبر من هذا وربما كان هذا النوع من التعامل سبباً لنفور بعض المؤهلين للإمامة عنها.

ثانياً: الأوقاف:

الوقف لغة: الحبس والتسبيل، يقال وقف الشيء وأوقفه حبسه وأحبسه وسبله كله بمعنى واحد^(١).

واصطلاحاً: عرفه ابن قدامة الحنبلي بأنه: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة^(٢).

وعرفه ابن النجار بتعريف أوسع فقال فيه: الوقف: تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقريباً إلى الله تعالى^(٣).

والأوقاف في الإسلام أصيلة بعمق أصالته وقديمة بقدم رسالته؛ فإن أول وقف في الإسلام كان مسجد قباء الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدومه مهاجراً إلى المدينة قبل أن يدخلها^(٤).

(٥) أي بستاتين، المعجم الوسيط (حاط).

(٦) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/١٧٥).

(٧) أخرجه الواقدي في المغازي (١/٢٦٣)، وابن إسحاق في السيرة

(٨) (١/٥١٨)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/٧٨).

(٩) أحكام الأوقاف (ص ١١).

(١٠) المرجع السابق (ص ١٣).

(١١) المرجع السابق (ص ١٥).

(١) المطلع (ص ٢٨٥).

(٢) المغني (٨/١٨٤).

(٣) منتهى الإرادات (١/٤٠١).

(٤) أحكام الأوقاف (ص ١١).

مالية تستقبل الودائع وتقدم القروض للراغبين وتقدم عدة خدمات مصرفية أخرى استناداً لمبادئ الشريعة الإسلامية يمول تأسيسه من قبل الواقفين، وتتفق الأرباح لصالح الجهات المستحقة لمنافع الوقف^(٣).

لا شك أن الأوقاف الإسلامية بمصارفها الواسعة المتنوعة في خدمة المجتمع تعتبر رافداً كبيراً وأساساً من روافد دعم السلم الاجتماعي وتحقيق غاياته بمفهومها الشامل، ولكي تحقق الأوقاف هذا الدور الهام والخطير في باب السلم الاجتماعي لابد من مراعاة ما يلي:

(١) إنشاء الرقابة على الأوقاف لمتابعة أعمالها وتحقيق شروط الواقفين فيها وتطوير أداء العاملين عليها.

(٢) تسهيل إجراءات تثبيت الأوقاف لدى المحاكم الشرعية لحث المزيد من المسلمين على الوقف وتنويع مصارفه.

(٣) إنشاء مؤسسات أكاديمية متخصصة لخدمة الأوقاف من الناحية العلمية والاقتصادية والإدارية، واقتراح مصارف جديدة ، وإيجاد حلول لمشاكل تعاني منها الأوقاف^(٤).

ثالثاً: القطاع الثالث:

يراد بهذا الاصطلاح: مجموعة المنظمات التي تتبع من مبادرات المواطنين وتحتل موقعاً ثالثاً بين مشروعات القطاع الخاص والمؤسسات

مصارف الأوقاف التي حبست لخدمة المجتمع ومن ذلك ما يعرف بالأربطة والزوايا التي كانت تجمع بين التبعد والتعليم والجهاد والإيواء والإطعام للوافدين والعابرين وللشيوخ والعجزة إلى غير ذلك من المنافع الاجتماعية لهذه الأربطة، وكان اهتمام المسلمين بالأربطة والأوقاف كبيراً جداً ، حتى إننا لنجد في بعض الدراسات أن عدد الأربطة التي كانت حول المسجد الحرام فقط في العصر الأيوبي (٣٩) رباطاً^(١)، غير عشرات الأربطة الأخرى المنتشرة في مكة المكرمة ، وتعددت هذه المجالات الاجتماعية التي تخدمها الأوقاف بأنواعها لخدمة جميع مجالات الحياة الاجتماعية حتى المرافق الاجتماعية كدور الوضوء ، والحمامات، وأوقاف المرضى ، والمتضررين ، وخدمة الزواج والمتزوجين المحتاجين ، حتى أن ما عرفته الأوقاف الإسلامية من نمو واتساع قد واكبه نمو واتساع أيضاً في الفقه والإفتاء والتشريع والتقنين، وفي نظم التوثيق والصيانة والصرف والاستثمار والمحاسبة ، فكانت هذه الجوانب مظهراً راقياً من مظاهر الحضارة والتقدم في تاريخ المسلمين فضلاً عن أن الأوقاف بأبعادها الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية كانت أساساً كبيراً ومصدراً متجدداً للحضارة الإسلامية^(٢).

وفي هذا العصر ومع تطور أدوات التنمية والاستثمار وجدنا بعض المقترحات لتطوير الأوقاف وإنشاء ما يسمى بالبنوك الوقفية ويراد بها: مؤسسات

(١) الأربطة في مكة المكرمة (ص ٢٦٦).

(٢) الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده (ص ٤٣).

(٣) البنوك الوقفية (٢/ ٤٥٧).

(٤) وللمزيد ينظر: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع (ص ٢٦١) وما بعده.

٣- الجمعيات الخيرية والأهلية.

٤- مؤسسات المجتمع المدني.

إن مساهمة هذا القطاع الكبير المتعدد المجالات في إيجاد السلم الاجتماعي كبيرة جداً، وحيوية في الوقت نفسه، ويكفي أن مجالات الأوقاف ومصارفها تعتبر جزءاً من مساهمات هذا القطاع في خدمة المجتمع والأمة، والمساهمة في التنمية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والحضارية، والكلام في هذا الباب كبير جداً، وتكفي هنا الإشارة إليه ولا سيما أنه جديد على مجتمعاتنا الإسلامية بهذا المصطلح الجديد في اسمه، القديم والمتنوع في معناه^(١).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد خرج هذا البحث بالنتائج التالية:

١. ارتباط السلم الاجتماعي بالضروريات الخمس في الشريعة الإسلامية ليكون المقصد الأعلى للتشريع.

٢. تحقيق السلم الاجتماعي مسئولية الفرد والمجتمع والأمة.

٣. أسس السلم الاجتماعي في المجتمع النبوي كانت في بناء المسجد والمؤاخاة والدستور المدني.

٤. من أهم المؤسسات الإسلامية التي تحقق السلم الاجتماعي: المسجد، الأوقاف، والقطاع الثالث

الحكومية حيث لا تستهدف هذه المنظمات تحقيق الربح؛ بل تسعى في المقام الأول إلى تحقق النفع العام، ويقتصر دور الحكومات تجاهها على ما تصدره من تشريعات ونظم عمل هذه المنظمات إضافة إلى متابعة تنفيذها كمراقب، فالجمعيات والمنظمات والمؤسسات التطوعية والخاصة والخيرية وغير الربحية ومؤسسات المجتمع المدني كلها تعد أسماء ومجالات أو عناصر لهذا القطاع^(١).

ويستطيع هذا القطاع استيعاب كثير من حالات التوظيف ومشكلات البطالة واحتواء وتوظيف الموارد البشرية بإبداعاتها واختراعاتها، وهو بهذا أو ذاك المنظم للأنشطة والبرامج الأهلية والشعبية والخيرية سواء كانت ثقافية أم دينية أم اجتماعية أم مهنية أم رياضية أم فنية أم ترفيهية، كما أن الدول تحتاج إلى هذا القطاع - بحكم شعبيته - في مدد الأزمات السياسية أو العسكرية، فهو يعالج بشكل فاعل آثار سقوط الحكومات وضعفها حيث يسد النقص والحاجة في الأزمات والكوارث التي قد تعصف بمكتسبات القطاعين فهو فعلياً يعمل على تحسين حياة الناس وتلبية حاجاتهم الأساسية، وإيجاد فرص عمل بأجور مقبولة، ونشر روابط قوية بين الشعوب ذاتها^(٢).

ويشمل هذا القطاع:

١- المؤسسات غير الربحية.

٢- المؤسسات الوقفية.

(١) القطاع الثالث والفرص السانحة (ص ٦٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٦٦).

(٣) انظر المرجع السابق (ص ٢٩٩).

(العمل الخيري)، وقد تبين من خلال معرفة مهمة هذه المؤسسات دورها وأثرها العظيم في تحقيق السلم الاجتماعي.

٥. لكي تحقق هذه المؤسسات دورها الهام في تحقيق السلم الاجتماعي لأبد من تفعيلها، وتمييزها، وتطويرها، والعناية بها، ومراقبة ما يحتاج إلى الرقابة، وتسهيل عملها، واختيار الأكفاء ليكونوا عاملين عليها، وفهم دورها في تحقيق السلم الاجتماعي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

المراجع

إعلام الساجد بأحكام المساجد، لمحمد بن عبد الله الزركشي، ت/ أبو الوفاء مصطفى المراغي، ط٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر - القاهرة.

أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د/ إبراهيم بن صالح الخضيري، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية، دار الفضيلة للنشر - الرياض، ط٢.

أحكام أهل الذمة لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت.د/ صبحي الصالح، ط١، دار العلم للملايين.

أحكام الأوقاف، للشيخ مصطفى أحمد الزرقا، ط١، دار عمان - عمان - الأردن.

الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي، د/ حسين شافعي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ.

بدائع الفوائد: لشيخ الإسلام أبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ت. مجموعة من الباحثين، دار الخير، ط ١٤١٤هـ، بيروت - لبنان.

البنوك الوقفية، دراسة فقهية اقتصادية ونموذج مقترح، د/ عبد المنعم زين الدين، ط١، لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الكويت.

تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٣، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر.

الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط دار الكتاب العربي. الحوار وبناء السلم الاجتماعي، د/ خالد محمد البديوي - ط١ ١٤٣٢هـ، طبعة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، د/ عبد العزيز الحجيلان، ط٢، دار ابن الجوزي - الدمام، المملكة العربية السعودية.

دراسة في السيرة، د/ عماد الدين خليل، ط التاسعة، دار النفائس، بيروت - لبنان.

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، لأيو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت.د/ محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

سنن أبي داود، لأيو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا.

سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

مجلة السلم فصلية محكمة تصدر عن منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة ، عدد خاص ربيع الأول ١٤٣٨هـ.

المعجم الوسيط ، صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤ - مكتبة الشروق الدولية.

المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي ، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، ت.مارسدن جونز، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، ط٣، ١٤٠٩/١٩٨٩.

الموافقات: للعلامة المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط١.

مقاصد الشريعة الإسلامية للإمام محمد الطاهر بن عاشور، دار النفائس، ط٢، ت. محمد الطاهر الميساوي. المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، د/ أكرم ضياء العمري، ط١ ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي ، ط٨ ، دار الفكر للنشر والتوزيع.

الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، ت/ بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الطائف.

المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ، ت/ عبد الله التركي، د/ عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب - الرياض، ١٤٣٢هـ.

المطلع على أبواب المقنع ، بأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي، المكتب الإسلامي.

منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات ، لتقي الدين محمد بن أحمد القنوجي الحنبلي الشهير بابن

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، د/ مهدي رزق الله أحمد ، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

السيرة النبوية ، دراسة تحليلية ، د/ محمد عبد القادر أبو فارس ، ط١، دار الفرقان - عمان - الأردن.

شرح السنة، لمحيي السنة، الحسين بن مسعود البغوي، ت.شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت. محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم =المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج، ت.محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، العظيم آبادي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ. قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ط١.

القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية، د/ محمد عبد الله السلومي، ط١، ١٤٣١هـ ، مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية.

النجار، ت/ عبد الله التركي، دار عالم الكتب -

الرياض، المملكة العربية السعودية.

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لشمس الدين

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار ابن زيدون،

ط١، بيروت - لبنان.

الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، أحمد الريسوني، ط١،

دار الكلمة - القاهرة.

الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، أ.د/

محمد بن أحمد الصالح، ط١، ١٤٢٢هـ.

Islamic institutions and their role in establishing social peace

Haney Ahmed Abdul shakur

Legal Graduates Studies-King Abdulaziz University

Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. Islamic institutions are intended to contribute to the implementation of some Islamic programs in the community through the mosque and endowments and charitable work and advocacy. This research is an attempt to demonstrate the two pillars of Islam in the clear message of peace in its supreme objectives and then the role of these institutions in achieving and establishing peace in society through its functional role and dealing with three models, namely, mosque, endowments and the third sector. They need to be monitored because of their significant impact in achieving peace on society and the nation and to achieve the purposes of the law

أحكام العقوبات المالية المتعلقة بأهل الكتاب في البلاد الإسلامية

مازن بن عبدالعزيز بن محسن الحارثي

جامعة الملك عبدالعزيز - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

مستخلص. يناول البحث إظهار عدل الإسلام في كل أمر حتى في هذه النفس التي أتلقت وانتهى أمرها في الحياة الدنيا، إلا أنه يبقى لأهل المقتول على أقل الأحوال الدية تعويضاً لهم على هذه النفس، فلا يذهب أمرها سدى بقتلها بل لا بد من إرضاء أهلها بالدية، ولو كان القتل خطأ، ولذلك أثره في القضاء على العداوات بين الناس في الإسلام بكل الأشكال، وحتى في الأمور الخارجة عن إرادة الإنسان كالقتل الخطأ، وشبه العمد فتكون هذه الدية من باب الإصلاح، والقضاء على العداوات. كما يبين البحث عظم هذه النفس البشرية عند الله تعالى، الأمر الذي لا يغطيه في بعض الأحوال الدية لإرضاء أهل المقتول؛ بل لا بد من إرضاء المولى بهذه الكفارة، مع تنبيه البشر بأن التعدي على النفس البشرية المعصومة بغير حق أمر يتعدى كونه حقاً لولي الدم فيتنازل عنه إلى أمر يغضب الله تعالى لأن الكفارة لا تسقط حتى بالعفو مجاناً.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم^(١).

(١) سنن أبي داود مع عون المعبود، ١٥٣/٦، رقم ٢١٠٤، وجامع الترمذي مع عارضة الأحوذى، ٢٧/٣، رقم ١١٠٧، وسنن ابن ماجه، ٥٩٤/١، رقم ١٨٩٢. جميعهم عن ابن مسعود. قال النووي في شرحه على صحيح مسلم، ١٦٠/٦: [أخرجه أبو داود بإسناد صحيح].
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي، ١٥٧/٦، كتاب الجمعة، باب خطبته ﷺ في الجمعة عن ابن عباس مختصراً.

أما بعد :

فإن علم الشريعة الإسلامية من أجل العلوم وأعظمها، وأكثرها نفعاً للفرد والأمة ، ولذلك من درج فيه ، فقد اختصه الله تعالى ، وهده إلى الخير قال ﷺ : [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين]^(٢) .

وقد حث المولى سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على الفقه والتفقه في الدين ، فقال جل شأنه { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون }^(٣) .

ولما كان من مزايا الشريعة الإسلامية دعوتها الصريحة إلى الحفاظ على النفس البشرية ككلية من الكليات الخمس ، والتي لا تقوم حياة الناس إلا بها ، فقد جاءت دعوة الشريعة الإسلامية الظاهرة والواضحة إلى العدل بين الناس في كل أمر ، ومن هذا العدل الذي دعت إليه ألا تهدر هذه النفس البشرية المعصومة^(٤) سدى ، ولذلك أوجبت على من أتلّفها دية^(١) تؤدي إلى ورثة المجني عليه ، وهذا يعتبر حق البشر ، ولكن يبقى حق لله تعالى في إتلاف هذه النفس ، ويظهر حقه تعالى في ذلك في إيجاب كفارة القتل على القاتل . وقد ثبت بنص

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ، ١٩٧/١ ، رقم ٧١ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ١٢٨ / ٧ ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة . كلاهما عن معاوية رضي الله عنه .

(٣) سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

(٤) المراد بالنفس البشرية المعصومة هنا : أي المعصومة الدم وهي التي حرم الله تعالى قتلها ومن قتلها فعليه القصاص أو الدية ، والمعصوم الدم بخلاف المهدر الدم كالحربي والزاني المحصن .

التعريفات ، ص ١٩٥ ، والمطلع ، ص ٤٣٣ .

(١) الدية : المال المؤدى إلى مجني عليه أو وليه بسبب الجناية . يقال : ودّيت القتل أبيه دية : إذا أعطيت ديته .

المطلع ، ص ٤٤٣ ، والمصباح المنير ، ٦٥٤/٢ ، مادة (وَدَى) .

القرآن الكريم وجوب الدية ، والكفارة لأهل الكتاب - اليهود والنصارى - لهم وعليهم في البلاد الإسلامية طالما كان لهم عقد وميثاق قال تعالى : { وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليمًا حكيمًا }^(٢) قال الطبري^(٣) : [وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك المقتول من أهل العهد ، لأن الله أبهم ذلك ، فقال : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم } ، ولم يقل وهو مؤمن كما قال في القتل من المؤمنين وأهل الحرب ، أو عنى المؤمن منهم وهو مؤمن فكان في تركه وصفه بالإيمان الذي وصف به القتلين الماضي ذكرهما قبل الدليل الواضح على صحة ما قلناه في ذلك]^(٤) .

أهمية البحث :

ترجع أهمية هذا البحث إلى النقاط التالية :

- ١- إظهار عدل الإسلام في كل أمر حتى في هذه النفس التي أتلّفت ، وانتهى أمرها في الحياة الدنيا إلا أنه يبقى لأهل المقتول على أقل الأحوال الدية تعويضاً لهم على هذه النفس .

(٢) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر . ولد بآمل طبرستان ، أكثر التطواف لطلب العلم ، كان مجتهداً لا يقلد أحداً . قال ابن خزيمة : ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير . من كتبه : (أخبار الرسل والملوك) ويعرف بتاريخ الطبري ، و (جامع البيان في تفسير القرآن) مات سنة ٣١٠ هـ .

تذكرة الحفاظ ، ٧١٠/٢ ، والعيبر ، ٤٦٠/١ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٣٢/٥ .

وأما الخاتمة : فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

وأما منهجي في البحث ، فقد اتبعت فيه ما يلي:

١- عزوت آيات القرآن الكريم مبيناً اسم السورة و رقم الآية .

٢- خرجت الأحاديث النبوية ، و الآثار الواردة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بذلك ، وإن لم يكن كذلك خرّجته من كتب السنة الأخرى ، مع بيان درجته من حيث الصحة والضعف ، معتمداً في ذلك على ما قاله العلماء ، أما الآثار فإني أخرجها من الكتب المعتمدة في ذلك.

٣- علقت على المسائل الواردة عند الحاجة إلى ذلك .

٤- وثقت أقوال العلماء ، والأدلة العقلية ، والاعتراضات ، والردود ، وسبب الخلاف - إن وجد - ونحو ذلك ، ووثقت النقول ، وذلك بالرجوع إلى مصادرها المتخصصة .

٥- إذا ذكرث روايتين أو قولين أو وجهين أو أكثر في المسألة في المذاهب الفقهية ، فإني أشير في الحاشية إلى الصحيح منها ، والمعتمد عند أصحاب المذهب .

٦- عرفت بالألفاظ ، والكلمات الغريبة ، والمصطلحات ، وأسماء الأماكن .

٧- ترجمت ترجمة موجزة للأعلام الوارد ذكرهم، ما عدا الخلفاء الراشدين ، والأئمة الأربعة .

٨- وضعت فهرساً للمصادر ، والمراجع ، والموضوعات.

٢- عظم أمر النفس البشرية في الإسلام ، فلا يذهب أمرها سدى بقتلها بل لا بد من إرضاء أهلها بالدية ، ولو كان القتل خطأ .

٣- القضاء على العداوات بين الناس في الإسلام بكل الأشكال ، وحتى في الأمور الخارجة عن إرادة الإنسان كالقتل الخطأ ، وشبه العمد فتكون هذه الدية من باب الإصلاح ، والقضاء على العداوات .

٤- عظم هذه النفس البشرية عند الله تعالى ، الأمر الذي لا يغطيه في بعض الأحوال الدية لإرضاء أهل المقتول ؛ بل لا بد من إرضاء المولى بهذه الكفارة .

٥- تنبيه البشر بأن التعدي على النفس البشرية المعصومة بغير حق أمر يتعدى كونه حق لولي الدم فيتنازل عنه إلى أمر يغضب الله تعالى لأن الكفارة لا تسقط حتى بالعفو مجاناً.

خطة البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة ، وستة مباحث ، وخاتمة كما يلي :

المقدمة : وقد ذكرت فيها الافتتاحية ، وأهمية البحث ، وخطة البحث ، ومنهج البحث.

أما المباحث الستة فهي كما يلي :

المبحث الأول : دية الرجل الكتابي .

المبحث الثاني : دية المرأة الكتابية .

المبحث الثالث : الكفارة بقتل الكتابي .

المبحث الرابع : الكفارة إذا كان القاتل كتابياً .

المبحث الخامس : الكفار إذا قتل الكتابي نفسه خطأ .

المبحث السادس : كفارة قتل الجنين الكتابي إذا سقط ميتاً نتيجة ضربة على بطن أمه.

المبحث الأول : دية الرجل الكتابي

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة

أقوال :

القول الأول : دية الرجل الكتابي ثلث دية

المسلم .

وبه قال عمر بن الخطاب^(١)، وعثمان بن

عفان^(٢) رضي الله عنهما ، وابن المسيب^(٣)،

وعطاء^(٤)، والحسن^(٥)، والشافعي^(٦)، ورواية عن

أحمد^(٧)، وإسحاق^(٨)، وأبو ثور^(٩) (١٣) (١٤) .

(١) عيون المجالس ، ٢٠٣٥/٥ ، والبيان ، ٤٩٢/١١ ، والمغني ، ٥٢٨/٩

(٢) الاستذكار ، ١٢١/٧ ، والحاوي الكبير ، ٣٠٨/١٢ ، ونيل الأوطار ، ٦٥/٧ .

(٣) سعيد بن المسيب المخزومي ، أبو محمد ، من أجل التابعين ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، سمع من عمر شيناً وهو يخطب وسمع من عثمان ، وسعد ، وعائشة رضي الله عنهم . كان أحد المفتين ، قال الإمام أحمد وغيره : مراسلات سعيد صحاح ، وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد ، وقد اختلفوا في سنة وفاته على أقوال أقواها سنة ٩٤ هـ .

تذكرة الحفاظ ، ٥٤/١ ، وتهذيب التهذيب ، ٣٣٥/٢ .

(٤) عيون المجالس ، ٢٠٣٥/٥ ، والبيان ، ٤٩٢/١١ ، والمغني ، ٥٢٨/٩

(٥) عطاء بن أبي رباح بن أسلم القرشي ، أبو محمد ، مولاهم المكي الأسود . كان عطاء أسوداً مقلداً فصيحاً كثير العلم . قال ابن عباس : يا أهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء ، وعن أبي جعفر الباقر قال : ما بقي على وجه الأرض أعلم بمناسك الحج من عطاء مات سنة ١١٤ هـ وقيل : ١١٥ هـ .

تذكرة الحفاظ ، ٩٨/١ ، وتهذيب التهذيب ، ١٢٨/٤ .

(٦) الاستذكار ، ١٢١/٧ ، والحاوي الكبير ، ٣٠٩/١٢ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

(٧) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد . نشأ بالمدينة ، روى عن عثمان وعلي ، وغيرهما رضي الله عنهما ، كان الحسن إمام أهل البصرة ، وحبر زمانه ، وكان ثقة حجة مأموناً عابداً كثير العلم . توفي سنة ١١٠ هـ .

تهذيب التهذيب ، ٤٨١/١ ، وتذكرة الحفاظ ، ٧١/١ .

(٨) الاستذكار ، ١٢١/٧ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

(٩) التنبيه ، ص ٥٢٤ ، وحلية العلماء ، ٥٤٣/٧ ، وفتح المنان ، ص ٣٩٩

(١٠) قال ابن قدامة : [وقد رجح أحمد عن هذه الرواية ، فإن صالحاً روى عنه أنه قال : كنت أقول دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف وأنا الآن أذهب إلى نصف دية المسلم] .

المغني ، ٥٢٨/٩ ، والممتع ، ٥٢٢/٥ ، والمبدع ، ٣٥٢/٨ .

القول الثاني : دية الرجل الكتابي نصف دية

المسلم .

وبه قال عروة بن الزبير^(١)، وعمر بن

عبدالعزیز^(٢)، ومالك^(٣)، ورواية عن الإمام

أحمد^(٤) .

القول الثالث : دية الرجل الكتابي مثل دية

المسلم .

(١) إسحاق بن إبراهيم الإمام الحافظ الكبير ، أبو يعقوب التميمي المروزي المعروف بابن راهويه ، ولد سنة ١٦٦ هـ ، وقيل ١٦١ هـ ، هجرية . قال أحمد بن حنبل : لا أعلم لإسحاق نظيراً بالعراق ، وقال النسائي : إسحاق ثقة مأمون إمام ، وقال أبو حاتم : العجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ . مات سنة ٢٣٨ هـ وله ٧٠ سنة .

تذكرة الحفاظ ٤٣٣/٢ ، وتهذيب التهذيب ، ١٣٩/١ .

(٢) الحاوي الكبير ، ٣٠٩/١٢ ، والبيان ، ٤٩٢/١١ ، والمغني ، ٥٢٨/٩

(٣) إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي ، أبو ثور . الفقيه صاحب الإمام الشافعي ، وهو من رواة القول القديم . قال ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً ، صنف الكتب وفرع على السنن ، وذب عنها . توفي سنة ٢٤٠ هـ .

شذرات الذهب ، ٩٣-٩٤/٢ ، والأعلام ، ٣٧/١ .

(٤) الحاوي الكبير ، ٣٠٩/١٢ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

(١) عروة بن الزبير ، بن العوام بن خويلد الأسدي ، أبو عبد الله المدني . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً مأموناً . مات سنة ٩٤ هـ على الصحيح ، ومولده في أوائل خلافة عثمان .

تهذيب التهذيب ، ١١٧/٤ ، والعيبر ، ٨٢/١ .

(٢) عيون المجالس ، ٢٠٣٥/٥ ، والبيان ، ٤٩٢/١١ ، والمغني ، ٥٢٨/٩

(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، أبو حفص : الخليفة الصالح ، من خلفاء الدولة الأموية ، ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ ، منع سب علي بن أبي طالب على المنبر ، دس له السم وتوفي سنة ١٠١ هـ ، ومدة خلافته سنتان ونصف .

الأعلام ، ٥٠/٥ ، والعيبر ، ٩١/١ .

(٤) بداية المجتهد ٣١٠/٢ ، والحاوي الكبير ، ٣٠٨/١٢ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

(٥) المدونة الكبرى ، ٦٢٧/٤ ، ومختصر خليل ، ص ٢٧٨ ، والشرح الصغير بهامش بلغة السالك ، ٣٦٨/٢ .

(٦) وهي المذهب .

روي عن الإمام أحمد أنه قال : [إذا كان القتل خطأ فالدية على النصف ، وإذا كان القتل عمداً فالدية كاملة كدية المسلم] لكنه رجح عن الدية الكاملة في القتل العمد وجعلها على النصف مثل القتل الخطأ . قال المرادوي بعد ذكره لهذا الأمر . قال : [لكن الإمام أحمد رحمه الله رجح عن هذه الرواية في رواية أبي الحارث وكذلك قال أبو بكر : المسألة - رواية واحدة - أنها على النصف] .

الإنصاف ، ٦٥/١٠ ، والفروع ، ١٧/٦ .

سبب الخلاف :

وسبب الخلاف بين الفقهاء في هذه المسألة ظواهر النصوص ، فمن قال إن دية الرجل الكتابي نصف دية المسلم تمسك بحديث عمرو^(١٠) بن شعيب^(١١) عن أبيه^(١٢) عن جده^(١٣) عن النبي ﷺ أنه قال : [دية الكافر على النصف من دية المسلم]^(١٤) ، ومن قال إن دية الرجل الكتابي مثل دية المسلم تمسك بقوله تعالى : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة }^(١٥) ، ومن السنة ما رواه معمر^(١٦) عن الزهري^(١٧) قال : [دية اليهودي والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم . قال : وكانت على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى كان معاوية ،

وبه قال مجاهد^(١٨) ، والشعبي^(١٩) ، والنخعي^(٢٠) ،

والثوري^(٢١) ، وأبو حنيفة^(٢٢) ، وروي ذلك عن عمر^(٢٣) ، وعثمان^(٢٤) ، وابن مسعود^(٢٥) ، ومعاوية^(٢٦) رضي الله عنهم .

^(٧) مجاهد بن جبر المكي المخزومي ، أبو الحجاج ، قال ابن حبان : كان فقيهاً ورعاً عابداً متقناً ، وقال العجلي : مكّي تابعي ثقة . قال مجاهد : قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت ؟ وكيف كانت ؟ و قال قتادة : أعلم من بقي في التفسير مجاهد . مات سنة ١٠٠ هـ ، وقيل غير ذلك .

تهذيب التهذيب ، ٣٧٣/٥ ، والعبر ، ٩٤/١ .
^(٨) فتح المالك ، ١٤١/٩ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .
^(٩) عامر بن شراحيل الشعبي ، يفتح المعجمة ، أبو عمرو ، ثقة مشهور ، فقيه فاضل ، من الثالثة ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه . مات بعد المائة ، وله نحو من ثمانين .
تقريب التهذيب ، ٤٦١/١ ، ولسان الميزان ، ٥٠٩/٧ .
^(١٠) الاستذكار ، ١٢٢/٧ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ ، وبدائع الصنائع ، ٢٥٤/٧ .

^(١١) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، أبو عمران . من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً في الرواية وحفظاً للحديث . من أهل الكوفة كان إماماً مجتهداً له مذهب ، وكان فقيه العراق . مات مختفياً من الحجاج سنة ٩٦ هـ .

تهذيب التهذيب ، ١١٥/١ ، والأعلام ، ٨٠/١ .
^(١٢) الاستذكار ، ١٢٢/٧ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ ، وبدائع الصنائع ، ٢٥٤/٧ .

^(١٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبدالله الكوفي . قال شعبة وابن معين وغيرهما : سفيان أمير المؤمنين في الحديث . وقال أحمد بن حنبل : لا يتقدم سفيان في قلبي أحد . توفي سنة ١٦١ هـ .

تهذيب التهذيب ، ٣٥٣/٢ ، والعبر ، ١٨١/١ .
^(١٤) فتح المالك ، ١٤١/٩ ، والحاوي الكبير ، ٣٠٨/١٢ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

^(١٥) مختصر اختلاف العلماء ، ١٥٥/٥ ، والمبسوط ، ٨٤/٢٦ ، ومجمع الأنهر ، ٦٣٩/٢ .

^(١٦) بداية المجتهد ، ٣١٠/٢ ، والبيان ، ٤٩٢/١١ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .
^(١٧) ينظر المراجع السابقة ، نفس الجزء والصفحة .

^(١٨) عبدالله بن مسعود الهذلي ، أحد القراء الأربعة ومن السابقين للإسلام ، ومن علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها . مات سنة ٣٢ هـ ، وله من العمر نيف وستين سنة ، ودفن بالبقيع .

أسد الغابة ، ٢٥٩/٣ ، وتهذيب التهذيب ، ٢٦٧/٣ .
^(١٩) عيون المجالس ، ٢٠٣/٥ ، والحاوي الكبير ، ٣٠٨/١٢ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

^(٢٠) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي ، أبو عبدالرحمن . أسلم يوم الفتح ، وقيل قبل ذلك . ولاه عمر بن الخطاب الشام بعد أخيه يزيد فأقره عثمان مدة ولايته ، ثم ولي الخلافة . مات سنة ٦٠ هـ ، وقيل سنة ٥٩ هـ .

أسد الغابة ، ٣٨٥/٤ ، وتهذيب التهذيب ، ٤٧٨/٥ .

^(١) عيون المجالس ، ٢٠٣/٥ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

^(١٠) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، صدوق ، من الخامسة . مات سنة ١١٨ هـ .
تقريب التهذيب ، ٧٣٧/١ .

^(١١) شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، صدوق ثبت سماعه من جده ، من الثامنة .

تقريب التهذيب ، ٤٢٠/١ .

^(١٢) شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، صدوق ثبت سماعه من جده ، من الثامنة .

تقريب التهذيب ، ٤٢٠/١ .

^(١٣) محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي الطائفي ، مقبول ، من الثالثة .

تقريب التهذيب ، ٩٨/٢ .

^(١٤) مسند الإمام أحمد ، ٣٧٦/٢ ، رقم ٦٦٥٣ ، وسنن أبي داود مع عون المعبود ، ٣٢٣/١٢ ، رقم ٤٥٥٩ ، وجامع الترمذي مع العارضة ، ٣٨١/٣ ، رقم ١٤١٨ ، وسنن النسائي ، ٤١٤/٨ ، رقم ٤٨٢٠ ، وصحيح ابن خزيمة ، ٢٦/٤ ، رقم ٢٢٨٠ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ٢٩/٨ .

قال الترمذي : [حديث حسن] ، وينظر إرواء الغليل ، ٣٠٧/٧ .
^(١٥) سورة النساء ، آية ٩٢ .

^(١٦) معمر بن عبدالله بن نافع بن نضلة العدوي ، وهو ابن أبي معمر ، صحابي كبير ، من مهاجرة الحبشة .

تقريب التهذيب ، ٢٠٣/٢ .

^(١٧) محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري ، أبو بكر ، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه ، مات سنة ١٢٥ هـ ، وقيل : ١٢٤ هـ ، وقيل غير ذلك .

تقريب التهذيب ، ١٣٣/٢ .

وجه الاستدلال :

هذان الحديثان صريحان في أن دية الكتابي أربعة آلاف درهم ، وهذه هي ثلث دية المسلمين .

ب- وأما الأثر فمن وجهين :

أحدهما : ما رواه سعيد عن عمر رضي الله عنه : [أنه جعل دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم]^(٥).

الثاني : ما رواه سعيد بن المسيب أن عثمان بن عفان رضي الله عنه : [قضى في دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم]^(١).

وجه الاستدلال :

هذا الأثر مثله مثل الأثر السابق صريح في أن عمر رضي الله عنه جعل دية أهل الكتاب أربعة آلاف درهم وهذه هي ثلث دية المسلمين .

٣- وأما المعقول فمن وجهين :

أحدهما : إنه لما نقصت دية المرأة المسلمة عن دية الرجل نقصها بالأنثوة وجب أن تنقص دية الرجل الكافر عن دية المرأة المسلمة نقصه بالكفر ، لأن الدية موضوعة على التفاضل^(٢).

فجعل في بيت المال نصفها ، وأعطى أهل المقتول نصفها ، ثم قضى عمر بن عبدالعزيز بنصف الدية ، وألغى الذي جعله معاوية في بيت المال . قال الزهري : فلم يقض لي أن أذكر بذلك عمر بن عبدالعزيز فأخبره أن الدية قد كانت تامة لأهل الذمة^(٤).

أدلة الأقوال :**١- أدلة القول الأول :**

استدل أصحاب القول الأول بالسنة ، والأثر ، والمعقول .

أ- فأما السنة فمن وجهين :

أحدهما : ما رواه عبادة بن الصامت^(١) ، أن النبي ﷺ قال : [دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف]^{(٢)(٣)}.

الثاني : ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ : [فرض على كل مسلم قتل رجلاً من أهل الكتاب أربعة آلاف درهم]^(٤).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ، ١٠٢/٨ ، والمصنف لعبد الرزاق ، ٩٥/١٠ ، رقم ١٨٤٩١ . قال البيهقي : [رده الشافعي بكونه مراسلاً] ، وينظر نصب الراية للزيلعي ، ٣٦٨/٤ .

(١) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، كان أحد النقباء بالعقبة وشهد بدرًا ، والمشاهد كلها ، كان ﷺ طوالاً جميلاً جسيماً ، مات سنة ٣٤ هـ . الإصابة ، ٢٦٨/٢ ، والعبر ، ٢٦/١ .

(٢) قال البلغوي : [دية اليهودي والنصراني إذا كان ذمياً أو مستأنساً ثلث دية المسلم ، وهي من الإبل ثلاثة وثلاثون وثلث ، وإن اثبتنا الإبل بدلاً مقدراً ، فهي من الورق أربعة آلاف درهم] التهذيب ، ١٧٠/٧ ، وفتح العزيز ، ٣٣٠/١٠ .

(٣) قال ابن حجر في التلخيص الحبير ، ٤٩/٤ ، : [حديث عبادة بن الصامت : (دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف)] . لم أجده من حديث عبادة ، إلا فيما ذكر أبو إسحاق الإسفراييني في كتاب أدب الجدل له ، فإنه قال : رواه موسى بن عقبة ، عن إسحاق بن يحيى بن عبادة به [وقال ابن المنذر في خلاصة البدر المنير ، ٢٧١/٢ : [غريب] . وينظر المغني ، ٥٢٩/٩ ، والممتع ، ٥٢٢/٥ ، والمبدع ، ٣٥٢/٨ .

(٤) سنن الدار قطني ، ٩٣/٣ ، رقم ، ٣٢٥٧ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ١٠١/٨ ، والمصنف لعبد الرزاق ، ٩٢/١٠ ، رقم ١٨٤٧٤ . ترتيب مسند الإمام الشافعي ، ص ٣١٧ ، رقم ١٣٦٨ ، وسنن الدار قطني ، ٩٤/٣ ، رقم ٣٢٦٢ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ١٠٠/٨ ، والمصنف لعبد الرزاق ، ٩٣/١٠ ، رقم ١٨٤٧٩ .

قال ابن المنذر في خلاصة البدر المنير ، ٢٧٢/٢ : [في سماع سعيد بن المسيب من عمر بن الخطاب مقال] . وينظر السنن الكبرى للبيهقي ، ١٠٠/٨ .

وقال ابن عبد البر في الاستذكار ، ١٢٢/٧ : [الأحاديث في هذا الباب عن عمر وعثمان مضطربة مختلفة منقطعة فلا حجة فيها] .

(١) ترتيب مسند الإمام الشافعي ، ص ٣١٦ ، رقم ١٣٦٥ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ١٠٠/٨ .

وينظر كلام ابن عبد البر السابق .

(٢) الحاوي الكبير ، ٣١٠/١٢ .

وجه الاستدلال :

المراد بهذه الآية الذمي ، لأنه لو أراد بها المؤمن لقال عز وجل : وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهو مؤمن ، كما قال عز وجل : { فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن }^(٣) .

ب- وأما السنة فهو :

ما رواه سعيد عن النبي ﷺ أنه قال : [دية كل ذي عهد في عهده ألف دينار]^(٤) .

وجه الاستدلال :

دل الحديث بصراحة على أن دية كل ذي عهد في عهده ألف دينار ، فإذا كان لأهل الكتاب عهد فإن ديتهم ألف دينار وهذه دية المسلم .

ج- وأما الأثر فمن وجهين :

أحدهما : ما رواه الزهري قال : [كان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان يجعلون دية اليهود والنصارى إذا كانوا معاهدين مثل دية المسلم سواء]^(١) .

وجه الاستدلال :

هذا الأثر صريح على أن الخلفاء الراشدين أبي بكر ، وعمر وعثمان لم يفرقوا بين دية أهل الكتاب وبين دية المسلمين .

الثاني : أن تقدير دية الحر الكتابي بالثلث أقل

ما قيل ، والأصل براءة الذمة فيما زاد^(٣) .

٢- أدلة القول الثاني :

استدل أصحاب القول الثاني بالسنة ، والمعقول .

أ- فأما السنة :

فهو ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : [دية المعاهد نصف دية المسلم]^(٤) .

وجه الاستدلال :

دلت الرواية السابقة بوضوح على أن دية الكتابي على النصف من دية المسلم .

ب- وأما المعقول فمن وجهين :

أحدهما : أن الدية بدل عن النفس ، فكان الكفر مؤثر في نقصانها كالقصاص^(٥) .

الثاني : إن كل نوع نقصت ديته عن دية المسلم الذكر إلى جزء منه فإن ذلك الجزء هو النصف أصله دية المرأة المسلمة^(١) .

٣- أدلة القول الثالث :

استدل أصحاب القول الثالث بالكتاب ، والسنة ، والأثر ، والمعقول :

أ- فأما الكتاب :

فقوله تعالى : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم

ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة }^(٢) .

(٣) كفاية الأخيار ، ١٨١/٢ ، ومغني المحتاج ٧٠/٤ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) الإشراف ، ٨٣٠/٢ ، والمنقذ ، ٦٣/٩ ، والمغني ، ٥٢٩/٩ .

(١) المعونة ، ١٣٣٧/٣ .

(٢) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٣) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٤) مختصر اختلاف العلماء ، ١٥٧/٥ ، والمبسوط ، ٨٤/٢٦ ،

والاستذكار ، ١٢٣/٧ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

(٥) المراسيل لأبي داود ، ص ١٥٩ ، رقم ١ .

قال ابن حجر في الدراية ، ٢٧٥/٢ : [أخرجه أبو داود في المراسيل من رواية سعيد بن المسيب ، وأخرجه محمد بن الحسن والشافعي لكن موقوف على سعيد] وينظر ترتيب مسند الإمام الشافعي ، ص ٣١٦ ، رقم ١٣٦٥ ، ونصب الراية ٣٦٦/٤ .

(١) سبق تخريجه .

وقال الشوكاني^(١): [والراجح العمل بالحديث الصحيح^(٢) وطرح ما يقابله مما لا أصل له في الصحة^(٣)].

٢- إن أدلة القول الأول ، والثالث لم تسلم من المناقشة ، وذلك كما يلي :

أولاً : مناقشة أدلة القول الأول :

١- مناقشة أدلتهم من السنة :

أ- نوقش استدلالهم بحديث عبادة بن الصامت بأنه غير صحيح^(٤).

ب- نوقش استدلالهم بحديث عمرو بن شعيب بأنه وعلى افتراض صحته ، فإنما كان ذلك حين كانت الدية ثمانية آلاف فأوجب فيها نصفها أربعة آلاف يدل على ذلك الحديث الآخر الذي رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : [كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار وثمانية آلاف درهم ، ودية أهل الكتاب يومئذ على النصف^(٥)]. فهذا بيان وشرح مزيل للإشكال لأن فيه جمع الأحاديث^(٦).

٢- مناقشة أدلتهم من الأثر :

الثاني : ما روي عن علي عليه السلام أنه قال : [إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا]^(٧).

وجه الاستدلال :

دل هذا الأثر كذلك على أن أهل الذمة بدفعهم للجزية أصبحت دماءهم كدماء المسلمين ، وهذا يدل على استوائهما في الدية .

ج- وأما المعقول :

هو : إنهم معصومون لإحرازهم أنفسهم بالدار ، فوجب أن تكمل ديتهم كالمسلمين^(٨).

المناقشة والرأي الراجح :

والذي أراه راجحاً هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني ، وهو أن دية الرجل الكتابي نصف دية المسلم لما يلي :

١- قوة أدلتهم وسلامتها من المعارضة ، لا سيما من السنة ، لذلك يقول الصنعاني^(٩): [ولا يخفى أن دليل القول الثاني أقوى^(١٠)].

(٧) هذا الأثر عن علي عليه السلام ، قال فيه ابن حجر في الدراية ، ١١٥/٢ : [لم أجده هكذا وإنما أخرجه الشافعي - في ترتيب المسند ، ص ٣١٥ ، رقم ١٣٦٣ - والدار قطني - في سننه ٩٤/٣ ، رقم ٣٢٦٧ - من طريق أبي الجنوب عن علي عليه السلام بلفظ : ((من كان له ذمتنا قدمه كدمنا وديته كديتنا))] ((

قال الدار قطني : [وأبو الجنوب ضعيف الحديث] .

(٨) تبين الحقائق ، ١٢٨/٦ ، ومجمع الأنهر ٦٣٩/٢ ، والمغني ، ٥٢٨/٩ .

(٩) محمد بن إسماعيل بن صلاح ، الكحلاني ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم المعروف بالأمر . مجتهد أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام ، له نحو مئة مؤلف منها (توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار) في المصطلح ، (و سبل السلام) ، (و الروض النضير في الخطب) . مات سنة ١١٨٢ هـ .

الأعلام ، ٣٨/٦ ، ومعجم المؤلفين ، ١٣٢/٣ .

(١٠) سبل السلام ، ٥١٠/٣ .

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني . فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ومن أهل صنعاء . ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن ، ونشأ بصنعاء . له ١١٤ مؤلف منها (نيل الأوطار) ، (و اتحاف الأكابر) ، (و السيل الجرار) . مات سنة ١٢٥٠ هـ .

(٢) وهو حديث عمرو بن شعيب والذي استدل به أصحاب القول الثاني .

(٣) نيل الأوطار ، ٦٦/٧ .

(٤) سبق بيان ذلك .

(٥) سنن أبي داود مع عون المعبود ، ٢٨٤/١٢ ، رقم ٤٥١٩ ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ١٠١/٨ .

قال العظيم آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ٢٨٦/١٢ : [و الحديث سكت عنه المنذري] .

(٦) المغني ، ٥٢٩/٩ ، والممتع ، ٥٢٣/٥ ، والمبدع ، ٣٥٢/٨ .

الثاني : أن وجوب الدية باعتبار معنى الإحراز والإحراز يكون بالدار لا بالدين فيظهر في حق أهل الكتاب وأهل الذمة لأنهم ساووا المسلمين في الإحراز بالدار .

ثانياً : مناقشة أدلة القول الثالث :

١- نوقش استدلالهم بالآية بأن المقصود بهذه الآية المؤمن ، لأن الله تعالى قال في أول الآية { ومن قتل مؤمناً خطأ }^(٣) ثم قال : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق }^(٤) يعني أن المؤمن المقتول خطأ^(٥).

أجيب عن هذه المناقشة :

بأن الله تعالى قد قال في هذه الآية : { فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن }^(٦) فدل ذلك على أنه تعالى لم يعطفه على ما تقدم من قوله : { ومن قتل مؤمناً خطأ }

لأنه لو كان معطوفاً عليه لأغنى عن ذلك وصفه بالإيمان ، وكذلك قوله تعالى : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق } غير مضمرة فيه المؤمن الذي تقدم ذكره ، لأن قوله : { فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن } هو الذي يلي قوله : { ومن قتل مؤمناً خطأ } فإذا لم يكن ما يليه معطوفاً عليه فما بعده أولى بذلك ، فثبت أن دية المسلم والكافر سواء^(١).

اعترض على هذه الإجابة بثلاثة أمور :

نوقش استدلالهم بقول عمر ، وعثمان رضي الله عنهما من ثلاثة أوجه :

أحدهما : بأن فيهما انقطاع^(٧).

الثاني : بما نوقش به استدلالهم من السنة بحديث عمرو بن شعيب^(٨).

الثالث : بأن قول النبي ﷺ من السنة ، والذي استدل به أصحاب القول الثاني مقدم على قول عمر ، وعثمان ، وغيرهما^(٩).

٣- مناقشة أدلتهم من المعقول :

نوقش استدلالهم من المعقول من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنهما اجتهدان مع النص الصحيح من السنة ، والذي استدل به أصحاب القول الثاني ، ولا اجتهد مع النص .

الثاني : إن قولهم إنه لما نقصت دية المسلمة عن دية الرجل إلخ لا يصح لأمرين^(٢):

الأول : إن أهل الذمة يستوون بالمسلمين في صفة المالكية فيستوون بهم في الدية كالفاسق مع العدل ، وهذا لأن نقصان الدية باعتبار نقصان المالكية ، ولهذا تنصفت بالأثوثة لتتصف المالكية ، فإن المرأة أهل ملك المال دون ملك النكاح ، والحر الذكر يملكهما فلهذا زادت قيمته ونقصت قيمتها ، والكافر يساوي المسلم في هذا المعنى فوجب أن يكون بدله كبذله .

(٣) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٤) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ، ٤٧٧/١ ، والاستنكار ، ١٢٤/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٩/٥ .

(٦) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٧) مختصر اختلاف العلماء ، ١٥٧/٥ ، والاستنكار ، ١٢٤/٧ .

(٨) سبق بيان ذلك .

(٩) ينظر مناقشة دليلهم من السنة .

(١) المغني ، ٥٢٩/٩ ، وشرح ابن القيم على سنن أبي داود مع عون المعبود ، ٣٢٥/١٢ ، ونيل الأوطار ، ٦٥/٧ .

(٢) المبسوط ، ٨٥،٨٦/٢٦ ، وتبيين الحقائق ، ١٢٨،١٢٩/٦ ، وتكملة البحر الرائق ، ٣٧٥/٨ .

٤- مناقشة أدلتهم من المعقول :

نوقش ما استدلو به من المعقول بأنه اجتهد مع النص الصريح من السنة ، والذي استدل به أصحاب القول الثاني ، ولا اجتهد مع النص .

المبحث الثاني : دية المرأة الكتابية

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : ديتها نصف دية الرجل الكتابي ^(١).

وذهب إلى هذا القول عمر ^(٢)، وعثمان ^(٣)، وعلي ^(٤)، وابن مسعود ^(٥)، وابن عمر ^(٦) ^(٧)، وابن عباس ^(٨) ^(٩) رضي الله عنهم ، وبه قال من الفقهاء

الأول : بأن الآية التي استدلو بها ولو أريد بها

أهل الكتاب إلا أن مطلق الدية في الآية لا يمنع من اختلاف مقاديرها كما لا يمنع من اختلاف دية الرجل والمرأة ودية الجنين ، لأن الدية اسم لما يؤدي من قليل وكثير ^(٢).

الثاني : لم لا يجوز أن يكون المراد بالدية الدية

المتعارضة بين المسلمين لأهل الذمة والمعاهدين ^(٣).

الثالث : إنه ورد الحديث المقيد لإطلاق دية أهل

الكتاب بالنصف ، وهو حديث عمرو بن شعيب المتقدم : [دية المعاهد نصف دية المسلم] ^(٤) ^(٥).

٢- مناقشة أدلتهم من السنة :

نوقش استدلالهم بحديث سعيد بن المسيب بأنه مرسل ^(٦) ، ثم أن حديث أصحاب القول الثاني مقدم عليه .

٣- مناقشة أدلتهم من الأثر :

نوقش ما استدلو به من الأثر من وجهين :

أحدهما : أن الأثرين لا يصلحان للاحتجاج

بهما ^(٧).

الثاني : إنه قد روي عن الصحابة خلافة فنحمل

قولهم في إيجاب الدية كاملة على سبيل التغليظ ،

قال أحمد : إنما غلظ عثمان الدية عليه لأنه كان

عمداً فلما ترك القود غلظ عليه ^(١).

^(٢) الحاوي الكبير ، ٣١٠/١٢ .

^(٣) نيل الأوطار ، ٦٦/٧ ، وتحفة الأحوذ ، ٥٦٥/٤ .

^(٤) سبق تخريجه .

^(٥) المتمتع ، ٥٢٣/٥ ، ونيل الأوطار ، ٦٦/٧ ، وتحفة الأحوذ ، ٥٦٥/٤ .

^(٦) سبق بيان ذلك .

^(٧) سبق بيان ذلك .

^(٨) المغني ، ٥٢٩/٩ .

^(١) قال ابن قدامة في المغني ، ٥٣٣/٩ : [ودية نساء كل أهل دين على النصف من دية رجالهم] .

^(٢) المنتقى ، ٢٦/٩ ، والمهذب مع التكملة ، ٥٢/١٩ ، والبيان ، ٤٩٥/١١ .

^(٣) التهذيب ، ١٦٣/٧ ، وفتح العزيز ، ٣٢٨/١٠ ، وأسنى المطالب ، ٤٨/٤ .

قال ابن حجر في التلخيص الحبير ، ٤٨/٤ : [وأما أثر عثمان لم أره] .

^(٤) الهداية مع نتائج الأفكار ، ٣٠١/١٠ ، وتبيين الحقائق ، ١٢٨/٦ ، ومجمع الأنهر ، ٦٣٩/٢ .

^(٥) البيان ، ٤٩٥/١١ ، وفتح العزيز ، ٣٢٨/١٠ ، والتلخيص الحبير ، ٤٨/٤ .

^(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن . صحابي جليل . ولد بمكة . كان جريئاً في الحق . نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه استصغره النبي ﷺ يوم بدر وأحده وأجازه بالخنق ، وشهد فتح مكة ، ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى . كف بصره آخر حياته . مات بمكة سنة ٧٣ هـ .

^(٧) الإصابة ، ٣٤٧/٢ ، والأعلام ، ١٠٨/٤ .

^(٨) المهذب مع التكملة ، ٥٢/١٩ ، وفتح العزيز ، ٣٢٨/١٠ ، وكفاية الأخيار ، ١٨٠/٢ .

^(٩) عبدالله بن عباس الهاشمي ، كان يقال له البحر والحبر وترجمان القرآن ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان مجلسه مشحوناً بالطلاب في أنواع العلوم المختلفة لكثرة علمه ﷺ ، وقد ذهب بصره آخر عمره ، توفي سنة ٦٨ هـ .

الإصابة ، ٢٣٠/٢ ، والعبر ٥٦/١ .

^(٩) الخاوي الكبير ، ٢٨٩/١٢ ، والبيان ، ٤٩٥/١١ ، وفتح العزيز ، ١٠، ٣٢٨ .

قال ابن حجر في التلخيص الحبير ، ٤٨/٤ : [وأما ابن عمر ، وابن عباس فلم أره عنهما] .

الثاني : ما رواه معاذ بن جبل^(٦) عن النبي ﷺ أنه قال : [دية المرأة نصف دية الرجل] ^(٧).

وجه الاستدلال :

دل الحديثان بعمومهما على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل .

الثالث : عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : [عقل^(٨)

المرأة مثل عقل الرجل حتى يبلغ الثلث من ديتها] ^(٩).

وجه الاستدلال :

دل هذا الحديث على أن دية المرأة مثل دية الرجل فيما دون الثلث ، فإذا جاوز الثلث أصبحت ديتها على النصف من دية الرجل ^(١٠).
ب- وأما الأثر فمن ثلاثة أوجه :

الأحناف^(١١) ، والمالكية^(١٢) ، والشافعية^(١٣) ، والحنابلة^(١٤).

القول الثاني : ديتها مثل دية الرجل الكتابي .

وذهب إلى هذا القول ابن غُلَيَّة^(١٥) ، والأصم^(١٦) ^(١٧).

أدلة الأقوال :

١ - أدلة القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول بالسنة ، والأثر ، والمعقول .

أ- فأما السنة فمن ثلاثة أوجه :

أحدها : ما جاء في كتاب عمرو بن حزم عن النبي ﷺ أنه قال : [دية المرأة على النصف من دية الرجل] ^(١٨).

^(١٠) مختصر اختلاف العلماء ، ١٠٥/٥ ، وتكملة البحر الرائق ، ٣٧٥/ ٨ ، والفتاوى الهندية ، ٣٧/٦ .

^(١١) مختصر خليل ، ص ٢٧٨ ، وتبصرة الحكام ، ١٧٩/٢ ، والقوانين الفقهية ، ص ٢٢٨ .

^(١٢) التنبية ، ص ٥٢٥ ، وحواشي الشرواني ، ٥٢٩/٨ ، وحاشية الباجوري ، ٢٢٣-٢٢٩/٢ .

^(١٣) الممتع ، ٥١٩/٥ ، والفروع ، ١٧/٦ ، وشرح منتهى الإرادات ، ٣٠٧/٣ .

^(١٤) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي ، أبو بشر المعروف بابن غُلَيَّة ، وغلَيَّة هي أمه ، وهي غُلَيَّة بنت حسان . قال يحيى بن معين : كان ثقة مأموناً صدوقاً مسلماً ورعاً . وقال ابن سعد كان ثقة في الحديث حجة ، وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ١٩٣ هـ ، وقيل : ١٩٤ هـ .

تهذيب التهذيب ، ١٧٦/١ ، وتذكرة الحفاظ ، ٣٢٢/١ .

^(١٥) الحاوي الكبير ، ٢٨٩/١٢ ، والبيان ، ٤٩٤/١١ ، والمبدع ، ٣٥٠/٨ .

^(١٦) محمد بن يعقوب بن يوسف ، أبو العباس الأصم . محدث من أهل نيسابور . رحل رحلة واسعة ، فأخذ عن رجال الحديث بمكة ومصر ودمشق ، وغيرها ، وأصيب بالصمم بعد إصابته ، قال ابن الأثير : [كان ثقة أميناً] . مات سنة ٣٤٦ هـ .

تذكرة الحفاظ ، ٨٦٠/٣ ، وشذرات الذهب ، ٣٧٣/٢ .

^(١٧) حلية العلماء ، ٥٤٤/٧ ، والمغني ، ٥٣٣/٩ ، وكشاف القناع ، ٢٩٧/٦ .

^(١٨) قال ابن حجر في التلخيص الحبير ، ٤٨/٤ : [هذه الجملة ليست في حديث عمرو بن حزم الطويل ، وإنما أخرجه البيهقي من حديث معاذ بن جبل - وهو الحديث الآتي ، حاشية رقم (٧)]

^(٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، من أعيان الصحابة ، شهد بدرأ وما بعدها ، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن ، مات بالشام ، سنة ١٨ هـ .

تقريب التهذيب ، ١٩١/٢ .

^(٧) السنن الكبرى للبيهقي ، ٩٦/٨ .

قال البيهقي : [إسناده لا يثبت مثله] ، وينظر التلخيص الحبير ، ٤٨/٤ .

^(٨) العقل : الدية سميت عقلاً لأن الدية كانت عند العرب إبلاً لأنها كانت أموالهم ، والقاتل كان يكلف أن يسوق إبلاً الدية إلى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه .

تهذيب الأسماء واللغات ، الجزء الثاني من القسم الثاني ، ٣٣/٣ ، والمطلع ، ص ٤٩٩ .

^(٩) سنن النسائي ، ٤١٤/٨ ، رقم ٤٨١٩ ، وسنن الدارقطني ، ٦٥/٣ ، رقم ٣١٠٥ ، والمصنف لعبد الرزاق ، ٣٩٦/٩ ، رقم ١٧٧٥٦ .

هذا الحديث ضعفه ابن الملقن في خلاصة البدر المنير ، ٢٧١/٢ ، وكذلك الزرقاني في شرحه على موطأ الإمام مالك ، ٢٤٠/٤ ، وكذلك الألباني في إرواء الغليل ، ٣٠٩/٧ .

لكن الصنعاني صححه لتصحيح ابن خزيمة له ، ووافقه الشوكاني على هذا التصحيح .

ينظر سبل السلام ، ٥١١/٣ ، ونيل الأوطار ، ٦٧/٧ .

^(١٠) ينظر حاشية السندي على سنن النسائي ، ٤١٤/٨ ، ونيل الأوطار ، ٦٩/٧ .

أحدهما : أن تساويهما في القصاص يوجب تساويهما في الدية .

الثاني : أن استواء الغرة^(٣) في الجنين الذكر والأنثى يوجب تساوي الدية في الرجل والمرأة ، لأن الغرة أحد الديتين .

المناقشة والرأي الراجح :

والذي أراه راجحاً ما ذهب إليه أصحاب القول الأول ، وهو أن دية المرأة الكتابية على النصف من دية الرجل الكتابي وذلك للأسباب التالية :

- ١- إن أكثر أدلتهم من السنة وإن اعترض عليها إلا أنها بمجموع طرقها يقوي بعضها بعضاً .
- ٢- إنه ثبت لهم صحة دليل عمرو بن شعيب - على من رأى صحته - .

٣- الآثار الصحيحة والثابتة عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وأعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بشرع الله تعالى في ذلك .

٤- إجماع الأمة على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وقد نقل الإجماع كثير من العلماء ومن ذلك :

أ- قول ابن المنذر^(١): [وأجمعوا أن دية المرأة نصف دية الرجل]^(٢).

أحدها : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : [جراحات الرجال والنساء تستوي في السن و الموضحة^(٣) وما فوق ذلك فدية المرأة على النصف من دية الرجل]^(٤).
الثاني : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : [جراحات النساء على النصف من دية الرجل فيما قل أو كثر]^(٥).

الثالث : عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : [دية المرأة في الخطأ على النصف من دية الرجال إلا السن والموضحة فهما فيه سواء]^(٦).

وجه الاستدلال :

دلت الآثار بعمومها على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل في النفس .

وأما المعقول فهو :

أن دية المرأة جعلت على النصف من دية الرجل بالقياس على أن لها نصف ميراث الرجل ، وأن شهادة امرأتين بشهادة رجل^(١).

٢- أدلة القول الثاني :

استدل أصحاب القول الثاني بالمعقول من وجهين^(٢):

(٣) الموضحة : هي التي تبدي وضح العظم أي بياضه . غريب الحديث للخطابي ، ٣٧٠/٢ ، والنهاية في غريب الحديث ، ١٩٦/٥

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ، ٣٦٦/٦ ، رقم ٢ ، قال الألباني في إرواء الغليل ، ٣٠٧/٧ : [وإسناده صحيح] .

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ، ٩٦/٨ ، والمصنف لابن أبي شيبة ، ٣٦٧/٦ ، رقم ٧ . قال الألباني في إرواء الغليل ، ٣٠٧/٧ : [وإسناده صحيح] .

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ، ٩٦/٨ ، والمصنف لابن أبي شيبة ، ٣٦٧/٦ ، رقم ٧ . قال الألباني في إرواء الغليل ، ٣٠٧/٧ : [وإسناده صحيح] .

(١) فتح المالك ، ١٤٠/٩ .

(٢) الحاوي الكبير ، ٢٨٩/١٢ .

(٣) الغرة : النسمة من الرقيق ذكراً كان أو أنثى ، وهو الذي يكون ثمنه نصف عشر الدية . تحرير ألفاظ التنبيه ، ص ٣٠٥ ، والتعريفات ، ص ٢٠٨ .

(١) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، أبو بكر ، فقيه مجتهد ، من الحفاظ ، كان شيخ الحرم بمكة . قال الذهبي : ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها . منها (المبسوط في الفقه) ، و (الأوسط في السنن) ، و (الإجماع والاختلاف) . مات بمكة سنة ٣٢٩ هـ .

استدل أصحاب القول الأول بالكتاب ،
والمعقول .

أ - فأما الكتاب :

فقوله تعالى : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحريم رقبة
مؤمنة }^(٨) .

وجه الاستدلال :

دلت الآية بعمومها على وجوب الكفارة بقتل كل كافر
بيننا وبينه ميثاق كالذمي والمعاهد^(٩) .

ب - وأما المعقول :

فهو : إنه آدمي مضمون بالدية بقتله ؛ فوجب
أن يضمن بالكفارة بقتله كالمسلم^(١٠) .

٢ - أدلة القول الثاني :

استدل أصحاب القول الثاني بالكتاب ،
والمعقول .

أ - فأما الكتاب :

فقوله تعالى : { ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة }^(١١) .

وجه الاستدلال :

دلت الآية بمفهومها^(١٢) أنه لا كفارة في غير
المؤمن ؛ فدل على أن الكتابي لا كفارة فيه^(١٣) .

(٨) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٩) البيان ، ٦٢٤/١١ ، ومغني المحتاج ، ١٣١/٤ ، وشرح منتهى

الإرادات ، ٣٣١/٣ .

(١٠) الحاوي الكبير ، ٦٣/١٣ ، والممتع ، ٦١٢/٥ ، والمبدع ، ٢٨/٩ .

(١١) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(١٢) المقصود بالمفهوم هنا هو مفهوم المخالفة وهو ما يعرف بدليل الخطاب ، وهو : إثبات نقض حكم المنطوق للمسكوت عنه إذا قيد الكلام بقيد يجعل الحكم مقصوراً على هذا القيد .

المحصول لابن العربي ، ١٠٥/١ ، وروضة الناظر ، ٢٠٣/٢ ، وأصول
الفقه لأبي زهرة ، ص ١٤٨ .

ب - قول ابن عبد البر : [وقد أجمع العلماء على
أن دية المرأة على النصف من دية الرجل ، إلا أن
العلماء في جراح النساء مختلفون]^(١٤) .

٥ - إن ما استدل به أصحاب القول الثاني من
المعقول مردود بما استدل به أصحاب القول الأول
بحديث عمرو بن شعيب ، والإجماع ، فلا يقوى
على معارضتهما .

المبحث الثالث : الكفارة بقتل الكتابي^(١٥)

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : تجب الكفارة بقتل الكتابي .

وذهب إلى هذا القول ابن عباس رضي الله
عنهما ، والشعبي ، والنخعي^(١٦) ، والأحناف^(١٧) ،
والشافعية^(١٨) ، والحنابلة^(١٩) .

القول الثاني : لا تجب الكفارة بقتل الكتابي .

وذهب إلى هذا القول المالكية^(٢٠) ، والحنابلة^(٢١) ،
والشافعية^(٢٢) ، والحنابلة^(٢٣) .

أدلة القولين :

١ - أدلة القول الأول :

تذكرة الحفاظ ، ٧٨٢/٣ ، والأعلام ، ٢٩٤/٥ .

(١٤) الإجماع ، ص ١٠٥ .

(١٥) الإجماع ، ص ٢٧٦ .

(١٦) أحكام القرآن للجصاص ، ٢٤٥/٢ ، والوسيط في المذهب ، ٣٩٢/٦ ،
وكشاف القناع ، ٣٠١٤/٦ .

(١٧) جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٣١/٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ،
٢٤٤/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٩/٥ .

(١٨) أحكام القرآن للجصاص ، ٢٤٤/٤ .

(١٩) المذهب مع التكملة ، ١٨٤/١٩ ، وروضة الطالبين ، ٣٨١/٩ ، وأسنى
المطالب ، ٩٥/٤ .

(٢٠) المتمتع ، ٦١١/٥ ، والمبدع ، ٢٨/٩ ، وشرح منتهى الإرادات ،
٣٣١/٣ .

(٢١) عيون المجالس ، ٢٠٧٧/٥ ، والكافي في فقه أهل المدينة ، ص ٥٩٥ ،
والقوانين الفقهية ، ص ٢٢٨ .

(٢٢) جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٣٢/٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ،
٢٤٤/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ، ٢٧٩/٥ .

ب- وأما المعقول فمن وجوه :

أحدها: إن الكفارة في قتل المؤمن لحرمته وتحريم دمه، وذلك غير موجود في الكتابي^(٦).

الثاني: ولأن الكفارة لم تجب بقتل العمد وهو مؤمن ، فكانت بأن لا تجب في قتل الكتابي أولى^(٧).

الثالث: اعتباراً بالحربي والوثني والمرتد لعله نقصهم بالكفر^(٨).

المناقشة والرأي الراجح :

الذي أراه راجحاً ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من وجوب الكفارة في قتل الكتابي لما يلي :

١- أن في هذا ما يدل على احترام الإسلام للنفس البشرية مؤمنة كانت أم كافرة معصومة .

٢- قوة دليلهم من الكتاب ، والذي يظهر منه بلفظه وجوب الكفارة في مثل هذا الحال ، ويؤيد ذلك ما قاله ابن جرير الطبري بعد أن ذكر القولين السابقين في هذه المسألة، فقال : [وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك المقتول من أهل العهد، لأن الله أبهم ذلك، فقال: {وإن كان من قوم بينكم وبينهم} ^(١)، ولم يقل وهو مؤمن كما قال في القتل من المؤمنين وأهل الحرب ، أو عنى المؤمن منهم وهو مؤمن فكان في تركه وصفه بالإيمان الذي وصف به القتلين الماضي ذكرهما قبل الدليل الواضح على صحة ما قلناه في ذلك] ^(٢).

٣- لأن أدلة القول الثاني لم تسلم من المناقشة ،

وذلك كما يلي .

أ- نوقش ما استدلوا به من الكتاب بأن الآية التي استدلت بها أصحاب القول الأول وهي قوله تعالى : {وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحريم رقبة مؤمنة} ^(٣).

منطوق^(٤) في وجوب الكفارة بقتل الكافر الذي بيننا وبينه ميثاق وهذا يقدم على دليل الخطاب^(٥) الذي استدلت به أصحاب القول الثاني في قوله تعالى : {ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة} ^(٦)^(٧).

ب- يمكن مناقشة أدلتهم من المعقول :

بأنها اجتهد مع النص الواضح من الآية التي استدلت بها أصحاب القول الأول في وجوب الكفارة في قتل كل كافر له ميثاق مع المسلمين ، ولا اجتهد مع النص .

المبحث الرابع : الكفارة إذا كان القاتل كتابياً

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : وجوب الكفارة .

وذهب إلى هذا القول الشافعية^(١)، والحنابلة^(٢).

^(٣) سورة النساء ، آية ٩٢ .

^(٤) المقصود بالمنطوق هنا مفهوم الموافقة وهو: أن حكم المسكوت عنه يأخذ حكم المنطوق .

المستصفي ، ٨٤/٢ ، والأحكام للأمدي ، ٧٤/٣ ، وروضة الناظر ، ٢٠٠/٢ .

^(٥) سبق تعريف دليل الخطاب .

^(٦) سورة النساء ، آية ٩٢ .

^(٧) كتاب القسامة من الشامل ، ص ١٥٧ ، والمغني ، ٣٦/١٠ .

^(٨) حلية العلماء ، ٦١٣/٧ ، وروضة الطالبين ، ٣٨٠/٩ ، وحاشية إعانة الطالبين ، ١٤٨/٤ .

^(٩) المغني ، ٣٦/١٠ ، والمبدع ، ٢٨/٩ ، وشرح منتهى الإرادات ، ٣٣١/٣ .

^(٥) المعونة ، ١٣٥٥/٣ ، والحاوي الكبير ، ٦٣/١٣ ، والمغني ، ٣٦/١٠ .

^(٦) المعونة ، ١٣٥٥/٣ .

^(٧) المرجع السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

^(٨) المرجع السابق ، نفس الجزء ، والصفحة ، والإشراف ، ٨٤٥/٢ .

^(٩) سورة النساء ، آية ٩٢ .

^(١٠) جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٣٢/٥ .

والذي أراه راجحاً هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائل بوجوب كفارة القتل على الكتابي ، وذلك لما يلي :

- ١- قوة أدلتهم ، وسلامتها من المعارضة .
 - ٢- إن دليل القول الثاني لم يسلم من المناقشة ، كما يلي .
- نوقش ما استدل به أصحاب القول الثاني من المعقول بما يلي :

إن قولكم الكتابي غير مخاطب بالعبادات غير صحيح ، لما روى النعمان بن بشير^(١) ، قال: [سمعت عمر بن الخطاب يقول : وسئل عن قوله : { وإذا الموؤدة سئلت }^(٢) قال: جاء قيس بن عاصم^(٤) إلى رسول الله ﷺ قال: إني وأدت ثمانى بنات لي في الجاهلية . قال: اعتق عن كل واحدة منها رقبة . قلت : إني صاحب إبل . قال : إهد إن شئت عن كل واحدة منهن بدنة]^(٥) . وهذا نص في إيجاب الكفارة على الكافر ، والكفارة عبادة والكتابي من باب أولى^(٦) .

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الله ، أمه عمرة بنت ربيعة أخت عبد الله بن ربيعة ، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة في قول ، وقد استعمله معاوية على حمص ثم على الكوفة ، واستعمله عليها بعده ابنه يزيد بن معاوية . فلما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلى بيعه عبد الله بن الزبير بالشام فخالفه أهل حمص فخرج منها فاتبعوه ، وقتلوه سنة ٦٤ هـ .

أسد الغابة ، ٢٢/٥ ، وتهذيب التهذيب ، ٦٢٨/٥ .

(٢) سورة التكاوير ، آية ٨ .

(٣) قيس بن عاصم بن سنان المنقري ، أبو علي . كان شاعراً ، اشتهر وساد في الجاهلية ، وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها ، وقد على النبي ﷺ في وفد تميم سنة ٩ هـ فأسلم . ومات بالبصرة .

أسد الغابة ، ٢١٩/٤ ، والإصابة ٢٥٢/٣ .

(٤) المعجم الكبير للطبراني ، ٣٣٧/١٨ ، رقم ٨٦٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ١٣٧/٧ : [رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الإيلي وهو ثقة] .

(٥) المهذب مع التكملة ، ١٨٩/١٩ ، والبيان ، ٦٢٦/١١ .

القول الثاني : لا تجب الكفارة .

وذهب إلى هذا القول الأحناف^(٣) ، والمالكية^(٤) .

أدلة القولين :

استدل أصحاب القول الأول بالكتاب ، والمعقول .

أ- فأما الكتاب :

فقوله تعالى : { ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة }^(٥) .

وجه الاستدلال :

دلت الآية بعمومها على وجوب الكفارة على القاتل من غير تفريق بين أن يكون القاتل كتابياً أو غيره^(٦) .

ب- وأما المعقول :

فهو : أن الكفارة تجب على المسلم للتكفير ، وعلى الكتابي عقوبة كما أن الحدود تجب على المسلم كفارات ، وعلى الكتابي عقوبة^(٧) .

٢- أدلة القول الثاني :

استدل أصحاب القول الثاني بالمعقول :

وهو : أن الكفارة فيها معنى العبادة ،

والكتابي غير مخاطب بالعبادات^(١) .

المناقشة والرأي الرجح :

(٣) بدائع الصنائع ، ٢٥٢/٧ ، وتنوير الأبصار مع رد المحتار ، ٢٤٩/١٠ ، ومجمع الأنهر ، ٦٤٨/٢ .

(٤) عيون المجالس ، ٢٠٧٧/٥ ، وأقرب المسالك مع بلغة السالك ،

٣٧٧/٢ ، وجواهر الإكليل ، ٢٧٢/٢ .

(٥) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٦) الحاوي الكبير ، ٦٤/١٣ ، والمهذب مع التكملة ، ١٨٨/١٩ ، والبيان ، ٦٢٥/١١ .

(٧) البيان ، ٦٢٦/١١ ، والمغني ، ٣٧/١٠ ، والمبدع ، ٢٨/٩ .

(١) بدائع الصنائع ، ٢٥٢/٧ ، وأقرب المسالك مع بلغة السالك ، ٣٧٧/٢ ، وتكملة البحر الرائق ، ٣٨٩/٨ .

المبحث الخامس: الكفارة إذا قتل الكتابي نفسه خطأ

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : لا تجب الكفارة عليه .

وذهب إلى هذا القول الأحناف^(١)، والمالكية^(٢)، ووجهه للشافعية^(٣)، ومال إليه ابن قدامة^(٤)،^(٥).

القول الثاني : تجب الكفارة عليه .

وذهب إلى هذا القول الشافعية في الوجه الآخر^(٦)، وجمهور الحنابلة^(٧).

أدلة القولين :

١- أدلة القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول بالمعقول من

وجهين :

الأول : إن الكفارة تسقط في مثل هذا الحال ؛

لأن الإنسان بقتله نفسه خطأ قد سقط عنه خطاب التكليف^(٨).

الثاني : إن الكفارة تسقط عن القاتل نفسه خطأ،

كما لا يجب عليه ضمان نفسه بالدية^(٩).

أدلة القول الثاني :

استدل أصحاب القول الثاني بالمعقول :

وهو: أنه يحرم عليه قتل نفسه ، بل لا يجوز له

قتل نفسه بحال ، فإذا وجبت عليه الكفارة بقتل غيره، فلأن تجب بقتل نفسه أولى^(١).

المناقشة والرأي الراجح :

والذي أراه راجحاً ما ذهب إليه أصحاب القول

الأول القائل بعدم وجوب الكفارة على الكتابي إذا قتل نفسه خطأ ، ولذلك لما يأتي :

١- قوة أدلتهم وسلامتها من المعارضة .

٢- أن أدلة أصحاب القول الثاني لم تسلم من

المناقشة ، كما يلي :

نوقشت أدلة أصحاب القول الثاني ، من

المعقول :

بأنها اجتهد مع النص ، وقد ورد النص من

السنة كذلك بما يدل على عدم وجوب

الكفارة لمن قتل نفسه خطأ ، كما ثبت في حديث :]

عامر بن الأكوع^(٢) عندما قتل نفسه خطأ ، ولم

يأمر النبي ﷺ فيه بكفارة^(٣). ولذلك قال ابن قدامة :]

وهذا الرأي أقرب إلى الصواب - إن شاء الله - فإن

عامر بن الأكوع قتل نفسه خطأ ، ولم يأمر النبي ﷺ

^(١) مختصر خليل ، ص ٢٨٠ ، وجواهر الإكليل ، ٢٧٢/٢ ، وفتح العزيز ، ٥٣٦ / ١٠ .

^(٢) البيان ، ٦٢٤/١١ ، ومغني المحتاج ، ١٣١/٤ ، والمغني ، ٣٧/١٠ .

^(٣) عامر بن سنان بن الأكوع بن عبد الله الأسلمي . من شعراء الصحابة . عاش إلى يوم خيبر فضرِب رجلاً من اليهود فقتله ، وجرح نفسه خطأ ، فمات من جراحته في خيبر عام ٧هـ .

الإصابة ، ٢٥٠/٢ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، ١١٠/٢ .

^(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ، ٥٣٠/٧ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، رقم ٤١٩٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ١٦٣/١٢ - وما بعدها ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة خيبر .

^(١) البداية مع نتائج الأفكار ، ٢٣٣/١٠ ، وتنوير الأبصار مع رد المحتار ، ١٦٢/١٠ ، وتكملة البحر الرائق ، ٣٣٤/٨ .

^(٢) الشرح الكبير للدردير مع حاشية الدسوقي ، ٢٨٧/٤ ، والتاج والإكليل مع مواهب الجليل ، ٣٥١/٨ ، وجواهر الإكليل ، ٢٧٢/٢ .

^(٣) فتح العزيز ، ٥٣٦/١٠ ، وروضة الطالبين ، ٣٨١/٩ ، ومغني المحتاج ، ١٣١/٤ .

^(٤) عبدالله بن أحمد بن قدامة الجماعلي المقدسي الدمشقي الحنبلي ، أبو محمد موفق الدين ولد في جماعيل من قرى نابلس بفلسطين . تعلم بدمشق وتفقه على العلماء حتى أصبح من أكابر علماء الحنابلة . من مصنفاته ((المغني)) ، و((روضة الناظر)) ، و((الكافي)) . مات بدمشق سنة ٦٢٠هـ .

شذرات الذهب ، ٨٨/٥ ، والأعلام ، ٦٧/٤ .

^(٥) المغني ، ٣٧/١٠ .

^(٦) وهو الأصح .

فتح العزيز ، ٥٣٦/١٠ ، وروضة الطالبين ، ٣٨١/٩ .

^(٧) المغني ، ٣٧/١٠ ، وكشاف القناع ، ٣٠١٤/٦ ، وشرح منتهى الإرادات ، ٣٣١/٣ .

^(٨) الشرح الكبير للدردير مع حاشية الدسوقي ، ٢٨٧/٤ .

وعطاء^(١)، والحكم^(٢)، والشافعية^(٣)، والحنابلة^(٤)، وإسحاق^(٥).

سبب الخلاف :

سبب الخلاف بين الفقهاء في هذه المسألة يظهر في أن من قال بعدم وجوب الكفارة في مثل هذا الحال ، لأنه غلب عليه حكم العمد والكفارة لا تجب عنده بالعمد ، ومن قال باستحبابها رأى أن الكفارة لا تجب عنده في العمد وتجب في الخطأ ، وكان هذا متردداً عنده بين العمد والخطأ فاستحسن فيه الكفارة ولم يوجبها ، ومن قال بوجوبها فذلك لأن الكفارة واجبة عنده في العمد والخطأ^(٦).

أدلة الأقوال :

١- أدلة القول الأول :

استدل أصحاب القول الأول بالكتاب ، والسنة ، والمعقول .

أ- فأما الكتاب :

فقله تعالى { وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَى أَهْلِهِمْ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ

فيه بكفارة^(٤)، وإذا لم تجب الكفارة على المسلم بقتل نفسه خطأً ، فالكتابي من باب أولى .

المبحث السادس : كفارة قتل الجنين^(١) الكتابي^(٢)
إذا سقط ميتاً نتيجة ضربة^(٣) على بطن أمه^(٤)

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : لا تجب الكفارة في مثل هذا الحال .

وذهب إلى هذا القول الأحناف^(٥).

القول الثاني : تستحب الكفارة .

وذهب إلى هذا القول المالكية^(٦).

القول الثالث : تجب الكفارة .

وذهب إلى هذا القول عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٧)، والزهري^(٨)، والنخعي^(٩) ، والحسن^(١٠)،

(٤) المغني ، ٣٧/١٠ .

(١) المقصود بالجنين هنا ما تخلق وتبين فيه خلق إنسان ، وصار فيه تخطيط ، وهو ما بلغ ثلاثة أشهر ، وأقله واحد وثمانون يوماً .

كشاف القناع ، ٣٠١٤/٦ ، والملخص الفقهي ، ص ٤٦ .

(٢) قال ابن قدامة في المغني ، ٥٥٧/٩ : [وهذا الجنين إن كان من مؤمنين ، أو أحد أبويه مؤمنين فهو محكوم بإيمانه ، وإن كان من أهل الذمة فهو من قوم بيننا وبينهم ميثاق] .

(٣) المقصود بالضرب هنا أي الضرب بالمباشرة .

(٤) اتفق الفقهاء على أن الجنين إذا خرج حياً ثم مات أن فيه الكفارة قال ابن عبد البر في الإجماع ، ص ٢٨٠ : [أجمع الفقهاء ، أن الجنين إذا خرج حياً ، ثم مات ، وكانت فيه الدية ، أن فيه الكفارة مع الدية] وينظر الجامع لأحكام القرآن ، ٥/ ٢٧٧ .

(٥) المبسوط ٨٨/٢٦ ، والبداية مع نتائج الأفكار ، ٣٣١/١٠ ، والكتاب مع اللباب ، ١٧١/٣ .

(٦) مختصر خليل ، ص ٢٨٠ ، والشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ،

٢٨٧/٤ ، والقوانين الفقهية ، ص ٢٢٨ .

(٧) البيان ، ٦٢٤/١١ ، والمغني ، ٥٧/٩ ، والمصنف لعبد الرزاق ،

٦٣/١٠ ، رقم ١٨٣٦٢ .

(٨) البيان ، ٦٢٤/١١ ، والمغني ، ٥٥٧/٩ ، والمصنف لعبد الرزاق ،

٦٣/١٠ ، رقم ١٨٣٦١ .

(٩) البيان ، ٦٢٤/١١ ، والمصنف لعبد الرزاق ، ٦٣/١٠ ، رقم ١٨٣٦٣ .

(١٠) البيان ، ٦٢٤/١١ ، والمغني ، ٥٥٧/٩ .

(١) البيان ، ٦٢٤/١١ ، والمغني ، ٥٥٧/٩ .

(٢) الحكم بن عتيبة الكندي ، أبو محمد الكوفي . أخذ عن أبي جحفة السوائي ، وغيره ، وتفقه على إبراهيم النخعي . قال مجاهد ابن رومي : رأيت الحكم في مسجد الخيف و علماء الناس عيال عليه ، وقال جرير عن مغيرة : كان الحكم إذا قدم المدينة أدخلوا له سارية النبي ﷺ يصلّي إليها ، وقال ابن عيينة : ما كان بالكوفة بعد إبراهيم والشعبي مثل الحكم وحماد . مات سنة ١١٥ هـ .

تهذيب التهذيب ، ٥٧٨/١ ، والعبر ، ١٠٩/١ .

(٣) البيان ، ٦٢٤/١٢ ، والمغني ، ٥٥٧/٩ .

(٤) حلية العلماء ، ٦١٢/٧ ، وفتح العزيز ، ٥٣٥/١٠ ، وأسنى المطالب ،

٩٥/٤ .

(٥) الممتع ، ٦١١/٥ ، والمبدع ، ٢٨/٩ / وكشاف القناع ، ٣٠١٤/٦ .

(٦) المغني ، ٥٥٧/٩ .

(٧) بداية المجتهد ، ٣١٢/٢ .

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله^(١).

وجه الاستدلال :

إن الآية حددت كفارة قتل نفس حية ، ثم قتلت خطأً ، والجنين لا تعرف حياته ، وكذا إيمانه وكفره ، وبالتالي فلا كفارة فيه في هذه الحال^(٢).

ب- وأما السنة .

ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : [قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان^(٣) سقط ميتاً بغرة عبد أو أمة]^(٤).

وجه الاستدلال :

إن النبي ﷺ قضى بالغرة ، ولم يذكر الكفارة مع أن الحال حال الحاجة إلى بيان ، ولو كانت واجبة لبيّنها^(٥).

ج- وأما المعقول فهو :

إن الكفارة فيها معنى العقوبة ، وقد عرفت في النفوس الحية ، فلا تتعداها إلى الجنين لعدم معرفة حياته ، ولهذا لم نوجب كل البدل ؛ فأوجبنا الغرة ولم نوجب الكفارة^(٦).

٢- دليل القول الثاني :

استدل أصحاب القول الثاني بالمعقول :

وهو : إن هذا القتل لما كان متردداً بين العمد والخطأ استحَب للقاتل أن يكفّر عن هذا القتل^(١).

٣- أدلة القول الثالث :

استدل أصحاب القول الثالث بالكتاب ، والأثر ، والمعقول .

أ- فأما الكتاب :

فقوله تعالى : { ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة } ، إلى قوله تعالى : { وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة }^(٢).

وجه الاستدلال :

إن الآية دلت على أن هذا الجنين إن كان من مؤمنين ، أو أحد أبويه ، فهو محكوم بإيمانه تبعاً لأبويه ، وإن كان من أهل الذمة ، فهو من قوم بيننا وبينهم ميثاق وبالتالي فهو مشمول بحكم هذه الآية^(٣).

ب- وأما الأثر :

فهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه : { صاح بامرأة فأسقطت فأعتق عمر رضي الله عنه غرة }^(٤).

وجه الاستدلال :

(١) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٢) ينظر مختصر اختلاف العلماء ، ١٧٦/٥ ، وبدائع الصنائع ، ٣٢٦/٧ .

(٣) بني لحيان : تقع منازلهم في غران ، وجران : واد بين أمّج وغسّافان .

ينظر معجم البلدان ، ١٩١/٤ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ، ٢٦٣/١٢ ، كتاب الديات ، باب جنين المرأة وأن العقل على الوالد وعصية الوالد لا على الولد حديث رقم ٦٩٠٩ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ١٧٦/١١ ، كتاب القسامة ، باب دية الجنين ووجوب الدية في القتل الخطأ .

(٥) بدائع الصنائع ، ٣٢٦/٧ .

(٦) الهداية مع نتائج الأفكار ، ٣٣٢/١٠ ، وتبيين الحقائق ، ١٤١/٦ ، واللباب ، ١٧١/٣ .

(١) بداية المجتهد ، ٣١٢/٢ .

(٢) سورة النساء ، آية ٩٢ .

(٣) البيان ، ٦٢٥/١١ ، والمغني ، ٥٥٧/٩ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ، ١١٦/٨ ، كتاب الديات ، باب ما جاء في الكفارة في الجنين وغير ذلك - قال البيهقي في السنن الكبرى ١١٦/٨ : [إسناد منقطع]

وقال ابن المنير في خلاصة البدر المنير ، ٢٨٦/٢ : [رواه البيهقي ، وقال : منقطع . قلت وضعيف] . وينظر التلخيص الحبير ، ٧٢/٤ .

عاقلة^(٢) القاتل^(٣)، ولم يذكر الكفارة وهي واجبه وكذا هاهنا ، وإنما كان كذلك لأن الآية أغنت عن ذكر الكفارة في موضع آخر فاكتفي بها^(١).

ب- نوقش دليلهم من السنة بما نوقش به دليلهم من الكتاب^(٢).

ج- مناقشة دليلهم من المعقول :

يمكن مناقشة دليلهم من المعقول بأن النصوص الثابتة من السنة النبوية قد ذكرت الدية ، ولم تذكر الكفارة مع وجوبها^(٣)، وبناء على ذلك فإن هذا المعقول قياس مع النص ، ولا قياس مع النص .
ثانياً : مناقشة أدلة القول الثاني :

الإحسان بترتيب صحيحه ، ١٨٠/٨ ، باب كتب النبي ﷺ ، ذكر كتابة المصطفى ﷺ كتابه إلى أهل اليمن ، رقم ٦٥٢٥ ، والحاكم في المستدرک ، ٣٩٥/١ ، كتاب الزكاة ، باب زكاة الذهب .
قال ابن عبد البر في فتح المالك ، ١٣٠/٩ ، بعد أن ذكر الحديث : [وهو كتاب مشهور عند أهل السير ، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغنى بشهرتها عن الإسناد ، لأنه أشبه التواتر في مجيئه ، لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة] .
قال الحاكم في المستدرک ، ٣٩٧/١ : [هذا حديث كبير مفسر في هذا الباب يشهد له أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز وإمام العلماء في عصره محمد بن مسلم الزهري بالصحة] . ووافقه الذهبي .
قال ابن حجر في التلخيص الحبير ، ٣٦/٤ : [قال يعقوب بن سفيان : لا أعلم في جميع الكتب المنقولة كتاباً أصح من كتاب عمرو بن حزم هذا ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعين يرجعون إليه ويدعون رأيهم] .
قال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير ، ٢٦٨/٢ : [هذا الحديث رواه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم] .
^(١) العاقلة : ذكور عصابات الإنسان كلهم من النسب والولاء قريبيهم وبعيدهم حاضرهم وغائبهم حتى عمودي نسبه ، سمو بذلك لإعطائهم العقل الذي هو الدية ، وقيل : سمو بذلك لكونهم يُمنغون عن القاتل .
الروض المربع ، ص ٣٤٣ ، والمطلع ، ص ٤٤٩ ، والتعريفات ، ص ١٨٨ .

^(٢) وهو الطرف الآخر من الحديث الذي سبق تخريجه ، وفيه : [ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت فقضى رسول الله ﷺ أن ميراثها لبنيتها وزوجها ، وأن العقل على عصبنها] .

^(١) المغني ، ٥٥٨/٩ .

^(٢) ينظر مناقشة دليلهم من الكتاب .

^(٣) وهما ما سبق ذكره من السنة النبوية حديث : [في النفس المؤمنة مائة من الإبل] و [لأن النبي ﷺ قضى بدية المقتولة على عاقلة القاتلة] .

دل هذا الأثر بوضوح على أن قتل الجنين يوجب الكفارة ، كما ظهر ذلك من فعل عمر رضي الله عنه في عتقه للرقبة كفارة عما صدر عنه .

ج- وأما المعقول :

فهو : إنه آدمي محقون الدم لحرمة ؛ فضمن بالكفارة كغيره^(٥).

المناقشة والرأي الراجح :

والذي أراه راجحاً هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث القائل بوجوب الكفارة في مثل هذه الصورة لما يلي :

١- أن دليلهم من الكتاب هو أصرح في وجوب الكفارة بعمومه ، دون التقييد بالجنين أو غيره .

٢- أن السنة النبوية ذكرت بالفعل الدية في عدة مواضع ، ولم تذكر الكفارة مع أن واقع الحال يدل على وجوب الكفارة .

٣- أن أدلة القول الأول والثاني لم تسلم من المناقشة ، كما يلي :

أولاً : مناقشة أدلة القول الأول :

١- نوقشت أدلة القول الأول بما يلي :

أ- نوقش ما استدلوا به من الكتاب بأن ترك ذكر الكفارة لا يمنع وجوبها ، كقوله ﷺ

: [في النفس المؤمنة مائة من الإبل]^(١) ، ولأن النبي ﷺ قضى بدية المقتول على

^(٥) المهذب مع التكملة ، ١٨٥/١٩ ، ومغني المحتاج ، ١٣١/٤ ، والمبدع ، ٢٨/٩ .

^(١) هذا طرف من حديث عمرو بن حزم ، وقد أخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن ، ص ٢٢٦ ، أبواب الديات ، رقم ٦٦٣ ، و النسائي في سننه ، ٤٢٨/٨ ، كتاب القسامة ، باب ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين عنه ، رقم ٤٨٦٨ ، و ابن حبان في

١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م ، دار إحياء التراث العربي

بيروت ، لبنان .

الإجماع لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، جمع وترتيب فؤاد الشلهوب ، وعبد الوهاب الشهري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، دار القاسم ، الرياض .

الإجماع لمحمد بن إبراهيم بن المنذر ، اعتناء وتقديم محمد بيضون ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، لمحمد بن حبان ، ترتيب الأمير علاء الدين ، ابن لبنان ، قدم له وضبط نصه كمال الحوت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

أحكام القرآن ، لأحمد بن علي الجصاص ، الطبعة بدون ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

أحكام القرآن ، لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي البجاوي ، الطبعة بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

الأحكام في أصول الأحكام ، لعلي بن محمد الأمدي ، تحقيق سيد الجميلي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، إشراف محمد زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين علي المعروف بابن الأثير ، الطبعة بدون دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

أسنى المطالب شرح روض الطالب ، لأبي يحيى زكريا الأنصاري ، تجريد محمد الشوبري ، الطبعة بدون ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

يمكن مناقشة دليل القول الثاني من المعقول بأن هذا القتل وإن كان متردداً بين العمد والخطأ إلا أن الدية لما كانت واجبة في دية العمد والخطأ فإن الكفارة تجب معها ، وإن لم يذكر وجوب الكفارة مع وجوب الدية ، كما في النصوص الثابتة من السنة ، والتي ذكرها أصحاب القول الأول .

الخاتمة

وبعد هذا البحث في أحكام العقوبات المالية المتعلقة بأهل الكتاب في البلاد الإسلامية فسأذكر هنا ما توصلت إليه في كل مبحث من المباحث الستة ، وذلك كما يلي:

- ١- إن دية الرجل الكتابي نصف دية المسلم .
- ٢- إن دية المرأة الكتابية نصف دية الرجل الكتابي .
- ٣- إن كفارة القتل واجبة بقتل الكتابي .
- ٤- إن كفارة القتل واجبة إذا كان القاتل كتابياً .
- ٥- إن كفارة القتل لا تجب على الكتابي إذا قتل نفسه خطأ .
- ٦- إن كفارة القتل واجبة في الجنين الكتابي إذا سقط ميتاً نتيجة ضربه على بطن أمه . وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل في هذا العمل على صغر حجمه الخير والفائدة . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ، لأبي عمر ابن عبد البر ، تقديم عبدالرزاق المهدي ، الطبعة الأولى ،

تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، لفخر الدين عثمان الزيلعي ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي .

تحرير ألفاظ التنبيه أو لغة الفقه ، لمحيي الدين بن شرف النووي ، حققه عبدالغني الدقر الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ، دار القلم ، دمشق .

تحفة الأحوزي ، لمحمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، مطبوع مع جامع الترمذي ، الطبعة بدون ، دار الكتب العلمية بيروت .

تذكرة الحفاظ ، لشمس الدين محمد الذهبي ، الطبعة بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ترتيب مسند الإمام الشافعي ، رتبته محمد السندي ، قدم له محمد الكوثري ، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني ، حققه إبراهيم الإبياري ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي العسقلاني ، دراسة وتحقيق مصطفى عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

تكملة البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، لمحمد بن حسين الطوري ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لأحمد بن علي العسقلاني ، اعتنى به حسن قطب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

التنبيه في فقه الإمام الشافعي ، لإبراهيم بن علي الشيرازي ، تحقيق علي معوض ، وعادل عبدالموجود ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان .

الإشراف على نكت مسائل الخلاف ، للقاضي عبدالوهاب البغدادي ، قارن بين نسخه ، وخرج أحاديثه وقدم له الحبيب بن طاهر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

الإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي العسقلاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨ هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

أصول الفقه ، لمحمد أبي زهرة ، الطبعة بدون ، دار الفكر العربي .

الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٩٥ م ، دار العلم ، للملايين بيروت ، لبنان .

أقرب المسالك ، لأحمد الدردير ، مطبوع مع بلغة السالك ، الطبعة بدون ، دار الفكر .

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لعلاء الدين علي المرادوي ، صححه محمد حامد الفقي ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

بدائع الصنائع ، في ترتيب الشرائع ، لعلاء الدين أبي بكر الكاساني ، الطبعة بدون دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

بداية المبتدي ، لبرهان الدين علي المرغيناني ، مطبوع مع نتائج الأفكار ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لمحمد بن أحمد بن رشد ، الطبعة بدون ، دار الفكر .

التاج والإكليل لمختصر خليل بأسفل مواهب الجليل ، لمحمد بن يوسف المواق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون ، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه جمال مرعشلي ، الطبعة الأولى ،

حاشية إعانة الطالبين ، على حل ألفاظ فتح المعين ، للسيد البكري الدمياطي ، الطبعة بدون ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

حاشية السندي على سنن النسائي ، لنور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي ، حققه ورقمه ووضع فهرسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

الحاوي الكبير ، لعلي بن محمد الماوردي ، تحقيق علي معوض ، وعادل عبد الموجود ، قدم له محمد بكر إسماعيل ، وعبدالفتاح أبو سنة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء ، لمحمد بن أحمد الشاشي القفال ، حققه ياسين أحمد درادكة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية .

حواشي الشرواني ، لعبد الحميد الشرواني ، بإشراف مكتب البحوث والدراسات الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، لأبي القاسم الرافعي ، لسراج الدين بن الملقن ، حققه حمدي السلفي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق عبدالله المدني ، الطبعة بدون ، دار المعرفة ، بيروت .

الروض المربع شرح زاد المستقنع ، لمنصور بن يوسف البهوتي ، الطبعة السادسة ، دار الفكر .

تنوير الأبصار ، لمحمد بن عبدالله التمرثاشي ، مطبوع مع رد المحتار ، دراسة وتحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض ، قدم له محمد بكر إسماعيل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

تهذيب التهذيب ، لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

تهذيب في فقه الإمام الشافعي ، للحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق عادل عبدالموجود ، وعلي معوض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

جامع البيان في تفسير القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري ، الطبعة بدون ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

جامع الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، مطبوع مع عارضة الأحوزي ، ضبط صدقي جميل العطار ، الطبعة بدون ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي ، راجعه صدقي محمد جميل ، خرج أحاديثه عرفان العشأ ، الطبعة بدون ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، دار الفكر .

جواهر الإكليل شرح مختصر خليل ، لصالح عبدالسميع الأبي الأزهر ، الطبعة بدون دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي ، لإبراهيم الباجوري ، اعتنى بها الشيخ عمر سلامه ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

الآفاق الجديدة ، الطبعة بدون ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

شرح ابن القيم على سنن أبي داود مع عون المعبود ، لشمس الدين محمد بن القيم الجوزية ، ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، لمحمد بن عبدالباقي الزرقاني ، إعداد وتقديم محمد المرعشلي ، الطبعة بدون ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

الشرح الصغير ، لأحمد الدردير ، مطبوع مع بلغة السالك لأقرب المسالك ، الطبعة بدون ، دار الفكر .

الشرح الكبير ، لأحمد الدردير ، مطبوع مع حاشية الدسوقي ، الطبعة بدون ، دار إحياء الكتب العلمية .

شرح منتهى الإرادات ، لمنصور بن يونس البهوتي ، الطبعة بدون ، دار الفكر .

شرح النووي ، لمحي الدين بن شرف النووي ، مطبوع مع صحيح مسلم ، الطبعة بدون ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، دار الريان للتراث ، مصر .

صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، مطبوع مع فتح الباري ، تحقيق محي الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبدالباقي ، راجعه قصي محي الدين الخطيب الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر .

صحيح ابن خزيمة ، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد الأعظمي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، المكتب الإسلامي .

صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج القشيري ، مطبوع مع شرح النووي ، الطبعة بدون ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر .

روضة الطالبين وعمدة المفتين لمحي الدين بن شرف النووي ، إشراف زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م ، المكتب الإسلامي .

روضة الناظر وجنة المناظر ، لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة ، مطبوع مع شرحها نزهة خاطر العاطر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ، مكتبة المعارف الرياض ، المملكة العربية السعودية .

سبل السلام شرح بلوغ المرام ، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه فواز زمزلي ، وإبراهيم الجمل ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

سنن ابن ماجة ، لمحمد بن يزيد القزويني ، تحقيق صدقي العطار ، الطبعة بدون ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث السجستاني ، مطبوع مع عون المعبود ، ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

سنن الدار قطني ، لعلي بن عمر الدار قطني ، الطبعة بدون ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان . السنن الكبرى للبيهقي ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، إعداد يوسف المرعشلي ، الطبعة بدون ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

سنن النسائي ، لأحمد بن شعيب النسائي ، مطبوع مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، حققه ورقمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبدالحى بن العماد الحنبلي ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار

- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، تقديم إحسان عباس ، الطبعة بدون ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، دار صادر بيروت ، لبنان .
- العبر في خبر من عبر ، للحافظ الذهبي ، حققه محمد بن سعيد البسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- عيون المجالس ، اختصار القاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي ، تحقيق ودراسة امباي بن كيباكاه ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، مكتبة الرشد .
- غريب الحديث لحمد بن محمد الخطابي ، تحقيق عبد الكريم الغزالي ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م ، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة
- الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، نظام الدين وجماعة من علماء الهند ، تصحيح سمير رباب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- فتح العزيز ، لعبد الكريم بن محمد الرافعي ، مطبوع مع الوجيز ، تحقيق علي معوض وعادل عبدالموجود ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- فتح المالك بتبويب التمهيد لابن عبد البر على موطأ الإمام مالك ، ترتيب وتحقيق مصطفى حميدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- فتح المنان شرح زيد ابن أرسلان ، لمحمد بن علي الإبي ، مراجعة عبدالله الحبشي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- الفروع ، لشمس الدين محمد بن مفلح ، راجعه عبدالستار خراج ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م ، عالم الكتب ، بيروت .
- القوانين الفقهية ، لمحمد بن أحمد بن جزي ، الطبعة بدون ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
- الكافي في فقه أهل المدينة المالكي ، لأبي عمر بن عبد البر ، الطبعة بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- كتاب القسامة من الشامل ، لأبي نصر عبد السيد بن محمد بن الصباغ ، دراسة وتحقيق عوض بن هلال العمري ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .
- الكتاب ، لأحمد بن محمد الغزوري ، مطبوع مع اللباب ، حققه وضبطه وعلق حواشيه محمود النواوي ، الطبعة بدون ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- كشاف القناع عن متن الإقناع ، لمنصور بن يونس البهوتي ، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار الباز ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة .
- كفاية الأخيار ، في حل غاية الاختصار ، لتقي الدين أبي بكر بن محمد الدمشقي ، حقق نصوصه عبدالمجيد طعمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- لسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠ هـ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت لبنان .
- اللباب في شرح الكتاب ، لعبد الغني الميداني ، حققه محمود أمين النواوي ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- المبدع في شرح المقنع ، لبرهان الدين إبراهيم بن مفلح ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، المكتب الإسلامي .

المستقصى من علم الأصول ، لأبي حامد الغزالي ، باعتناء محمد نجم ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

المصنف ، لعبدالرزاق الصنعاني ، على بتحقيق نصوصه حبيب الأعظمي ، الطبعة بدون منشورات المجلس العلمي .

المصنف في الأحاديث والآثار ، لعبدالله بن أبي شيبة ، تحقيق سعيد اللحام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، دار الفكر بيروت ، لبنان .

المطلع على ألفاظ المقنع ، لشمس الدين محمد بن أبي الفتح البلعي ، حققه وعلق عليه محمود الأرنؤوط ، وآخرون ، قدم له عبدالقادر ، الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، مكتبة السوادي ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

معجم البلدان ، لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي ، الطبعة بدون ، دار صادر بيروت .

معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، اعتنى به مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

المعونة على مذهب عالم المدينة ، لعبدالوهاب البغدادي ، تحقيق حميش عبدالحق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة .

مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، لمحمد الخطيب الشربيني ، إشراف صدقي محمد العطار ، الطبعة بدون ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

المبسوط ، لشمس الدين السرخسي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ، لعبدالله بن محمد المعروف بداماد افندي ، الطبعة بدون ، دار إحياء التراث العربي .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي الهيثمي ، الطبعة بدون ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان .

المحصول ، للقاضي أبوبكر بن العربي المالكي ، حققه حسين علي اليدري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، دار البيارق ، الأردن .

مختصر اختلاف العلماء ، لأحمد بن علي الرازي ، دراسة وتحقيق عبدالله نذير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

مختصر خليل ، لخليل بن إسحاق المالكي ، ضبطه وعلق عليه ووضع ترقيمه أحمد علي حركات ، الطبعة بدون ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه حمدي السلفي الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي .

المدونة الكبرى ، للإمام مالك بن أنس ، ضبط وتصحيح أحمد عبدالسلام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

المراسيل مع الأسانيد ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دراسة وتحقيق عبدالعزيز السيروان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار القلم ، بيروت لبنان .

المستدرک على الصحيحين ، لأبي عبدالله الحاكم ، بإشراف يوسف المرعشلي ، الطبعة بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

المغني ، لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

الملخص الفقهي ، تلخيص صالح بن فوزان الفوزان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية .

المتع في شرح المقنع ، لزين الدين التنوخي الحنبلي ، دراسة وتحقيق عبدالمك بن دهيش ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، دار خضر ، بيروت ، لبنان .

المنتقى شرح موطأ مالك ، لسليمان بن خلف الباجي ، تحقيق محمد عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

المهذب ، لأبي إسحاق الشيرازي ، مطبوع مع التكملة ، الطبعة بدون ، دار الفكر

الموطأ ، لمالك بن أنس ، برواية محمد بن الحسن الشيباني ، تعليق وتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، الطبعة بدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

نصب الراية لأحاديث الهداية ، لجمال الدين عبدالله الزيلعي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، لمحمد بن علي الشوكاني ، الطبعة بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

الهداية شرح بداية المبتدي ، لبرهان الدين علي المرغيناني ، مطبوع مع نتائج الأفكار ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الوسيط في المذهب ، لمحمد الغزالي ، حققه وعلق عليه أحمد محمود ، ومحمد تامر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، دار السلام .

The Provision of Financial Penalties Related to the People of the Book in Islamic Countries

Mazin Abdulaziz Al harthy

King Abdulaziz University - Jeddah Saudi Arabia

Abstract. The research manifests Islamic justice in every fiat even in the destruction of the soul which ended in the worldly life; but at least it remains for the slain kin to ask for the *Dyah*; that does not go in vain without satisfying the slain kin, even if killed by mistake. This has an impact on the total elimination of hostilities between people in Islam, even in the fiats beyond human will, like mistaken and intentional killings; so that this *Dyah* becomes as a reform action and an elimination of hostilities.

The research also indicates that The Mighty God ennoble the human soul; indicating that sometimes the *Dyah* does not cover this sin, but Almighty God must be satisfied with an atonement; in addition to warning people that the infringement of the impeccable human soul without a due, is not a mere right of the guardian of the blood to waive, but angers Almighty God and hence the atonement cannot be dropped even with a free pardon.

التوحيد لدى النصارى مفهومه ودلالاته العقدية (دراسة نقدية)

بدرية بنت محمد عبد الله الفوزان

جامعة الملك سعود كلية التربية - دراسات إسلامية

١٤٣٩/٦/٢٠ هـ - ٢٠١٨/٢/٨ م

مستخلص. المسيح في القرآن الكريم ذكر أنه موحد لله ، وأن الله ربه وإلهه، وأمره بعبادة الله وحده، و إن وجود نصارى آمنوا ببعيسى المسيح نبياً وأنكروا أن يكون ابن الله ، أو أحد الأقانيم الإلهية الثلاثة دليل على فساد عقيدة أغلبية النصارى وانحرافها عن رسالة عيسى، ورد على آراء أتباع الفرق الثلاث الكبرى (الملكانية والنسطورية واليعقوبية) في التثليث، و دراسة موقف النصارى من التوحيد على مر العصور وانتقالهم إلى التثليث، وبيان بطلان قولهم وألوهية المسيح يبرز أهمية هذا البحث (التوحيد لدى النصارى مفهومه ودلالاته العقدية -دراسة نقديه-) والذي سأتناول فيه مفهوم التوحيد لدى النصارى، و التوحيد بعد رفع المسيح عليه السلام و المراحل التي مر بها التوحيد في التاريخ النصراني ،و نصوص الكتاب المقدس وإثبات عقيدة التوحيد لله عز وجل والرد عليها.

المقدمة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) دين الله هو التوحيد توالى رسل الله جميعاً يدعون الناس إلى هذه الحقيقة شعارهم

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد....

(١) آل عمران (١٩)

على توحيد الله وحده لا شريك له.

٤-دراسة تناقض النصرانية في موقفهم من التوحيد

على مر الزمن والرد عليها

إجراءات البحث

١- جمع وقراءة ما كتب حول موقف النصاري من

التوحيد قدر الإمكان.

٢- الاستعانة بالشبكة العنكبوتية للبحث فيما له صلة

بالموضوع.

٣-قراءة الكتاب المقدس واستخراج النصوص الدالة

على المراد فيما يخدم هدف البحث.

٤- الاطلاع على كتب النصارى ونقل مفهومهم

للتوحيد، ويبرز ما يخدم الدراسة.

٥-نقد قولهم بالتثليث، وألوهية المسيح في ضوء

عقيدة التوحيد الصحيحة والاستدلال ببعض نصوص

القرآن.

٦-الأحالة إلى المصادر والمراجع مع ذكر مؤلفيها

باختصار في الهوامش عندما أنقل عن العلماء.

٧- ذكر المصادر والمراجع مفصلة في آخر البحث.

الدراسات السابقة: الدراسات المتعلقة بالمسيحية

كثيرة جداً، ولكن المؤلفات في قضية التوحيد لدى

النصارى قليلة، وأبرز الكتابات التي أفدت منها ولها

علاقہ بدرستی:

مشكلة البحث: المسيح عليه السلام في القرآن الكريم
ذكر أنه موحد لله، كما يُنقل عنه أنه أمر بعبادة الله
وحده، فنقرأ على سبيل المثال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن أَنْصَارٍ﴾ (٢).

وإن وجود نصارى آمنوا بعتسى المسيح نبياً وأنكروا أن يكون ابن الله وأحد الأقانيم الإلهية الثلاثة التي يعتقدونها النصارى؛ ما إلا دليل على فساد عقيدة أغلبية النصارى وانحراف عن رسالة عيسى عليه السلام، ورد على آراء أتباع الفرق الثلاث الكبرى عند النصارى: (الملكانية والنسطورية واليعقوبية) في عقيدة التثليث، وإن دراسة موقف النصارى من التوحيد على مر العصور وانتقالهم إلى التثليث، وبيان بطلان قولهم في ألوهية المسيح يبرز أهمية المشكلة التي يتناولها هذا البحث (التوحيد لدى النصارى مفهومه ودلالاته العقيدية دراسة نقديه)

أهمية البحث:

١- التعرف على مسيرة التوحيد لدى النصارى من خلال تاريخهم.

٢- إبراز أهم الطوائف النصرانية الموحدة.

٣- التعرف على نصوص الكتاب المقدس ودلالاته

(٢) هود (٨٤)

(٣) المائدة (٧٢)

عقيدة التوحيد لله عز وجل والرد عليها
الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

التمهيد

أولاً: مفهوم التوحيد عند النصارى: يحدد المفهوم
من يعتقد بالديانة المسيحية:

١- أن المسيحية تؤمن بإله واحد، فمثلاً جورج بباوي^(١) يقول: "هناك سؤال يتردد دائماً على لسان غير
المسيحيين: هل تؤمن المسيحية بإله واحد؟ والإجابة
واضحة جداً، نعم؛ لأنه قانون الإيمان^(٢)، وهو
صيغة الاعتراف بالإيمان، يبدأ بعبارة لا لبس فيها
ولا غموض: "تؤمن بإله واحد" وهذا يعني: أن غير
العقلاء فقط هم الذين يشككون في أن المسيحية هي
ديانة توحيد"^(٣).

ويحاول أن يفسر التوحيد عند المسيحية، رغم أن
دلالة لفظ "الواحد" لا يساعده، فيخرج من هذا بقوله:
"أن كلمة "واحد" من الكلمات الضعيفة في اللغات
البشرية، وللتوحيد عدة معاني، بل هو عدة أنواع

١- عيسى المسيح التوحيد: لعبد القادر عطا: وهو
عرض تاريخي للمسيحية والموحدين والأنجيل
والمسيحيين الأوائل والمتأخرين، وفيه عرض لتاريخ
المسيحية والموحدين فيها دون نقد.

٢- دعوة نبي الله عيسى إلى التوحيد، وفق التوراة
والإنجيل، لشاكر توفيق العاروري: وفيه إثبات لعقيدة
التوحيد لدى المسيح من خلال نصوص التوراة
والإنجيل، وقد أفدت من هاذين المؤلفين كثيراً، لكن
دراستي تختلف ببسط جذور الوثنية والانحراف عن
عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام.

منهج البحث:

منهج البحث سيكون: "المنهج الاستقرائي الوصفي"
من خلال: جمع ما كتب حول موقف النصارى من
التوحيد، مع الاستعانة بالشبكة العنكبوتية للبحث فيما
له صلة بالموضوع، مع الدلالة على موقفهم من
خلال ما ورد في نصوص الكتاب المقدس واستخراج
النصوص الدالة على موضوع البحث، مع الاطلاع
على كتب النصارى لنقل مفهومهم للتوحيد.

تقسيم البحث:

يشمل البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين:

التمهيد، وفيه:

١ - مفهوم التوحيد لدى النصارى

٢ - التوحيد بعد رفع المسيح عليه السلام

المبحث الأول: المراحل التي مر بها التوحيد في
التاريخ النصراني.

المبحث الثاني: نصوص الكتاب المقدس وإثبات

(١) جورج بباوي: باحث معروف في الأوساط القبطية، وهو أحد تلاميذ
مدرسة الأب متى المسكين، وقد كان مدرساً بالكلية الإكليريكية وقرىبا من
البابا شنودة حتى اختلفا في منتصف الثمانينات فترك مصر وذهب إلى
لندن حيث قام بالتدريس في جامعتي توتنهام وكامبريدج وذلك قبل أن
يسافر إلى أمريكا ويستقر هناك عميدا لمعهد الدراسات الأرثوذكسية هناك.
هكذا جاء تعريفه في مقدمة مقاله الذي نشر في روز اليوسف والذي يكفر
فيه شنودة الثالث.

(٢) قانون الإيمان: "هو الدستور (القانون) للإيمان وُضع على مراحل
حسب ظهور الهرطقات في الزمن القديم واضطرار الكنيسة للدفاع عن
إيمانها فاجتمع رأيهم على إصدار هذا القانون يعتبر من لا يؤمن به لا
يعتبر مسيحياً، وقد سُمي بالنقاي القسطنطيني لأن قسماً منه وُضع في
المجمع المسكوني الأول الذي انعقد السنة ٣٢٥ في نيقية، وأكمل الجزء
الأخير في المجمع المسكوني الثاني الذي انعقد السنة ٣٨١ في
القسطنطينية. نص قانون الإيمان المسيحي: "تؤمن بإله واحد: الأب ضابط
الكل وخالق السماء والأرض وكل ما يرى " انظر: النصرانية من التوحيد
إلى التثليث، محمد الحاج (ص١٩٥-١٩٧)

(٣) انظر: هل تؤمن المسيحية بإله واحد، جورج بباوي، (ص٢)

وأشكال، وعبارة "الله واحد" ليست عبارة بسيطة، ولها عدة معاني، فإذا تعددت كلمة واحد تعددت معاني التوحيد، فيُقسم التوحيد على حسب معنى الكلمة "واحد" إلى:

التوحيد المجهول: وهو استعمال كلمة واحدة للدلالة على أن الله واحد غير معروف.

والتوحيد المحدود: وهو اعتبار أن الله واحد مكرراً، أو واحد حسابياً، أو الأول الذي يليه آخر.

وهذا تقسيم _باعقدهم_:

١- أنه يخرج من الغموض حسب ظنهم، ولكن في الحقيقة قال بأن المسيحية تؤمن بهذا إله واحد في ثلاث: هو إله موجود بذاته، وهو ناطق بكلمته، وحي بروحه، ويزعمون أنه لا يصحّ التّوحيد لموحّد دون أن يعتقد هذا. (١)

٢- إن تعليم الكتاب المقدس في التوحيد هو أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط، ومع ذلك لكل من الآب والابن والروح القدس صفات اللاهوت وحقوقه، وتوضيح ذلك فيما يلي:

أولاً: أنه لا إله إلا الإله الوحيد السرمدى الحقيقي، ومن نصوص الكتاب على وحدانية الله: "اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد" (٢)

وفي نص آخر: "هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفادية رب الجنود، أنا الأول والآخر ولا إله غيري" (٣).

ومن وصايا الله العشر التي تتضمن خلاصة الناموس الأدبي للدين اليهودي، والدين المسيحي أيضاً، أن الوصية الأولى والعظمى منها هي: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (٤) ومن ثم كان كل تعليم يضاد ذلك باطل.

ثانياً: إن لكل من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية، وأن كلاً منهم يستحق العبادة الإلهية، والمحبة والإكرام والثقة، فيتضح من الكتاب المقدس لاهوت الابن، كما يتضح لاهوت الآب، ويتضح لاهوت الروح، كما يتضح لاهوت الآب والابن. (٥)

ثالثاً: أن أسماء أقانيم (٦) الثالوث الأقدس، أي الآب والابن والروح القدس، ليست كنايةات عن نسب مختلفة بين الله وخلائقه، على ما يزعم البعض، كلفظة خالق وحافظ ومنعم التي تشير إلى نسب كهذه، ومن إعلانات الكتاب المقدس التي تثبت ذلك: أن كلاً من الآب والابن والروح القدس يقول عن ذاته "أنا"، أن كلاً منهم يقول للآخر في الخطاب "أنت" ويقول عنه في الغيبة "هو"، أن الآب يحب الابن، والابن يحب الآب والروح القدس يشهد للابن،

(٤) يعقوب ١٩: ٢

(٥) موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية - مصر

(٦) الأقنوم هو: بالسريانية فنوما باليونانية القديمة ، في اللاهوت المسيحي، هي إحدى طبائع الله في الثالوث، الكلمة مشتقة من اللغة السريانية حيث لا يوجد نظير لها في العربية وقد تحمل عدة معاني منها "شخص" و"طبيعة" و"ذات" و"كيان" و"ماهية". انظر: قاموس الكتاب المقدس (٢٣٤)

(١) انظر: هل تؤمن المسيحية بإله واحد، جورج بباوي، (ص ٩-١٢)

(٢) التثنية ٦: ٤

(٣) أشعيا ٤٤: ٦

ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ" ٣٤" ما كان
لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤﴾.

وينقل لنا الكتاب المقدس مدى عمق وخطورة
الخلاف في رفع السيد المسيح وحالة الشك وعدم
التصديق التي سادت بعد رفعه، فنحن نقرأ في إنجيل
مرقس: (أَخِيرًا ظَهَرَ لِلْأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَكِنُونَ، وَوَجَّحَ
عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ
نَضَرُوهُ قَدْ قَامَ) ^(١)، ونشأ الجيل الأول بعد المسيح
مؤمناً بتوحيد الله، والإيمان بأن المسيح كان نبياً
ورسولاً، تؤيد ذلك دائرة المعارف الأمريكية حين
تقول: "لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية ،
وكانت بداية مبكرة جداً في التاريخ ، وفي حقيقة
الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث من عشرات
السنين" ^(٢).

وما ذلك إلا لأنها بدأت مع بدء النبوات، واستنارت
وتلألأت ببعثة عيسى -عليه السلام- وتعاليمه
الموحدة لله، لكن رفع المسيح -ناهيك عن مولده
المعجز -أدى إلى خلاف عميق على طبيعته،
ويثبت التاريخ أن القرون الأولى التي تلت رفع السيد
المسيح قد شهدت حالة من الانقسام الشديد والحاد
في الأوساط المسيحية بين موحد بالله مؤمن ببسوع

فيظهر أن لكل منهم والآخر من النسب ما يدل على
التمييز في الاقنومية، لا الاختلاف، وأنه يوجد إله
واحد في ثلاثة أقانيم، وهم الآب والابن والروح
القدس. ^(١)

ولا شك أن عقيدة التثليث التي تدعو إلى الإيمان
بثلاثة آلهة، تخالف تعاليم الكتاب المقدس مخالفةً
صريحة، ولكن علماء المسيحية يُصرّون على أنها
هي التوحيد، ويطلقون عليها مصطلحات مثل:
التثليث في التوحيد، أو توحيد التثليث ^(٢) و أشار
القرآن الكريم إلى اعتقادهم بالتثليث ، فقال ﴿ذَلِكَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا
كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣﴾﴾ إذا الأصل في ديانة
عيسى التوحيد الخالص، فمتى بدأ التثليث، ومتى
انضوى التوحيد عن الوجود في حياة الملة المسيحية
وتحول مفهوم التوحيد عندهم إلى هذا الغموض الذي
لا يقبله عقل ولا منطق؟

ثانياً: التوحيد بعد رفع المسيح عليه السلام:

إن حقيقة رفع السيد المسيح خلافاً جديلاً من ميلاده
المعجز، فكما اختلف الناس في ميلاده عليه السلام،
اختلفوا في رفعه، وتنقل لنا نصوص القرآن الكريم
هذا الخلاف، فنقرأ في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ عِيسَى

(١) سورة مريم ١٩: ٣٤-٣٧

(٢) مرقس ١٦: ١٤

(٣) موسوعة المعرفة المسيحية، أسفار الشريعة أو التوراة، مجموعة من
المؤلفين، ص ٣٥

(٧) الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٨١، ١٨٢)

(٨) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ١١٩)

(٩) سورة النساء، الآيتان: ١٧١-١٧٢.

نبياً ورسولاً، وبين مثلث عابد ليسوع ومشارك به رباً
والها.

المبحث الأول

المراحل التي مر بها التوحيد في التاريخ النصراني

المطلب الأول: التوحيد عند اليهود وفي التوراة:

اليهود وفي كتبهم المقدسة (التوراة وسائر أسفار العهد القديم) ^(١) وقد حوت دلائل عدة على وحدانية الخالق، وعدم وجود شريك له في الملك سبحانه عما يصفون، فنقرأ في سفر التثنية: "قَاعْلَمِ الْيَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْإِلَهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ لَيْسَ سِوَاهُ" ^(٢) وهذا دليل واضح على أن الإله واحد في السماء والأرض لا أحد سواه سبحانه.

ورد في سفر التثنية أيضاً: "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" ^(٣) وفي هذا تنبيه إلى إسرائيل ^(٤) وهي لعموم اليهود جملة أن الإله الرب الخالق، إله واحد لا شريك له؛ لذلك يعد اليهود -نوعاً ما -الأقرب إلى المسلمين في مسألة التوحيد؛ لأن اليهود -لعنهم

الله-وصفوا الله بأوصاف يندى لها الجبين وتتشعر لها الأبدان، فنجد في سفر اشعيا ^(٥) هذا النص: "أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ نَاشِرُ السَّمَاوَاتِ وَخَدِي بَاسِطُ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ مَعِيَ" ^(٦).

ويتبين مما سلف أن العهد القديم ملئ بكلمات التوحيد التي توحد الله الخالق، لا إله الا هو سبحانه وتعالى عما يصفون، ومعلوم أن النصارى يؤمنون ايماناً لا جدال فيه بقانونية أسفار العهد القديم كلها؛ لذا فالنصوص السالف ذكرها تنطبق على النصارى أيضاً، يقول المسيح في إنجيل متى: "لا تظنوا أنني جئت لآنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لآنقض بل لأكمل" ^(٧).

فالمسيح عليه السلام جاء ليكمل (شريعة موسى عليه السلام) لا لينقضها.

المطلب الثاني: أثر بولس على عقيدة الوحيد عند النصارى:

أولاً: التعريف بـ بولس: هو شاول ومعناه: "مطلوب" ^(٨)، وتسمّى بولس بعد أن أظهر النصرانية،

(٥) يعتبر النصارى هذا السفر بمثابة الإنجيل الخامس بعد متى ومرقس ولوقا ويوحنا نظراً لكثرة النبوءات والتوصيات التي به، ويوجد به أيضاً بشارات كثيرة جداً بالرسول صلى الله عليه وسلم وبرسالة الاسلام.

(٦) اصحاح ٤٤ عدد ٢٤-أشعيا ٤٤: ٢٤

(٧) متى ١٧: ٥

(٨) هل العهد الجديد كلمة الله؟ منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، (ص ٤٠).

(٩) انظر: أعمال الرسل ٩/١٣

(١٠) اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية. محمد ملكاوي، جامعه الملك سعود: الرياض. ص ١٨. ط ١٢٤١هـ، أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني بولس وعبد الله بن سبأ أنموذج، هاني علي عايد البلوي، الجامعة الاردنية: ط ٢٠٠٨. ص ٤٤ وما بعدها

(١) التوراة وأسفار العهد القديم : هو الجزء الأكبر من الكتاب المقدس ويحتوي على جميع كتب اليهود بما فيها التوراة والكتب الخمسة الأولى ويعرف بالنتاسخ وهي كلمة مركبة من الأحرف الأولى من كل قسم من أقسامه: تورا (التوراة)، نبييم (الأنبياء) وكتوبي (الكتب) ومواضيع الأسفار مختلفة، فإن اعتبر سفر التكوين قصصياً بالأولى، فإن سفر اللاويين تشرعياً بالأحرى، أما المزامير فسفرٌ تسبيحي، ودانيال رؤيوي، انظر : موسوعة المعرفة المسيحية، أسفار الشريعة أو التوراة، مجموعة من المؤلفين بموافقة بولس باسم النائب البابوي في لبنان، دار المشرق، طبعة أولى، بيروت ١٩٩٠، ص ٥. وموسوعة المعرفة المسيحية، مرجع سابق، ص ٧.

(٢) اصحاح ٤ عدد ٣٩ وكذلك: سفر التثنية ٤: ٣٩

(٣) سفر التثنية: ٦: ٤

(٤) المقصود به: (سيدنا يعقوب عليه السلام ابو اليهود وإسرائيل اسم عبري معناه السائر إلى الله)

سفر أعمال الرسل^(٤): "ولما علم بولس أن قسماً منهم صدوقيون والآخر فريسيون صرخ في المجمع أيها الرجال الإخوة: أنا فريسي ابن فريسي"^(٥) وفي عهد نيرون^(٦) الإمبراطور الروماني تم الحكم بالإعدام على بولس بتهمة اعتناقه المسيحية؛ فقد كان نيرون يقتل كل من يدعي أنه من أتباع المسيح -عليه السلام- واختلفوا في تاريخ وفاته؛ فقيل: إنها كانت عام ٦٩م، وإنها كانت عام ٦٧م، وبهذا كان عمره عند وفاته حوالي ٥٨ عاماً، وابتداء دعوته كان ما بين عامي ٣٥-٤٠م؛ فتكون مدة دعوته ما بين ٢٨-٣٣ سنة^(٧).

تحوله للنصرانية: "تُجمع المراجع الموثوق بها على أن بولس له دور خطير في تحريف وتبديل المسيحية الأصلية، ويدل على ذلك التحول المفاجئ والغريب من الاضطهاد الشديد للمسيحيين إلى كونه رسولاً من عند الله ومصدراً للوحي والشرع"^(٨)، فإن تحول بولس من اليهودية إلى النصرانية كان حدثاً «حوّل المسيحية من استمرار للديانات اليهودية الأصلية إلى دين مختلف جديد ذي لاهوت خاص وأساطير خاصة لا علاقة لها بالأصل»^(٩) هذا قضية بحد ذاتها.

وقد ورد الاسمان معاً في سفر أعمال الرسل^(١): "وأما شاؤول الذي هو بولس... ومن هذا الموضع إلى آخر سفر الأعمال دُعي بولس ومعناه: الصغير وهو اسم يوناني^(٢).

وُلِدَ في مدينة طرسوس^(٣) في شرق آسيا الصغرى، في السنة العاشرة للميلاد، من أبوين يهوديين، فسمياه باسم أول ملوك بني إسرائيل، وكان من سبط بنيامين، على مذهب طائفة الفريسيين فقد، جاء في

(١) طرسوس: هي مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تابعة لمحافظة مرسين، وتبعد حوالي ١٥ كم عن مدينة مرسين و ٤٠ كم عن مدينة أضنة. انظر: معجم البلدان، الحموي، ٣/١، ٢٢١،

(٢) سفر أعمال الرسل: ٦/٢٣

(٣) اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية. محمد ملكاوي. ص ١٨. ط. ١٤١٢هـ.

(٤) نيرون: لإمبراطور نيرون كان خامس وآخر امبراطور الإمبراطورية الرومانية من السلالة اليوليوكلاوية وصل إلى العرش لأنه كان ابن كلود يوس بالتبني، حيث أنه حكم الإمبراطورية (٥٤-٦٨) انظر: كتاب: "الطاغية نيرون سنوات الهرطقة والمحرقه" - محمد عصمت - دار مشارق - الطبعة الأولى ٢٠٠٩

(٥) انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية والوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، (ص ٧٤).

(٦) بحث بعنوان: «ديانة المسيح أم ديانة بولس؟»، خالد عبد المعطى كروم، منتدى الألوكة - ٢٠١٠م، (٢٨٤٧٦).

(٧) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي هو اسط فانوس أول الشماسية: وسبب الاستشهاد ان اليهود قالوا بشهود زور انه جدف على موسى وعلى الله واخذوه إلى المجمع وقالوا انه قال: "ان المسيح سينقض هذا الهيكل ويغير شرائع موسى فسأله رئيس الكهنة ماذا تقول: فقص عليه قصة العهد القديم من اول ابراهيم حتى سليمان الحكيم باني الهيكل الذي لليهود وقال ان النبوات كلها تنبأت عن المسيح وانكم قتلتم كل الانبياء وأيضاً اسلمتم ابن الانسان) المسيح وقتلتموه؛ وقال انا الان ارى السماء مفتوحة وابن الانسان جالس عن يمين الله فسدوا اذانهم وأخرجوه خارج المدينة ورجموه وهو يقول يارب لا تقم لهم هذه الخطية. انظر سفر أعمال الرسل ٧، وانظر: Stephen Diaconal Community .St. Association of the Roman Catholic Diocese of Rochester للدراسات الإنسانية، (ص ٣٥)، (د.ت).

ثانياً: علاقة بولس بالنصارى: بولس قبل أن يدخل في النصرانية كان يضطهد أتباع المسيح عليه السلام، ويعتبرهم طائفةً جديدةً يُفسدون معنى الكتب المقدسة، ويُشكلون خطراً دينياً وسياسياً، يوجب استحقاقهم للإبادة؛ ولذلك شارك في حادثة رجم الرجل البار إستفانيوس^(١) أول شهداء النصرانية^(٢) وكان شاول بولس يلاحق أتباع المسيح ويعذبهم تعذيباً شديداً حتى عُذَّ رئيس المضطهدين لهم؛ ولشدة بطشه خافه التلاميذ المؤمنون بوعيسى عليه السلام؛ ففروا من أورشليم، واختبئوا في أنحاء الشام، فقرر بولس الذهاب إلى الشام يلاحق أتباع المسيح، ويسوقهم إلى أورشليم للسجن والتعذيب، وكان هذا عام ٣٥ م^(٣).

(١) **اسط فانوس:** أول الشمامسة وسبب الاستشهاد أن اليهود قاموا: بالشهود زوراً بأنه جدف على موسى وعلى الله واخذوه إلى المجمع وقالوا انه قال: " ان المسيح سينقض هذا الهيكل ويغير شرائع موسى فسأله رئيس الكهنة ماذا تقول :فقص عليه قصة العهد القديم من أول ابراهيم حتى سليمان الحكيم باني الهيكل الذي لليهود وقال أن النبوات كلها تنبأت عن المسيح وأنكم قتلتم كل الأنبياء وأيضاً اسلمتم ابن الإنسان) المسيح وقتلتموه؛ وقال انا الان ارى السماء مفتوحة وابن الإنسان جالس عن يمين الله فسدوا أذانهم وأخرجوه خارج المدينة ورجموه وهو يقول يارب لا تقم لهم هذه الخطية. انظر سفر أعمال الرسل ٧، وانظر: Stephen Diaconal Community Association

(٢) نظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي ص ٢٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٣٠

(٤) ترفس مناخس: أي لا فائدة من معاندة كلام الرب. انظر قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، أ، ع: ٩٠:٥، ٩٤:٢٦

(٥) سفر أعمال الرسل (١/٩-٣٠)

(٦) **حنانيا:** اسم عبري معناه (يهوه تحنن) وهذا الاسم هو نفس كلمة حنينا أو حنيا ، في الأصل العربي. مسيحي في دمشق ، أُخبر في رؤيا بتجديد شاول الطرسوسي) الرسول بولس (وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ لِكَيْ يَرُدَّ لَهُ بَصَرَهُ وَيُدْخِلَهُ إِلَى الْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ بِوَسْطَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ . انظر: قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية شرح كلمة حنانيا الدمشقي الرسول، وانظر: أعمال الرسل (١٨/٨/٩)

وفي أثناء ذهاب شاول إلى دمشق كان يحمل معه رسائل، حصل له التحول المفاجئ، فقد كان يعاني من مشاق السفر، وأتباع المسيح منتشرون وكلما ضيق عليهم في بلد هربوا إلى آخر، وكان الأمل في القضاء عليهم ضعيف والطرق متشعبة، ففكر بطريقة تكون أنجح في القضاء على أتباع المسيح، فكانت الطريقة هي تنصره وتحوله العجيب وخداعهم ، وهذا مذكور في ثلاثة مواضع في الأسفار ومن ذلك ما ورد في سفر أعمال الرسل: " وفي ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤول، لماذا تضهدني، فقال من أنت يا سيد، فقال: الرب أنا يسوع الذي أنت تضهده، صعب عليك أن ترفس مناخس^(٤) " (٥) وقد ورد استعمال اللفظة مرة واحدة، وكان ذلك عندما ظهر المسيح لشاؤول وهو في طريقه إلى دمشق لاضطهاد المؤمنين.

ومذكور في هذه القصة أيضاً أن هذا الضوء الذي ظهر لبولس أفقده بصره حيث دخل دمشق مقادماً، وأنه عاد إليه بصره على يد أحد أتباع المسيح واسمه "حنانيا"^(٦) ورد " أنه ذهب حنانياً ودخل بيت يهوذا، ووضع يديه على شاؤول وقال: أيها الأخ شاؤول، إن

بولس تلونه ونفاقه واحترافه للكذب في سبيل الوصول لغايته؛ فيقول: «صرت لليهود كيهودي، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، صرت لكل كل شيء -ويستبيح بولس الكذب- فيقول: إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان بعد كخاطي»^(٣).

ثالثاً: أثر بولس في عقيدة التوحيد:

زيف بولس تعاليم المسيحية الحقيقية وغير هويتها الأصلية حتى أقحم في المسيحية عقيدة ألوهية المسيح وبنوته، ثم مهد الطريق للأقنوم الثالث وهو الروح ليدخله في ألوهية ويصيره شريكاً لها، وفعل ذلك بإعطائه شخصية مستقلة، وجعل الرب والروح متحدتين في المعنى.^(٤)

وينقل صاحب كتاب "الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة" مقولة دائرة معارف لاوس الفرنسية: "عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد، ولا في عمل الآباء الرسولييين، ولا عند تلاميذهم المقربين؛ إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان.^(٥) وسنذكر أبرز العقائد التي أدخلها بولس على التوحيد في النصرانية والتي غيرت ملامح التوحيد وأبرزها:

الرب يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس، وفي الحال تساقط من عيون شاول ما يشبه القشور فأبصر ثم قام وتعمد"^(١)

ثم غير شاول اسمه العبراني، وتسمى باسم يوناني جديد هو (بولس)، ومعناه الزهيد أو الصغير، أي أنه أصغر الرسل والصديقين، ولعل السبب في التسمية بـ "بولس" لاجتذاب اليونان والرومان لمذهبه ونيل مودتهم فهم يعرفون أن اسم شاول يهودي وكانوا يحتقرون اليهود، فتغيير اسمه ساعده في جذب قلوبهم إليه.

كما زعم بولس أنه لقي المسيح بعد ثلاث سنوات من رفعه، حين كان متجهاً إلى دمشق وأن المسيح أخبره بتعليماته بنفسه، فقد قال له: «قم وقف على رجليك؛ لأنني لهذا ظهرت لك؛ لأنتخبك خادماً وشاهداً ما رأيت، وبما سأظهر لك به، منقداً إياك من الشعب، ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم...»^(٢) ومن الأمور التي وقف عليها المحققون في شخصية

(١) أعمال الرسل: ١٥/٩-١٨

(٢) أعمال الرسل: ١٦/٢٦-١٨

(٣) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٤٦، ٣٧)

(٤) انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، (ص ٣٤)

(٥) الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٨١، ١٨٢)

(٦) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (٦٦ ص)؛ الله -جل و علا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٨٣)

أ- الاعتقاد ببنوة المسيح لله:

من العقائد التي ركز عليها بولس في كتاباته، أنه كان يصّر باستمرار على أن المسيح ابن الله، وأنه إله مطيع لأبيه الإله الآب، ومن ذلك ما ورد في " لتعبدوا الله الحي الحقيقي وتنتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي" (١) نتج عن ذلك أن النصارى جميعاً آمنوا ببنوة المسيح ومساواته لأبيه في الجوهر والطبيعة، ولا دليل عندهم على هذه العقيدة سوى كلام بولس في رسائله؛ لأن أصالة التوحيد في الجيل الأول وقوته لم تمنع من انتشار دعوة بولس الوثنية في أوساط المتتبعين من الوثنيين الذين وجدوا في دعوته مبادئ الوثنية التي اعتمدها، إضافة إلى بعض المثل والآداب التي تقتصرها الوثنيات الرومانية واليونانية، وقد عورضت دعوة بولس من لدن أتباع المسيح، واستمر الموحدون يواجهون أتباع بولس، وظهر ما تسميه الكنسية في تاريخها بفرق الهرطقة. (٢)

ب- الاعتقاد بالوهية المسيح وربوبيته:

من أكثر العقائد وروداً في مجموع رسائل بولس فقد أحصى ملكاوي ثمانية وتسعين موضوعاً صرح فيها بربوبية المسيح وألوهيته وهذه المواضع ورد اسم المسيح أو يسوع مقروناً بلفظ الرب، أو إلهنا أو ربنا. (٣) ومن ذلك ما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: "إلى جميع الموجودين في رومية أحبباء الله مدعوين قديسين نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح" (٤)

ج- اعتقاد حلول الله في المسيح عليه السلام:

يعتقد النصارى أن لاهوت الله كله حلّ في المسيح، ففي رسالة بولس إلى أهل كورنثوس يتحدث عن المسيح: "وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداية فيكون هو متقدماً في كل شيء لأن فيه سر أن يحل كل الملاء فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (٥) وهذه العقيدة ليس لها سند إطلاقاً من كلام قدمائهم ولا عظيم من عظمائهم سوى ما كتبه بولس (٦).

د- الاعتقاد بأن روح القدس إله والتمهيد لعقيدة

التثليث:

وهذه العقيدة غير مصرح بها في رسائل بولس كما صرح بالعقائد السابقة، لكن عقيدة التثليث تفهم

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٩/١ -

(١) الهرطقة: أو الأربعة كلمة يونانية بمعنى الكفر تطلقها الكنيسة الكاثوليكية على كل مخالفيها، انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص ١٦٧)

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري، ناصر العقل، (ص ٦٩، ٧٠)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصارى، د. سعود الخلف، (ص ١٧٣-١٩٢)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٦٥ وما بعدها)؛ عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ٧٩)

(٣) اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، ص ١٠٤

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية ٧/١

(٥) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٦٦)؛ الله -جل و علا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٨٣)

(٦) انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي، ص ١١٣

(٧) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٨/٥-٦

الطريق للأقنوم الثالث وهو الروح؛ ليدخله في الألوهية ويُصيره شريكاً لها، وفعل ذلك بإعطائه شخصيةً مستقلة، وجعل الرب والروح متحدين في المعنى^(٤).

وينقل صاحب كتاب "الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة" مقولة دائرة معارف لاوس الفرنسية: "عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد، ولا في عمل الآباء الرسولين، ولا عند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولةً عند المسيحيين في كل زمان ، مع أن الاعتقاد بإنسانية عيسى -عليه السلام- كانت غالباً طيلة مدة نشأة الكنيسة الأولى من اليهود المتتصرين، وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يُتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون، وكان في القرن الثاني مؤمنون يعتقدون -أيضاً- أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً بشراً ، وحدث بعد ذلك أنه كلما زاد عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل"^(٥) وقد كان هناك فرق موحدة لله تمقت أي عقيدة تدعو إلى التثليث ولو إلى أدنى درجة من أهمها:

ضمنياً من رسائل بولس لأن الدور الذي أضفاه بولس على "عيسى والروح القدس" يجعلهما معادلين لله في عمله لذلك كان إقرار الكنيسة لعقيدة التثليث هو النتيجة الطبيعية لذلك المفهوم الضمني^(١)، ومن ذلك ما ورد في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قوله : " لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة وأرباب كثيرين، لكن لنا إله واحد منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به"^(٢) ويقول أيضاً في نفس الرسالة: "فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل"^(٣)

المطلب الثالث: التوحيد ومجمع نيقية:

أ-التوحيد ما قبل مجمع نيقية: زيف بولس تعاليم المسيحية الحقيقية وغير هويتها الأصلية حتى أقحم في المسيحية عقيدة ألوهية المسيح وبنوته ثم مهد

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٦-١٢/٨

(٢) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٤٦-٣٧)

(٣) الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٨١، ١٨٢)

(٤) أبيون: اعتقاداً بأنه الشخص أبيون الذي يعتقد الباحثون أنه تنتمي له هذه الطائفة وقد وقع هذا الخطأ لنقص المصادر البديلة عن تلك الطائفة، وفي الحقيقة هو: هو مصطلح آباء الكنيسة للإشارة إلى حركة مسيحية يهودية تواجدت في للمسيحية. انظر:

Cross, EA; Livingston, FL "Ebonite's". The Oxford Dictionary of the Christian Church. Oxford University Press. .

(٥) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٦٦)؛ الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار (ص ١٨٣).

ومن هذه الفرق الموحدة:

- "الأب يونية": وتنسب لقس اسمه أبيون^(١)، وقد كان لهذه الفرقة شأن، إذ كثروا حتى شمل نفوذها- باعتراف أعدائهم -فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ووصل إلى روما، واستمر وجودهم إلى القرن الرابع الميلادي حيث يفهم من كلام القديس جيروم في القرن الرابع أنهم كانوا في حالة من الضعف والاضطهاد، وذلك بعد مخالفتهم لأوامر قسطنطين ومجمع نيقية^(٢).

- "فرقة البولونية": وهم أتباع بولس سُمي ساطي^(٣)، والذي تولى أسقفية إنطاكية عام ٢٦٠م، وهم الذين

يؤمنون بأن الله إله واحد، جوهر واحد، أقنوم واحد، ولا يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة أنها مخصصة، ولا أنها من جوهر الأب، ولا يؤمنون بروح القدس المحيي، وقد عقدت الكنسية ثلاث مجامع خلال خمس سنوات لإقناع "الأسقف بولس" بالعدول عن مذهبه، آخرها مجمع في إنطاكية عام ٢٦٨م، وحضره بولس، ودافع فيه عن مذهبه، فطرد وعزل من جميع مناصبه، لكن أتباعه استمر وجودهم إلى القرن الميلادي السابع^(٤).

أيضاً كان هناك عدد من الشخصيات نافحت ودعت للتوحيد، وعارضت التثليث مثل: لوسيان وتلميذه أريوس^(٥) الذي رفض الاعتراف بالبدع التي أدخلها بولس على المسيحية، وأهمية هذا الرجل تتبع من حقيقة أن اسمه كان مرادفاً للتوحيد حتى اليوم، وكان أريوس أكبر ناقد بالكنيسة في ذلك الوقت، متمسك بالموقف الذي اتخذه بشجاعة قائلاً: " كان يوجد زمن لم يكن فيه المسيح موجوداً فأين كان يوجد الله عندئذ، ولأن المسيح خلقه الله فإن وجوده له نهاية، ولذلك ليس لديه صفة الخلود لأن الله فقط هو الخالد ولأن المسيح مخلوق فهو خاضع للتغير مثل كل المخلوقات الأصلية والله فقط هو الذي لا يتغير وهكذا فإن المسيح ليس الله"^(٦) وقال

(١) ساطي: تولى أسقف أنطاكية عام ٢٦٠م، خالف بولس في قضية التوحيد وجوهر عقيدة التثليث، انظر: كتاب "صوت صارخ" إعداد القس بيشوي حلمي، إصدار كنيسة الأنبا انطونيوس بشرا. طبعه أولى أغسطس ٢٠١٠.

(٢) انظر: المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (٦٦ص)؛ الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار (ص١٨٣).

(٣) لوسيان -أريوس: لوسيان الأنطاكي قديس سوري (٧-٢٤٠) كانون الثاني / يناير، ٣١٢ كان في وقت مبكر لاهوتي ومعلم مؤثر من المسيحية، ولا سيما الأرثوذكسية الشرقية والشرقية الكاثوليك. اشتهر بالورع والتشف. أريوس (٣٣٦-٢٥٦ م) موجد مذهب الأريوسية في الديانة المسيحية الذي يقول بأن الكلمة ليس بالله، بل بما أنه "مولود" من الله الأب فهو لا يشاركه طبيعته، بل تقوم بينهما علاقة "تبني". انظر: الموسوعة الكاثوليكية، ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٠.

(٤) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص٨٣-٩٦)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص١٦٧-١٧٣)؛ الله -جل وعلا- واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص١٨٧-١٨٩).

(٥) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم، ص. ٢٧.

(٦) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ١٠٧)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٦٩).

وقد توفي أريوس عام ٣٣٦م، لكن دعوته انتشرت بعد وفاته، وأصبحت كما يقول الأستاذ حسني الأطير في كتابه: "أوشك العالم أن يكون كله أريوسياً -حسب قول الخصوم -لولا تدخل الأباطرة في العمل على ضرب تلك العقيدة واستئصال تبعيتها" (٤) وإلا كان العالم كله أريوسياً موحد اعلى أصل دين المسيح عليه السلام.

أما الإمبراطور فنظراً لتأثره الشديد ب وفاة أريوس فقد اعتنق المسيحية، والذي قد قضى فترة كبيرة من حكمه يضطهد الذين آمنوا بالوحدانية يموت بنفس العقيدة التي مات عليها من كان يضهدهم، ولقد لعب أريوس دوراً كبيراً في تاريخ المسيحية ؛ فهو لم يكن فقط الداعية الذي جعل قسطنطين في النهاية يعتنق المسيحية، ولكنه كان يمثل هؤلاء الذين حاولوا أن يتبعوا تعاليم المسيح في وقت أوشكت فيه هذه العقيدة على التفكك، وقد بقيت هذه المعتقدات الأساسية لأريوس مستقيمة حتى يومنا هذا، ولا زالت أساساً لكثير من المسيحيين الموحدين، وبعد وفاة قسطنطين عام ٣٣٧م آمن الإمبراطور الجديد فسنتوس بعقيدة أريوس، واستمر الإيمان بالوحدانية رسمياً كمذهب تعترف به المسيحية الحقيقية.

ابن حزم في كتابه الملل: "منهم أصحاب أريوس وكان قسيساً بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق وأنه كلمة الله التي بها خلق السماوات والأرض" (١) ؛ لذا من الممكن أن يُرى حتى مجمع نيقية بعض أتباع المسيحية لا يزالون يؤمنون بوحدانية الله ويقررون ذلك، ولكن في المقابل تطورت حركة بولس اليهودي، فأخذ حماس عامة الناس يزداد تجاهها، وبدأوا يُعجبون بكل من يُبالغ في شخصية عيسى، مهما تعارضت هذه المبالغة مع تعاليم عيسى نفسه (٢).

ب- التوحيد بعد مجمع نيقية: في عام ٣٢٥م صدر أول قرار رسمي يؤله المسيح بعد تبني الإمبراطور الوثني قسطنطين لهذا الرأي، ورفض ما سواه، واعتبر أريوس-الذي عقد المجمع من أجله هرطقياً (٣) خارجاً عن الدين الكنسي الوثني.

(١) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (٩-١٢)؛ الله الواحد، د. محمد مجدي مرجان، (ص ١١٣)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصارى، د. سعود الخلف، (ص ٢٥٠-٢٥٦)؛ عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ١٠٣ وما بعدها)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص ١٧٠-١٧٤)

(٢) انظر: عقائد الفرق الموحدة في النصرانية، حسني الأطير، ص ١٢٣
(٣) الكنيسة الرومانية الكاثوليكية: هي أكبر الكنائس المسيحية، رأسها هو البابا أسقف روما وبحسب تقليدها الكنسي خليفة بطرس تلميذ يسوع المسيح. لقبها الرسمي هو الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية. مثلت هذه الكنيسة القوة الروحية الأساسية في تاريخ الغربية. انظر: Britannica
(٤) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (١٦-٢٢)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٦٧-٨٠)؛ عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ١١١-١١٧)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص ١٧٤-١٨٨)؛ الله - جل وعلا-واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٨٨-١٩٠).

وفي المقابل أصبح مذهب التثليث تدريجياً هو المذهب المعترف به للمسيحية في الغرب، ووسعت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية دعائمها بحيث يكون المقر الرئيسي في روما، فبعد عام ٣٢٥ م قتل أكثر من مليون مسيحي لعدم إيمانهم بمذهب الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ^(١) وكانت هذه فترة عصور الظلام لم يجرؤ على الإيمان بوحدانية الله إلا عدد قليل من الناس في أوربا، وفي تلك الفترة لم تتجاهل الكنيسة أي اعتراض يصدر من داخلها ، فأقيمت محاكم التفتيش للتحقيق ومحو آثار الضلال من المذاهب القائمة للكنيسة، ولا يعرف على وجه التحديد كم عدد ضحايا هذه المحاكم، ولكن يُقدر بعدد كبير من الذين لقوا حتفهم على يد زبانية الكنيسة ^(٢).

المطلب الرابع: التوحيد بعد ثورة الإصلاح الديني ^(٣)

(١) الإصلاح الديني : هي حركة شهدتها أوربا خلال القرنين ١٥ و ١٦ حركات إصلاحية دينية تزعمها دينيون تأثروا بأفكار الحركة الإنسانية فوجهوا عدة انتقادات للكنيسة الكاثوليكية وطالبوا بإصلاح ديني يواكب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. انظر: دراسات في التاريخ الأوربي الحديث، د. محمد مظفر الأدهمي، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٤

(٢) مارتين لوثر: ١٠ نوفمبر ١٤٨٣ - ١٨ فبراير ١٥٤٦ راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ اللاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا عد اعتراضه على صكوك الغفران. نشر في عام ١٥١٧ رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من "العقاب الزماني للخطيئة"؛ رفضه التراجع عن نقاطه الخمس والتسعين بناءً على طلب البابليون عام ١٥٢٠ وطلب الإمبراطورية الرومانية المقدسة ممثلة بالإمبراطور شارل الخامس أدى به للنفي والحرمان الكنسي وإدانته مع كتاباته بوصفها مهرطقه كنسياً وخارجة عن القوانين المرعية في الإمبراطورية انظر: الفلاح السكسوني مارتين لوثر وبدعة صكوك الغفران، مجلة ديوان العرب، يونيو ٢٠٠٩

سيطرت الكنيسة قرون على النصارى لكن لم ينقطع تواجد الموحدين، وإن ضعف نشاطهم وتواجدتهم بسبب محاكم التفتيش وقوة الكنيسة وسلطانها، وعندما ضعف سلطان الكنيسة واضمحل، عادت الفرق الموحدة للظهور وعُرفوا بالموحدين، وبدأت عقيدة التثليث بالاهتزاز، وهو ما عبر عنه لوثر ^(٤) بقوله: "إنه تعبير يفتقد إلى القوة، وإنه لم يوجد في الأسفار" ^(٥) كما ظهر في هذا القرن سوسن ^(٦) الموحد في الفرقة البولونية، وكان له أتباع يعرفون بالسوسنيون، أنكروا التثليث، ونادوا بالتوحيد، وفر بعضهم من الكنيسة إلى سويسرا ^(٧) وفي القرن السابع عشر ألف جون بيدل كتابه المشهور "الأدلة الاثنتا عشرة" والتي عارض فيها فكر ألوهية روح القدس، وكان منشئ مذهب الوحدانية في إنجلترا،

(٣) المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٩١)؛ الله -جل وعلا-واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار (ص ١٩١)

(٤) سوسن الموحد في طائفة البولونية ظهر سوسن الموحد، وكان له أتباع يعرفون بالسوسنيين وقد أنكروا التثليث ونادوا بالتوحيد. انظر: مسيرة التوحيد في الديانة النصرانية، إبراهيم الدميحي، ٢/١

(٥) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (٣٦-٢٨)

(٦) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ١٥١-١٦١)؛ طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (ص ٣٩، ٤٠)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٩٢)؛ الله -جل وعلا-واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٩٣).

(٧) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (٣٦-٢٨)

(٨) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ١٥١-١٦١)؛ طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (ص ٣٩، ٤٠)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ٩٢)؛ الله -جل وعلا-واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٩٣).

تُعلمان التوحيد هما مانسستر وأكسفورد في بريطانيا، وكليتين في أمريكا، إحداهما في شيكاغو، والأخرى في بركلي في كاليفورنيا، وما يقرب من مائة وستين كنيسة أو كلية في المجر، وغير ذلك في كافة دول أوروبا النصرانية.^(٤)

وفي نهاية القرن العشرين أصدر ثمانية من علماء اللاهوت في بريطانيا كتاباً أسموه "المسيح ليس ابن الله"، أكدوا فيه ما جاء في الكتاب الأول، وقالوا: "إن إمكانية تحول الإنسان إلى إله لم تعد بالشيء المعقول والمصدق به هذه الأيام"^(٥) وفي مقابلة تلفزيونية جرت في إبريل ١٩٨٤م في بريطانيا ذكر الأسقف دافيد جنكيز، والذي يحتل المرتبة الرابعة بين تسعة وثلاثين أسقفاً يمثلون رأس هرم الكنيسة الأنجليكانية، فكان مما قاله بأن ألوهية المسيح ليست حقيقة مسلماً بها، وكان لكلماته صدى كبير بين أتباع الكنيسة البروتستانتية، فقامت صحيفة (ديلي نيوز)^(٦) باستطلاع رأي واحد وثلاثين أسقفاً - من الأساقفة التسعة والثلاثين - حول ما قاله الأسقف دافيد، ثم نشرت نتيجة الاستطلاع في عددها الصادر في ٢٥/٦/١٩٨٤م، وكانت نتيجته: أن أصر ١١ فقط من الأساقفة على القول بأنه يجب على المسيحيين أن يعتبروا المسيح إلهاً وإنساناً معاً،

وكان لديه القدرة على إعلان عقيدته جهاراً، وكان يتمنى أن يترك الناس الكنائس الفاسدة، وأن يعلنوا رفضهم لأي قبول بالعقيدة الفاسدة المشتركة.^(١)

وفي القرن التاسع عشر كانت نشاطات "هال ليندسي" ملحوظة ضد عقيدة التثليث، وفي القرن التاسع عشر خالف "صانينج" وأتباعه عقيدتي التثليث والكفار مخالفة شديدة، وأنشأوا في أمريكا الكنائس التوحيدية التي ما زالت موجودة، وفي عام ١٨٢٠م بدأ العمل في بناء كنيسة للموحدين، وقد تم إنشاؤها عام ١٨٢١؛ وفي عام ١٨٢٧ م أنشئت ثاني كنيسة للموحدين^(٢)، وكان صانينج يقول: "لو فسرت النصوص الإنجيلية بطريقة مستقيمة لأيدت عقائد المسيحيين الموحدين"^(٣).

ومع مطلع القرن العشرين تزايد عدد الموحدين، وازداد نشاطهم، وأثمرت عن وجود ما يقرب من أربع مائة كنيسة في بريطانيا ومستعمراتها، ومثلها في الولايات المتحدة، إضافة إلى كليتين لاهوتيتين

(١) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (ص ٤٢-٤٥)

(٢) انظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، (ص ١٧٤-١٧٧)؛ طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (ص ٤٠، ٤١)

(٣) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، (ص ٤٢-٤٥).

(٤) انظر: الله - جل وعلا - واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ١٩٥).

(٥) **ديلي نيوز**: "ديلي نيوز" هي صحيفة أمريكية يومية مقرها نيويورك وهي رابع أوسع الصحف الأمريكية انتشاراً

(٦) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص ٢١٩)؛ الله - جل وعلا - واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (١٥٩)

بينما قال ١٩ منهم بأنه كان كافياً أن يُنظر إلى المسيح باعتباره الوكيل الأعلى لله، فيما أكد ١٥ أسقفاً منهم أن المعجزات المذكورة في العهد الجديد كانت إضافات ألحقت بقصة يسوع فيما بعد، أي أنها لا تصلح في الدلالة على الألوهية^(١)، وهكذا تشكك الكنيسة ممثلة بأساقفتها في مسألة ألوهية المسيح، وترفضها، وتقرر أنها عقيدة دخيلة على النصرانية، لم يعرفها المسيح ولا تلاميذه.

ومن كل ما ذكرنا يتبين لنا أن التوحيد حركة أصيلة في المجتمع النصراني، تتجدد كلما نظر المخلصون منهم في أسفارهم المقدسة، فتتجلي عن الفطرة غشاوتها، وتعلن الحقيقة الناصعة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

المطلب الخامس: بين التوحيد والتثليث

ذكرنا أن مجمع نيقية عام ٣٢٥م وضع أساسها، ومن الطبيعي والمتوقع ونحن نتحدث عن التثليث أهم عقائد النصرانية، أن نجد ما يؤصله في عشرات النصوص الواردة على لسان الأنبياء ثم المسيح عليه السلام ولكن المفاجئ ألا نعثر لا في العهد القديم ولا الجديد على أدلة واضحة صريحة تتكلم عن التثليث.^(٢)

(١) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص ٢١٩)؛ الله - جل وعلا - واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (١٥٩) (٢) قاموس الكتاب المقدس، ص (٢٣٢).

ويلخص محررو قاموس الكتاب المقدس عقيدة النصارى الكاثوليك والبروتستانت في التثليث، فيقولون: "الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى، التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً، بل أبدي وحقيقي، التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد متساوون".^(٣)

والكاثوليك يعتبرون أركان الثلاث ثلاث شخصيات أو ثلاث ذوات، لكلٍ منها مهام منفصلة، وترجع إلى ذات واحدة موجودة في الأزل، ويرون لكل أقنوم وظيفة واختصاصاً، فهم يُسندون للأب خلق العالم والمحافظة عليه، وللابن كفارة الذنوب وتخليص البشر، وأما الروح القدس فيتولى تثبيت قلب الإنسان على الحق وتحقيق الولادة الروحية الجديدة^(٤).

- مفهوم الأقانيم:

أ- الأقنوم الأول: الأب: يراد بالأب عندهم: الذات الإلهية مجردة عن الابن والروح القدس، وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن، مع أن هذا لا يعني

(٣) انظر: الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، د. منقذ بن محمود السقار، (ص: ١٧).

(٤) انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، (ص ٥٣، ٦٦).

(٥) إنجيل متى (٣٢/١٠).

(٦) إنجيل يوحنا (١٩/٨).

(٧) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، (ص: ٢٨٨)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص، ١٠٨-١١٢).

لديهم أن الأب سبق الابن في الوجود بل الابن أزلي الوجود معه لم يسبق أحدهما الآخر، وليس له عمل عندهم إلا الاختيار والدعوة ^(١) وقد وردت كلمة الأب لدى النصارى في العهد الجديد في مواطن عديدة وورد في بعضها نسبة أبوة الله للمسيح، ومنها ما ورد في إنجيل متى قوله: "فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السنوات" ^(٢) ، وورد أيضاً في يوحنا : "فقالوا له أين هو أبوك. فأجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً". ^(٣) وبناءً على هذه النصوص فزعم النصارى أن الله تعالى (أب) للمسيح أبوة حقيقية، كلام باطل، ووهم خاطئ وافتراءً على الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ج-الأقنوم الثالث: الروح القدس: وهو عندهم مساو للأب والابن في الذات والجوهر والطبع، وهو في كلامهم روح الله الذي يتولى تأييد أتباع المسيح وتطهيرهم، واستدلوا على قولهم بألوهية الروح القدس بأن الكتاب المقدس لديهم وصف الروح القدس بصفات لا يوصف بها إلا الله عز وجل فدل هذا عندهم على ألوهيته ^(٧).

ب-الأقنوم الثاني: الابن: المراد بالابن عندهم كلمة الله المتجسدة في المسيح -عليه السلام-، فيزعمون أن الابن مساو للأب في الوجود، وأن الأب خلق العالم بواسطة الابن، وأنه الذي نزل إلى الأرض بالصورة البشرية فداء للبشر، وهو الذي يتولى محاسبة الناس يوم القيامة تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ^(٤) واستدل النصارى على أن المسيح ابن لله بما ورد في الأناجيل من النصوص التي تنسب

(١) بطرس: توفي سنة ٦٤م اسمه الأصلي سمعان وسماه المسيح كينا أو بطرس بمعنى الصخرة يوناني: كان صياد دعاه المسيح فأصبح من أهم تلاميذه. كان مع يوحنا وأخوه يعقوب في التجلي على الجبل. ولما سلم يهوذا المسيح سحب بطرس سيفه حتى يدافع عنه لكن في نفس الليلة أنكر تبعيته للمسيح ثلاث مرات. ذهب إلى انطاكية وبقي فيها وثم راح يبشر فيروما. يقال انه استشهد في عهد نبرون صلباً راساً على عقب. يعتبر الكاثوليك ان بابا روما هو خليفة القديس بطرس راس الكنيسة الكاثوليكية. لكن تعترف بقدسيته كنائس تأنبيه. في الفاتيكان في روما توجد كنيسة ضخمة باسمه بنيت سنة ٣٢٦، ورممت في القرن ١٥. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٢٠

(٢) إنجيل متى (١٦/١٦)

(٣) انظر: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، القس فايز فارس، (ص ٦٠)؛ قاموس الكتاب المقدس، (ص ٤١٤)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد الحاج، (ص ٢٣٥)؛ المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ١١٧).

(٤) سفر التكوين ١/١

(٥) إشعيا ٣/٦

(٦) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، حمد الحاج، (ص ٢٢٠- ٢٢٢)؛ (١٥٩) المسيحية دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ١٢٠).

(٧) رسالة يوحنا الأولى (٥/٧)

نص مطبوع، إنما أضيف لاحقاً باعتراف علماء النصرانية أنفسهم^(٥).

الثاني: فهو ما جاء من أن المسيح قبيل صعوده إلى السماء كلمهم قائلاً: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وأنا أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين"^(٦) ومع ندرة النصوص التي تشير إلى التثليث، هناك عشرات النصوص التي تؤكد على عقيدة التوحيد لا التثليث، كما ذكرناها سابقاً، كما ينبغي التأكيد على أنه لا أحد فهم من نصوص العهدين القديم والجديد التثليث الذي صاغته الكنيسة، وتبنته فيما بعد، وينقل صاحب الكتاب (المسيحية-دراسة وتحليل) قول مفكر مسيحي في بيان عدم معرفته لهذه العقيدة (عقيدة التثليث) قوله: "الأناجيل وأعمال الرسل ورسائل بولس كل هذه المصادر عارية عن التثليث"^(٧)

أما استدلالهم على التثليث ففي العهد القديم فقد تعلق النصارى ببعض الإشارات في بعض النصوص التي لا تدل بأي حال من الأحوال على التثليث الصريح، وزعموا أنها إشارات ورموز إلهية إلى التثليث، منها استخدام بعض النصوص التوراتية صيغة الجمع العبري (ألوهم) عند الحديث عن الله كما في مقدمة سفر التكوين "في البدء خلق الله السماء والأرض"، وفي النص العبري (ألوهم) أي: "الآلهة"^(٨) ومن الإشارات التوراتية أيضاً لتثليث الأقانيم قول الملائكة: "قدوس، قدوس، رب الجنود"^(٩) وغيرها من الكلمات المشابهة، التي لو استدل بها على التثليث، فلسوف نرى تريبياً وتخمينياً؛ نظراً لكثرة تكرارها للتأكيد وليس للتعدد؛ فلا تُعد دليلاً صريحاً على التثليث الذي تنقضه النصوص التي تدل على التوحيد صراحة.^(٣)

وأما في العهد الجديد فلا يوجد سوى نصين فقط ذكر فيهما التثليث:

الأول: في رسالة يوحنا الأولى: "فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم الواحد"^(٤)

وهو نص غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، بل غير موجود في أول

(١) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، (ص ٢٢٤) المسيحية دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ١٢٠).

(٢) انظر من العهد القديم: سفر التثنية ٦-٩ و ٥/٦ والخروج ٢٠-٤٢ وإشعييا ٤٣-١٢/١٠ و ٣٧/٢٠ ومن العهد الجديد: متى ١٠/٩ و ٢٢ و ١٩/١٧، ويوحنا ٣/٢ و ١٧-٨/٤١ و ١٧/٣ ولوقا ٤/٨ (٣) المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص ١٢٣).

المبحث الثاني

نصوص الكتاب المقدس وإثبات عقيدة التوحيد لله

عز وجل والرد عليها

المطلب الأول: نصوص نسبت لله كمال الربوبية والألوهية:

في نصوص الكتاب المقدس برز التوحيد بما لا يدع مجالاً للشك في إثبات لله، فنجد مثلاً:

أولاً: الرب واحد: جاءت قضية توحيد الربوبية في نصوص العهدين القديم والجديد للتأكيد على هذه القضية من خلال كلام الرب نفسه، ومن خلال اعتراف الأنبياء بهذه الحقيقة ونفي التعدد دون أدنى إشارة لتعدد الأقانيم، ووجود مشارك لله -عز وجل- في أفعاله، ففي سفر التثنية نجد الرب يرد نص يقرر ربوبية الله، واستحقاقه للألوهية فنقرأ: "إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه"^(١) ويقول في خطابه لإسرائيل: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"^(٢)

وكان المسيح عليه السلام يؤكد على التعاليم الخاصة بتوحيد الربوبية والتي جاءت في التوراة أمام

الحواريين واليهود دون أي إشارة تقول بتعدد الآلهة، أو تعدد الأقانيم في ذات الرب، يقول مرقس: "فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"^(٣) (٤).

ثانياً: إثبات الخلق لله واستحقاقه للتوحيد: بيان أن الرب واحد هو من خلق الكون، وهو المتصرف فيه، فلقد وردت قضية توحيد الخالق في عدة نصوص في العهد القديم من أول الأسفار إلى آخرها، فجاءت قضية بدء الخلق وكيف خلق الله السماوات والأرض، ومن هذه الأسفار سفر التكوين ورد فيه: "في البدء خلق الله السماوات والأرض"^(٥) وفي سفر اشعيا أثبت خلقه واستحقاقه للعبادة دون غيره فنقرأ: "لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات هو الله مصور الأرض وصانعها هو قررهما لم يخلقها باطلا للسكن صورها أنا الرب وليس آخر"^(٦).

المطلب الثاني: نصوص الكتاب المقدس وإثبات الألوهية للمسيح:

أولاً: يستمسك النصارى بالألفاظ التي أطلقت على المسيح لفظ الألوهية والربوبية، ويرونها دالة على ألوهية المسيح، ومنها: أنه سمي يسوع، وهي كلمة عبرانية أصلها: يهوه خلاص، ومعناها: الله خلاص.^(٧)

ثانياً: الاعتداد بالنبوءات حول المسيح ومنها ما ورد في سفر إشعيا: "أنه يولد لنا ولد، ونعطى ابناً،

(١) سفر التثنية (٤: ٣٥)

(٢) سفر التثنية (٦: ٤)

(٣) مرقس (١٢: ٢٩)

(٤) انظر: مع النصارى في الأصول والفروع-كتاب توحيد الربوبية، غنيم عبد العظيم، ص ١١

(٥) سفر التكوين (١: ١)

(٦) سفر أشعيا (٤٥: ١٨)

(٧) انظر: الله جل وعلا-واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (٢٦-٢٧)

(٨) أشعيا (٩: ٦)

(٩) أشعيا (١٤: ٧)

ومثله قيل لداود " أنت ابني، أنا اليوم ولدتك " (٤) وغيرهم.

رابعاً: **إسناد الخلقية لله بالمسيح:** أسندت بعض النصوص الخلقية لله بالمسيح، فتعلق النصارى بها، ورأوها دالة على ألوهيته ومنها قول بولس عن المسيح: "فإن فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء أن كان عروشاً أم رئاسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق" (٥) وفي موضع آخر يقول: "الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (٦)

المطلب الثالث: الرد على نصوص الكتاب المقدس والتي نسبت إلى المسيح الألوهية والربوبية:
لرد على هذه النصوص من خلال محاور:

المحور الأول: الأسماء لا تفيد ألوهية أصحابها
هذه الإطلاقات ما كان لها أن تجعل من المسيح رباً وإلهاً، إذ كثير منها ورد في باب التسمية، وتسمية المخلوق إلهاً لا تجعله كذلك، فقد سمي بولس وبرنابا آلهة لما أتيا ببعض المعجزات "فالجموع لما رأوا ما فعله بولس رفعوا أصواتهم قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا" (٧)، كما كان من عادة الرومان تسمية من يفعل شيئاً فيه نفع للشعب (إلهاً) ولا تُغير التسمية في الحقيقة شيئاً، ولا تجعل من المخلوق إلهاً، ولا من العبد الفاني رباً وإلهاً، وقد سمي إسماعيل بهذا الاسم العبراني، ومعناه: (الله يسمع)،

وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام، لا نهاية له على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد" (١) ونبوءة أخرى دالة على ألوهية المسيح باعترادهم في قول إشعيا: "لكن يعطيكم السيد نفسه آية، هذه العذراء تحبل وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل" (٢) وعمانوئيل تعني بالعبرية: الله معنا.

ثالثاً: نصوص نسبت بنوة المسيح لله: فلم يرد عن المسيح في الأناجيل تسميته لنفسه بابن الله سوى مرة واحدة في يوحنا ٣٧/١٠، ويرى البعض من المحققين أن بولس هو أول من استعمل الكلمة، وكانت حسب لغة المسيح (عبد الله) وترجمتها اليونانية بمعنى طفل أو خادم تقريباً إلى المتتصرين الجدد من الوثنيين، ولفظ البنوة الذي أُطلق على المسيح أُطلق على كثيرين غيره، ولم يقتض ذلك ألوهيتهم، بل حُملت بنوتهم على المعنى المجازي، أي المؤمنين والصالحين، منهم آدم الذي قيل فيه: "آدم ابن الله" (٣) وسليمان أيضاً قيل أنه ابن الله،

(١) لوقا ٣٨/٣

(٢) المزمور ٧/٢

(٣) رسالة بولس إلى كورنثوس (١٦/١-١٧)

(٤) افسس (٩/٣)

(٥) انظر: المسيح إنسان أو إله، د. محمد مجدي مرجان، (ص ١٥١-١٥٦)؛ الله جل وعلا-واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار، (ص ٢٦-٢٧) ٢٢

(٦) انظر: ومختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي، (ص: ١٢٥). انظر: المسيح إنسان أو إله، د. محمد مجدي مرجان، (ص ١٥١-١٥٦)

(٧) سفر القضاة ١٣/٢١-٢٢

(٨) اسحاق عليه السلام

(٩) التكوين (١٦/١١-١٣)

هذه لغة الكتاب المقدس في التعبير، والتي يخطئ من يُصر على فهم ألفاظها حرفياً كما يخطئ أولئك الذين يفرقون بين المتشابهات، فاللوهية هؤلاء جميعاً مجازية، وكذا ألوهية المسيح، سواء بسواء، كما أن المسيح وهو يسمع بمثل هذه الاستعارات والآلهة المجازية أوضح بأن ثمة إلهاً حقيقياً واحداً، هو الله كما ورد في النصوص الصريحة.

المحور الثالث: النصوص الدالة على بشرية المسيح تناقض القول بألوهيته:

الأحوال البشرية المختلفة التي رافقت المسيح طوال حياته تمنع القول بصحة اعتقاد النصارى أن المسيح هو الله أو ابنه، إذ لا يليق بالإله أن يولد ويأكل ويشرب ويختن ويضرب وثم يموت، وهناك عشرات النصوص التي تتحدث عن ضعف المسيح البشري، وتحكي قعوده عن مرتبة الألوهية، وهي على النحو التالي:

١- نصوص تبين عجز المسيح، وفي ذلك نصوص كثيرة، منها: جهل المسيح بأشياء كثيرة أهمها جهله بيوم القيامة، فقد قال: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب"^(١) فكيف تدعي النصارى بعد ذلك ألوهيته، فالجهل بالغيب مناف لكمال الألوهية مبطل لها.

ومثله يهويّا قيم أي: (الله يرفع)، ويهوشع (الرب خلص)، وغيرهم ولم تقتض أسماؤهم ألوهيتهم.^(١)

المحور الثاني: الإطلاقات اللفظية على المسيح لا تفيد الألوهية:

ليس في وصف المسيح بالرب أو الإله أي دلالة على ألوهية المسيح، فإطلاقهما على المخلوقات معهود في الكتاب المقدس، فمما ورد إطلاق لفظة (الرب) و(الإله): على الملائكة، فقد جاء في سفر القضاة، وهو يحكي عن ظهور ملاك الرب لمنوح وزوجه: "ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب، فقال منوح لامرأته: نموت موتاً، لأننا قد رأينا الله"^(٢)، ومراده ملاك الله، وظهر ملاك الله لسارة وبشرها بإسحاق^(٣) "فدعت اسم الرب الذي تكلم معها: أنت إيل رئي"^(٤)، فأطلقت على الملاك اسم الرب، ومما جاء في التوراة إطلاق هذه الألفاظ على الأنبياء، من غير إرادة معناها الحقيقي، فقد قال الله لموسى عن هارون عليهما السلام: "وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلهاً"^(٥).

(١) الخروج ٤ / ١٦.

(٢) لوقا (٢/٦).

(٣) التعميد هو: المعمودية هي طقس مسيحي يمثل دخول الإنسان الحياة المسيحية. تتمثل المعمودية باغتسال المعمد بالماء بطريقة أو بأخرى. ويعتبر سر المعمودية أحد الأسرار السبعة المقدسة في الأرثوذكسية والكاثوليكية وأحد السرّين المقدسين في الكنائس البروتستانتية. انظر: كتاب اسرار الكنيسة السبعة - حبيب جرجس، ص ٢١٢.

(٤) لوقا (٢١/٢).

(٥) متى (٢٩/٢٦).

إلى ذلك اليوم، حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي^(٤)

المحور الرابع: النصوص التي تثبت له النبوة والرسالة مبجلة لألوهيته:

فقد شهد له معاصروه بالنبوة والرسالة، والتي هي صفة البشر، لا الإله، ومن هذه النصوص قوله: " أنتم تدعونني معلماً وسيّداً، وحسناً تقولون، لأنني أنا كذلك"^(٥) وهل من حسن الأدب أن يترك التلاميذ نداءه بالألوهية وأن ينادوه بهذا النداء المتواضع: معلم.

كما شهد المسيح لربه بالوحدانية، ولنفسه بالرسالة، فقال: "أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"^(٦) أيضاً هناك نصوص جعلته رسولاً خاصاً إلى بني إسرائيل، والإله لا يكون خاصاً بأمة دون أمة، ومن ذلك قوله: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"^(٧) ومن هنا فإن هذه الأدلة وبرهان جلي على عبودية المسيح لله، وأنه رسول عظيم من لدن ربه جل وعلا، وهذا بالضبط ما يؤمن

٢- النصوص التي تحدثت عن أحوال المسيح البشرية التي يشترك فيها مع سائر الناس من طعام وشراب وعبادة الله وتذلل، وحسب سيرة المسيح -كما عرضتها الأناجيل -منذ بشارة أمه إلى حملته، وولادته، ثم ختانه، ومن ثم نشأته وتعليمه مع الصبيان، ثم تعميده^(١) على يد المعمدان إلى أن ذكرت نهايته المزعومة على الصليب، نجد أن المسيح لا يختلف في شيء عن سائر الناس، فقد ولد وكبر، وأكل وشرب، فقد ورد في إنجيل لوقا أنه ولد من امرأة: "وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد"^(٢) كما ختن المسيح في ثامن أيام ولادته "ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع"^(٣) ، فهل كان الذي يختنه يدور في خلده أنه يختن إلهاً؟ والنصوص في ذلك كثيرة تثبت له عليه السلام الصفة والحالة البشرية.

وأخيراً: فإن مما يؤكد بشرية المسيح ما أخبر به من أنه -عليه السلام- سيدخل الجنة التي وعدها الله لعباده المؤمنين، وأن المسيح وتلاميذه من بينهم، وأنه سيشرب في اليوم الآخر ويأكل معهم، حيث قال: "إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا

(١) متى (٢٩/٢٦)

(٢) يوحنا (٣/١٧)

(٣) يوحنا (١٣/١٣)

(٤) متى (٦/١٠)

(٥) الزخرف (٥٩)

(٦) انظر: مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي، (ص: ١٢٥)

(٧) الخروج (٣/٢٠)

(٨) يوحنا (١٨/٩)

به المسلمون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١)

المطلب الرابع: نقد عقيدة التثليث من خلال نصوص الكتاب المقدس:

لما تكلمنا عن التثليث لم نجد للتثليث دليلاً صريحاً واحداً ينهض للاستدلال به وجعله حجة للنصارى، ومع ذلك يعتقدون اليوم بتلك العقيدة، ولتفنيد هذا الاعتقاد سنسلك عدة محاور:

المحور الأول: نصوص من الكتاب المقدس دالة على بطلانه:

كتب العهد القديم ناطقة بأن الله واحد أحد، منزّه عن الصاحبة والولد، حي لا يموت، قادر يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد^(٢)، ثم أن عبادة غير الله حرام، وذكرنا التوراة حرمتها في فقرات كثيرة، منها: " لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"^(٣) أما العهد الجديد فورد نصوص تفيد أن رؤية الله ممتنعة في الدنيا، ففي إنجيل يوحنا نقرأ: "الله لم يره أحد قط"^(٤) تنزيهه لله عز وجل يتبين منه: أن عقيدة التثليث لم يأت بها نبي من الأنبياء، ولا نزلت في كتاب من الكتب السماوية، وعدم ورودها في التوراة غير محتاج إلى بيان؛ لأن من

طالع التوراة الحالية لا يجد فيها ذكراً صريحاً ولا إشارة أو تلميحاً لهذا الأمر، وعلماء اليهود من عهد موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بعقيدة التثليث، ولا يرضون بنسبتها إلى كتبهم، فلو كانت عقيدة التثليث حقاً لوجب على موسى وسائر أنبياء الله من بني إسرائيل وآخرهم عيسى عليهم السلام أن يبينوها حق التبين.^(٥)

المحور الثاني: التثليث باطل عقلاً:

وأمام ضعف هذه العقيدة وعجز العقل البشري عن تصورها، بل رفضه لها لا يجد النصارى من سبيل إلا القول بأن التثليث سر من الأسرار، لا يمكن للعقل أن يقف على كنهها، بل يعترف البعض منهم بتعارض المسيحية والعقل فيقول القديس سان أوغسطين^(٦): "أنا مؤمن، لأن ذلك لا يتفق مع العقل"^(٧) كما يعتقدون أن: "إن كل محاولة يراد بها

(١) الله جل جلاله، منقذ السقار (١٦٠)

(٢) سان أوغسطين: القديس أوغسطينوس أحد المنبع اللاهوتية للإصلاح الكنسي، كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي-لاتيني حالياً بعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. قديس. ولد في مملكة نوميدي التي كانت مقاطعة رومانية من أمه الأمازيغية القديسة مونيكا وأبيه الوثني باتريس يوس الأفريقي، اللاتيني، تلقى تعليمه في روما وتعمّد في ميلانو، وتعد مؤلفاته مرجعاً هاماً بما فيها الاعترافات-لا تزال مقروءة في شتى أنحاء العالم

(٣) الله جل جلاله، منقذ السقار (١٦٣)

(٤) مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الهندي، (ص: ١٢٩).

(٥) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، طباعة الكنيسة الكلدانية، ٢٠١٢م ٨٦/١،

(٦) مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الهندي، (ص: ١٢٩).

(٧) آل عمران (٤٥)

(٨) النساء (١٧١)

والنقل، فإن العقل والنقل يدلان على امتناع التثليث في ذات الله تعالى.

المطلب الخامس: ادعاءات النصارى حول موافقة ودلالة القرآن على مفهوم التوحيد عندهم والرد عليها أولاً: أن القرآن قد دل على ألوهية المسيح

بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٤) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٥)

أ- الآية الأولى تبين أنه مخلوق، ويتضح ذلك في وجوه منها: أنه قال (بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) وقوله: (بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) نكرة في الإثبات، يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، وليس هو كلامه كله كما يقول النصارى، ومنها: أنه بين مراده بقوله (بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) أنه مخلوق، قال الطبري رحمه الله بكلمة منه: "برسالة من عنده الله وخبر منه" (٦)

ب- الآية الثانية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٧) وقال تعالى أيضاً: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

جعل المسيحية ديانة معقولة لابد أن تؤدي إلى القضاء عليها" (١) فالغموض أساس العقيدة ومصدر قوتها، جاء في (التعليم المسيحي): لا يجوز التدخل في أسرار الله، لأننا لا نستطيع إدراك أسرار الإيمان" (٢).

فالنصارى يعتقدون أن التثليث حقيقي والتوحيد حقيقي، ولكن إذا وجد التثليث الحقيقي وجدت الكثرة الحقيقية أيضاً، وإذا ثبت التثليث والكثرة الحقيقيان انتفى التوحيد الحقيقي، ولا يمكن ثبوته، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين، وهو محال، ويلزم تعدد واجبي الوجود، وهو محال أيضاً، فالقائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحداً لله توحيداً حقيقياً؛ لأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح وليس هو مجموع آحاد، أما الثلاثة فلها ثلث صحيح هو واحد، وهي مجموع آحاد ثلاثة، فالواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعوا في محل واحد يلزم منه كون الجزء كلا والكل جزءاً، ويلزم منه أيضاً كون الواحد ثلث نفسه وهو ثلاثة أمثال الثلاثة، والثلاثة ثلث الواحد وهي ثلاثة أمثال نفسها. وكلها لوازم يرفضها العقل بالبداهة (٣) وبناء على ذلك فإن التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله تعالى، فلو وجد قول في كتب النصارى يدل على التثليث بحسب الظاهر فيجب تأويله ليطابق العقل

(١) جامع البيان، الطبري (٣٢٠/١)

(٢) آل عمران (٥٩)

(٣) مريم (٣٤-٣٥)

(٤) جامع البيان، الطبري، (٣٢٠/١)

(٥) النساء (٤٧)

(٦) جامع البيان، الطبري، (٥٤/٢)

على جملة هنا أو جملة هناك، فهذا لا يفعله منصف، فالتعبيرات القرآنية عن المسيح بأنه كلمة الله أو روح من الله، لا بد أن تفهم على ضوء الآيات الأخرى التي تنفي ألوهية المسيح وبنوته، وتكفر من يقول بهما، والتي تثبت براءة المسيح ممن يؤلهه أو يؤله أمه، والتي تثبت كذلك اعترافه ببشريته ولكنهم لا يفعلون ذلك لنلا يظهر بطلان استشهادهم على عقيدتهم الزائفة بآيات القرآن من جهة، وبطلان عقيدتهم نفسها من جهة أخرى.

وليكن معلوماً أن القرآن حكم على النصارى بالكفر لعدة أمور، كل منها شافٍ كافٍ في تكفيرهم : أ-اشراكهم بالله، وادعاؤهم أن المسيح هو الله أو ابنه وأن الروح القدس إله، فهم يعبدون في الحقيقة ثلاثة.

ب-تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١) وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم

سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أنه قال له (كن) فكان، قال قتادة : بكلمة منه هي : (كن)^(٣) وهذا تفسير كونه (بِكَلِمَةٍ مِنْهُ)، وقال : "اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" فأخبر أنه ابن مريم وأخبر أنه "وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين " ، وهذه كلها صفة مخلوق والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقال تعالى على لسان مريم : "أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ " ؛ فتبين أن الكلمة هي ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى ، وهل يظن ظان أن مراده سبحانه بقوله (بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) أنه إله خالق، أو أنه صفة لله قائمة به، وأن قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ) المراد به: أنه حياته أو روح منفصلة من ذاته؟ بل قوله تعالى (وَرُوحٌ مِنْهُ) معناه أي روح مخلوقة من جملة الأرواح، ولا إشكال في قوله (مِنْهُ) فإن المراد أن أمر الخلق كله راجع إلى الله ومبتدأ منه، وذلك كقوله سبحانه: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾^(٤)

ثانيا : على النصارى الاستشهاد بآيات القرآن كاملة: إذا كان النصارى يستشهدون بآيات القرآن على اعتقادهم، فإن عليهم أن يستشهدوا بجميع نصوص القرآن الواردة في الموضوع، فلا يقتصرون

(١) النساء(٤٧)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (٢٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" (١).

وأخيراً نخلص أن الثابت من التتبع التاريخي لأطوار العقيدة النصرانية، أن عقيدة التثليث، وكذلك عقيدة بنوة المسيح لله سبحانه ومثلها عقيدة ألوهيته، ودخولها في التثليث المتعددة الأشكال ونحو ذلك من الانحرافات، كلها لم تصاحب النصرانية الأولى، إنما دخلت إليها على فترات متفاوتة من التاريخ، مع الوثنيين الذي دخلوا في النصرانية، وهم لم يبرئوا بعد من التصورات الوثنية، فتشوه وتغيرت معالم التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام.

الخاتمة

أحمد الله على أن أعانني على اتمام هذا البحث والذي توصلت فيه لعدد من النتائج وهي:

١- كانت عقيدة النصارى عقيدة التوحيد في أول الأمر، وحاول الموحدين العمل على استمرارها، ولكن سرعان ما تغيرت وتحولت إلى عقيدة التثليث.

٢- إن ما اخترعه بولس وادخله في المسيحية، قد توج في الأناجيل التي كتبت تحت تأثيره ولمصلحة كنيسته وبذلك انتشرت أفكاره ومعتقداته، وإن عصره

هو عصر تطوير العقيدة المسيحية الغربية

٣- كان من الممكن أن يرى حتى مجمع نيقية بعض أتباع المسيحية لا يزالون يؤمنون بوحداية الله، ويقرون بذلك، لكن في عام ٣٢٥م وُضع أساس

عقيدة التثليث رغم معارضة الموحدين، وصار فيما بعد عقيدة النصارى رسمياً.

٤- هناك محاولات من النصارى للثبات على عقيدة التوحيد، مما يسمى بطائفة الموحدين من المسيحيين في أوروبا، وأمريكا رغم معارضة الكنيسة لهم.

٥- أشار الكتاب المقدس للتوحيد من خلال نصوصه الكثيرة بما لا يدع مجالاً للشك في إثباته.

٦- لا يوجد نص واحد في الكتاب المقدس يُصرح فيه المسيح بألوهيته، أو يطلب من الناس عبادته، مما يدل على أن دعوى ألوهيته لا أساس لها في الكتاب المقدس.

٧- الرد على النصوص التي نسبت ألوهية المسيح بأن لا دليل وبرهان واضح على عبودية المسيح لله، وأنه رسول عظيم من لدن ربه، وهذا ما جاء به الإسلام: إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ﴿

٨- عقيدة التثليث تعارض تعليم الكتاب المقدس صراحة ولكن علماء المسيحية يصرون على أنها هي التوحيد، ويطلقون عليها مصطلحات مضحكة للغاية، مثل: التثليث في التوحيد، أو توحيد التثليث.

فهرس المصادر والمراجع

أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني بولس وعبد الله بن سبأ نموذجاً، هاني علي عايد البلوي، الجامعة الاردنية، ط. ٢٠٠٨
الله - جل وعلا - واحد أم ثلاثة، د. منقذ السقار دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨هـ -

التحقيق: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي،

المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،

ط١٤١٥ هـ.

المسيح إنسان أو إله، د. محمد مجدي مرجان،

مكتبة النافذة، ط٢٠٠٤م.

المسيحية-دراسة وتحليل، ساجد مير، الرياض، دار

السلام للنشر والتوزيع، ط١-٢٠٠٢م.

مع النصارى في الأصول والفروع-كتاب توحيد

الربوبية. غنيم عبد العظيم. كتاب إلكتروني،

ط١

الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر

القفاري، ناصر العقل، الرياض: دار

الصمعي للنشر والتوزيع، ط١٩٩٢م.

مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مثل الجانب

الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور

محمد جميل غازي، والأستاذ إبراهيم خليل

أحمد، واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب،

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض-المملكة

العربية السعودية، ط٢، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م

موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من

الباحثين بإشراف الشيخ علوي ابن عبد القادر

السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت،

ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.

النصرانية من التوحيد إلى التثليث، د. محمد أحمد

٢٠٠٧م.

الله الواحد أم ثالث، د. محمد مجدي مرجان، مكتبة

النافذة، ط٢، ت: ٢٠٠٤م.

بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة

عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي

للدراستات الإنسانية، (د.ت.).

حقائق أساسية في الإيمان المسيحي. القس فايز

فارس. القاهرة: دار الثقافة المسيحية. المطبعة

الجديدة.

دراسات في الأديان اليهودية والنصارى، د. سعود

الخلف. الرياض دار أضواء السلف للنشر

والتوزيع، ط٥، ٢٠٠٦م.

دعاوى النصارى في مجيء المسيح عليه السلام،

سعود بن عبد العزيز الخلف، مطابع جامعة

أم القرى.

ديانة المسيح أم ديانة بولس؟، بحث لخالد عبد

المعطى كروم، منتدى الألوكة-٢، ٢٠١٠م

طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد

عبد الوهاب، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٢،

٢٠١٠م.

عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم،

الترجمة، عادل محمد، مركز الحضارة

العربية، ط٣

قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة النصارى،

القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ط٢.

مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي،

- الحاج، دمشق دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ -
١٩٩٢م.
- هل تؤمن المسيحية بإله واحد، د. جورج بباوي، موقع
الدراسات القبطية والأرثوذكسية: ٢٠٠٨م.
- هل العهد الجديد كلمة الله؟، منقذ بن محمود السقار،
ط١، ١٤١هـ/١٩٩٢م.
- دار الإسلام للنشر والتوزيع ط١، ١٤٢٨ هـ
اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد
النصرانية الوثنية، محمد أحمد محمد عبد
القادر ملكاوي، دار الإسراء للنشر والتوزيع،
ط١، ١٤١هـ/١٩٩٢م.

Monotheism among the Christians its concept and Creed implications (Critical Study)

Badriah Mohamed Abdullah Alfozan
Islamic Studies, King Saud Universty

Abstract. Jesus was mentioned in the Holy Quran as considering God as one, God as his Lord and ordered to worship God only. However, some Christians who believed in Jesus Christ as Prophet and denied him as being Son of God or one of the Three Gods; an evidence of the depravity of the Creed of most Christians and its perversity of Jesus Message, and a reply to the followers of the three large parties (Royalism, Nestorianism and Jacobitism) in Triangulation, and the study of the Christians attitude on Monotheism throughout ages and their switch to Triangulation and notification of the invalidation of their saying of the godhead of Jesus; features the importance of this research [**Monotheism among the Christians its concept and Creed implications (Critical Study)**]. We will tackle here the concept of Monotheism as seen by Christians, and Monotheism after Jesus, Peace be Upon him, was lifted, the stages of Monotheism in the Christian history and texts of the Holy Book and the proof of Monotheism Creed to the Almighty God and the reply to it.

مكة المكرمة في مطلع القرن السابع الهجري (١٣م) من خلال رحلة ابن المجاور (تأريخ المُستَبصر)

نواف عبد العزيز الجحمة

أستاذ مشارك - كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي - دولة الكويت

مستخلص. قدم ابن المجاور في العامين (٦٢٥ - ٦٢٦هـ) (١٢٢٧-١٢٢٨م) ، وصفا دقيقا لمكة المكرمة في عصره، منبهاً بذلك إلى أهمية مكة المكرمة ومكانتها الدينية. وتعتبر المادة التي قدمها على جانب كبير من الأهمية لأنها ملأت فراغا في المعلومات الرحلية والجغرافية عن مكة المكرمة في مطلع القرن السابع الهجري (١٣م) ، خاصة وان ابن المجاور لم يكن محدثاً ومؤرخاً فقط، ولكنه كان إلى جانب ذلك رحالة دقيق الملاحظة.

ونظرا لأهمية الكتاب من الناحية العلمية والتاريخية فقد ارتأينا أن نعود إليه، وخاصة إلى أكثر طبعاته توثيقا تحقيق اوسكر لوفجرين Lofgren، بهدف استنطاق مادته عن مكة المكرمة والوقوف عند بعض ما تختزنه من تفاصيل وإشارات معبرة عن مرحلة هامة من تاريخ مكة المكرمة لقلّة ما كتب عنها ولاضطراب المادة التاريخية المتوفرة حولها

المقدمة

قدّم ابن المجاور^(١) وصفاً دقيقاً لمكة المكرمة في عصره، منبهاً بذلك إلى أهمية مكة المكرمة ومكانتها الدينية، وتعتبر المادة التي قدّمها على جانب كبير من الأهمية ،لأنها ملأت فراغاً في المعلومات الرحلية والجغرافية عن مكة المكرمة في مطلع القرن

السابع الهجري (١٣م)، خاصة وأن ابن المجاور لم يكن فقط رحالة دقيق الملاحظة، ولكنه كان إلى جانب ذلك عالماً بالمعطيات الطبوغرافية والحضارية وهي جميعها تكشف عن معرفته بمكة المكرمة خاصة في محيط الاثنوغرافيا والأدب الشعبي (الفولكلور)^(٢) يقول كراتشكوفسكي: "إن ابن المجاور

كاتب أصيل له طابعه الخاص به وأنه ربما يحتل المكانة الأولى فيما يتعلق بالملاحظات الأثنوغرافية^(٣).

ونظراً لأهمية الكتاب من الناحية العلمية والتاريخية، فقد ارتأينا أن نعود إليه وخاصة إلى أكثر طبعاته توثيقاً ودقة^(٤)، بهدف استتطاق مادته عن مكة المكرمة والوقوف عند بعض ما تختزنه من تفاصيل وإشارات معبرة عن رحلة هادفة من تاريخ مكة المكرمة في تلك الفترة، وسنحاول معالجة المادة التي قدمها عن مكة المكرمة حسب تصنيفها إلى ثلاثة محاور هي (المجال والمجتمع والاقتصاد).

١- المجال:

أول ما بدأ به ابن المجاور ذكر أسماء مكة وصفاتها معتمداً على المرويات والمصادر المعتمدة في تاريخ مكة المكرمة^(٥)، وقد ربط المجال المكي بالمحاور الطرقية الرئيسية والتزم بوصف المدن الحجازية على أساس ثلاثة محاور طرقية.

- المحور الأول: (من مكة إلى المدينة) على طريق بني عصبه وهم السرو^(٦) ثم إلى بطن مر أربعة فراسخ وهو واد طيب، وبني فيه بعض أمراء مكة من الشرق قصراً، وهو الآن خراب وإلى الهدى أربعة فراسخ، وإلى برزة أربعة فراسخ، وأبي شابه أربعة فراسخ، وإلى المدينة المنورة وإلى هجر وهي أرض بني سليم التي فتحها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإلى الخضراء من يثرب ونجد (مرك) ثم بئر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإلى قباء أربعة

فراسخ، وهي مدينة قبل المدينة، وفي مسجدتها قبلتان أحدهما إلى جهة المشرق والثانية إلى جهة الكعبة لما أمر الله سبحانه النبي صلى الله عليه وسلم أن يوجه وجهه نحو الكعبة لما قال: (قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)^(٧) ثم إلى المدينة فرسخ بين نخل باسقات شامخات^(٨).

- ويربط المحور الثاني (من مكة إلى الطائف) بعد مكة إلى منى فرسخ، وإلى المشعر الحرام فرسخ، وإلى جبل عرفات فرسخ، مبتدئ وادي نعمان، وفيه أراك ونخل، وإلى برقة فالمرزة والحجر فرسخان ويكون جوازك على جبل عال يسمى عفر، قال ابن المجاور: ولا شك أنه يسمى غزوان، وبه قال الشاعر:

إِذَا خِفْتُ يَوْمًا مِنْ أَمِيرِ عُقُوبَةٍ فلي باللوى
من رأس غَزَوَانَ مَنْزِلُ^(٩)

ثم يواصل ابن المجاور سيره حتى يصل إلى الطائف، فيقول في وصفها: "الطائف سامية باردة الماء صحيحة الهوى كثيرة الفواكه، زراعتهم الحنطة اللقمية التي تشابه اللؤلؤ، وأهلها من ثقيف وقريش على زي أهل مكة في الأكل والملبس^(١٠)".

فبعد وصف ابن المجاور لأحوال الطائف، أورد الطريق من الطائف إلى مكة بداية بموقع حذب الرنج، وهو كهف جبل، ثم إلى الطود الأعظم وهو الذي يسمى الحجاز على حد قوله^(١١).

لكن تحصين المدينة لم يكن دائماً منيعاً ، لذلك كان الأشراف يلجؤون إلى التحصينات الطبيعية كقمم الجبال وطرقها الوعرة ،فها هو يسجل شروع بناء الأمير قتادة بن إدريس^(١٦) على محيط مكة سوراً من الحجر والطين، وذلك على رؤوس الجبال وبطون الأودية وركب عليه أربعة أبواب:

باب درب المعلى ينفذ إلى عرفات ، وباب درب الثنية ينفذ إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمى باب جدة وباب العمرة، وباب المسفلة ينفذ إلى اليمن، وباب الصغير ينفذ إلى الصفا^(١٧).

ب - **ظاهرة الخراب**: الإقرار بوجود هذه الظاهرة يتطلب منا الاستشهاد بعدد كاف من الوقائع المؤدية لهذا المفهوم وبالأخص من الأحداث التي جرت في فترات متتابة تتعلق بالانكسار الذي دب في جسم الدولة العباسية ببغداد والدولة الأيوبية بمصر والشام، مما أدى بطبيعة الحال إلى تمادي الفتن والصراعات بين الأشراف، وهذا ما رأيناه جلياً في مطلع القرن السابع الهجري (١٣م)^(١٨) .

وقد أثارت هذه الظاهرة ابن المجاور فتحدث عن خراب المدينة التي بناها الأمير هاشم بظاهر مكة وذلك في عهد دولة الأمير عيسى بن فليته^(١٩) واستمرار خرابها إلى دولة الأمير قتادة بن إدريس^(٢٠).

وهناك نوع آخر من التخريب كان ناتجاً عن طغيان ظاهرة البداوة في مدينة جدة، في الوقت الذي فقدت فيه الدولة الأيوبية سيطرتها على الحجاز في تلك

- المحور الثالث فهو طريق (مكة - جدة) وبعد ما ذكر الأماكن والعيون الواقعة عليه، بين أن الشريف الحسين بن ثابت السديدي غرسا في جميع البلاد نخلاً مقدار عشرين ألف نخلة، ولكن تمت مصادرتها من قبل الأمير طنبغا الملك الكامل^(١٢) عندما حكم الحجاز في سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥م^(١٣).

والى جانب هذا التقسيم الذي جاء فيه ابن المجاور وفقاً لمنهج أدب "المسالك والممالك" فإنه كان واعياً في الوقت نفسه بخصائص المجال الحجازي وبوحداته الجغرافية عارفاً بتقسيماته الإدارية ولكن من الطريف ملاحظة أن بعض مخطوطات الكتاب تحمل صورة بدائية لتخطيط مدينتي مكة وجدة^(١٤).

أ - **تسوير مكة وأشكال البناء**: اهتم ابن المجاور ببناء البلد الحرام منذ بداية بنائه إلى اكتماله، مبرزاً مختلف جوانبه في الماضي والحاضر، ولكن ما يهم ابن المجاور البناء المحدث في هذه المدن بحكم الظرفية التاريخية المضطربة التي تعيشها مكة، خاصة ولاية مكة الذين اضطرتهم رغبتهم في الحفاظ على استقلال مكة إلى محاصرتهم من جميع الأطراف، من جانب الأيوبيين تارة ومن جانب الرسولييين تارة أخرى.

يذكر ابن المجاور أن الأمير هاشم بنى مدينة ظاهر مكة ما بين درب الثنية والمسفل تسمى مربعة الأمير - فكان سكن فيها جنده وخدمه وحشمه وبقي البلد عامراً^(١٥) .

الفترة، فقد أورد لنا ابن المجاور ما آل إليه الأعراب من نفوذ وسطوة على مدينة جدة - يقول في نصه "فلما خلت الأرض من الأحباب ملكها الأعراب في دولة الأمير داود بن هاشم ..، ومن عهدهم خربت واندرست وبقيت الآثار خاوية على عروشها. كما قال الشاعر:

لا بَلِّغَ اللَّهُ نَفْسِي فِيكَ مُنِيَّتَهَا وَإِنْ كَانَ
بَعْدَكَ بُعْدُ الدَّارِ غَيْرِنِي
جَعَلْتُ دَمْعِي عَلَى ذِكْرِكَ مُحْتَسِباً وَالدَّمْعُ
عِنَاؤُ مَا يَخْفَى مِنَ الْحَزَنِ
وَأَقْسَمْتُ مُقْلَتِي مَا لَا تَنْظُنُّ بِهِ فَالذِّكْرُ
يَجْرِي وَيُجْرِي الدَّمْعُ فِي سَنَنِي
وَقَائِلٍ لِي قَدْ بَانُوا فَقُلْتُ لَهُ قَدْ فَرَّقَ اللَّهُ
بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ^(٢١)

يبدو أن ظاهرة الخراب وتراجع العمران في الحجاز في مطلع القرن السابع الهجري (١٣م) من الظواهر التي تستحق الوقوف عندها، وذلك بسبب الصراعات السياسية وتمادي الفتن الداخلية، وبالرغم من أن اندثار العمران هي حقيقة تاريخية موجودة في المدن، إلا أن الاندثار سرعان ما يتحول إلى بناء وعمران وبالتالي استرجاع عافيتها.

٢ - الخريطة السياسية:

دخل ابن المجاور إلى مكة في مرحلة حرجة تميزت بالصراعات السياسية، وبالذات حينما أصبحت القوى المحلية تنتعش من جديد بعد تراجع تأثير القوى الخارجية (مصر، اليمن) حيث استعادت أسرة قتادة

بن إدريس (٦١٧هـ - ١٢٢٠م) زمام الحكم في بلاد الحجاز في مطلع القرن السابع الهجري (١٣م)، فقد ذكر ابن الأثير في تاريخه أن ولاية قتادة اتسعت في بعض السنين من حدود اليمن إلى المدينة المنورة، وكثر عدد عسكره حتى خافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً^(٢٢).

وكان قتادة في أول أمره حسن السيرة، واستطاع أن ينشر الأمن ويقيم العدل ويكرم وفادة الحجاج، ولكنه ما لبث بعد ذلك أن أساء سيرته، وجدد المكوس^(٢٣). حتى أنه نهب الحجاج في بعض السنين - قيد ابن المجاور إشارات تفيد التغير الذي طرأ في سياسة قتادة تجاه حكم من يخالفه - فمن هذه الإشارات أخذ المكوس من الحجاج المغاربة في مدينة جدة^(٢٤)، وهلاك الحرث في منطقة تمتد من يثرب إلى الخضراء^(٢٥)، وهدم حصن "الهجوم" خوفاً من أن يعصيه فيه أحد من الأعراب وبقي الحصن خراب على حد قوله^(٢٦).

قد أغفل ابن المجاور ذكر أية معلومات حول ولاية الأمير حسن بن قتادة^(٢٧) لإمارة مكة المكرمة عقب وفاة أبيه، وسيطرة صاحب اليمن الملك المسعود^(٢٨) على الأمور في مكة المكرمة وانتزاعها من حسن بن قتادة في سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م.

إلا أنه أورد لنا خبر صراع الأشراف بعضهم بعضاً، فساعد في إكمال صورة الحالة السياسية في تلك الفترة بقوله: "وفي هذه الأيام قتل الأمير قاسم بن

المجاور بنو قتادة الحسنيون الذين حكموا مكة منذ سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م، وكونوا في مكة طبقة من طبقاتها. وقد توارث الحسنيون إمارة مكة، وصارت لهم عصبية تحميمهم^(٣٣). وفي رحلة ابن المجاور نجد إشارة إلى حاكم مكة من آل الحسن بن علي، الأمير حسن بن قتادة بن إدريس^(٣٤)، حيث كان مقيماً في مكة واعتمد على القواد في تسيير أمور البلاد، إلا أننا لم نعثر على أسماء أحد منهم.

وقد أورد ابن المجاور خبر نفوذ الملك المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي في مكة المكرمة حينئذ بشكل مقتضب^(٣٥)، لكنه سكت عن ولاية نائبه نور الدين علي بن عمر بن رسول مكة المكرمة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، وعلى أثر وفاة الملك المسعود ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م اضطرب أمر الحكم في مكة المكرمة خاصة بعد أن أقام نور الدين علي بن رسول^(٣٦) دولة له في بلاد اليمن^(٣٧).

وفي رحلة ابن المجاور نجد إشارة إلى سكان مكة الأصليين الأشراف من نسل الحسن بن علي ابن أبي طالب، والعبيد الذين يجلبون من أماكن متفرقة مثل الحبشة والنوبة والديلم^(٣٨)، وأوضح أن الأشراف اشتهروا بنكاح الجواري الحبشيات، لذا عرفوا من الناحية الخلقية بالسمرة والبسطة في الجسم يقول: "وهم رجال سمر لأن جلة مناكهم الجواري السود من الحبش والنوبة، طوال الجثث صحيحو اللغة قليلو المال كثيرو العشائر والقبائل ذوو قناعة"^(٣٩).

المهنا بن جماز ابن عمه شيعة، وتولى بعد قتله الأمير هاشم بن قاسم على ملك مكة^(٣٩).

مهما يكن فإن مسلسل الصراعات الدموية بين الأشراف أخذ في الاستمرار حتى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / ١٣م، فالرحالة أبو القاسم التجيبي السبتي (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)^(٣٠) أفاض في كيفية الاغتيالات السياسية والصراعات الداخلية من أجل الوصول إلى الحكم بمكة المكرمة^(٣١)، وهذا إن دل فإنما يدل على أنه لم يكتف بنقل ما سمع من أحداث، بل ذكر ما شاهده وسمعه هو أيضاً، وهنا يتبين لنا أهميته كمصدر معاصر لبعض الأحداث السياسية بمكة المكرمة.

٣- السكان والمجتمع:

إن أهم صورة تطالعنا عند تأمل المشهد الاجتماعي الذي يعرض له ابن المجاور هي تلك الصورة المتعلقة بطبيعة الخريطة الاجتماعية ونظامها الترابي، إذ تنوعت المظاهر الاجتماعية متخذة مظاهر عدة، لذلك سنحاول قدر الإمكان تتبعها.

أ- عناصر المجتمع:

ضمت مكة المكرمة العديد من العناصر المجتمعية، والواقع أننا لا نستطيع حصرها وإنما سنعمل على إبراز أهم العناصر الموجودة في مكة المكرمة والتي استخرجناها من رحلة ابن المجاور.

فمن عناصر المجتمع: آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم من ذرية الحسن بن علي وهم السليمانيون وبنو هاشم وبنو قتادة^(٣٢). كان شرفاء مكة أيام ابن

والغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقضي للحاج منكم الحق وثُلث الباطل^(٤٤).

هذا ويتفق الرحالان ابن رشيد السبتي (٦٢٨هـ/ ١٢٥٨م) والبلوي القنتوري (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) مع ما ذكره ابن المجاور في خبر انتشار الأعراب في المشاعر المقدسة، فقد وصل خطرهم إلى حد أن ابن رشيد ترك المبيت بمنى وقت أدائه لفريضة الحج خوفاً على حياته منهم^(٤٥)، كما أشار البلوي^(٤٦) إلى انعدام الأمن أيضاً من الأعراب عند وصوله إلى ماء هدية^(٤٧).

والملاحظ أن الأعراب آنفوا الخضوع لسلطة ولاية الأشراف في بلاد الحجاز، وذلك لسبب ضعف رقابة الأشراف على المناطق التي يصعب السيطرة عليها، وهذا نجده في المشاعر المقدسة، يذكر أن الناس لم يستطيعوا المبيت في منى، وذلك اضطراراً بسبب خوفهم من بني شعبة المغيرين على الحجاج في طريقهم إلى عرفات، كذلك لم يستطع أهل مكة في بعض الأحيان أن يجلبوا الماء إلى عرفات لكثرة الإغارة عليهم^(٤٨).

أما عن حياة الأعراب الخاصة، فقد شاهد قبائل السرو لا يحكم عليهم سلطان، بل مشايخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون على حد تعبيره^(٤٩).

لعل السيئة التي يبرزها ابن المجاور في رحلته عن قبائل السرو قد تكون وليدة المجتمع والعزلة، فهي هو يحدثنا عن فساد نسائهم. يقول في نصه: "فإذا خرج أحدهم إلى سفر أتت المرأة إلى عند المُخلف أي

ومما يؤكد على صحة هذا الوصف ما أورده الرحالة أبي القاسم التجيبي في نهاية القرن السابع الهجري (١٣م) أن الشريف أبي نمى له ابن يسمى زيد المعروف بابن السواكنية، وأمه بنت ملك البجة، صاحب ميناء سواكن^(٤٠)، فبينما ابنه رميثة هو الآخر كان أسود اللون^(٤١)، وكذلك كانت والدته الشريف أبي سعد الحسن حبشية^(٤٢)، لربما يكون الداعي إلى التزوج بهذا الجنس هو لتدعيم سلطة الشريف المتولي للإمارة^(٤٣).

ومن العناصر التي وجدت أيضاً "الأعراب" وهم فئة احترف بعضهم السرقة والاعتداء على الحجاج وسلب أموالهم، مما تسبب في بروز خطرهم على المجتمع المكي، ونلاحظ أماكن تواجدهم في الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة، وفي رحلة ابن المجاور نجد إشارة تغيد انتشار أعراب بني شعبة في المشاعر المقدسة وهدفها الاعتداء على الحجاج بالسلب والنهب والقتل.

يقول: "ولم يكن في جميع العالم أصل من هؤلاء القوم ولا أسرف ولا أكرم ولا أخسر منهم في أخذ مال الحاج، لأنهم يسمون الحاج جفنة الله، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون: إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منه الصادر والوارد وإذا قلت لأحدهم: قطع الله رزقك من الحرام. يقول: لا بل قطع الله رزقك من الحلال اما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ولا أخذ ولا عطاء، وجميع ما تعملوه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح

الرجبية كعادة دينية متوارثة عند قبائل السرو، بقوله: "والعمرة في هذا الشهر كله متصلة ليلاً ونهاراً، رجالاً ونساءً، لكن المجتمع كله إنما كان في الليلة الأولى، وهي ليلة الموسم عندهم" (٥٣).

أما طريقتهم في مسائل التجارة والبيوع فأمرهم في ذلك عجيبة لأنهم لا يتقاضون من بضائعهم نقوداً بل كانوا يقايضونها بالخرق والعباءات والشمل التي يعدها أهل مكة استعداداً لقدمهم (٥٤).

يبدو هذه التجارات والمبايعات عملت على توطيد العلاقة بين قبائل السرو وأهل مكة، فبلادهم خصيبة متسعة وافرة الغلات الزراعية، فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة، يقال: "ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش" (٥٥).

كما لم يفت ابن المجاور في إلقاء الضوء على أوضاع اليهود وتوزيعات عناصرهم وأعدادهم على نحو لا نجد له نظيراً لدى الرحالة المشاركة، كما لم يفته الحديث عن أوضاعهم المعيشية في القرى الجنوبية مثل "تبالة" (٥٦) وما جاورها من الحصون، وذلك لما تحتويه من أهمية في المواقع التجارية التي تمثل حلقة وصل بين مكة واليمن، فالقوافل الحجاجية والتجارية ينزلون بها للضيافة والتزود من الماء والتمر. ومن المرجح أن اليهود شكلوا عناصر نشطة ومؤثرة عملت على ازدهار التجارة وقتئذ، والملاحظ أن عددهم كان يتزايد خاصة في هذه المواقع، ويكفي ما ذكره ابن المجاور عن توزيعات اليهود

عشيق تلك المرأة، يحاضنها إلى أن يرجع زوجها، فإذا قرب المسافر من منزله نادى بأعلى صوته: أيها المخلف اللجوج، قد حان وقت الخروج، ويدخل المسكن غفلة فإن وجده في المسكن قتله، وإن كان قد خرج فقد عفا الله عما سلف، وسألت رجلاً منهم في مكة فقلت له: أيها الرجل النزيل ماذا يصنع المخلف؟ فرد أسوأ الجواب فقال: يسحق الخبز ويمحق المرأة" (٥٠).

في الواقع أن مفهوم الفساد وانحلال الأخلاق يصعب أحياناً تحديده من خلال حديث مقتضب فحكاية ابن المجاور هذه تطرح أن المجتمع الذي يصفه الراوي هو مجتمع بدائي، وأن هناك عادات لم يستطع العلماء إزاحتها من تلك المجتمعات، حيث أن مفهوم الأخلاق يصبح نسبياً فيسمح للمرأة تذهب للفساد وكأن الفساد ولد معها ولازمها، وأنه متمم لذاتها كأنثى.

من جانب آخر، كان لبعض الأشهر الهجرية عند السرو أهمية خاصة كشهر رجب يعتبر موسماً وعيداً من أكبر أعياد مكة، وتوارثوا ذلك عن أسلافهم وهو أحد الأشهر الحرم، يبين ابن المجاور أهمية الشهر حيث تتم فيه العمرة الرجبية التي كانت تعادل عند السرو وقفة عرفة، يقول: "وغاية حج القوم عمرة أول رجب، وقد ضمن لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تلك العمرة بحجة كاملة" (٥١). (٥٢)

تتطابق رواية ابن المجاور مع ما نقله ابن جبیر في القرن السادس الهجري (١٢م) عند حديثه عن العمرة

ب - العادات والتقاليد: (زواج أهل مكة انموذجاً):

ومما هو جدير بالذكر أنه لم توجد إشارة واضحة تتحدث عن العادات الاجتماعية، سيما إشارة ابن المجاور وهي "زواج أهل مكة"، فقد ذكر من عادات زواج المكيات تخصيص اليوم العاشر من ذي الحجة لخطبة النساء خاصة اللاتي تجهزن لذلك اليوم ويستعدن استعداداً عظيماً، وجرى العادة أيضاً أنه في العاشر من المحرم يدخل كل واحد منهم على عروسه بالنظرة والتظهير على حد قوله^(٦٠). وتساءل ابن المجاور لمَ ذاك، قالوا: لأن كلاً منا يعيش مع الحاج في كل فن من الفنون من حرام وحلال، فإذا رحل الحاج دار الخطب والنكاح والأفراح والأعراس بين الناس^(٦١).

ومن العادات التي كانت تحدث في زواج المكيات أنه إذا تزوج رجل من أهل مكة وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم وأرجلهم تزيئاً. ويحضر كل أصدقائه من الأهل والأقارب وبيده قرطاس منشور مكتوب عليه اسم الآتي مع وزن المبلغ وعدده، يقدمه قدام العروس كل على قدر حاله وسعة ماله^(٦٢). وبعددها يخرج العريس إلى الحرم ويطوف سبعاً ويصلي في مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين ويقبل الحجر الأسود، ويخرج بالشمع إلى بيت العروس فتجلى عليه ويدخل عليها ويبقى عندها سبعة أيام^(٦٣)، ففي اليوم السابع يخرج يضم الطرح (المال) الذي طرح له، ويكون ذلك الطرح ديناً عليه^(٦٤).

العديدية. يقول: "حدثني يهودي صائغ بعدن قال: إن نهر السبت في أرض يقال لها: صيون والأصح أنه في الحجاز ظهر، وهو نهر رمل سيال يجري من ليلة الجمعة إلى غداة يوم السبت - ووراء هذا النهر من اليهود مائة ألف ألف رجل وامرأة وهم زائدون على العد خارجون عن الحد، والقوم عرب يعقدون القاف الألف في لغتهم، وفي جملة القوم أولاد موسى بن عمران عليه السلام"^(٥٧).

كما يشير إلى خطرهم تجاه الحجاج في بعض الأحيان بقوله: "إذا تاه بعض الحجاج بطريق مكة ووصل إلى القوم فبعضهم يقتله، وآخرون يقبلونه ويردونه على أحسن حال"^(٥٨).

تتفق رؤية ابن المجاور مع ما ذكره الرحالة بنيامين التطيلي الأندلسي في القرن السادس الهجري/١٢م في وجود بقايا من اليهود في أرض اليمن، فقد ذكر في مجمل حديثه "واليهود هنا مرهوبو الجانب من جيرانهم، لديهم الأراضي الواسعة.. وهؤلاء يعيشون حياة كلها تقشف وزهد، لا يذوقون لحماً ولا يشربون خمراً لباسهم السواد ومأواهم الأكواخ والكهوف يقضون جل أوقاتهم صياماً باستثناء أيام السبت والأعياد"^(٥٩).

ومن الأمور ذات الدلالة أن ابن المجاور لم يشر البتة إلى أية اضطهادات لحقت باليهود، وذلك لما يتمتع به ولاية المسلمين (الأيوبيين) من دراية في معاملتهم لأهل الذمة.

الحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزيت وما شابه ذلك، ولذلك يقول أهل مكة: حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب، والسرو أمانا نكسب منهم القوت" (٦٧).

يعتبر نص ابن المجاور من أغنى النصوص في نقل صورة الحاصلات الزراعية في مطلع القرن السابع الهجري/ ١٣م، لأنه نقل معلومات من أنواع الأقوات والمعيشة التي تتوفر عليها أسواق مكة، وأماكن ورودها بطريقة تنم عن وعي اقتصادي، فهو يرى توسع في النشاط الميداني الفلاحي في جبال السراة والطائف مواضع قبائل السرو. والعلاقة التجارية مع مكة باعتبارها سوقاً رائجاً في المواسم الدينية (العمرة الرجبية والحج نموذجاً).

هذا ويتفق ابن المجاور مع ما ذكره ابن جبير في القرن السادس الهجري/ ١٢م في مشاهدة قدوم قبائل السرو إلى مكة في المواسم الدينية، ومعهم ضروب من الأطعمة "فتجتمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة. فيرغدون معاش أهل البلد والمجاورين وترخص الأسعار وتعم المرافق" (٦٨).

ب - الصناعة:

أما عن الصناعات التي استرعت اهتمام ابن المجاور عند مروره بالحجاز فهي استنباط المياه الجوفية والطبيعية، هناك مصانع للمياه المعدنية تسمى الصهاريج (البئر الكثيرة الماء، البعيدة القعر)، والتي تقوم بحفظ ما يسيل إليها من مياه الأمطار العذبة النازلة على القرى في المواسم، يحدثنا ابن المجاور

باستطاعة القارئ في أخبار ابن المجاور عن الأعراس المكية أن يكون فكرة واضحة من خلال تلك المفاهيم الضمنية التي تربط المرأة بالرجل في هذا المجتمع ضمن ثوابت من عادات وتقاليد قد تنم أكثر بكثير مما عناه الرحالة. فالتقاليد كالقانون تفرض نفسها وتسن شرائعها.

٤ - الاقتصاد:

تتضمن الرحلة جغرافية اقتصادية، فقد كان لابن المجاور حاسة ميدانية في رصد الأنشطة الاقتصادية المختلفة.

أ - الثروة الزراعية:

ويمكن تلخيصها في الأقوات والمعيشة التي تتوفر عليها أسواق مكة. وقد قال عنها ابن المجاور: "ويطلع بها من جميع الخضر مثل البطيخ والخيار والقثاء والبادنجان والكراث ويأكلونه بالتمر والفجل وما أشبه ذلك وبها الرطب الطيب من البرنى والمكثوم. ويقال: إنه كان في قديم الأيام يجتمع بها من جميع الأزهار والفواكه والثمار والرياحين" (٦٩).

كما يشير إلى أثمان السلع، وفي هذا الصدد يعطينا لائحة قديمة حول بعض هذه السلع وأثمانها في زمن العباسيين في مكة (٦٦).

وفي موضع آخر يتكلم عن الرخاء المتدفق على مكة المكرمة خاصة في موسم "العمرة الرجبية"، فهذا هو في رحلته يصف لنا الأماكن التي تجلب منها كل أنواع هذه الأرزاق يقول: "وغاية حج القوم (السرو) عمرة أول رجب. فإذا دخلوا مكة ملأوها خبزاً من

السوق، وهكذا لم يكن الرحالة رجل فقه وأحكام، ولكنه رجل مطلع على كل شيء.

فقد بدا مهتماً بقضايا الصرف والمقارنة بين العملة في مكة وغيرها، وكذلك المقارنة بين الرطل بمكة والذراع في مصر والأوقية والدرهم اليمني وما تعرف عليه هناك مما سماه "صنجة مكة"^(٧١)، ولم يفته وهو يتحدث عن ضرب الدراهم الكبار بمكة على قوانين اليمن وأن أسعار البضائع في مكة ترتفع بعد أيام الموسم بمدة شهر كامل^(٧٢)، وقد رأيناه أحياناً يربط بين نقص قيمة العملة المكية بقيمة العملة البغدادية، خاصة في عهد السلطان طغتكين الكامل الذي أمر في سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م بضرب دراهم مستديرة سماها الدراهم الكاملة^(٧٣).

مما تجدر الملاحظة به استمرارية الاضطراب النقدي في طيلة حكم الدولة الأيوبية على مكة^(٧٤) لذا لم يكن هناك بد من ضرب نقود جديدة، غير أن هذا لم يحدث إلا في عصر الكامل بن العادل، ومن هنا اعتبرت الرحلة في مطلع القرن السابع الهجري/ ١٣م دليلاً تجارياً للذين تهمهم الدراسات الاقتصادية على ذلك العهد على ما أشرنا إليه.

يقول ابن المجاور: "ونقد البلد ذهب مصري وبها يضرب على عيار المصري يسوى الدينار أربعة وعشرين علوياً، ويحسب كل علوي أربعة دراهم كل درهم ستة فلوس، فلما رجعت الدولة لآل أيوب ضربوا الدراهم الكبار، ويقال: أول من ضرب هذا الدرهم الكبير بها المعز إسماعيل بن طغتكين في

عن أخبار بعض الصهاريج القديمة عند زيارته لمدينة جدة بقوله: "فكان إذا وقع الغيث وامتألت منه الصهاريج التي بظاهر البلد كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور، وكذلك صهريج الأخميمي وصهريج مسجد الأبنوس، وصهريج الجامع، وكان يبقى الماء عندهم من العام إلى العام وهم في أكل وشرب وغسل وهزل وهرج ومرج"^(٦٩).

كذلك يذكر ابن المجاور نشاطاً صناعياً في مكة المكرمة يقوم به الصناع وهو صناعة الدباغة واشتهر صناع مكة بالعمل في الدباغة، إذ عرفوا باتقانهم لهذه الحرفة، لأن كان مركزها الصناعي في إقليم اليمن والحجاز ونواحيها، وهذا ما يفسر لنا كثرة الدباغين في هذه الفترة ويسجل ابن المجاور ملاحظته لاحتراف المكيين للدباغة وذلك بقوله: "ويدبغ في مكة جلود الجمال والبقر والغزلان، وكان مسافرو خراسان يشترون جلود البغال الفحولة من رستاق الموصل وسواد أربيل وتدبغ في مكة"^(٧٠).

ج - التجارة:

١ - المقاييس والمكايل والنقود:

في هذا الصدد لابد أن نلفت النظر إلى نوع من المقارنات الطريفة والدالة على الحس الاقتصادي الذي كان يتوفر عليه، والذي يعبر عن شمولية شخصيته: قضية تتبعه للأسعار وتتبعه للمكايل والمعايير والموازن وقيمة العملات حتى لكأنك مصحوباً بجريدة تطلعك على أسعار ما يجري في

خلفاء صلاح الدين من قبل صاحب اليمن المنصور عمر بن رسول^(٨٠).

ويتضح من تطور مسألة المكوس أنها كانت إجراء استثنائياً بسبب ضعف موارد إمارة مكة، لذا لم يفرق في هذه الفترة بين التاجر والحاج، وبمضي الوقت أدرك السلاطين المبالغ الطائلة التي يجنيها الأشراف من التجار والحجاج.

أشار الرحالة ابن المجاور إلى المكوس بشكل يوضح قسوة القائمين على جبايتها والقيمة التي تؤخذ منها سواءً في الورود أو الصدور، فقد وصف ما لقيه مع الحجاج المغاربة بجدة من نكال وما تحملوه من أذى، إذ انتهكت الحرمات وانتزعت الأموال من أصحابها. يقول في نصه: "حدثني إسماعيل بن عبد السيد بن البيع البغدادي قال: إن الأمير علي بن فليته ابن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم كان يأخذ من المغاربة جزية في جدة إذا قدموا للحج، كان يأخذ من كل رأس سبعة يوسفية وزن كل يوسفي ثلاثة عشر قيراطاً وحبّة بوزن مكة، وكان القواد يوزنون المغاربة أيضاً على كل رأس يوسفي في دية الكلب.

والموجب لذلك أنه جاء في جدة كلب فأخذ رغيف خبز فالتامت المغاربة فقتلوه فقامت القواد ليقتلوا المغاربة. فلما رأت المغاربة عين الهلاك أقروا على أنفسهم أن يزن كل واحد منهم يوسفي في دية الكلب، فقرر ذلك عليهم فكانوا يزنون للأمير سبعة يوسفية

اليمن، وأول من ضرب الدراهم الكبار بمكة الملك المسعود يوسف بن محمد على قوانين اليمن.

"فلما تولى ملك الحجاز طغتكين الكامل نقص المائة الدينار فصار الآن تصح المائة المكية ببغداد أربعة وتسعين ديناراً"^(٧٥).

٢ - المكوس^(٧٦):

هي ضرائب إضافية نشأت عن حاجات وظروف جديدة اضطرت الدولة إلى فرضها، وفكرة فرض المكوس قديمة، وهي ليس بها سند شرعي، إنما توارثوا فرضها من عصور سابقة. وكان "المكس" يؤخذ من الحجاج والتجار بعيذاب، وإن لم تجب منهم في عيذاب جبيت منهم في جدة، ومقداره سبعة دنائير مصرية ونصف على كل إنسان، أما من لم يؤد المكس هذا يمنع من الحج والتجارة، ويعذب بأنواع شتى من العذاب^(٧٧).

ومن المعروف أن صلاح الدين الأيوبي ألغى معظم المكوس الفاطمية التي كانت تجبى في مصر مرة واحدة سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م. ولم يبق من المكوس بعدئذ سوى مكس الحاج، الذي ألغاه كذلك صلاح الدين سنة ٥٧٦هـ / ١١٧٦م^(٧٨).

على أن إسقاط المكس لم يستمر طويلاً، إذ أهمل خلفاء صلاح الدين إرسال ما التزم به صلاح الدين إلى البيت الحرام، فعاد الشريف يجبي المكوس من الحجاج والتجار^(٧٩). غير أنه في سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ألغيت ثانية المكوس التي فرضها

ويوسفى للقواد وصار المبلغ ثمانية يوسفية على كل رأس.

ومن لم يزن كانوا يأخذونه ويدلونهم في صهريج من صهاريج جدة، والأصح في صهريج مسجد الأبنوس، ويقال: إنهم كانوا يصيرونهم إلى جزيرة صندلة، وقيل: إلى جزيرة أبي سعيد ويعلقون أحدهم بحقوقه وقد عرش بها أخشاب لهذا الفن.

فإذا حج الناس وقضوا مناسكهم وأفاض كل راجعاً إلى مقصده فحينئذ يخرجون المغاربة من الصهاريج والجور وقسطوهم على المراكب الراجعة إلى مصر والراجعة إلى عيذاب والقلم.

سئل قائد من القواد: لم تأخذون منهم هذا اليوسفى وهم أشد الناس بخلًا وأنزق الناس في الخلق؟ قال: لقول الشاعر:

وخذ القليل من البخيل وذمه إن القليل من
البخيل كثير

قال الحسن بن محمد بن الحوت: ليس هو كذلك وإنما كان يزن أحدهم سبعة يوسفية ونصف كل يوسفى ستة وعشرين قيراطاً وحبنتين بوزن مكة، وفي دية الكلب نصف يوسفى فصار المبلغ ثمانية يعقوبية، أسس ذلك في دولة الأمير عيسى ابن فليته وبقي يحيى على حاله إلى أواخر دولة الأمير مكتر^(٨١)، فلما كثرت الأقاويل ووصل هذا الخبر إلى مسامع العالم أنفذ صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب إلى الأمير مكتر بأربعة آلاف أردب حنطة، والأصح ستة آلاف أردب إلى جدة وإلى مكة وقال

له: خذ هذا القدر واترك عن المغاربة الجزية مع دية الكلب، فأزال الأمير مكتر ذلك كله في سنة ست وثمانين وخمسائة، وبقي الأمر على حاله في أيام الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبدالكريم وأراد أن يرد الشيء إلى أصله، يعني أخذ الجزية من المغاربة فأدركه الموت وارتفع عنهم^(٨٢).

من الملاحظ أن هذه الشكاوى تتكرر ولم تختف من مسرح المرافئ في مصر والحجاز، علماً بأن كل هذه الشكاوى تتعالى في أواخر الدولة الأيوبية، وفي بدايات الدولة المملوكية في القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣-١٤ م)^(٨٣)، وهنا نتساءل عن الأسباب التي أدت بدورها إلى استمرارية هذه الظاهرة في تلك الفترة الممتدة؟

-كان من الطبيعي أن تكون الاضطرابات التي صحبت سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية مقرونة باختلال النقد واضطرابه، إلا أن النقد ظل مضطرباً طوال السنوات العشر الأولى من تاريخ دولة المماليك^(٨٤). وقد كان لكثرة النقد المتداول ورواج الفلوس النحاسية خاصة أثر في ارتفاع الأسعار وغلاء المبيعات، فأصبح النقد يوزن ولا يعد. وهذه أول مرة يخسر النقد فيها صفة العد ليصبح محلاً للوزن. ولربما أدى هذا إلى ضعف ثقة الناس في قيمة النقود وعمدوا إلى نظام المقايضة، ومن ذلك ما يرويه ابن الجاور قائلًا: "وجميع ما يباع بمكة مقايضة كج بكج.."^(٨٥).

مرحلة كانت الكتابات الرحلية فيها قليلة عن مكة المكرمة، إضافة إلى غناه بالمعلومات التي رسمت صورة مكة المكرمة في مرحلة حرجة تميزت من الناحية السياسية بالاضطرابات الداخلية وضعف الكيانات المحلية وغياب الرقابة المركزية، وباشتداد الصراعات الخارجية حول مكة المكرمة.

وعلى الرغم من طغيان المعطيات الطبوغرافية والملاحظات الأثنوغرافية على نص الرحلة، فهناك بعض الإشارات التي ركز عليها والتي يمكن أن تفيد الباحث كعنايته الخاصة بذكر عادات أهل مكة سيما الزواج والأسماء، وتحصيل المكوس والمقارنة بين أسعار بعض المواد بين مكة واليمن ومصر، وتركيزه على أحوال المعيشة بصورة خاصة، ومقارنته بين صرف العملات المكية والمصرية، ووصفه قبائل السرو الذين يعتمرون في أول رجب، وأديان مدينة نجران ويهود تبالة، كما ضمّن لنا رسماً توضيحياً مجسماً لمدينة مكة وسورها الذي بناه الأمير قتادة سنة ٦٠٨هـ/١٢١٢م.

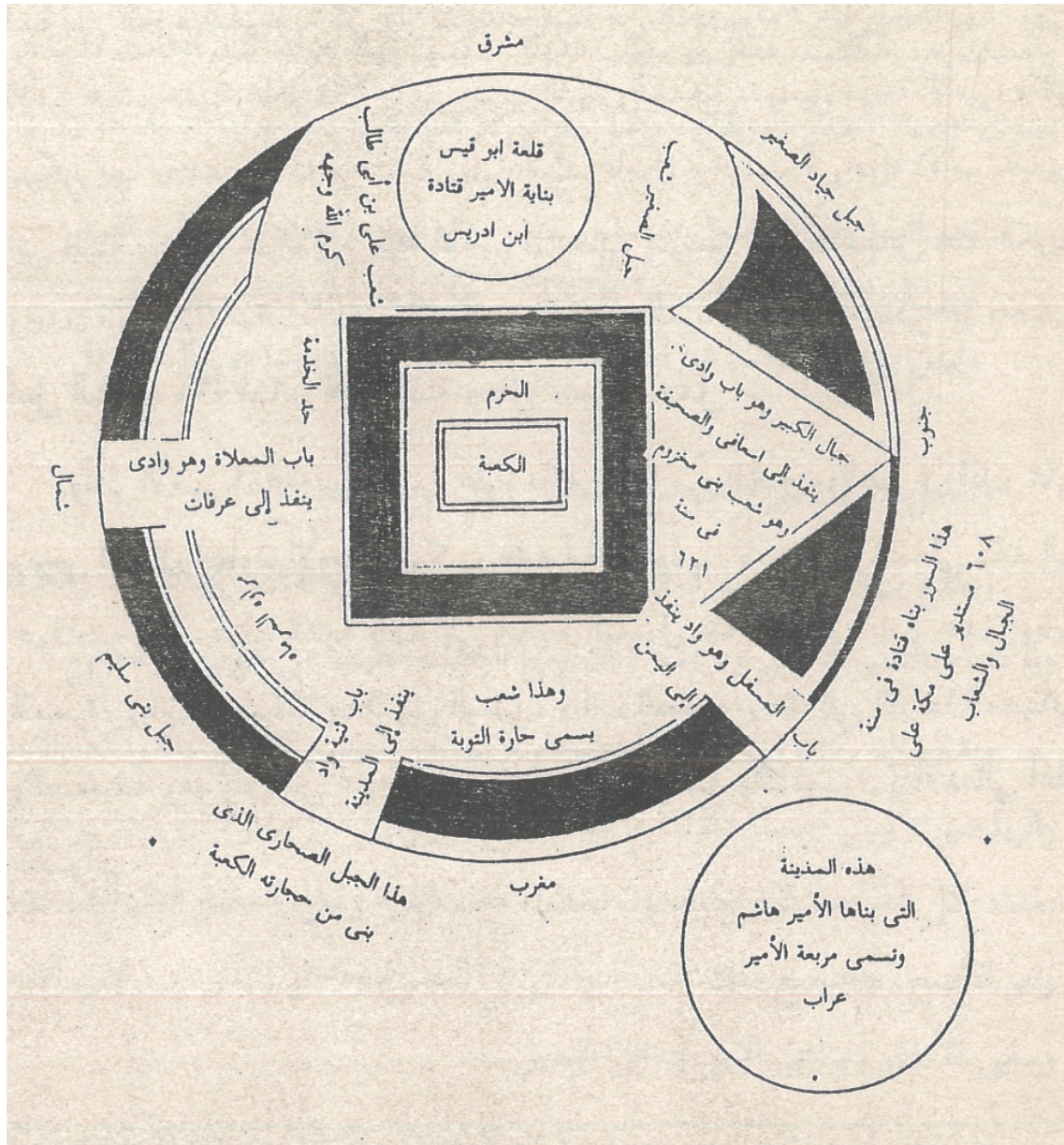
ونعتقد أن الكتاب ككل يحتاج كما هو الشأن بالنسبة لكل كتب الرحلات الواسعة إلى تحقيق علمي تجزيئي، حتى يتمكن الباحثون من تدقيق كثير من معطياته، وتصحيح ما شاب طبعته من أخطاء.

- قد تعرضت العملة في عصر المماليك للتلاعب في العيار والتغيير في الوزن والتبديل في الحجم، الأمر الذي جعلها لا تحوز على ثقة المتعاملين من التجار - وقد أشار القلقشندي إلى أن العبرة في وزن الدنانير بالمثاقيل، قائلاً عن الدنانير التي سكّت في مصر في تلك الفترة: "إن الغالب فيها نقص أوزانها، وكأنهم جعلوا نقصها في نظير كلفة ضربها"^(٨٦). هذا وفي الوقت الذي اعترى الدنانير المملوكية ذلك الخلل، نجد أن المرينيين^(٨٧) احتفظوا بوزن الدينار الذي كان عليه أيام الموحدين وهو ٤,٧٢٩^(٨٨) من الجرام، ولعل السبب في احتفاظ المرينيين بوزن الدينار على ما كان عليه أيام الموحدين حرص بني مرين على ألا تهتز قوة الدينار الشرائية.

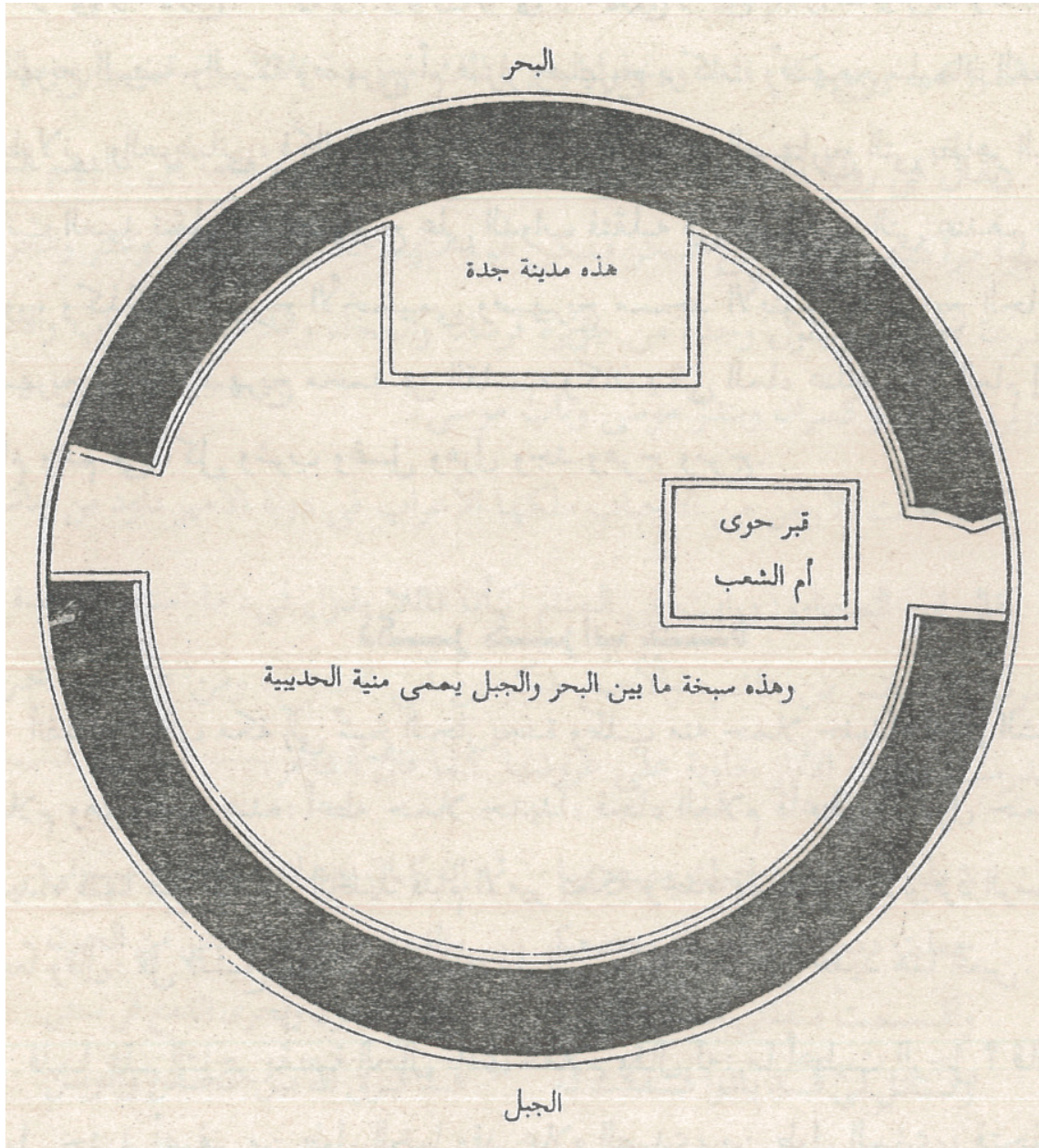
-كانت للأزمات الاقتصادية من غلاء ومجاعات دور في زعزعة الحياة الاقتصادية في كثير من حلقات ذلك العصر. وكيفما كان الأمر فإن هذه المكوس مثلت ورداً مالياً مهماً لبيت المال بجانب المصادر الأخرى، حيث كانت الدولة تقوم بأوجه النفقات المختلفة مثل القصور السلطانية، وأرزاق الجند، والإنفاق على الحملات العسكرية، ونفقات المشروعات العامة.

الخاتمة

ترجع أهمية كتاب ابن المجاور إلى عدة اعتبارات أهمها أنه نص مباشر غير معاد، وأنه نص جاء في



شكل رقم ١: صورة مكة المكرمة، كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تأريخ المستبصر)، تحقيق اوسكر، بيروت، منشورات المدينة، ١٩٨٦، ص ١١.



شكل رقم ٢: صورة مدينة جدة، كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تأريخ المستبصر)، تحقيق اوسكر، بيروت، منشورات المدينة، ١٩٨٦، ص ٤٤.

ببليوغرافيا

- ١- هو نجم الدين ابو الفتح يوسف بان صاحب يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي الكاتب: (٦٠١-٦٩٠هـ) = (١٢٠٥-١٢٩١م)، سمع من الكندي، وعبد الجليل، وتفرد برواية "تاريخ بغداد" عن الكندي. يقول الحافظ الذهبي: "كان ديناً، ومصلياً، إلا أنه يخدم في المكس". انظر: الحافظ الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ج ٥، ١٩٨٦، ص ٣٧٠؛ ابن العماد، شهاب الدين ابن الفلاح الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، مطبعة ابن كثير، ط ١، م ٧، ص ٧٢٨؛ خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٨، ص ٢٥٨؛ ابن تغري البردي، جمال الدين ابن المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة، ج ٧، ص ٣٣؛ أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية (جامعة الدول العربية)، القسم الأول، ٣٤٩-٣٥١.
- ٢- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص ٣٥٠.
- ٣- المصدر نفسه، ص ٣٥١.

- ٤- تاريخ مخطوطات هذا الكتاب معقد للغاية، فإلى جانب المخطوطات التي وجدت طريقها إلى أوروبا بفضل مجهودات شيفير Schefer، أضيفت مخطوطتان أخريتان في عهد دي خويه ولاندبرج، ورغم أن هذا فلم يقدر لأحد هذين العالمين أن يتخذ قراراً بإخراج طبعة كاملة للكتاب، ولعل لوفجرين Lofgren كان أكثر حظاً منهما فقد استطاع أن يضيف إلى تلك المخطوطات مخطوطة استتبول، وينشر قطعاً من كتاب ابن المجاور. والأثر حقاً جدير بطبعه كاملة، فقد نشرها أخيراً (١٩٣٦). كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص ٣٥٠، ٣٥١.
- ٥- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تأريخ المستبصر)، تحقيق اوسكر لوفجرين، بيروت، منشورات المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧/١٩٨٦، ص ٢-٦.
- ٦- قبائل يمنية يسكنون في جبال السراة كقبيلة بجيلة فاشتق اسمهم من اسم بلادهم. يحدثنا ابن جبير عن صفات البداوة فيهم - انظر: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، الشاطبي البلنسي، ولد في بلنسية سنة ٥٣٩هـ. وكانت وفاته بالإسكندرية، حيث أقام هنالك محدثاً، في سنة ٦١٤هـ. ابن جبير، الرحلة، دار الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٥-٩٦؛ ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٢٦.

- ٧- سورة البقرة، آية (١٤٤).
- ٨- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ١٧.
- ٩- المصدر نفسه، ص ١٨.
- ١٠- المصدر نفسه، ص ٢٥.
- ١١- يقول ابن المجاور: "أن الطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجاز بعينه لأنه حجز ما بين نجد وتهامة، ويقال أنه جبل متصل إلى اليمن، وديار العرب هي الحجاز التي تشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها ونجد والحجاز المتصل بالبحرين وليس في سائر الأقاليم أطيب منه ولا أصح من جوه وهو". المصدر نفسه، ص ٣٩.
- ١٢- الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب لقب ب أبي المعالي، (٥٧٦/ 635هـ)، خامس سلاطين الدولة الأيوبية حكم من (١218 م / 1238 م) وولاه أبوه الديار المصرية سنة (615 هـ). خمس عشرة وستمئة، وحسنت سياسته فيها، واتجه إلى توسيع نطاق ملكه فاستولى على حران، والزها، وسروج، والرقعة، وأمد ثم امتلك الديار الشامية. من آثاره المدرسة الكاملية بمصر، وقد توفي الملك الكامل في دمشق سنة (635هـ)، واستمر في الملك عشرين سنة. انظر: المرتضى الزبيدي، تحقيق صلاح الدين المنجد، ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، ط. ٢، بيروت - لبنان، دار الكتاب الجديد، 1995، ص ٣٦.
- ١٣- المصدر نفسه، ص ٤١.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ١١، ٤٤.
- ١٥- المصدر نفسه، ص ٩.
- ١٦- قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم، موصول إلى الإمام علي بن أبي طالب، يكنى أبي عزيز المكي صاحب مكة وينبع وغيرها، ولي مكة عشرين سنة، وكان أبوعزيز في بداية أمره حسن السيرة، ولكن تغير حاله وساءت معاملته للحجاج وأكثر المكوس، أدركه أجله سنة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م). انظر: الفاسي، تقي الدين محمد الحسيني، العقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ٢، ١٩٨٥، ج ١، ص ٣٩، ٦١؛ ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي الجزري، الكامل في التاريخ، ط ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣، ج ١٢، ص ٤٠١.
- ١٧- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٩-١٠.
- ١٨- انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ج ٤، ص ١٠٥-١٠٦؛ الفاسي، العقد الثمين، ج ٤، ص ٢١٣؛ عزالدين ابن فهد الهاشمي القرشي، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ت حقيق فهيم شلتوت، ط ١، دار المدني، ج ١، ص ٥٧٥؛ العصامي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، ب.ت، ج ٤، ص ٢١٤، ٢١٩؛ التجيبي، القاسم بن يوسف، مستفاد الرحلة والاغتراب، عبد الحفيظ

الملك المسعود سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م، وكان سيئ العشرة والسيرة، وهو الذي قتل أمير الحاج العراقي سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م . انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص ١٦٠، ١٧٤.

٢٨- يوسف بن محمد بن أبي بكر محمد بن أيوب الملك المسعود بن الملك الكامل ابن الملك العادل صاحب اليمن ومكة دخلها وانتزعها من حسن بن قتادة ٦٢٠هـ / ١٢٢٨م - توفي ١٣ جمادى الأولى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م. انظر: عزالدين بن فهد، غاية المرام، ج١، ص ٥٨٤، ٥٩٥.

٢٩- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ١٦.

٣٠- القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي، رحالة أندلسي الأصل نشأ في المغرب وقد أشار إلى سنة مولده في ٦٧٠هـ / ١٢٧١م خرج قاصداً الحج ولقاء العلماء وكان خروجه ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م وتقع رحلته التي سماها (مستفاد الرحلة والاغتراب) في ثلاث مجلدات، توفي سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م. انظر: التجيبي، استفاد الرحلة، المقدمة ص ح-خ-د-ذ.

٣١- التجيبي، استفاد الرحلة، ص ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٣٤، ٣٣٦.

٣٢- القلقشندي، احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق نبيل الخطيب، ط١، دار الفكر، ١٩٨٧، ج٤، ص ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧.

٣٣- الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص ٤٧٠؛ علي السليمان، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٣ ص ٢٠٧.

منصور، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، ص ٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧، ص ٤٨٢.

١٩- عيسى بن فليته بن القاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر الحسني. أمير الحرمين. تولى امرة مكة بعد منازعته مع ابن اخيه قاسم بن هاشم بن فليته سنة ٥٥٦هـ واستمر الى ان توفي سنة ٥٧٠هـ، وقد كانت بداية امرته المدينة سنة ٥٦٤هـ. انظر: الشريف ابراهيم بن منصور الهاشمي الامير، تحقيق منية الطالب في معرفة الاشراف الهواشم الامراء، توزيع مؤسسة الريان، بيروت، ط. ١٩٩٨، ص ٥٣.

٢٠- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٩.

٢١- المصدر نفسه، ص ٤٦.

٢٢- ابن الأثير، الكامل، ج ١٢، ص ٤٠١؛ الفاسي، العقد الثمين، ج ٧، ص ٣٩، ٦١.

٢٣- ابن تغري البردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، ج ٦، ص ٢٤٩-٢٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٢، ص ٤٠١.

٢٤- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٤٨-٤٩.

٢٥- المصدر نفسه، ص ١٦.

٢٦- المصدر نفسه، ص ٢١.

٢٧- حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم الحسني يكنى بأبي عالي - أمير مكة المكرمة بعد أبيه نحو ثلاث سنين قتل أباه وأخاه وعمه، ولكن لم يستمر في حكم مكة، إذ أخرجه منها

- ٣٤- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ١٠.
- ٣٥- المصدر نفسه، ص ١٠.
- ٣٦- الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول 626 هـ ملك الدولة الرسولية في اليمن حكم في الفترة (1229 / 1249 م)، ضُربت السكة باسمه وخطب له في جميع أقطار اليمن سنة ٦٣٠ هـ وكانت إقامته في تعز وجهاز حملة إلى الحجاز، فاستولى على مكة وتوابعها، وتم له ملك ما بينها وبين حضرموت. وانتظم له ولبنيه ملك الحجاز واليمن ٢٣٢ عاماً. وللمنصور آثار جلييلة بمكة واليمن، منها مدارس ومساجد وكانت نهايته أن اغتاله نفر من مماليكه بقتله.
- انظر: ابن تغري البردى، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، مكتبة الخانجي، ب.ت، ج ١، ص ٥٠١-٥٠٢.
- ٣٧- الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣، ج ١، ص ٤٢؛ ابن أبيك الدواداري، الدر المطلوب في اخبار بني ايوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢، ج ٧، ص ٣٠٧؛ الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٤٩٤-٤٩٥؛ باقاسي، عائشة بنت عبد الله، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، منشورات نادي مكة الثقافي-دار مكة للطباعة والنشر، ص ٥٢-٥٣.
- ٣٨- ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٩٩.
- ٣٩- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٥.
- ٤٠- (سواكن) ميناء سوداني على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليه سفن الذين يقدمون من جدة وأهله بجاة سود نصارى. انظر: الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، ب.ت، ج ٣، ص ٢٧٦؛ أبي القاسم التجيبي، مستفاد الرحلة، ص ٢٤٥.
- ٤١- أبي القاسم التجيبي، مستفاد الرحلة، ص ٣٠٦-٣٠٧.
- ٤٢- عزالدين ابن فهد، غاية المرام، ج ٢، ص ٧٦، ١٣٧.
- ٤٣- عواطف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين)، الرياض، ١٩٩٦، ص ٢٠٩.
- ٤٤- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٥٢-٥٣.
- ٤٥- ابن رشيد، ابو عبد الله محمد الفهري، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيية الى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب، ط ١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٨، ج ٥، ص ٨٧.
- ٤٦- البلوي، خالد بن عيسى، تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، طبع تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية، مطبعة فضالة-المغرب، ج ١، ص ٢٧٩.

- ٤٧- هدية: محطة للجمال في وادي طبق البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٩، ص١٦٩.
- ٤٨- ابن جبير، الرحلة، ص٨٩، ١٢٩.
- ٤٩- ابن المجاور، الرحلة، ص٢٦.
- ٥٠- المصدر نفسه، ص٢٦.
- ٥١- لم نجد ما يؤيد صحة ذلك، والثابت في ذلك "عمرة رمضان" والله أعلم.
- ٥٢- ابن المجاور، الرحلة، ص٢٦-٢٧.
- ٥٣- ابن جبير، الرحلة، ص٩٨.
- ٥٤- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٢٧.
- ٥٥- ابن جبير، الرحلة، ص٩٦.
- ٥٦- تناله: سميت بهذا الاسم نسبة إلى تنالة بنت مكنف (كتاب معجم البلدان) وهي تقع على وادي تنالة أحد فروع وادي بيشه ويقع هذا الوادي عدة قرى ومدن في جبال السروات الحموي، معجم البلدان.
- ٥٧- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٣٢-٣٣.
- ٥٨- المصدر نفسه، ص٣٣.
- ٥٩- الاندلسي، الرحالة بنيامين بن يونة التطيلي النباري، رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الاسلامي، ترجمها وعلق على حواشيها عزرا حداد، ط١، دار ابن زيدون، بيروت، ١٩٩٦، ص١٤٨.
- ٦٠- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٧.
- ٦١- المصدر نفسه، ص٧.
- ٦٢- المصدر نفسه، ص٧.
- ٦٣- المصدر نفسه، ص٧.
- ٦٤- المصدر نفسه، ص٧.
- ٦٥- المصدر نفسه، ص٩.
- ٦٦- المصدر نفسه، ص٩.
- ٦٧- المصدر نفسه، ص٢٧.
- ٦٨- رحلة ابن جبير، ص٩٦.
- ٦٩- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٤٣-٤٤.
- ٧٠- المصدر نفسه، ص١٣.
- ٧١- المصدر نفسه، ص١٢.
- ٧٢- المصدر نفسه، ص١٢.
- ٧٣- حسنين، محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٤، ص٩٩-١٠٠.
- ٧٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٧٥؛ عبدالرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤، ص٧٣.
- ٧٥- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٢-١٣.
- ٧٦- عرف المقرئ المكي بأنه دراهم تؤخذ من بائع السلع في الأسواق، وأن أصل المكس في اللغة الجبابة، أما كلمة "مقس" فيذكر المقرئ بأنها اسم قرية على ساحل النيل واقعة شمال القاهرة، كانت تعرف من قبل باسم أم دنين ولكن سميت بهذا الاسم، لأن الماكس كان يعقد بها ليستخرج المكس، فكلمة مكس تحريف لكلمة مقس. أنظر: المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ج٢، ص١٢٠.
- ٧٧- المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ج١، ق١، ص٤؛ رحلة ابن

٨٣- انظر: العبدري، ابي عبد الله محمد الحبحي، الرحلة المغربية، حققه محمد الفاسي، جامعه محمد الخامس، الرباط، ص ٨٥-٨٦؛ ابن رشيد، ملء العيبة، ج ٣، ص ٢٠؛ مقدمة للمحقق ابن الخوجة، التجيبي، مستفاد الرحلة، ص ١٧١؛ البلوي، تاج المفرق، ج ١، ص ١٩٧.

٨٤- حسن إبراهيم، الحضارة العربية، ص ٣٠٤.

٨٥- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ١٣.

٨٦- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤١.

٨٧- المرينيين، بنو مرين أو بنو عبد الحق هي سلالة حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي، وتوسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب في عهد السلطان أبي سعيد الأول، ويوسف بن يعقوب وخاصة أيام أبي الحسن المريني، الذي ضمّ دولته المغرب الأوسط والأدنى فوحد المغرب الكبير تحت رايته. انظر: محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٠، ١٩٩٦، ص ١٤-١٩.

٨٨- انظر: ابن خلدون، العبر، ج ١، ص ٢١٤؛ عبدالعزيز بن عبدالله، مظاهر الحضارة المغربية، الدار البيضاء، ط ١، ص ١٩٥٧، القسم الأول، ص ٧٥-٧٦.

Massignon, I., Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle, Alger, 1906, pp 102 – 103.

جبير، ص ٤٧؛ إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، القاهرة، ١٩٢٥، ج ١، ص ٦٩؛ علي بن الحسن، العلاقات الحجازية المصرية في زمن سلاطين المماليك، ص ١٦٠.

٧٨- أبوشامة، شهاب الدين ابو محمد المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين، بيروت، ب.ت، ج ١، ص ٢٠٥؛ حسنين ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، ص ٥٠؛ عائشة باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٧١.

٧٩- عطيه القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٣٧؛ علي بن الحسين، العلاقات الحجازية، ص ١٦١.

٨٠- المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ٣٣٢-٣٣٣، بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٧٨؛ عائشة باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٧٢.

٨١- مكثّر بن عيسى بن فليته بن محمد جعفر الحسني كانت ولايته لمكة المكرمة عدة سنين يتداولها هو وأخوه داوود مدة ثلاثين سنة وبمكثّر انقرضت ولاية الهواشم لمكة المكرمة على اختلاف سنة انقضائها، وولايته بدأت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م، وهو الذي بنى الحصن على جبل ابي قبيس وهدمه امير الحاج العراقي طاشتكين، توفي سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م. انظر: الفاسي، العقد الثمين، ج ٧، ص ٢٧٤-٢٧٩.

٨٢- ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٤٨-٤٩.

**Mecca Almukaramah at the beginning of the seventh century AH (13 AD) through
Ibn Almugawer's journey (Clairvoyant's History)**

Nawaf Abdul Aziz Al-Jahmah

*Associate Professor, Faculty of Basic Education
General Authority for Applied Education, Kuwait*

Abstract. In the two years (625-626 AH) (1227-1228 AD), *Ibn Almugawer* gave a precise description of *Mecca Almukaramah* in his era, pointing to the importance of *Mecca Almukaramah* and its religious rank. The material presented by him is of great importance because it filled a gap in the traveling and geographical information of *Mecca Almukaramah* at the beginning of the seventh century AH (13 AD), especially since *Ibn Almugawer* was not just a chatty and a historian, but also a traveler with accurate observation.

In view of the importance of the book from the scientific and historical point of view, we have decided to re-consult it, especially to its most documented editions (Oscar Lofgren Verification), to explore its material about *Makkah Almukaramah* and to vet some of its details and references that reflect an important phase in the history of *Mecca Almukaramah*, for the paucity of the writing about and the disturbance of the available historical material around it.

مشروع بعثة الحكومة الفرنسية إلى مكة في عهد الشريف حسين بن علي عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م (دراسة تاريخية وثائقية)

سعيد بن مشيب بن سعيد القحطاني
جامعة الملك خالد

مستخلص. يهدف هذا البحث إلى دراسة مشروع بعثة الحكومة الفرنسية إلى مكة في عهد الشريف حسين بن علي عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م (دراسة تاريخية وثائقية)، ولعل أهمية هذا البحث تكمن في محاولة إبراز الدور الذي قامت به الحكومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى في محاولة منها للسيطرة على ولاية الحجاز من خلال رئيس بعثتها ابن غبريط الذي أنيطت إليه مهام البعثة إلى الشريف حسين لبناء خيوط التواصل معه، كما ستوضح الدراسة لاحقاً، لأنه قد لعب دوراً محورياً في شراء نزل "خان" في مكة من أجل جذب انتباه المسلمين الذين يقعون تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية؛ وتكتسب هذه الدراسة أهمية عندما نضعها في سياقها التاريخي، ونعلم أن الهدف الأساسي من البعثة هو البحث عن تملك عقار في مكة؛ إلا أنه ثمة هدفاً آخر، وهو منافسة الحكومة البريطانية على ولاية الحجاز لما لها من أهمية لدى المسلمين. ويزداد البحث أهمية عندما يعتمد على الوثائق، موظفاً السياق التاريخي للتدقيق والتحليل، في إطار ما هو متاح من نصوص ووثائق تم الاعتماد عليها لإخراج دراسة معمقة. **الكلمات المفتاحية:** بعثة الحكومة الفرنسية - الشريف حسين بن علي.

المقدمة

يركّز البحث على مشروع بعثة الحكومة الفرنسية إلى مكة في عهد الشريف حسين بن علي عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م (دراسة تاريخية وثائقية)؛ وتركيزنا ناشئ من طبيعة الموضوع، إذ تطلعت الحكومة الفرنسية إلى شبه الجزيرة العربية لموقعها الاستراتيجي الذي يربط

بين الشرق والغرب، ويضم الأماكن المقدسة^(١). ولذلك تدرّعت الحكومة الفرنسية بإنشاء القنصلية الفرنسية في جدة منذ عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م؛ وكان ظاهرها الاهتمام بالشؤون الدينية، والتجارية (وخاصة

^(١) أبو عليه، عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية (الرياض: دار المريخ، ١٩٩١م) ص ١٤١.

التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى معتمدين في ذلك على الوثائق^(٤).

سوف نعرض في هذه الدراسة لأهم ما استعرضته البعثة التي جاءت حرصاً من الحكومة الفرنسية لتحقيق أهدافها السياسية؛ فكانت سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م سنة محورية في علاقة الحكومة الفرنسية مع ولاية الحجاز من حيث إرسال وفد عالي المستوى يؤمن التبعية الاستعمارية، خاصة بعد إعلان الشريف حسين الحرب على الدولة العثمانية. لذلك اختارت الحكومة الفرنسية ابن غبريط ومعه نخبة من حجاج المغاربة، وأنيطت بهم مهمة تمثيلها لدى الشريف حسين، غير أن أهم ما يميز رئيس البعثة ابن غبريط هو طرحه وإبداء رأيه الشخصي وتحليله للأحداث بالقدر الذي يبرز إحاطته الكافية بما يدور حوله من الأحداث. وعلى إثر ذلك تميز ابن غبريط في مهمته ونجح في تنفيذ مشروع الحكومة الفرنسية في شراء نزل "خان" في مكة.

ويزداد البحث أهمية عندما يعتمد على الوثائق، التي رصدت أهم ما قامت به بعثة الحكومة الفرنسية مع الشريف حسين - موظفا السياق التاريخي للنقد والتحليل في إطار ما هو متاح من نصوص ووثائق تم الاعتماد - عليها - لإخراج دراسة رصينة معمقة.

وقد جرى معالجة الموضوع من خلال نقاط مختلفة تغطي أبرز المحاور التالية: ١- مناقشة مشروع قانون شراء نزل "خان" في مكة داخل البرلمان الفرنسي. ٢- عرض المشروع داخل مجلس الشيوخ

أنه يقع تحت سيطرتها بلدان شمال وغرب أفريقيا المسلمة الذين يأتون للحج كل عام) فلا بد للحكومة الفرنسية من تمثيل قنصلي في مدينة جدة لتأمين راحتهم ورعايتهم، دون أن يصابوا بأي عدوى مرضية في الظاهر، أما باطنها فهو العناية بالنواحي السياسية^(٢). ولئن كان الهدف الحقيقي من مشروع البعثة هو البحث عن شراء نزل "خان" في مكة من أجل احتواء الشريف حسين لما له من أهمية بالغة في قلوب المسلمين في أنحاء المعمورة لإشرافه على الأماكن المقدسة، إلا أن ثمة هدفاً آخر يظهر للعيان ألا وهو منافسة الحكومة البريطانية على ولاية الحجاز، التي ازداد نفوذها فيها وأصبح الشرق الأوسط بالنسبة إليها منطقة استراتيجية^(٣).

تبلورت مطامع كل دولة أثناء الحرب العالمية الأولى، فأصبحت تقدم لرعاياها المسلمين الواقعيين تحت سيطرتها أفضل الخدمات؛ لأن موسم الحج يقدم لهما دوراً دعائياً في البلدان التي ترزح تحت استعمارها، إما بتعاطف إسلامي بعدم مناهضة ومقاومة الاستعمار، وخاصة أن كلتا الدولتين قد دخلتا في الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية. ولذلك قررت الحكومة الفرنسية عدم إثارة أي نزاع مع الحكومة البريطانية لما له من تأثير سلبي على مصالحها في ولاية الحجاز. ولذلك سلط البحث الضوء على جوانب تاريخية مهمة في ولاية الحجاز، من أجل إكمال حلقات نقص الأحداث

(٢) الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة (د، ١٩٨٢م) ص ٣٩٣؛ المدينة: العدد (١٨٩٤٧)، ١٨/ ٥ / ١٤٣٦هـ الموافق ٣/٩/ ٢٠١٥م.

(٣) Busch, Briton Cooper, Britain India and the Arabs 1914-1921 (London: University of California Press, 1971), p. VI.

(٤) سوقيير، المنذر، "العلاقات السعودية الفرنسية من خلال العشرينات والثلاثينات الميلادية" مجلة الدارة، ع (٣)، ج (١)، سنة (٢٧) (١٤٢٢هـ)، ص ١٩٤.

المقترح في الأساس مبنى على مقترح تقرير وزير الخارجية الفرنسي أريستيد برياند " Aristide Briand" ^(٩) الذي اعتمد على بول بلويزن Paul Bluysen" ^(١٠) عضو لجنة الشؤون الخارجية التي وافقت على ذلك المشروع ^(١١) الذي اقترحته الإدارة الاستعمارية الفرنسية والمتمثل في شراء نزل "خان" ^(١٢) دائم للحجاج القادمين إلى مكة من المستعمرات الفرنسية ^(١٣). ومن المعلوم أن الحكومة الفرنسية لا تستطيع العمل بذلك المقترح حتى تأخذ موافقة البرلمان الفرنسي ومجلس الشيوخ ^(١٤)؛ وقد نظرت الحكومة الفرنسية إلى هذه القضية بعين الاعتبار؛ لأنها أرادت الحفاظ على وجودها في مستعمراتها الإسلامية المنتشرة في شمال القارة الأفريقية والتي كانت تقصد سنويا ولاية الحجاز ^(١٥)

^(٩) أريستيد برياند "Aristide Briand" ولد عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٢م في مدينة نانت الفرنسية، دخل عالم السياسة، وربط نفسه مع الحركات الأكثر تقدما، وتولى مقاليد السياسة الفرنسية ست مرات، تولى مقاليد وزارة الثقافة، والداخلية، والعدل، وأصبح رئيس وزير الخارجية ورئيس مجلس الوزراء ثم فيما بعد، رئيس وزراء فرنسا عام ١٩٢٩م، حصل على جائزة نوبل عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، يعتبر من أشهر رجالات السياسة الفرنسيين، توفي في باريس عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م، ينظر:

Bellon, Christophe: Aristide Briand, (Paris: Edition CNRS, 2016), P. 382.

^(١٠) بول بلويزن "Paul Bluysen" ولد عام ١٨٦١م، صحفي وسياسي فرنسي، كان عضوا في مجلس النواب، وعضوا في " لجنة الشؤون الخارجية" ألف أكثر من كتاب عن بلاد الهند، وتوفي عام ١٩٢٨م، ينظر: [Http://data.bnf.fr/12951347/paul_bluysen](http://data.bnf.fr/12951347/paul_bluysen).

^(١١) "Journal Officiel...", 28 December 1915, p, 2287.

^(١٢) كانت الحكومة الفرنسية حريصة منذ البداية على أن يتوفر في الخان المراد شراؤه كل الشروط الصحية وهذا بالفعل ما تم، ينظر:

"Rapport Médical sur le local Propose". Mecque, le 11 Octobre, 1916. Ministère des Affaires Étrangères, 1915-1919, "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2, p. 11.

^(١٣) الحناشي، عبد الطيف، "جمعية أحباس الحرمين الشريفين" مجلة الدارة، ع (٣)، سنة (٣٥) (١٤٣٠هـ)، ص ١٤٩.

^(١٤) "Journal Officiel...", 28 December 1915, p, 2287.

^(١٥) تشير المعلومات إلى أن بعضا من الحجاج القادمين من بلاد المغرب قد استقروا في مكة المكرمة، وكانوا يكونون العداء لفرنسا وقد بلغ عددهم عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م حوالي ٥٠٠٠ شخص، ينظر: هوارى، قبايلي، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر ١٨٩٤-١٩٦٢م،

الفرنسي. ٣- موقف الحكام الفرنسيين من المشروع. ٤- تنفيذ المشروع الفرنسي. ٥- اختيار مرشح ووفد لتنفيذ المشروع. ٦- موقف الحكومة البريطانية من المشروع. ٧- مهام البعثة ونقلهم إلى ميناء جدة. ٨- مراسم استقبال البعثة الفرنسية من قبل الشريف حسين. ٩- المفاوضات حول تنفيذ المشروع. ١٠- مغادرة البعثة، ونتائجها. ١١- الخاتمة.

١- مناقشة مشروع قانون شراء نزل "خان" في مكة داخل البرلمان الفرنسي:

في سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م تراجع عدد حجاج الحكومة الفرنسية بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى وفي السنة التي تلتها منعت الحكومة الفرنسية حجّاجها من (شمال وغرب إفريقيا) من الذهاب إلى مكة بسبب تفشي الأمراض، وانعدام الأمن، وقلة المواصلات ^(٥). لكن الحكومة الفرنسية قررت في جلسة البرلمان المعقود بتاريخ: ٣-١١-١٣٣٣هـ / ١٢-٩-١٩١٥م (من خلال رئيس مجلس النواب بول ديسشانيل "Paul Deschanel") ^(٦) تقديم مقترح مشروع شراء نزل "خان" ^(٧) في مكة المكرمة ^(٨). وهذا

^(٥) Journal Officiel de la Republique Française, Debats Parlementaires". Chambre des Deputes, 28 December 1915, p, 2287.

^(٦) بول ديسشانيل "Paul Deschanel" ولد عام ١٨٥٥م حاصل على إجازة في الآداب والحقوق. في عام ١٨٨٥م أصبح عضوا في مجلس النواب، واستلم رئاسة المجلس عدة مرات، خاصة من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٢٠م، انتخب رئيسا للحكومة الفرنسية في عام ١٩٢٠م، لكنه استقال من منصبه بسبب المرض، وتوفي عام ١٩٢٢م، ينظر:

[Http://www.elysee.fr/Presidence/Paul-Deschanel](http://www.elysee.fr/Presidence/Paul-Deschanel).

^(٧) تجدر الإشارة إلى أن نزل "خان" كان معروفا في ولاية الحجاز تحت اسم الرباط.

^(٨) كانت هناك تقارير سرية تطالب الحكومة الفرنسية بتأسيس فرع للكنسالية الفرنسية في مكة المكرمة حتى تتولى رعاية مصالح المسلمين القادمين من المستعمرات الفرنسية، إلا أنه كانت توجد معارضة حالت دون ذلك، ينظر: العقي، أحمد حسين، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي (الرياض: دار الملك عبد العزيز، ٢٠٠٩م) ص ١٦١.

وعلى إثر ذلك وفي جدول أعمال يوم الثلاثاء ٥-١١-١٣٣٣هـ / ١٤-٩-١٩١٥م تمت دعوة البرلمان^(٢٣) المتخصص لمناقشة مشاريع القانونيين: ^(٢٤) الأول يتعلق بتخصص اعتماد مالي قدره خمسمائة ألف فرنك لتمويل مشروع شراء نزل "خان" في مكة، صار مخصصاً للحجاج القادمين من مناطق السيطرة والحماية الفرنسية في أفريقيا^(٢٥).
والثاني يتعلق بتسمية مستشارين شرعيين مسلمين لدى "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" C.I.A.M.^(٢٦) من أجل العمل على ترسيخ السياسة الفرنسية في مستعمراتها في شمال وغرب أفريقيا على أن يكون مقرها مدينة باريس^(٢٧). وإذ لم يكن هناك اعتراض من قبل البرلمان فإن المشروعين يطبعان ويُحال الأول إلى اللجنة المالية لاعتماده، ويُحال الثاني إلى لجنة الشؤون الخارجية والمحميات

لأداء فريضة الحج^(٢٨)؛ ولكن الحكومة ذاتها خشيت على حجاجها من الوقوع في فخ التأثير الديني، وفي فخ السياسة المعادية، مما يؤدي إلى فقدان الحكومة الفرنسية مكانتها وهيمنتها على شمال وغرب أفريقيا^(٢٩). ولذلك وجدت نفسها مضطرة إلى أن تمنع المسلمين من أداء فريضة الحج^(٣٠) وهذا غير ممكن، حتى لا يقعوا تحت تأثير القوى المناوئة للحكومة الفرنسية مثل بريطانيا^(٣١) التي امتلكت مميزات في مكة^(٣٢) بالإضافة إلى ذلك فقد سعت الحكومة الفرنسية إلى تحسين صورتها في نظر العالم الإسلامي، كما هدفت إلى أن تعمل على مراقبة رعاياها من المسلمين وضبط تحركاتهم وما يفكرون فيه^(٣٣)، على اعتبار أنها تدافع عن حقوق المسلمين وحرّياتهم الدينية^(٣٤).

Guerresmondiales et Conflitscontemporains 2006/1 (n° 221), pp. 17-31.

^(٢٣) تجدر الإشارة إلى أن البرلمان الفرنسي ينقسم إلى قسمين: الأول مجلس النواب المعروف أيضاً بالجمعية العامة، وهذا القسم له رئيس خاص به. والقسم الثاني هو مجلس الشيوخ وله رئيس خاص به. وبذلك لا يوجد رئيس واحد للقسمين معاً. يتم انتخاب أعضاء مجلس النواب مباشرة من قبل الشعب الفرنسي. أما أعضاء مجلس الشيوخ فينتخبون من قبل أعضاء مجلس النواب ومن قبل ممثلين عن المدن والبلدات الفرنسية، ينظر:

<http://www.Assemblee-Nationale.fr/Decouvrir-l-assemblee/role-et-pouvoirs-de-l-assemblee-nationale>.

^(٢٤) "Journal Officiel...", 28 December 1915, p, 2287.

^(٢٥) Ibid.

^(٢٦) "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" Commission "C.I.A.M" Interministerielle des Affaires Musulman استحدثت تلك اللجنة عام ١٩١١م برئاسة وزير الخارجية وتضم ممثلاً من وزارة الداخلية، ووزارة المستعمرات، ووزارة الحرب، وكانت مهمتها تقديم النصائح ومراعاة مصالح رعايا الحكومة الفرنسية كما أن من مهامها تقديم دراسات تؤخذ بعين الاعتبار من طرف الدبلوماسيين، والضباط العاملين في المستعمرات الفرنسية، ينظر:

Pautremat, Pascal, La Politique Musulmane de la France au xxe siecle. De l'Hexagone aux Terresd' Islam. Espoirs, Réussites, échecs (Paris: Maisonneuve et Larose, 2003), p.42-43.

^(٢٧) "Journal Officiel...", 28 December 1915, p, 2228.

(الدكتوراة)، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، ٢٠١٤م، ص ٢٧١.

^(٢٨) "La Depeche Direction des Affaires Politiques et Commerciales, Sous-Direction Déuopes", du 14 Juin, 1916. Archives Diplomatique de Nantes, Maroc, Dossier, No, 660.

^(٢٩) كان التركيز على المستعمرات الفرنسية في شمال القارة الأفريقية، لأنه في عام ١٩١٦م لم يكن للحكومة الفرنسية مستعمرات في بلاد الشام، إذ أنها احتلت لبنان وسوريا من نهاية عام ١٩١٩م. (الباحث).

^(٣٠) بالرغم أن فريضة الحج فريضة دينية لكن لديه جوانب مؤثرة في الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية جعلت الحكومة الفرنسية تنظر إلى موسم الحج بعين الاعتبار، ينظر: مرعي، نجيب، الحجيج التونسيون زمن الاستعمار الفرنسي "من خلال وثائق الأرشيف الوطني التونسي والأرشيفات الفرنسية" (مكة المكرمة: إصدارات مركز تاريخ مكة المكرمة، ٢٠١٤م) ص ١٣، ١٤٧.

^(٣١) "La Depeche Direction des Affaires...", du 14 Juin, 1916, Maroc, Dossier, No, 660.

^(٣٢) Telegram Secret From Resident Jedda to High Commissioner Cairo "Arabie Report", 12 July 1917, F.O. 371/6075.

^(٣٣) Meynier, Gilbert, L Algerie Revellee, Là Guerre de 1914-1918 et le Premier Quàrt du Xxe (Geneva: Publications Librairie Droze, 1981), p. 536.

^(٣٤) Pascal, Pautremat, "La Mission du Lieutenant-colonel Brémont au Hedjaz, 1916-1917", Dans

أمام أعضاء مجلس الشيوخ كتبته اللجنة المالية الموجودة في مجلس الشيوخ وهو مشروع قانون، يتعلق بشراء نزل "خان" في مكة، وطلب من رئيس مجلس الشيوخ إعلان الحالة المستعجلة والمناقشة الفورية واعتماد مشروع القانون؛ لأنه قد تأخر تنفيذه^(٣٦)، عندها طالب رئيس مجلس الشيوخ من دومر "Doumer" يوم الخميس بتاريخ: ١-٢-١٣٣٤هـ / ٩-١٢-١٩١٥م أن يتقدم بقراءة التقرير إن لم يكن هناك اعتراض من مجلس الشيوخ^(٣٧) خاصة أن الحكومة البريطانية كانت تطمح إلى تطوير وجودها في شبه الجزيرة العربية^(٣٨).

وعلى إثر ذلك قال دومر "Doumer": "فُذِمَ لمجلس الشيوخ تقرير باسم اللجنة المالية المكلفة، ومعها تقرير من جوستين غودارت "Justin Godart"^(٣٩)

وزيرا للمالية من ١٩٢١م إلى ١٩٢٢م، وفي عام ١٩٢٥م أصبح رئيسا للجنة المالية في مجلس الشيوخ. ثم وزيرا للمالية من ١٩٢٥م إلى ١٩٢٦م، انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية عام ١٩٣١م، لكنه اغتيل في ٦ أيار (مايو) عام ١٩٣٢م في مدينة باريس، ينظر:

Chauvin, Jacques, Doumer, Paul, le Président Assassine, (Paris: Les Editions du Pantheon, 1994), p. 217; <http://www.elysee.fr/la-presidence/paul-doumer>.

⁽³⁶⁾"Journal Officiel de la Republique Française, Debats Parlementaires". Chambre des Deputes, 20 January 1916, p. 14.

⁽³⁷⁾Ibid.

⁽³⁸⁾التميمي، عبد الجليل، دراسات في التاريخ العربي العثماني ١٤٥٣-١٩١٨ "سياسة الاتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة ١٩١٦م محاولة جديدة للفهم"، (زغوان: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية، ١٩٩٤م) ص ٥٩؛ إذ إن كثيرا من مناطق شبه الجزيرة العربية كانت تخضع للحكومة البريطانية، ينظر: سوقي، "العلاقات السعودية..." ص ٢٠٤.

⁽³⁹⁾جوستين غودارت "Justin Godart"، ولد عام ١٨٧١م حصل على الدكتوراة في الحقوق عام ١٩٠١م، عمل محامياً ثم مدرسا في الجامعة. كان عضوا في مجلس النواب من ١٩٠٦م إلى ١٩٢٦م، ثم عضوا في مجلس الشيوخ من ١٩٢٦م إلى ١٩٤٠م. خلال الفترة من ١٩١٥م إلى ١٩٢٠م شغل منصب "نائب سكرتير الدولة لشؤون الصحة العسكرية"، ثم أصبح وزيرا للعمل والرعاية الاجتماعية من ١٩٢٤م إلى ١٩٢٥م، ووزيرا للصحة خلال عام ١٩٣٢م، كما كان رئيسا لبلدية مدينة ليون من ١٩٤٤م إلى ١٩٤٥م، وتوفي عام ١٩٥٦م، ينظر:

والمستعمرات^(٣٨). وبعد عرض القانونيين بدأ رئيس المجلس بطلب من الحضور التصويت على المادة الوحيدة التي تم الاجتماع من أجلها^(٣٩)، وقال: "أود إعلام المجلس بأن "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" "C.I.A.M" لمراقبة الحاج تفتح عليكم تعديل اسم القانون إلى: "مشروع قانون للموافقة على صرف مبلغ خمسمائة ألف فرنك لشراء نزل "خان" في مكة"^(٤٠). ثم طرح رئيس المجلس سؤالا على الحضور: "هل من اعتراض؟" "هل يود أحد مناقشة المادة الوحيدة في مشروع القانون"^(٤١)؟ عندها أعلن رئيس المجلس عرض المشروع للتصويت. فلم يجد أي اعتراض. وحينئذ أعلن رئيس المجلس أن يُعتمد اقتراح تعديل اسم القانون لأخذ الصبغة القانونية بموافقة كافة أعضاء البرلمان الفرنسي^(٤٢). بشرط أن يُحال مشروع القانون إلى مجلس الشيوخ لدراسته وإبداء الرأي^(٤٣).

٢- عرض المشروع داخل مجلس الشيوخ الفرنسي:

سادت فكرة "الحماية الرحيمة" و "المهمة النبيلة" داخل مجلس الشيوخ الفرنسي على المستعمرات الفرنسية في شمال وغرب أفريقيا^(٤٤) وعلى إثر ذلك تقدم بول دومر "Doumer Paul"^(٤٥) بقراءة تقرير

⁽²⁸⁾Ibid.

⁽²⁹⁾Ibid.

⁽³⁰⁾Ibid.

⁽³¹⁾Ibid.

⁽³²⁾Ibid.

⁽³³⁾Ibid.

^(٣٤)مرعي، الحجاج التونسيون، ص ١٤٨.

^(٣٥)بول دومر "Doumer Paul"، ولد عام ١٨٥٧، حصل على إجازة في الحقوق، انتخب عضوا في مجلس النواب عام ١٨٨٨م. شغل منصب وزير المالية من ١٨٩٥م إلى ١٨٩٦م، أصبح حاكما لمستعمرة الهند الصينية من ١٨٩٦م إلى ١٩٠٢م، بعد ذلك انتخب رئيسا لمجلس النواب في عام ١٩٠٢م، وفي عام ١٩١٢م أصبح عضوا في مجلس الشيوخ. ثم

أكد دومر "Doumer" لمجلس الشيوخ بأن توصية مجلس البرلمان و "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" "C.I.A.M" أكدت بأنه في كل عام يتوجه جمع غفير من المسلمين إلى الأماكن المقدسة الإسلامية، وأن عددا كبيرا من هؤلاء الحاج هم من فقراء إفريقيا الشمالية والغربية الفرنسية^(٤٧)، ومن ثم فإن تدفق جموع الحاج قد أدى إلى ارتفاع كبير في أسعار السلع الأساسية في مكة، وجعل من الحصول على مأوى أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا^(٤٨)، لذلك كان القنصل الفرنسي في مدينة جدة بول ليبيسييه "Paul Lepissier" قد اقترح منذ عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م على "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" "C.I.A.M" تأسيس مشروع شراء نزل "خان" دائم للحجاج القادمين من المستعمرات الفرنسية^(٤٩) على غرار ما فعلته الإمبراطورية البريطانية لحاجها القادمين^(٥٠) من مستعمراتها في بلاد الهند^(٥١)، والتي قد سخرت لهم دور ضيافة في مكة^(٥٢).

لذلك عُرض المشروع على "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" "C.I.A.M" (في الجلسة التي عقدت بتاريخ: ٨-١-١٣٣٠هـ/ ٢٩-١٢-١٩١١م من قبل قنصل^(٥٣) الحكومة الفرنسية في مدينة جدة ليبيسييه

نائب سكرتير الدولة لشؤون الصحة العسكرية بدراسة مشروع قانون اعتمده مجلس البرلمان، يتعلق بالموافقة على صرف مبلغ خمسمائة ألف فرنك لمشروع شراء نزل "خان"^(٥٤).

وعندها سحنت الفرصة، وبرز نجم دومر "Doumer"، ويبيّن أن مشروع القانون الذي اعتمده مجلس البرلمان يوم الثلاثاء بتاريخ: ١٩-١١-١٣٣٣هـ/ ٢٨-٩-١٩١٥م قد أصبح مؤكداً، وأضاف: إن ذلك المشروع هو بمثابة "أخوة يستحقها آلاف المسلمين المقاتلين"^(٥٥) تحت راية فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى الذين بذلوا أرواحهم وضحو بأنفسهم في سبيل إعلاء رايته^(٥٦). كما أنه سيجنب الحكومة الفرنسية مشكلات الانتفاضات والمقاومة المسلحة وغير المسلحة^(٥٧)، للاقطار الإسلامية التي رزحت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي مثل الجزائر، والمغرب وتونس^(٥٨)، من خلال شراء نزل "خان" لإيواء الحاج في مكة^(٥٩). إذ أنه يصب في مصلحتها من خلال سهولة متابعة رعاياها من المسلمين^(٦٠).

[Http://fresques.ina.fr/rhone-alpes/fiche-media/Rhonal00368/justin-godart.html](http://fresques.ina.fr/rhone-alpes/fiche-media/Rhonal00368/justin-godart.html).

"Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 14.

^(٤٧) كانت الحكومة الفرنسية تأخذ المسلمين من المستعمرات في شمال أفريقيا ليقاتلوا في أوروبا أو غيرها، وفرق الرماة الجزائريين والسنغاليين كانت مشهورة. والبعثة العسكرية التي أرسلتها فرنسا إلى الحجاز كانت مشكلة من جنود مسلمين برئاسة الشريف قاضي، ينظر:

[Http://orientxxi.info/l-orient-dans-la-guerre-1914-1918](http://orientxxi.info/l-orient-dans-la-guerre-1914-1918).

"Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 15.

^(٤٨) مرعي، الحجاج التونسيون، ص ١٤٧.

^(٤٩) الأنصاري، موسوعة، ص ٣٩٣؛ احتلت الحكومة الفرنسية المغرب "مراكش" ووقعت تحت الاستعمار الفرنسي عام ١٩١٢م، ينظر: التميمي، عبد المالك خلف، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٣م) ص ١٥.

"Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 15.

^(٥٠) Ibid.

^(٤٧) تجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية كانت ترسل مندوبين إلى مكة المكرمة لجمع المعلومات: السياسية، والمدنية، والصحية، لمعرفة أحوال حجاجها وما يحتاجون إليه. ينظر: العقبي، التتافس، ص ١٨٩.

"Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 16.

^(٤٩) الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٥٦.

^(٥٠) تجدر الإشارة إلى أن الحكومة البريطانية استحدثت هيئة "Hadj Committee" في بومباي كان هدفها تسهيل شؤون الحج إلى مكة، ينظر: هوارى، مسألة الحج، ص ٢٩٢.

^(٥١) Telegram Secret From Resident Jedda to High Commissioner Cairo "Arabie Report", 12 July 1917, F.O. 371/6075.

^(٥٢) Pautremat, La Politique Musulmane, p. 196.

^(٥٣) منذ عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م سعت فرنسا إلى تأسيس فرع للقنصلية الفرنسية في مكة كي يكون قريباً من أشرف مكة، وليتولى رعاية مصالح

تدور حول شراء نزل "خان" في مدينة جدة، لكنه أُرِدِف قائلاً: وللهذه إلى المدن المقدسة فإن أغلب قوافل الحج تسلك طريق ميناء جدة أو طريق ميناء ينبع^(٦٠)، التي تعتبر ميناء المدينة المنورة^(٦١). وكان المخطط آنذاك استئجار بيت في مدينة جدة، وتجهيزه بكل وسائل الراحة الضرورية، ووضعه تحت إشراف المكتب الصحي^(٦٢). ولكن ثبت للحكومة الفرنسية أنه لا يمر في ميناء جدة إلا جزء من قوافل الحجاج، فأغلبها تسلك طريق ينبع هذا من ناحية^(٦٣)، ومن ناحية أخرى سيكون لخط الحديد الحجازي^(٦٤) الذي دشن قسم منه في تاريخ: ٤-٨-١٩٠٨م، نتائج سلبية على موانئ البحر الأحمر^(٦٥). وأخيراً أكد دومر "Doumer" بأن مينائي جدة وينبع ليسا إلا محطتين يقضي فيهما الحجاج أقصر وقت ممكن^(٦٦). ولهذه الأسباب تم التخلي عن ذلك المشروع الأولي، إذ يجب استقبال الحجاج في مكة، وهي مقصدهم^(٦٧). لكن دومر "Doumer" أكد لمجلس الشيوخ بأن هناك عقبة تقف في طريق المشروع، إذ يحظر على الأجانب حيازة أملاك عقارية في المدن المقدسة^(٦٨).

"Lepissier")^(٥٤) لحل مشكلة حجاج شمال وغرب أفريقيا^(٥٥). ذلك لأن الحكومة الفرنسية كانت تسعى لإيجاد رؤية سياسة إسلامية إفريقية فرنسية "Islam Made in France" تخدم مصالحها في فرض مزيد من السيطرة على المستعمرات الإسلامية^(٥٦)، لكن تم التخلي عن المشروع من قبل الحكومة الفرنسية لسببين الأول: لأسباب مالية، إذ أن خزينة الحكومة الفرنسية كانت تمر بضائقة مالية^(٥٧)، والثاني: لأن الحكومة الفرنسية واجهت مشكلة امتناع علماء الدين والسياسة في ولاية الحجاز لبيع الأراضي المقدسة للفرنسيين المسيحيين^(٥٨).

أكد دومر "Doumer" أنه في أعوام سابقة تداولت "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" "C.I.A.M" هذا المشروع، كونها قوة إسلامية^(٥٩) والذي كانت فكرته

الحجاج القادمين من المستعمرات الفرنسية حيث لا يمكن للفصل الفرنسي حماية مواطنيه خارج مدينة جدة، ولذلك أدركت الحكومة الفرنسية تماماً أهمية تعيين وسيط مسلم بين القنصلية الفرنسية والسلطة المحلية في مكة المكرمة يرعى مصالحها ويقدم لها التقارير؛ لأنه يحرم على المسيحيين دخول مكة المقدسة، ينظر: العقبي، التنافس، ص ١٦١-١٦٢؛ أمين، محمد، "موسم حج ١٣٠٧ هـ / ١٨٤٠م من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي" مجلة الدارة، ع (٤)، سنة (٣٨) (١٤٣٣هـ)، ص ١٦٧-١٧٧؛ "Arabian Report" N. S, 23 September 1916, F.O.17/177.^(٥٤) تجدر الإشارة إلى أن القنصلية الفرنسية كانت تقدم العديد من الخدمات للحجاج القادمين من أراضيها وأراضي حلفائها الأوروبيين، ينظر: القبلة: العدد (٢٣)، ص ١، الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ الموافق ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

"La Depeche le Consul de France a Djeddah a Son Excellence Poincare President du Conseil" Service Historique de la Defence, 20 Fevrier 1912, Dossier, 57.

"Pautremat, La Politique Musulmane, p. 40.

"La Depeche le Consul de France...", 13 Fevrier 1912, Dossier, 58.

الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٥٠.

تجدر الإشارة إلى أنه يرد كثيراً في الوثائق الفرنسية كلمة أن فرنسا "قوة إسلامية" على اعتبار أنها تستعمر دولاً إسلامية كثيرة في شمال أفريقيا، كما كانت تعتبر الجزائر أرضاً فرنسية، وعليه فقد كان عدد المسلمين في المستعمرات أكبر بكثير من عدد سكان فرنسا نفسها. لذلك كانت تعتبر نفسها قوة إسلامية لأن لديها رعايا مسلمين كثر. والحقيقة أن الحكومة الفرنسية دولة مستعمرة وهاذية للدين واللغة العربية، لذلك فهي ليست بقوة إسلامية. (الباحث).

^(٦٠) كان كثير من الحجاج الجزائريين يصلون إلى ميناء ينبع بعد أن سمحت السلطات الفرنسية لهم بذلك لكي تمكن حجاجها من التوجه للأراضي المقدسة وذلك لمنع الظلم الذي يتعرض له الحجاج الجزائريون في ميناء جدة، ينظر: العقبي، التنافس، ص ١٦١-١٦٢.

^(٦١) "Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 17.

^(٦٢) لأن كل التقارير تؤكد أن موسم الحج تنتشر فيه الأوبئة من الكوليرا، والطاعون، وبذلك أصبح الحاج في نظر المستعمر ناقلاً للأمراض، ينظر: هوراي، مسألة الحج، ص ١٣.

^(٦٣) "Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 19.

^(٦٤) المزيد من المعلومات حول سكة الحديد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ينظر: الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية، دراسة وثائقية (د. م. د. ن، ١٩٨٥م).

^(٦٥) "Journal Officiel...", 20 January 1916, p. 15.

^(٦٦) Ibid.

^(٦٧) Ibid.

^(٦٨) Ibid.

مكة، الذي سبق وتم التصويت عليه واعتماده من قبل مجلس البرلمان^(٧٦).

بعد ذلك العرض، أعلن رئيس مجلس الشيوخ موافقه على المشروع؛ لأنه قد تلقى طلبا موقعا من عشرين عضوا (أثناء جلسة مجلس الشيوخ) يطلبون منه "مناقشة فورية" لمشروع شراء نزل "خان" في مكة، وعليه تم عرض المشروع للتصويت حول إعلان "الحالة المستعجلة للمناقشة الفورية"^(٧٧)، والتي تنص على الآتي: "يُسمح لوزارة الخارجية بصرف مبلغ خمسمائة ألف فرنك، لشراء وتجهيز بناء نزل "خان" في مكة للحجاج الفقراء القادمين من مناطق السيطرة الفرنسية"^(٧٨). ولذا تم اعتماد مشروع القانون^(٧٩) نهائيا بتاريخ: ١٤-٣-١٣٣٤هـ / ٢٠-١-١٩١٦م^(٨٠). وبذلك ستضمن الحكومة الفرنسية خضوع واستكانة شعوب شمال أفريقيا وإفريقيا الغربية ومن ثمّ يصبح المستعمر "حاميا للبلاد" ودافعا من دوافع النهوض^(٨١). كما أن الحاج^(٨٢) سيتخلى عن فكرة الجامعة الإسلامية ويقبل السيطرة الفرنسية^(٨٣).

بعد تلك المناقشات، تقدمت وزارة الخارجية الفرنسية بطلب إلى مجلس البرلمان تطلب فيه فتح اعتماد مالي يُدرج في ميزانيتها نفقات البعثة ووفد حجاج

ثم أكد دומר "Doumer" لمجلس الشيوخ بأنه يمكن للحكومة الفرنسية إدارة مشروع نزل "خان" في مكة المكرمة باختيار مندوب جدير من إحدى الطرق^(٦٩) الدينية في شمال وغرب أفريقيا^(٧٠)، ويكفي لضمان مشروع شراء نزل "خان" أن تصرح فرنسا بالهدف منه^(٧١). بعد ذلك قام دומר "Doumer" بلفت انتباه مجلس الشيوخ إلى عدم التحدث عن ذلك المشروع؛ لأن شراء عقار في مكة سيثير حساسية الأهالي، لذلك يجب وضع الرأي العام أمام الأمر الواقع بالاتفاق مع الشريف حسين^(٧٢).

وفي النهاية أوضح دומר "Doumer" لمجلس الشيوخ بأن نجاح مشروع شراء نزل "خان" في مكة سيكون علامة جيدة على اهتمام فرنسا^(٧٣) بأولئك المسلمين^(٧٤) الذين يُظهرون لها الولاء والإخلاص (وخاصة من البلدان التي تسيطر عليها الحكومة الفرنسية)^(٧٥). ثم أخيرا يوصي دומר "Doumer" في الختام أن يعتمد مشروع قانون شراء نزل "خان" في

^(٦٩) شكلت الطرق الدينية في شمال أفريقيا دورا فعّالا في بث الروح الدينية داخل المجتمع المدني، للمزيد، ينظر: سعيدوني، نصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م) ص ٢٣٥.

^(٧٠) "Journal Officiel...", 20 January 1916. p. 16.

^(٧١) Ibid.

^(٧٢) "Lettre de President du Conseil", Ministre des Affaires Étrangères a Monsieur Mustapha Cherchali Charge de Mission au Hedjaz. Paris, le 1 mai, 1917. Ministère de Affaires Étrangères, 1918- 1919. "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2. p. 48.

^(٧٣) سعت الحكومة الفرنسية إلى إقرار المشروع لكسب عطف المسلمين وودهم، ودفع التهمة عنها بقرلة الحجاج عن أداء حجه إلى مكة، ينظر: الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٦٠.

^(٧٤) تجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية كانت تعلم أن العقار لا يمكن أن يستوعب كل حجاج المستعمرات الفرنسية، لكنها كانت تأمل أن يؤدي الحجاج المغاربة المرضى، والأطباء، والمرافقين، لكن الحقيقة أن العقار خُصص لاستقبال الوفود الرسمية من حجاج المستعمرات الفرنسية، ينظر: هوارى، مسألة الحج، ص ٨٠؛ الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٥١.

^(٧٥) "Journal Officiel...", 20 January 1916. p. 17.

^(٧٦) Ibid.

^(٧٧) Ibid.

^(٧٨) Ibid.

^(٧٩) Ibid.

^(٨٠) "La Depeche le Consul de France...", 13 Fevrier 1912, Dossier, 58.

^(٨١) مرعي، الحجيج التونسيون، ص ١٤٧.

^(٨٢) يتميز الحاج بمكانه اجتماعية مرموقة بعد أداء فريضة الحج، فيعتبر رمزا للثقة في أوساط الناس الذين يعيش بينهم، ينظر: مرعي، الحجيج التونسيون، ص ١٤٧.

^(٨٣) Julien, Charles Àndres, Histoire de Lalgrie Contemporaine (Alger: Edition Casbah, 2010). P. 171.

بطبيعة الحال يتعارض مع سياسة الحكومة الفرنسية التي قضت بفصل عامة الناس وتجهيلهم بالدين^(٩٢).

ثانياً: المقيم العام في المغرب هو بيري ليوتي "Hubert Lyautey"^(٩٣) (خلال الحماية الفرنسية) رأى أن ذلك المشروع غير مناسب؛ لأن الحكومة الفرنسية تخوض غمار الحرب العالمية الأولى، وتعتقد بأن هذا المشروع هو أفضل وسيلة للتقرب إلى سكان شبه الجزيرة العربية^(٩٤)، ثم أكد بالقول: "أما فيما يخص التدخل عن طريق فرقة التيجانية"^(٩٥) فهي فكرة غير جيدة وغير محمودة العواقب^(٩٦). ثم أكد بأن مشروع شراء نزل "خان" في مكة لا يمكن للحكومة الفرنسية تطبيقه؛ لأنها دولة مسيحية^(٩٧)، لذا يقترح أن يوضع المبلغ المرصود للمشروع تحت تصرف سلطان المغرب^(٩٨) ليشتري به النزل "الخان"

المغرب^(٩٤) وبالفعل تم اعتماد مبلغ مالي وقدره ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف فرنك لتغطيه المصاريف^(٩٥). إذ أن سياسة الحكومة الفرنسية كانت تهدف إلى اتباع ذلك الإجراء التقليدي لبلوغ غايتها وهو كسب الحرب العالمية الأولى باستماله الشعوب الإسلامية إلى جانبها بتنظيم رحلات مجانية لموسم حج ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م بعد انقطاعه لأعوام سابقة^(٩٦).

٣- موقف الحكام الفرنسيين من المشروع:

أرادت الحكومة الفرنسية أن تستطلع آراء حكومات شمال أفريقيا التي تسيطر على تلك الأماكن المسلمة أثناء فترة الحماية^(٩٧) والتي تباينت آراؤها:

أولاً: الجزائر فقد عارضت المشروع، إذ رأى الحاكم العام الفرنسي تشارلز لوتود "Charles Lutaud"^(٩٨) في الجزائر^(٩٩) بأن الموافقة على ذلك المشروع من قبل مجلس الشيوخ الحكومة الفرنسية عليه يعتبر مناقضا لقانون عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م القاضي بفصل الدين عن الدولة^(٩٩)، كما أكد بأن مشروع شراء نزل "خان" في الأماكن المقدسة سيشكل تشجيعاً للناس على الذهاب إلى الحج^(٩٩)، وهذا

(٩٢) Ibid.

(٩٣) هو بيري ليوتي "Hubert Lyautey" ولد عام ١٨٥٤م، عمل في مستعمرة الهند الصينية ثم في مدغشقر ثم انتقل إلى المغرب فعمل حاكماً عسكرياً على المغرب الفرنسي من عام ١٩٠٧م إلى ١٩١٢م. وبعد أن أعلنت الحكومة الفرنسية في مؤتمر فاس المغرب محمية فرنسية عمل ليوتي مقيماً عاماً على المغرب من عام ١٩١٢م إلى ١٩٢٥م، كما شغل منصب وزير الحرب الفرنسي من ١٩١٦م إلى ١٩١٧م يعتبر من أشهر الشخصيات الفرنسية الاستعمارية، توفي عام ١٩٣٤م، ينظر:

Hoisington, William, Lyautey and the French Conquest of Morocco (Palgrave, Macmillan, 1995), p. 76.

(٩٤) "Commissaire Resident General, Relative a la Creation Hotoleries la Mecque", Rabat, le 23 Juin 1916, Archives Diplomatique de Nantes. Commission Interministerielle aux Affaires Musulmanes, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.

(٩٥) التيجانية: فرقة صوفية، أسسها أبو العباس أحمد التيجاني، في مدينة فاس بالمغرب، يؤمن أصحابها بجملة من الأفكار، والمعتقدات الصوفية، انتشرت في بلاد شمال أفريقيا، وفي الهند، وباكستان، ينظر: الباكستاني، إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف (دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ط١، ص ٢٧٩.

(٩٦) "Commissaire Resident General...", Rabat, le 23 Juin 1916, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.

(٩٧) Ibid.

(٩٨) المقصود بذلك الإيالة الشريفة في عهد السلطان عبد الحفيظ، ينظر: القبلة: العدد (١٤)، س ١، الخميس ١ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٢.

(٩٩) القبلة: العدد (٢٣)، س ١، الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ الموافق ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

(٩٥) المرجع نفسه.

(٩٦) الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٦٠.

(٩٧) "La Depeche le Consul de France...", 14 Fevrier 1912, Dossier, 59.

(٩٨) تشارلز لوتود "Charles Lutaud" ولد عام ١٨٥٥م، حصل على إجازة في الحقوق عام ١٨٧٧م، شغل عدة مناصب إدارية منها نائب ومحافظ لعدد من المحافظات الفرنسية، وفي عام ١٨٩٨م أصبح محافظ مدينة الجزائر، وفيما بعد أصبح الحاكم العام للجزائر من عام ١٩١١ إلى ١٩١٨م، وتوفي عام ١٩٢١م في باريس، ينظر:

https://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Lutaud.

(٩٩) احتلت الحكومة الفرنسية الجزائر ووقعت تحت الاستعمار الفرنسي عام ١٨٣٠م، ينظر: التميمي، الاستيطان الاجنبي، ص ١٥، ١٩.

(٩٩) "La Depeche le Consul de France...", 20 Fevrier 1912, Dossier, 60.

(٩٩) Ibid.

غير كاف، إذ يحتاج إلى مزيد من الدعم المالي^(١٠٦) وقد أيدت رأيه ذلك حكومة الباي^(١٠٧) محمد الناصر^(١٠٨) في تونس^(١٠٩)، والتي أكدت "بأنه يجب أن تنهج فرنسا نفس سياسة الحكومة البريطانية التي لا تتدخل في إدارة الأربطة"^(١١٠) والتكاي^(١١١) في مكة" إلا في حالة وجود صعوبات مالية لا تستطيع حكومة الشريف حسين التصرف فيها^(١١٢). وهو ما ينبغي أن يكون لحكومة فرنسا^(١١٣).

في مكة ويجعله وقفا^(٩٩) حتى لا يصدمه المسلمون بالاعتراض^(١٠٠).

ثالثاً: أما المقيم العام في تونس غابرييل ألابيتيت "Gabriel Alapetite"^(١٠١) فكان رأيه مناقضاً تماماً لرأي الحاكم العام الفرنسي في الجزائر^(١٠٢)، وللمقيم العام في المغرب، إذ أشار إلى أن مشروع شراء نزل "خان" قد لقي ترحيباً في أواسط التونسيين^(١٠٣) المحبين للدولة العثمانية^(١٠٤) أكثر من سكان الجزائر والمغرب^(١٠٥)، ثم أكد أن المبلغ المرصود للمشروع

^(١٠٦)Ibid.

^(١٠٧)المقصود بكلمة باي تونس لقب تركي شرفي كان يطلق على حكام تونس في عهد الدولة العثمانية.

^(١٠٨)المقصود بذلك هو الحاكم محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية الذي حكم من عام ١٩٠٦م إلى عام ١٩٢٢م، ينظر: القبلة: العدد (١٤)، س ١، الخميس ١ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٢.

^(١٠٩)"Commissaire Resident General...", Rabat, le 23 Juin 1916, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.

^(١١٠)الأربطة جمع رباط، وهو في الأصل البناء المحصن الذي يقام على الحدود لصد هجمات الأعداء. وكان بهذه الأربطة حركة علمية في حدود ضيقة اصطبغت بصبغة صوفية، وقد تشابهت الأربطة مع التكاي تشابهاً يكاد يخلط بينهما، حتى أنها اشتركت في أمور عدة، وعدم انفرد أحدهما عن الآخر، ينظر: القليبي، محبى الدين، الرباط في سبيل الله كيف بدأ وإلى ما انتهى، "أبحاث دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية" (القاهرة: دن، ١٩٦٦م)، ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩؛ الطويل، توفيق، التصوف في مصر في العصر العثماني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ٣٩ وما بعدها.

^(١١١)التكية: كلمة تركية تطلق على نزل "خان" للحجاج المسافرين، وهي مؤسسة اجتماعية اختصت بالصرف على الفقراء ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري وانتشرت في بلاد الحرمين الشريفين والقدس والدول الإسلامية الكبرى خاصة في زمن الازدهار الاقتصادي، وقد اهتمت بتقديم السكن للذين يقدمون لأداء فريضة الحج ولا يملكون لهم مأوى، ينظر: الشيباني، محمد عبد الهادي، "أوقاف المدينة المنورة والنهضة العلمية في رحابها"، بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف الإسلامية بالمملكة العربية السعودية (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م) ص ٧١٣؛ حيزوم، عبد الرحيم محمد، "الوقف ودوره في تمويل المرافق الخدمية عند عجز الميزانية العامة للدولة" بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف الإسلامية بالمملكة العربية السعودية (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩م) ص ٦٢.

^(١١٢)"Commissaire Resident General...", Rabat, le 23 Juin 1916, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.

^(١١٣)"Telegramme Affaire Etrangères, Reponse a letter", No, 878, du 15 Juin, 1916. Archives Diplomatique de Nantes, Arab-Hedj, E-Lev.18-40.

^(٩٩)تجدر الإشارة إلى أنه في عهد الدولة العثمانية كان الكثير من بلاد المسلمين يقومون بوقف جزء من بلدانهم ليعود ريعها على مكة المكرمة والمدينة المنورة ويتم استخدامها إما في عمارتهما أو خدمتهما، وقد أطلق عليها مصطلح "نظارة الحرمين"، ينظر: السحان، عبد الله ناصر، الأوقاف على الحرمين الشريفين، خارج المملكة العربية السعودية (الرياض: مركز تاريخ مكة المكرمة، ٢٠١٤م) ص ٤٣؛

Guler, Mustafa, Osmanli Devetinde Haremeyn Vakhflari, Xvii (Istanbul, 2002), p. 218.

^(١٠٠)"Commissaire Resident General...", Rabat, le 23 Juin 1916, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.

^(١٠١)المقيم العام في تونس هو غابرييل ألابيتيت "Gabriel Alapetite" ولد في كلامسي سنة ١٨٥٤م حاصل على إجازة في الحقوق عام ١٨٧٣. عمل في الوظائف الإدارية. ثم عمل محافظاً لعدد من المحافظات الفرنسية، واعتباراً من كانون الثاني ١٩٠٧ أصبح وزيراً مطلق الصلاحيات ومقيماً عاماً لفرنسا في تونس وبقي في منصبه حتى عام ١٩١٨، ثم عين سفيراً لفرنسا في أسبانيا، وبعدها مندوباً سامياً للحكومة الفرنسية في منطقتي الأناضول والورين من عام ١٩٢٠م إلى ١٩٢٤م. توفي في باريس عام ١٩٣٢م، ينظر:

Arnoulet, Francois, Residents generaux de France en Tunisie ces mal-aimes, ed. (Marseille: Narration, 1995), p. 83-109.

^(١٠٢)منذ أن احتلت الحكومة فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م اعتبرتها قضية سياسية فمكنت الحج وضيق على الجزائريين وسنت القوانين من أجل ذلك، للمزيد ينظر: سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م)، ج ٤، ص ٤٠٠ وما بعدها.

^(١٠٣)لمعرفة المزيد من المعلومات حول وضعية النفوذ العثماني في تونس، ينظر: العقاد، صلاح، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، الجزائر-تونس-المغرب الأقصى (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م) ص ١٤ وما بعدها.

^(١٠٤)Elder, Dan, "French Policy Towards Hussyn Sharif of Mecca", An Annual Publishe by Frank Cass, Middel Eastern Studies, London, Vol, 26, No, 3 (July 1990), p. 336.

^(١٠٥)"Commissaire Resident General...", Rabat, le 23 Juin 1916, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.

٤ - تنفيذ المشروع الفرنسي:

جاءت الخطوة التنفيذية التالية باختيار ممثلين لذلك التفاوض بشأن الموضوع لا سيما وأن عدم ثبات السياسة الفرنسية في ولاية الحجاز^(١١٤) وموقفها من ثورة^(١١٥) الشريف حسين كانت تحتاج إلى موقف صارم^(١١٦)، لكسر تفرد الحكومة البريطانية بالشريف حسين وبمنطقة الشرق الأوسط^(١١٧). لذلك يبدو جليا أن الحكومة الفرنسية قد سعت إلى مد نفوذها السياسي^(١١٨) على ولاية الحجاز لكونها خطوة لإثبات تواجدتها في هذه الولاية عبر استخدام سياسة التودد^(١١٩). ومما عجل بوجهة النظر تلك هو ذهاب قيصر ألمانيا فيلهلم الثاني "Wilhelm II"^(١٢٠) إلى

إسطنبول لمقابلة السلطان محمد رشاد (محمد الخامس)^(١٢١)، من أجل الاستعداد لإعلان الجهاد^(١٢٢) المقدس ضد الحلفاء^(١٢٣) بعد تناغم ألمانيا وادعائها الصداقة الحميمة مع الدولة العثمانية والعالم الإسلامي^(١٢٤) لاحتكار الإسلام والأماكن المقدسة^(١٢٥). وبذلك تلاقت أهداف ألمانيا مع الدولة العثمانية فخشيت بريطانيا وفرنسا من تنامي الرابطة الإسلامية^(١٢٦)، فقد أوردت وزارة الخارجية الفرنسية بأن مشروعها في شراء نزل "خان" في مكة سيكون دليلا على أن فرنسا ليست من أعداء الإسلام، وأنها تساند الشريف حسين للقيام بثورته ضد الدولة العثمانية التي تعتبر من أكثر الأحداث أهمية^(١٢٧)،

^(١٢١) ولد عام ١٨٤٤م، اشتهر بحسن الخلق ولين الجانب، عمل في السلك العسكري، تولى الخلافة سنة ١٩٠٩م، وفي عهده حكمت جمعية الاتحاد والترقي البلاد، ينظر: فريد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية (هنداوي، ٢٠١٢م) ط٢، ص ٥٦٧.

^(١٢٢) الشخص الوحيد الذي يستطيع إعلان الجهاد المقدس هو الشريف حسين؛ لأنه يسيطر على الأماكن المقدسة، مما إلى الارتياح داخل حدود شبه الجزيرة العربية، لذلك سعت دول الحلفاء لإبطال دعوة الجهاد المقدس، ينظر: أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، تاريخ الحركة العربية القومية، ترجمة، الأسد، ناصر الدين، وعباس، إحسان، (بيروت: دار الملايين، ١٩٨٧م)، ط٨، ص ٢٢٠-٢٢١؛ زين، نور الدين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان (بيروت: دار النهار للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ط٢، ص ٦٥.

^(١٢٣) Malcolm, Edward Yapp's, The Making of the Modern Near East 1792-1923 (London: Forth Impression, 1990), p. 272؛

الحמיד، عبد اللطيف محمد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٥م)، ط١، ص ١١٠.

^(١٢٤) Hurbert Lucien, L Islam et Guerre (Paris: Chellamel Editeur, 1918), p. 38.

^(١٢٥) القبلية: العدد (١٨)، س ١، الخميس ١٩ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

^(١٢٦) "La Depeche le Consul de France...", 13 Fevrier 1912, Dossier, 60.

^(١٢٧) "Proces-Verbal de la Seance de la Commission Interministerielle des Affaires Musulmanes", Archives Diplomatique de Nantes, du 2 Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 6e.

ذلك الإجراء من قبل الحكومة الفرنسية كان الهدف منه إضعاف وإحباط مخططات حكومة ألمانيا التي كانت تعلن أنها نصيرة الأمة الإسلامية، مع

^(١١٤) نظرا لوجود معاهدة عام ١٨٠١م بين فرنسا والدولة العثمانية والتي منحت الأولى امتيازات في بلاد الشام، ينظر، عبد الرحمن، عبد الوهاب أحمد، تاريخ العرب الحديث ١٧٩٨-١٩٢٠م (دبي: دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م) ص ٢٥١.

^(١١٥) قرر الشريف حسين القيام بثورة ضد الدولة العثمانية، في ولاية الحجاز وبذلك قطع الطريق أمام الحرب المقدسة، مما إلى الارتياح داخل أروقة الدولة الفرنسية والبريطانية، ينظر: بروكلمان، كارل، ترجمة، نبيه، أمين فارس، ومنير، البعلبكي، تاريخ الشعوب الإسلامية (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٣م)، ط٥، ص ٧٤٤؛ سعيد، أمين، الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقصبة في ربع قرن (القاهرة: مكتبة مدبولي، دت)، ص ١٦٤، نصيف، حسين محمد، ماضي الحجاز وحاضره، الحسين بن علي (د.ن، ١٩٣٠م)، ج ١، ط ١، ص ٥٠.

^(١١٦) "La Depeche, Diplomate a Paris", Archives Diplomatique de Nantes, du 13 Juin, 1916, Rabat No, 977.

^(١١٧) فريجات، حكمت عبد الكريم، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م (عمان: دار المستقبل للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م) ص ١٩٣.

^(١١٨) تجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية كانت تسعى إلى تحقيق مكاسبها السياسية إذ تؤكد أن بعثتها ليست لدعم شرعية الشريف حسين بالخلافة التي تعارضها ضمنا، ينظر:

Elder, French Policy, p. 337.

^(١١٩) Leclerc, C, Avec T.E. Lawrence en Arabie. La Mission Militaire Francaise au Hedjaz 1916-1920 (Paris: Lharmattan, 1998), p. 43.

^(١٢٠) ولد عام ١٨٥٩م درس في جامعه بون، ركز اهتمامه على تسليح الجيش الألماني، عقد معاهدة مع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٧م، دخل الحرب العالمية الأولى مع الدولة العثمانية إلا أنه انهزم فيها، عاش بقية حياته في هولندا توفي عام ١٩٤١م، عطية الله، أحمد، القاموس السياسي (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨م) ص ٨٣٧.

بعض الشروط لعل من أهمها أولاً: ١- أن يتكون الوفد من شخصيات^(١٣٥) دينية مرموقة في بلاد المغرب^(١٣٦). ٢- أن يتميز الوفد بالولاء والإخلاص الأكيد لإنفاذ أجندة الحكومة الفرنسية. ٣- أن يحمل الوفد معه هدايا وإعانات للشرية حسين في مكة^(١٣٧). ٤- يرافق هذا الوفد بعثة عسكرية^(١٣٨) بقيادة الضابط العربي الفرنسي "شريف بن العربي قاضي"^(١٣٩). ثانياً: المهمة الرئيسية للبعثة العسكرية تتكون من أربعة أمور: ١- توفير الاحتياجات والمساندة العسكرية الضرورية للشرية حسين في مكة^(١٤٠). ٢- الحصول على معلومات عن مشروع

وهو نفس الموقف الذي اتخذته الحكومة البريطانية^(١٢٨). في حين اشترطت الحكومة البريطانية على الحكومة الفرنسية أن لا يحمل مبعوثها للشرية حسين أي صفة عسكرية أو رسمية^(١٢٩)؛ لأنها تخشى أن تسقط مكانة الشرية حسين في أعين المسلمين^(١٣٠). وعندها سيصبح ثائراً^(١٣١) وغير مؤتمن على الأماكن المقدسة وهذا قد يؤدي إلى فشل الثورة العربية^(١٣٢).

لذا أصدر رئيس وزراء فرنسا برياند "Briand" قراراً رسمياً بتاريخ: ٣٠-٧-١٩٣٤هـ / ٢-٨-١٩١٦م بإرسال بعثة رسمية إلى الشرية حسين في موسم حج عام ١٩١٦هـ / ١٩٣٤م، وهي عبارة عن قافلة حج^(١٣٣) مكونة من سبع مائة حاج مغربي^(١٣٤)، يرافقهم وفد سياسي يقوم بالمهمة الرسمية التي اختيرت بعناية من قبل الحكومة الفرنسية تتميز فيها

^(١٣٥) كانت الحكومة الفرنسية تشترط في تلك الشخصيات الولاء التام لقضاياها وسياساتها التي تهدف إلى ترسيخ الاستعمار في شمال أفريقيا، ينظر: هوري، مسألة الحج، ص ٢٠٤.

^(١٣٦) وهو مؤلف من شخصيات مرموقة ومن وجهاء الدول التالية: الجزائر، وتونس، والمغرب ومن أفريقيا الغربية الفرنسية التي كانت تحت الاستعمار الفرنسي، ينظر:

Excelsior, Paris, Année 7, N 2191, 10 Novembre 1916, p. 4.

^(١٣٧) Leclerc, Lawrence en Arabie, p. 43.

^(١٣٨) كانت الحكومة البريطانية قد اقترحت على الحكومة الفرنسية أن تحمل بعثتها الصفة الدينية لكن وزارة الخارجية الفرنسية رفضت بشدة تلك الفكرة، إذ إنها رأت أنه من المستحيل إرسال بعثة دينية إلى الشرية حسين؛ لأن ذلك قد ينتج عنه مساوئ وخيمة من شأنها إثارة مسألة الخلافة الإسلامية في الأوساط الإسلامية، كما أن وزارة الخارجية الفرنسية تحارب وجود الخلافة الإسلامية؛ لأنها ترى فيها تماسكاً للعرب والمسلمين، وهذا قد يؤدي إلى فشل إسقاط الدولة العثمانية، ينظر:

"Telegramme, Ministère des Affaires Etrangères", Paris, du 3 Septembre 1916. Archives Diplomatiques de Nantes, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

^(١٣٩) "شريف بن العربي قاضي"، ولد عام ١٨٦٧م في سوق أهراس ينحدر من قبيلة الكلوتية، وهو ضابط من أصل جزائري، كان أول جزائري يدرس في مدرسة البوليتكنيك في فرنسا، كان متخصصاً في المدفعية، برتبة عقيد، وبعدها حصل على الجنسية الفرنسية عام ١٨٨٩م، كما حصل على وسام جوقة الشرف الفرنسي برتبة ضابط عام ١٩١٥م، تم اختياره لمرافقة الوفد الفرنسي في البعثة العسكرية لمساعدة الشرية حسين في ثورته ضد الحكم العثماني، وبذلك أصبح القسم العسكري تحت قيادته، توفي عام ١٩٣٩م، ينظر:

Bertrand-Cadi, Jean-Yves. Le Colonel Cherif Cadi: Serviteur de l'Islam et de la République. [Colonel Sharif Cadi: Servant of Islam and the Republic], (Paris: Maisonneuve & Larose, 2005).

^(١٤٠) Leclerc, Lawrence en Arabie, p. 43.

محاولة استغلال الخلاف العربي العثماني وتوظيفه لصالح دول الحلفاء ينظر:

La verité sur la Question Syrienne, Commandement de la IvmeArmée (Tanine, 1916), p. 168.

^(١٢٨) "La Depeche le Consul de France...", 20 Fevrier 1912, Dossier, 60.

^(١٢٩) تجدر الإشارة إلى أن وزارة الخارجية رفضت وبشدة فكرة أن تحمل بعثتها صفة مُرسل رسمي من قبل الحكومة الفرنسية؛ لأن ذلك يقلل من هيبتها أمام الحكومة البريطانية التي تنافسها على ولاية الحجاز، ينظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

^(١٣٠) Memorandum on British Commitments to Cairo, Political Intelligence Department, F.O. 1916, L/PS/10/1089.

^(١٣١) Elder, French Policy, p. 336.

^(١٣٢) Statement of Lord Grey Regarding Mission to Mecca, 1916, F.O. 371/2479.

^(١٣٣) قررت الحكومة الفرنسية مساعدة حكومة الشرية حسين بفتح باب الحج خلال السنوات التالية: ١٩٣٤هـ / ١٩١٦م، ١٩٣٥هـ / ١٩١٧م، ١٩٣٦هـ / ١٩١٨م لأنه يُعد مورداً رئيسياً مهماً لحكومته الناشئة، ينظر: الحناشي، "جمعية أحباب..."، ص ١٦٠.

^(١٣٤) كان السبب وراء ذلك هو إخفاء أمر الوفد الرسمي مع قافلة الحج خوفاً من انكشاف أمر الحكومة الفرنسية أمام الحكومة البريطانية، ينظر: Meynier, L Algerie Revellee, p. 539.

رعاياها المسلمين في شمال وغرب أفريقيا ما زالوا يعترفون بالخليفة العثماني ويكونون له الاحترام خاصة في ولاية تونس^(١٤٩).

ولهذا قررت الحكومة الفرنسية بعد موافقة مجلس الشيوخ على أن تعمل "اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية" "C.I.A.M" في باريس بكل إخلاص على تأمين وتخصيص مبلغ خمسمائة ألف فرنك لشراء نزل "خان" في مكة، إذ أن غايتها جذب انتباه المسلمين في البلدان التي تقع تحت سيطرتها، وإظهار مدى احترامها لمشاعرهم الدينية، ومصالحتهم المادية من خلال ضمان حقوقهم في ممارسة شعائر الحج^(١٥٠)، بالإضافة إلى ضمان سلامة أرواحهم وممتلكاتهم^(١٥١). وبذلك تضمن الحكومة الفرنسية خضوع واستكانة البلدان التي تقع تحت استعمارها^(١٥٢). وبذلك الخطوات تحقق فرنسا أمنا دينيا داخل المجتمعات الإسلامية التي تستعمرها^(١٥٣). بالإضافة إلى ذلك حرصت الحكومة

الشريف حسين إزاء توسيع دولته^(١٤١). ٣- إبلاغ السلطات الفرنسية في حال حدوث أي سوء تفاهم يخص سياسة الحكومة الفرنسية مع بريطانيا في شبه الجزيرة العربية^(١٤٢). ٤- تسهيل وصول الحجاج المغاربة^(١٤٣) إلى ولاية الحجاز^(١٤٤)؛ لأن الشريف حسين قطع صلاته بالدولة العثمانية؛ لارتكابها أخطاء بحق العرب^(١٤٥).

وإزاء تلك التطورات ألقت الحكومة الفرنسية مسؤولية التنسيق بين البعثتين السياسية والعسكرية على عاتق الكولونيل إدوارد بريموند "Colonel Edouard Bremond"^(١٤٦) لأنه كان يمتلك الخبرة السياسية في التعامل مع القوى العربية^(١٤٧). وأنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية قد حرصت على بعثتها بعدم الخوض في مسألة الخلافة الإسلامية^(١٤٨) مما يترتب عليه نتائج عكسية؛ لأن

(141) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 49.

(142) Ibid.

(143) تجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية قد تكفلت بمصاريف حجاج المغاربة وتم اعتماد مبلغ وقدره (٣٥٠٠٠٠٠) فرنك، ينظر: القبلية: العدد (٢٣)، س ١، الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ الموافق ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

(144) Leclerc, Lawrence en Arabie, p. 43; "La Depeche, Diplomate...", du 13 Juin, 1916, Rabat No, 977.

(145) القبلية: العدد (٢٣)، س ١، الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ الموافق ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

(146) الكولونيل إدوارد بريموند "Colonel Eouard Bremond" ولد عام ١٨٦٨م، ضابط عسكري فرنسي، عمل في المغرب والحجاز، تخرج من مدرسة سان سير العسكرية عام ١٨٩٠م خدم في الجزائر، ومدغشقر، والمغرب، قاد البعثة العسكرية إلى ولاية الحجاز التي ساعدت الشريف حسين على القيام بثورته ضد الدولة العثمانية، لما له من معرفة بالبلاد الإسلامية وباللغة العربية، وبعد خدمته في ولاية الحجاز عينته الحكومة الفرنسية حاكما على أرمينيا ومن بعدها كيليكيا، توفي عام ١٩٤٨م، ينظر:

Pascal, "La Mission du Lieutenant...", pp. 17-31.

(147) Leclerc, Lawrence en Arabie, p. 43; "La Depeche, Diplomate...", du 13 Juin, 1916, Rabat No, 977.

(148) كانت الحكومة الفرنسية تؤمن أنها تواجه تنافسا بريطانيا حول مسألة الخلافة الإسلامية إذ إنها كانت تؤمن أنه إذا ألت الخلافة في مكة للشريف حسين فهذا يعني ترسيخا للمصالح البريطانية في ولاية الحجاز، ولذلك

اقتربت الحكومة الفرنسية أن يكون هناك خلافة في المغرب، وللمزيد من المعلومات، ينظر:

Elder, French Policy, p. 331, 329; Hubert, lucien, Une Politique Colonel, le Salut par les Colonel, Une Politique Colonel: le salut par les Colonel / Lucien Hubert (Paris: Librairie Felix Alcan, 1918), 97.

(149) Elder, French Policy, p. 336.

(150) تجدر الإشارة إلى أن ذلك الإجراء من قبل الحكومة الفرنسية يخالف الواقع لأنها كانت تمارس الضغط على مسلمي شمال أفريقيا وتمنعهم من الحج وتنتزع بانتشار الأوبئة والأمراض وكذلك عدم الأمان مما جعل سياسة الحج السري تتفشى في مجتمعات شمال أفريقيا، ينظر:

"Journal Officiel...", 28 December 1915. p. 22.

(151) "Telegramme Affaire Etrangeres...", No, 878, du 15 Juin, 1916, Arab-Hedj, E-Lev.18-40.

(152) مرعي، الحجاج التونسيون، ص ١٤٧؛ هوارى، مسألة الحج، ص ١٠٠.

(153) Foreign Office Memorandum, 14 August, 1916, F.O. 371/6074.

مناسب لشغل منصب رئيس بعثة فرنسا إلى حكومة الشريف حسين؛ لأنه سيكون بين أعظم القوى السياسية المؤثرة في ذلك الوقت. لذلك اقترح الأخير عدة أسماء رشحها لرئيس الجمهورية الفرنسية في باريس ريموند بوينكار "Raymond Poincare" (١٦٠) ومن ثم تم تحويلها إلى مجلس الشيوخ لكي يصدر قرارا باختيار رئيس البعثة من بين ثلاثة أشخاص قدمتها له وزارة الداخلية وهم على النحو الآتي (١٦١):

١- عبد القادر سي قدور بن غبريط (١٦٢) رئيس التشريفات لدى سلطان المغرب (١٦٣) ومستشار

الفرنسية على ألا تصلح الحكومة البريطانية وتجول وحدها في ولاية الحجاز (١٥٤).

إلا أن مجلس الشيوخ كان قد اشترط خمسة شروط على الحكومة الفرنسية لتسليم مبلغ خمسمائة ألف فرنك أولاً- يجب أن يرسل المبلغ إلى الشريف حسين (١٥٥). ثانياً- أن يكون شراء النزل "الخان" تحت إشراف ناظر (١٥٦)، يتميز بالاخلاص والولاء للحكومة الفرنسية (١٥٧). ثالثاً- يجب أن يتميز شراء نزل "خان" على غرار النزل "الخانات" الموجودة في ولاية الحجاز (١٥٨).

٥- اختيار "المرشح والوفد" لتنفيذ مشروع الحكومة الفرنسية لدى الشريف مكة:

من خلال قراءة الوثائق الفرنسية يتضح أن المراسلات السرية بين أطراف الحكومة الفرنسية (وزير الداخلية مالفي "Malvy" (١٥٩) بتاريخ: ١٤-١٠-١١-١٩١٦م الذي تشاور بدوره مع وزير الحرب الفرنسي ليوتي "Lyautey" وبعد مداورات طويلة اتفقا على أهمية ترشيح شخص

(١٥٤) فريحات، السياسة الفرنسية، ص ١٩٣.

(١٥٥) "Proces-Verbal de la Seance...", du 3 Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 6e.

(١٥٦) مصطلح تاريخي وإداري، قصد به الشخص الذي يملك النظر أي تحت عينه التزام إداري معين ويكون عنه بشكل تام مثل ناظر الوقف، وناظر المالية، وناظر الكسوة، ينظر: محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في العصر العثماني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م) ص ٨٥.

(١٥٧) Pascal, "La Mission du Lieutenant...", pp. 17-31.

(١٥٨) Ibid.

(١٥٩) مالفي "Malvy" ولد عام ١٨٧٥م، حصل على دكتوراه في الحقوق عام ١٩٠١م، كان عضواً في مجلس النواب من ١٩٠٦م إلى ١٩١٩م. ثم في عام ١٩١٣م شغل منصب وزير التجارة، وبعد ذلك عمل وزيراً للداخلية من عام ١٩١٤م إلى ١٩١٧م، وأخيراً أصبح عضواً في مجلس النواب مرة ثانية من عام ١٩٢٤م إلى عام ١٩٤٠م توفي عام ١٩٤٩م، ينظر:

Http://gw.geneanet.org/deverdiere?lang-fr&p-louis&n-malvy.

(١٦٠) ريموند بوينكار "Raymond Poincare"، ولد عام ١٨٦٠م، حصل على إجازة في الحقوق، في عام ١٨٩٣م انتخب عضواً في مجلس النواب، كما أصبح عضواً في مجلس الشيوخ، شغل منصب وزير التعليم والثقافة، المالية، وفي عام ١٩١٢م أصبح رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للخارجية، وفي عام ١٩١٣م انتخب لرئاسة الجمهورية الفرنسية، ثم أصبح مرة ثانية رئيساً للمجلس من عام ١٩٢٢م إلى ١٩٢٤م، ثم أصبح رئيساً للمجلس مرة ثالثة ومن ١٩٢٦م إلى ١٩٢٩م. استقال من منصبه لأسباب صحية، وتوفي في باريس عام ١٩٣٤م، ينظر: البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد (لبنان: دار الملايين، ١٩٩٢م)، ص ١١٤؛ كوثراني، وجيه، التاريخ الاجتماعي: بلاد الشام: السكان والسياسة في مطلع القرن العشرين (بيروت: معهد الاعتماد العربي، ١٩٨٠م)، ص ٢١٧، ينظر، صحيفة العرب "١٠٠ عام على الحرب العالمية الأولى ولا يزال التاريخ يستذكر الكارثة الأوروبية"، ع (٩٤٦٥)، سنة (٣٦) (٢٠١٤م)، ص ٦.

(١٦١) "Journal Officiel de la Republique Française", Lois

Decrets, 14 November 1916, p, 9820.

(١٦٢) ولد سنة ١٨٧٣م بمدينة سيدي بلعباس بالجزائري، ينتمي لعائلة عربية منحدر من تلمسان قادمة في الأصل من بلاد الأندلس، درس بالمدرسة الثعلبية، والمدرسة الطالبية بالجزائر العاصمة حيث تلقى تكويناً قوياً وثرياً مزدوجاً باللغتين العربية، والفرنسية. اشتغل في سلك القضاء، ثم في الترجمة، في عام ١٨٩٢م التحق بالحكومة الشريفة المغربية مترجماً عاماً، وبذلك دخل رسمياً في دواليب وزارة الخارجية الفرنسية بسبب دهائه وتفكيره المتميزين، حصل ابن غبريط على الجنسية المغربية؛ نظراً لقدرته على التفاوض مع القبائل المغربية المتمردة التي جعلته رجل السياسة القبلية. اعتبرته الحكومة الفرنسية من أهم الشخصيات النافذة التي هندست تكوين العلاقات الحسنة بين المغرب وفرنسا ونتيجة لمجهوداته نال ابن غبريط ثقة واحترام وزير الحرب الفرنسي ليوتي "Lyautey" الذي أشركه ضمن البعثة الفرنسية المتجهة إلى ولاية الحجاز لعام ١٩١٦م، وبذلك أصبح المندوب الأول في البعثة المرسلة من قبل الحكومة الفرنسية إلى الشريف مكة. في سنة ١٩١٧م تمكن ابن غبريط من تدشين محكمة الجزائر (محكمة مدنية)، وتحمل مسمى "جمعية أحباس الحرمين الشريفين" أدى نجاح ابن غبريط في بعثته للشريف حسين أثناء الحرب العالمية الأولى دافعاً للحكومة الفرنسية في أواسط عام ١٩٢٠م للعمل على تأسيس مؤسسة ومسجد في مدينة باريس يرمزان لعلاقة فرنسا القوية بالإسلام؛ وهكذا شكل ابن غبريط على مدار أربعين سنة أكبر المستشارين

مشروع الحكومة الفرنسية بكل نجاح، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها الآتي: أ- كان الصديق الشخصي إلى بريموند "Bremond" (١٦٨). ب- جزائري الأصل من مدينة سيدي بلعباس (١٦٩) وعاش في المغرب. ج- عالم بالسياسة وأسرارها (١٧٠). د- كان بمثابة حجر الزاوية في مشروع فرنسا السياسي الهادف إلى إحياء سلطة الأشراف المغاربة (١٧١). هـ- كان مترجما لدى مفوضية الحكومة الفرنسية في طنجة ورئيسا للمراسم الشريفة بالمغرب (١٧٢). لتلك الأسباب السابقة تم اختيار سي قدور بن غبريط من قبل الحكومة الفرنسية (١٧٣) وحينها تم الاستغناء عن المرشحين الآخرين دون إقبال ملفاتهم، إذ أكد وزير الداخلية الفرنسي بأن الحكومة الفرنسية قد تستعين بأحدهم في أي وقت على حسب ما تحتاج إليه مصلحة الحكومة (١٧٤).

كما قرّرت الحكومة الفرنسية إسناد ثلاثة أمور إلى ابن غبريط هي: أ- ترسل البعثة باسم رئيس الجمهورية الفرنسية؛ لأن بلاد المغرب تقع تحت الحكم الفرنسي (١٧٥). ب- مُنحت البعثة مبلغا ماليا، كبيرا قدره مليوناً ومائتان وخمسون ألف فرنك

الحكومة المغربية، وقائد برتبة ضابط وحاصل على سام جوقة الشرف منذ عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م (١٦٤). ٢. سي الحاج مصطفى بن أحمد شرشالي (١٦٥) المدرس الشرفي في مدرسة الجزائر، برتبة فارس وهو القاضي والكاظم بالعدل في (ولاية الجزائر)، وله تاريخ مشرف في خدمة فرنسا، إذ عمل ما يقرب من خمسة عشر عاما ونصف في خدمة الحكومة الفرنسية في بلاد الجزائر (١٦٦). ٣. قسوس محمد بن يوسف، مترجم قضائي في (ولاية قسنطينة)، لديه سجل حافل بالعمل والخدمة مع الحكومة الفرنسية لمدة ثلاثين عاما في الجزائر (١٦٧).

وبعد مشاورات رأت الحكومة الفرنسية أن ترسل إلى الشريف حسين في مكة ابن غبريط من أجل إنفاذ

الفرنسيين فيما يخص الدين الإسلامي. ولذلك اطلق عليه مسمي "أكثر المسلمين باريسية" "Le Plus Parisien des Musulmans" بعد وفاته منحه الحكومة الفرنسية ميدالية جوقة الشرف الفرنسي، ودفن في موقع مخصّص في شمال مسجد باريس حسب المذهب المالكي، توفي ١٩٥٤م وكان عمره ٨٢ سنة بعد أن صار المرض لفترة من الزمن، ينظر:

Gouvion, Edmond, Kitab Àayane el-Marhariba, Tome,1, (Paris: Fontana Freres, 1920), p.1; Sbai, Jalila, Ben Ghabrit Abdelqader (Sidi Bel Abbes, Algerie, 1868-1954) Dictionnaire des Orientalistes de Langue Francaise (Paris: Editions Karthala, 2012), p. 86; Pautremat, La Politique Musulmane, p.565; "Journal Officiel...", 14 November 1916, p, 9820;

الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٥٠؛ هوارى، مسألة الحج، ص ٩٣. Excelsior, Paris, Année 7, N 2191, 10 Novembre 1916, p. 4.

"Journal Officiel...", 14 November 1916, p, 9820. (١٦٥) أصبح لاحقا ممثل الحكومة الفرنسية لدى حكومة الشريف حسين وقد عمل بكل إخلاص لتنفيذ مصالح الحكومة الفرنسية في ولاية الحجاز، ينظر:

"La Depeche, Diplomat...", du 13 Juin, 1916, Rabat No, 977; "Traduction en Francais de Constitution de Societe Civile". Ministere des Affaires Étrangères, 1918- 1919. "Arabie – Hejaz", 18. Serie É. Carton 310. Dossier 2, P. 18.

"Journal Officiel...", 14 November 1916, p, 9820.

Ibid; "Traduction en Francais de Constitution...", Carton 310. Dossier 2, P. 18.

(168) "La Depeche, Diplomat...", 10 September, 1916, Rabat No, 977.

(169) مدينة سيدي بلعباس تقع بالسهول الداخلية الغربية للجزائر وهي مدينة قديمة ارتبطت تاريخيا بالرجل الصالح سيدي بلعباس، ينظر: مكحلي، محمد، سيدي بلعباس البوزيدي ولي و ولاية دراسة تاريخية أنثروبولوجية (ماجستير)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان كلية الاداب، قسم الثقافة الشعبية، ٢٠٠٠، ص ١٤.

(170) "La Depeche, Diplomat...", 10 September, 1916, Rabat No, 977.

(171) Ibid.

(172) Ibid.

(173) Ibid.

(174) Ibid.

(175) "La Depeche, Diplomat...", 10 September, 1916, Rabat No, 977.

"Cambon" بأن مشروع شراء نزل "خان" في مكة سيثير مشاكل مع الحكومة البريطانية^(١٨٣)؛ لأنه إن قدر للمشروع الفرنسي النجاح^(١٨٤) فإن الحكومة البريطانية ستجد نفسها مضطرة لتقليدها بإرسال بعثة من مستعمراتها في الهند^(١٨٥) إلى الشريف حسين^(١٨٦)، ومن جهة أخرى كانت ردة فعل المندوب السامي البريطاني في مصر هنري ماكماهون "Sir" Henry McMahon^(١٨٧) دون المأمول إذ أعرب لـ "سفير فرنسا في القاهرة ألبرت دوفرانس" "Albert Defrance"^(١٨٨) عن مخاوفه من انعدام الأمن في

عام ١٨٨٢م شغل منصب مقيم عام في تونس حتى عام ١٨٨٦م، ثم سفيراً لفرنسا في مدريد عام ١٨٨٦م، وبعدها سفيراً في إسطنبول، ومن ثم وزيراً لفرنسا في لندن من عام ١٨٩٠م إلى ١٩٢٠م، وتوفي في باريس عام ١٩٢٤م، ينظر:

https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Cambon.

"La Depeche Ministere des Affaires Etrangeres", Paris, du 5 Aout, 1916. Archives Diplomatiques de Nantes, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 381".^(١٨٤) تجدر الإشارة إلى أن المشروع الفرنسي في مكة قد نجح بشهادة بريطانية، مما اضطر الحكومة البريطانية إلى أن تقلد الحكومة الفرنسية وهذا ما حصل في عام ١٩١٨م، ينظر:

Telegram Secret From Resident Jedda to High Commissioner Cairo "Arabie Report", 11 August 1918, F.O. 371/6075.

^(١٨٥) تجدر الإشارة إلى أن بلاد الهند اعتبرت أن الخطوات التي اتبعتها الحكومة البريطانية أمراً غير شرعي وتمس الوحدة الإسلامية، كما أن المسلمين في بلاد الهند مستأزبون من ثورة الشريف حسين ضد الدولة العثمانية لعام ١٩١٦م، ينظر: التميمي، عبد الجليل، "سياسة الاتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة ١٩١٦م"، المجلة التاريخية المغربية، ع (٦٥-٦٦)، سنة (١٩)، (١٩٩٢م)، ص ٩٠.

"La Depeche Ministere des Affaires..." du 5 Aout, 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 381".^(١٨٦)

هنري مكماهون "Sir Henry McMahon" ولد عام ١٨٦٢م كان الممثل الأعلى لملك بريطانيا في مصر وأخذ لقب المندوب السامي البريطاني في مصر من عام ١٩١٥م إلى ١٩١٧م اشتهر بمراسلاته مع الشريف حسين بن علي بين عامي ١٩١٥م و ١٩١٦م خلال الحرب العالمية الأولى. وتوفي عام ١٩٤٩م، ينظر:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/Henry-McMahon>.

^(١٨٨) ألبرت دوفرانس "Albert Defrance" ولد عام ١٨٦٠م شغل منصب وزير لفرنسا في سيام ثم في بلاد فارس، وخلال الفترة من ١٩١٠م إلى ١٩١٨م كان سفير فرنسا في القاهرة، ثم من عام ١٩٢٠م إلى ١٩٢٣م سفير لفرنسا في مدريد، ينظر:

كإعانات للشريف حسين في مكة^(١٧٦). ج- مُنحت البعثة مبلغاً مالياً قدره تسعمائة ألف فرنك لشراء هدايا قيمة لأعيان ولاية الحجاز^(١٧٧)، كما حددت وزارة الخارجية الفرنسية إلى ابن غبريط السياسة التي يجب عليه أن يتبعها مع الشريف حسين^(١٧٨)؛ لأن الحكومة الفرنسية أدركت الخطورة التي يشكلها الحج على رعاياها ومصالحتها الاستعمارية^(١٧٩).

٧- موقف الحكومة البريطانية من المشروع:

تباين موقف الحكومة البريطانية من مشروع البعثة الفرنسية^(١٨٠)؛ لأن الأصل أن تتكاتف الجهود بين فرنسا وبريطانيا لفصل ولاية الحجاز عن الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى، إلا أنه مما يجدر ذكره أن الحكومة البريطانية قد استقبلت مشروع الحكومة الفرنسية بفقر، وكان ذلك على غير المعتاد، إذ أوضح وزير الخارجية البريطانية بالوكالة تشارلز هاردينغ "Lord Harding"^(١٨١) لسفير الحكومة الفرنسية في لندن بول كامبون "Paul"^(١٨٢)

^(١٧٦) Hubert, Une Politique, p. 97.

^(١٧٧) "La Depeche, Diplomate...", 10 September, 1916, Rabat No, 977.

^(١٧٨) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

^(١٧٩) "Journal Officiel...", 14 November 1916, p, 9820.

^(١٨٠) اقترحت الحكومة البريطانية على الحكومة الفرنسية أن تكون بعثتها دينية بحته من مسلمي الحكومة الفرنسية التابعين لمستعمراتها في بلاد المغرب، ينظر:

Memorandum on British Commitments to Cairo, Political Intelligence Department, F.O. 1916, L/PS/10/1089.

^(١٨١) اللورد تشارلز هاردينغ "Lord Harding" ولد عام ١٨٥٨م، بدأ العمل في السلك الدبلوماسي عام ١٨٨٠م، ثم عين في عام ١٩٠٤م سفيراً لبريطانيا في روسيا، وفي عام ١٩١٠م أصبح نائب حاكم الهند حتى عام ١٩١٦م بعدها شغل منصب نائب سكرتير دائم في وزارة الخارجية البريطانية. وفي عام ١٩٢٠م عين سفيراً لبريطانيا في فرنسا. أحيل إلى التقاعد عام ١٩٢٢م، وتوفي عام ١٩٤٤م، ينظر:

https://fr.wikipedia.org/wiki/Charles_Hardinge.

^(١٨٢) بول كامبون "Paul Cambon" ولد في باريس عام ١٨٤٣م حاصل على دكتوراه في الحقوق. عمل في مناصب إدارية عديدة، وفي

تحالفها مع الحكومة الفرنسية بمثابة إجراء وقائي ضد الحكومة الألمانية^(١٩٥). لكن الشريف حسين أدرك بأن السلطات الفرنسية ترغب في التعاون معه، فرحب بتعزيز علاقته معها بغرض استخدامها ورقة ضغط في مواجهه النفوذ البريطاني المتزايد في المنطقة^(١٩٦).

وبدون ريب تتأكد تلك الانطباعات في رسالة وزير الخارجية البريطاني إلى ماكماهون "McMahon" والتي أكد فيها قوله: "لقد صرحتُ للسفير الفرنسي في لندن بأن الوقت غير ملائم، وعلى الحكومة الفرنسية أن تتوخى العواقب غير المحمودة"^(١٩٧). ومما كانت تأمله الحكومة البريطانية من الحكومة الفرنسية وتُعمل عليه هو الالتزام بمعاهدة سايكس-بيكو^(١٩٨) التي وقعت بين البلدين في عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م^(١٩٩). إذ كانت الحكومة البريطانية تؤمن بأن الشريف حسين على اطلاع عام، وغير دقيق على اتفاق بريطانيا مع فرنسا^(٢٠٠)، لذلك فمن المرجح أن يسأل الشريف حسين عنه، "وعلى

الطريق بين ميناء جدة ومكة^(١٨٩). لكن الحكومة الفرنسية أكدت حرصها على أن ألا يتعرض حجاجها لأي مضايقة أثناء سفرهم من جدة إلى مكة أو أثناء إقامتهم في مكة، كما حرصت أن توفر لهم وسائل النقل المناسبة^(١٩٠). إذ أن الحكومة الفرنسية قد علمت من خلال اتصالها بالشريف حسين على أن أول اهتمامات حكومته هو توطيد الأمن الذي عاثت فيه القبائل البدوية^(١٩١). وعلى الرغم من تلك الملاحظة الثانوية على المشروع الفرنسي، والرد غير المُكترث عليه من قبل الحكومة البريطانية إلا أنها توحى بأن نزاعاً على النفوذ في ولاية الحجاز بدأ يلوح في الأفق بين حكومتي فرنسا وبريطانيا^(١٩٢)، حيث أكدت المعلومات بأن دوفرانس "Defrance" قد أبرق إلى وزير الخارجية الفرنسية برياند "Briand" موضحاً بأن مشروع شراء ثزل "خان" في مكة^(١٩٣) قد ترك انطباعات غير جيدة لدى الحكومة البريطانية التي لم تكن ترغب أن يقيم شريف مكة علاقات مع بلدان أخرى غير الحكومة البريطانية^(١٩٤). ومن جهة أخرى، كانت الحكومة البريطانية تؤمن بأن

(١٩٥) "Arabian Report" N. S, 16 July 1916, F.O.17/177.

(١٩٦) Ibid.

(١٩٧) Memorandum on British Commitments to Cairo, Political Intelligence Department, F.O. 1916, L/PS/10/1089.

(١٩٨) معاهدة سايكس-بيكو وقعت بين كل من Sir Mark Sykes and Georges Pico ممثلاً الحكومة الفرنسية والبريطانية، من أجل تقاسم المصالح بين البلدين في منطقة الشرق الأوسط بعد سقوط الدولة العثمانية، لمعرفة بنود الاتفاق، ينظر: وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين (د. م: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥م)، ط١، ص ٣٥٤-٣٥٥.

Riley, Carroll, Historical and Cultural Dictionary of Saudi Arabia (New Jersey: Scarecrow Press, 1972), p. 111.

(١٩٩) Hurewitz, J. C, Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record: 1914-1956, (London: D. Van Nostrand Company, 1956). vol. 2. p. 20.

(٢٠٠) أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م) ص ٢٧٦؛ قدرى، أحمد، مذكراتي عن الثورة العربية (دمشق: مطابع بن زيدون، ١٩٥٦م) ص ٤٥.

Denechere, Yves, Femmes et Diplomatie: France au XXe Siecle. (Presse: Universitaires Europeennes Bruxelles, 2005), p. 28.

(١٨٩) "La Depeche Ministere des Affaires..." du 9 Aout, 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 381".

(١٩٠) "Lettre de President du..." le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 48.

(١٩١) Journal Le Matin, N 11946, 11 Novembre 1916, P, 1.

(١٩٢) "La Depeche Ministre des Affaires..." du 12 Aout, 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 381".

(١٩٣) كانت الحكومة البريطانية تدرك أن معنى البعثة العسكرية الفرنسية يتضمن إرسال مساعدات ومعدات حربية شملت المدفعية من عيار (٨٢٠) وبنوقية (٢٤٠٠) و(٨) فرق رشاشات هوتشكينز، وغيرها، ينظر:

Pascal, "La Mission du Lieutenant...", pp. 17-31.

(١٩٤) "La Depeche Ministere des Affaires..." du 12 Aout, 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 381".

المشورة العسكرية ولعب دور الوساطة^(٢٠٦) ونقل طلبات الشريف حسين^(٢٠٧) إلى الحكومة البريطانية من أجل كسب الحرب العالمية الأولى^(٢٠٨). وعلى غرار البعثة العسكرية الفرنسية، ألحقت الحكومة البريطانية بمكتب الحج بعثة عسكرية أخرى بقيادة الضابط نيوكومب "Newcombe" البريطاني^(٢٠٩). وبذلك اشتد مجال التنافس الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا، إلى درجة ألا تدع إحداها المجال للآخرى تعمل منفردة في ولاية الحجاز^(٢١٠). وقد تقطن الشريف حسين لذلك التنافس بين الدولتين^(٢١١) وعمل على استغلاله لإنجاح ثورته وتوسيع ممتلكاته وتأمينها^(٢١٢).

لكن كان من أهم التحديات التي واجهت الحكومة البريطانية؛ كيفية تلافي شكوك العرب وبقيّة دول الحلفاء مع المحافظة على عدم زعزعة ثقتهم بها، وخلق تناغم بينها وبين العرب؛ ولهذا فقد استخدمت

الحكومة الفرنسية إخباره بأنها ليس لديها إلا القليل من المعلومات"، ولكنها على استعداد لإرسال طلب استفسار إلى الحكومة البريطانية حتى تتخذ الأخيرة التدابير المناسبة لإقناع الشريف حسين بعدم مصداقيه الاتفاق المبرم بين الحكومتين^(٢١١).

لكن وبذلك الصورة كانت الحكومة البريطانية تؤمن بأنه يجب إخماد وتشبيط كل محاولة للتدخل في شؤون ولاية الحجاز سواء كانت من قبل الحكومة الفرنسية أم من القوى الدولية الأخرى^(٢١٢) التي تنافس الحكومة البريطانية في شؤون شبه الجزيرة العربية^(٢١٣). كما عكس ذلك الإجراء خفاء أو تجليا في الثقة بين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية في وقت حرج بين الدولتين^(٢١٤). وإزاء تلك التطورات عينت وزارة الخارجية البريطانية، في عام ١٩١٦م/١٣٣٤هـ الكولونيل أرنولد ويلسون "Colonel Arnold Wilson"^(٢١٥) ممثلا لها سياسيا في ولاية الحجاز، وكانت مهمته تتمثل في تقديم

⁽²⁰⁶⁾ Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 24 Septembre 1916, F.O. 371/2476.

⁽²⁰⁷⁾ لقد تعهدت الحكومة البريطانية للشريف حسين- إذا أعلن الحرب والثورة ضد الدولة العثمانية - فيما عرف بمراسلات حسين-مكماهون بالاتي: أ- تعترف الحكومة البريطانية بالخلافة العربية بشرط أن تتجح الثورة. ب- استقلال البلاد العربية بحدود معينة. ج- حمايه ذلك الاستقلال، ينظر: وهبة، جزيرة العرب، ط١، ص١٧٨-١٨٩.

⁽²⁰⁸⁾ Records of the Hashimite Dynastics, A-twentieth Century Docuementary History "The Hashimite Leadership of the Arab Revolt" (London: Archive Editions, 1995), vol, 5, p. 489.

⁽²⁰⁹⁾ Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 24 Septembre 1916, F.O. 371/2476.

⁽²⁰⁹⁾ Ibid.

^(٢١٠) فريحات، السياسة الفرنسية، ص ١٩٣.

^(٢١١) تجدر الإشارة إلى أن جذور التنافس بين فرنسا وبريطانيا كانت في الأساس تشكل تنافسا سياسيا وليس تجاريا، للمزيد ينظر: الخصوصي، بدر عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٤م)، ج١، ص ١٢ وما بعدها.

⁽²¹²⁾ "Arabian Report" N. S, 10 August, 1916, F.O.17/178.

⁽²⁰¹⁾ "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 51.

^(٢١٢) استغلت إيطاليا الموقف لصالحها عندما رأت أن هناك فجوة في العلاقات البريطانية والفرنسية، ووجدتها فرصة مواتية وسانحة لها أن تعين مندوبا لها في ولاية الحجاز من أجل حماية مصالح الحجاج الليبيين والحكومة الإيطالية، ينظر:

Italian War Aims and Claims in regard to Arabia, 1916, F.O. 371/11448.

⁽²⁰³⁾ Foreign Office Memorandum, 14 August, 1916, F.O. 371/6074.

⁽²⁰⁴⁾ Political Eastern Arabia, 1916, F.O. 371/11447.

^(٢١٥) الكولونيل أرنولد ويلسون "Colonel Arnold Wilson" ولد عام ١٨٨٤م، وتلقى تعليمه في إنجلترا ثم عمل ضابطا في الجيش البريطاني في الهند، لعب دورا مهما في ولاية الحجاز فقد كان مسؤولا عن تنظيم أمور الحجاج القادمين من المستعمرات الإنجليزية في الهند، عين ويلسون مساعدا ثم نائبا للسفير بيرسي كوكس الحاكم المدني البريطاني في العراق. وتم تعيينه حاكما مدنيا للعراق سنة ١٩١٨م، لكنه قتل في سنة ١٩٤٠م خلال معركة جوية في شمال فرنسا ودفن في مدينة أرينجهم الفرنسية، ينظر:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/Arnold-Talbot-Wilson>.

"Dinguizli" والطبيب حدو "Haddou" (٢٢١). كما خصّصت الحكومة الفرنسية مستوصفاً وأسست صيدلية واهتمت بالتنظيم الصحي (٢٢٢). فضلاً عن أن الحكومة الفرنسية وجهت بإنشاء مستشفى عسكري ميداني من أجل خدمة الحجاج (٢٢٣).

وبذلك أصبح موسم الحج ميداناً خصباً للتنافس بين الحكومة الفرنسية والبريطانية فيما يتعلق بالخدمات التي تقدمها كل دولة لرعائياها، وهذا يعطي دوراً إيجابياً لكلا الدولتين بتعاطف العالم الإسلامي معهما، ويصب في مصلحة الصحة العامة للحجاج المسلمين (٢٢٤).

ونتيجة لما طرأ على المشهد السياسي من تغير؛ أصبح "مكتب الحج" بمثابة الجهاز السياسي البريطاني في ولاية الحجاز (٢٢٥). إذ إن الحكومتين البريطانية والفرنسية تدركان أهمية ولاية الحجاز ودور الشريف حسين في التأثير على مسار الحرب العالمية الأولى، وأنه يستطيع استمالة العرب والمسلمين إليه؛ لأن إرادته تصبح أمراً مطاعاً لا تخالف ولا تنازع في جميع أنحاء العالم الإسلامي (٢٢٦) بما يمتلك من سلطة دينية، وزمنية (٢٢٧).

الحكومة البريطانية سياسة المكر والخداع فبدلاً من منح ويلسون "Wilson" لقب "قنصل" في ولاية الحجاز منحه لقب "ضابط الحج" (٢١٣)، وعينت معه عدداً من الموظفين المسلمين (٢١٤)، وطبيباً (٢١٥) مكلفاً بإنشاء مستشفى ميداني مُتَنَقِّل (٢١٦)، ومعهم موظفون من ممرضين ومخبريين، بالإضافة إلى الأدوات اللازمة (٢١٧)، كما عينت الحكومة البريطانية مندوباً لشركة جيلاتلي كومباني "Gellatly Company" (٢١٨) ليتولى مسائل نقل الحجاج من مستعمراتها في بلاد الهند (٢١٩)، لما لذلك من أهمية للحكومة البريطانية في كسب تعاطف العالم الإسلامي بعدم مناهضة الاحتلال (٢٢٠). وعلى إثر ذلك عينت الحكومة الفرنسية الطبيب دينغيزلي

(٢١٣) مما تجدر الإشارة إليه هو أن مصطلح "ضابط الحج" لا يعني أنه مسؤول عن كل أمور الحج، بل فقط مسؤول عن تنظيم أمور الحج للحجاج القادمين من المستعمرات البريطانية وخاصة من الهند. (الباحث) (٢١٤) لم يستطع الباحث معرفة أسماء الموظفين المسلمين الذين تم إرسالهم مع الكولونيل ويلسون، وبذلك لم نثر على معلومات وافية حول تلك الأسماء في المصادر والمراجع المتاحة (الباحث). (٢١٥) تميزت الحكومة الفرنسية عن الحكومة البريطانية أنه في حال ظهرت على أحد الحجاج أعراض مرض مشبوه فإنه يمكن للطبيب الفرنسي عزله في إحدى غرف الخان المنعزلة على الشرفة، ينظر:

"Rapport Medical sur...", Carton 310. Dossier 2, p. 11. (٢١٦) لم يستطع الباحث معرفة اسم ذلك الطبيب. وبذلك لم نثر على معلومات وافية حول اسمه في المصادر والمراجع المتاحة (الباحث). (٢١٧) The Arab Bulletin of The Arab Bureau in Cairo, 1916-1919, (London: Archive Editions, 1986) Vol, 2, 28, p. 398.

(٢١٨) شركة جيلاتلي كومباني "Gellatly Company" تأسست عام ١٨٦٢م وكانت لها تجارة كبيرة بين مدينتي سواكن وجدة، وفي عام ١٩٠٥م أسست ميناء بور سودان الذي أصبحت له مكانة تجارية في البحر الأحمر، ثم في أثناء الحرب العالمية الأولى اختارتها الحكومة البريطانية كي تكون ناقلاً للحجاج إلى مدينة جدة، ينظر:

Clayton, Gilbert Falkingham, An Arabian Diary, (Press: University of California, 1969), p 91-92.

(٢١٩) Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 24 Septembre 1916, F.O. 371/2476.

(٢٢٠) "Notes on the Mission of French to Sherif Husein ruled Mecca", Arab Bureau, 16 Octobre 1916, F.O. 6074; Telegram from Resident Aden to Sir McMahon Cairo, 15 October 1916, F.O. 2487.

(221) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 48.

(222) Ibid.

(223) Pascal, "La Mission du Lieutenant...", pp. 17-31.

(224) Under Secretary of State Foreign Office to India Office, Political Turkey, 1916, F.O. 371/2799.

(225) Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 24 Septembre 1916, F.O. 371/2476.

(٢٢٦) القيلة: العدد (١)، س ١، الاثنين ١٥ شوال ١٣٣٤هـ الموافق ١٥ آب (أغسطس) ١٩١٦م، ص ٣.

(٢٢٧) غرايه، عبد الكريم، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٩م، العراق والجزيرة العربية (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م) ج ١، ص ٣٤٣؛ أنطونيوس، يقظة العرب، ط ٨، ص ٢٢١.

الحكومة البريطانية^(٢٣٣)، بحجة أن فرنسا لا ترغب في التدخل بالشؤون الداخلية لولاية الحجاز^(٢٣٤). وعلى إثر ذلك اتسم عمل ويلسون "Wilson" في ولاية الحجاز بالليونة وتسهيل تنقلات البعثة الفرنسية؛ لأن الحكومة البريطانية تؤمن بوجود التودد والتقرب للعرب المحيطين بمكة لتأليبهم على الدولة العثمانية^(٢٣٥)، وفي الوقت نفسه تراعي المصالح الفرنسية^(٢٣٦). ومع ذلك فقد وصلت معلومات لفرنسا تؤكد أن الموقف البريطاني لم يتغير من البعثة الفرنسية. ولهذا فقد سعى ويلسون "Wilson" إلى تقديم البعثة الفرنسية للشريف حسين على أنها بعثة مدنية وعسكرية فرنسية . إسلامية^(٢٣٧). كما أنه قد تم العثور على معلومات في الأرشيف البريطاني تدعم الرأي الفرنسي، إذ إنه بالفعل قد تم تقديم البعثة الفرنسية للشريف حسين على أنها بعثة سياسية ليس لها أهداف عسكرية^(٢٣٨). وقد لاحت بوادر إقامة كيان سياسي خاص بالحكومة الفرنسية تظهر في الأفق من خلال تصرفاتها تجاه الشريف حسين بمكة، (بالرغم من نفيها أنه لا توجد لها أي مصالح سياسية أو تجارية في ولاية الحجاز)^(٢٣٩)، وأنها لا تسعى للحصول على امتيازات دينية في شبه الجزيرة العربية، بل هي على

تصاعدت أحداث الحرب العالمية الأولى، وتبدل الموقف البريطاني بهدف الإبقاء على التحالف^(٢٣٨) بين الحكومتين البريطانية والفرنسية متماسكا إذ خلقت بعض صور للتفاهم فيما بينهما أسهمت في تلاشي حدة الصراع على ولاية الحجاز. وعلى إثرها، التزمت وزارة الخارجية البريطانية بتقديم ما بوسعها لإنجاح وتسهيل وصول البعثة الفرنسية إلى ولاية الحجاز، عملا على ما يحقق مصلحة بلادهم، وفي إثر ذلك طلبت الحكومة البريطانية من مندوبها في مصر تقديم المساعدة إلى بريموند "Bremond"^(٢٣٩) في اتصالاته مع السلطات العسكرية للشريف حسين^(٢٣٠).

ومن خلال استقراء الأحداث، نجد أن الحكومة الفرنسية قد شددت في خطابها للحكومة البريطانية مؤكدة أن الهدف من إرسال بعثتها إلى شريف مكة هو من أجل تسهيل عملية الحج للمسلمين في مستعمراتها والبلدان الواقعة تحت سيطرتها، ولن يتم ذلك إلا بمساعدة صديقتها الحكومة البريطانية^(٢٣١)، كما أن الحكومة الفرنسية كانت تعترف لبريطانيا بوضعها المميز في ولاية الحجاز^(٢٣٢). يضاف إلى ذلك أن الحكومة الفرنسية أوضحت أنها لن تقوم بأي خطوة في ولاية الحجاز إلا بعد الاتفاق التام مع

(233) "Lettre de President du...", le Imai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 49.

(234) "Arabian Report" N. S, 16 July 1916, F.O.17/177. (٢٣٥) أنطونيوس، يقظة العرب، ط٨، ص ٢١٢.

(٢٣٦) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط٥، ص ٧٤٥. (237) "La Depeche, Diplomat...", 24 September, 1916, Rabat No, 977.

(238) Telegramme from Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 29 August 1916, F.O. 371/6096.

(٢٣٩) السماري، موسوعة تاريخ، ص ١٥٠.

(٢٣٨) كان من الضرورة أن يكون هناك حلف متماسك بين دول الحلفاء منعا للخلاف، وكانت الحكومة البريطانية هي المهندس الرئيس في إيجاد التوازن بين دول الحلفاء، ينظر: أنيس، الدولة العثمانية، ص ٢٧٥. (٢٣٩) نظرا لارتباط بعثة الحجاز ببعثة الحكومة الفرنسية في مصر.

(230) Telegram from the Resident, Cairo to the Secretary of State for the Colonel, 28 August 1916, F.O. 882/10.

(٢٣١) القيلة: العدد (١٨)، س ١، الخميس ١٩ ذي الحجة ١٣٣٤ هـ الموافق ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦ م، ص ٣.

(٢٣٢) السماري، فهد عبد الله، وآخرون، موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٩٩٩ م) ص ١٥٠.

العسكرية الفرنسية في الحجاز^(٢٤٧). ٥- تعهد فرنسا تسهيل وتأمين طرق القوافل للحج^(٢٤٨) كما أن ثمة معلومة وردت تؤكد أن الحكومة الفرنسية قد كلفت الضابط "قاضي"^(٢٤٩) بلعب دور الوسيط بين بريموند "Bremond"^(٢٥٠) والشريف حسين^(٢٥١) وكان من وراء هذه الوساطة أربعة أهداف: أولاً: تسهيل عملية حج المغاربة إلى مكة^(٢٥٢). ثانياً: تسهيل مهمة ابن غبريط^(٢٥٣). ثالثاً: تقديم المشورة العسكرية للشريف حسين في مكة في أثناء ثورته^(٢٥٤) ضد الدولة العثمانية من خلال تقديم الاستشارات والتقنيين المختصين للضباط العرب^(٢٥٥). رابعاً: إن

العكس تمتنع عن التدخل في شؤون المسلمين الدينية^(٢٤٠). لكن من خلال الأحداث التاريخية يتضح أن الحكومة الفرنسية كانت تسير باتجاه تحول الدعم المعنوي إلى مشاركة عسكرية سياسية^(٢٤١) حتى تتمكن من مد نفوذها وتوسعها في ولاية الحجاز، وفي شمال شبه الجزيرة العربية^(٢٤٢).

٨- مهام البعثة ونقلها إلى ميناء جدة:

ممّا يبدو من المعطيات التاريخية أنه قد أُعطيت للبعثة الفرنسية المتجهة إلى ولاية الحجاز الصفة السياسية والدينية^(٢٤٣)، وُحددت أهدافها ومُنح ابن غبريط عدة أمور تحدد الطابع والغرض من مهمة كان من أبرزها ما يأتي: ١- الإعراب للشريف حسين في مكة عن دعم الحكومة الفرنسية له وأنها تقف بجانبه في ثورته ضد الحكومة العثمانية^(٢٤٤).

٢- السرعة في الحصول من الشريف حسين على إذن بشراء نزل "خان" في مكة^(٢٤٥). ٣- التعريف بالإسلام السياسي الفرنسي الجديد الذي سيخدم مصلحة الشريف حسين^(٢٤٦). ٤- إعطاء توجيهات بشأن العلاقات التي تربط ابن غبريط برئيس البعثة

(247) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

(248) Sellam, Sadak, La France et ses Muslmans (Alger: Casbah, 2006), p. 176.

(249) كُلفت وزارة الخارجية الفرنسية الضابط "قاضي" بدور الوسيط للبعثة الفرنسية التي أرسلت إلى الحجاز؛ لأنها كانت مؤلفة من قسمين: القسم المدني أي الحجاج وكان هذا القسم برئاسة ابن غبريط، أما القسم الثاني فكان قسماً عسكرياً بقيادة الضابط "قاضي". وكان هناك رئيس عام للقسمين المدني والعسكري. وهذا الرئيس هو بريموند "Bremond" وبما أن الأخير مسيحي ولا يحق له الذهاب إلى مكة لقاء الشريف حسين فقد قامت وزارة الخارجية الفرنسية بتكليف الضابط "قاضي" بمهمة الوسيط بين الكولونيل بريموند والشريف حسين. (الباحث).

(250) تجدر الإشارة إلى أن بريموند "Bremond" كان يُظهر العمل من أجل تحرير واستقلال العرب من الدولة العثمانية، ولكنه في حقيقة الأمر كان يعمل من أجل مصلحة بلاده من أجل السيطرة على سوريا، ينظر: ناتنغ، أنتوني، ولويل ثوماس، تقديم، معدي، الحسيني، لورنس لغز الجزيرة العربية (دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م)، ط١، ص ١٥٧. (251) لأن المسيحي يحرم عليه دخول مكة المقدسة، وبذلك تفقد فرنسا رعاية حجاجها ومتابعيهم، لذلك لجأت فرنسا إلى تعيين شخصية مسلمة تقوم برعاية حجاجها من المستعمرات الفرنسية، ينظر: أمين، "موسم حج..."، ص ١٧٦.

(252) "Lettre Ministre des Affaires...", du 4 Septembre 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

(253) Ibid.

(254) لقد حرصت الحكومة الفرنسية على عدم تقوية جيش ثورة الشريف حسين حتى لا يقف في وجه أطماعها في البلاد العربية بعد إنتهاء الحرب، ويكون شوكة في تحقيق أهدافها من الحرب، ينظر: موسى، سليمان، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى (الأردن: منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٢م)، ط٢، ص ١٨٠.

(255) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 50.

(240) Journal Le Matin, N 11946, 11 Novembre 1916, p. 1. (241) فريحات، السياسة الفرنسية، ص ١٠١.

(242) "Traduction en Francais de Constitution...", Carton 310. Dossier 2, P. 16.

(243) سعيد، أسرار الثورة، ص ١٤٣؛ غراييه، مقدمة في تاريخ، ج ١، ص ٣٤٣.

(244) "Lettre Ministre des Affaires Etrangeres", Paris, du 4 Septembre 1916. Archives Diplomatiques de Nantes, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

(245) Ibid.

(246) Ibid.

هدف البعثة الفرنسية هدف سياسي بحث لا دخل له بشؤون الخلافة^(٢٥٦) الإسلامية^(٢٥٧).

وفي ضوء ما سبق قامت الحكومة الفرنسية باستئجار السفينة لورينوك "L'Orenoqué"^(٢٥٨) التابعة لشركة "مساجريز ماريتيمس" "Messageries Maritimes"^(٢٥٩) لنقل الحجاج من مستعمراتها في شمال أفريقيا إلى مكة^(٢٦٠)، وذلك لضمان سلامة السفر بحراً^(٢٦١)، وكانوا نخبة مختارة من مسلمي شمال أفريقيا على النحو الآتي: (٢٩٣) حاجا جزائريا و (١٩١) حاجا تونسيا و (٢١٦) حاجا مغربيا^(٢٦٢). أما أعضاء البعثة^(٢٦٣) فقد كانوا

^(٢٥٦) لقد أدركت الحكومة الفرنسية أن الشريف حسين لا يريد فقط الانفصال عن الحكومة العثمانية بل يريد استعادة الخلافة من الدولة العثمانية، ينظر: وهبة، جزيرة العرب، ط١، ص ١٧٦.

^(٢٥٧) Elder, French Policy, p. 337.

^(٢٥٨) حرصت الحكومة الفرنسية على أن تتوفر في السفن التي تنقل الحجاج إلى مكة أنظمة صحية تتطابق مع مرسوم ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م والذي يمنع نقل البضائع على سفن الحجاج، كما خصصت فرقاطات وسفنًا لنقل ومرافقة الحجاج أثناء الحرب العالمية الأولى إلى موانئ شبه الجزيرة العربية، ينظر: أمين، "موسم حج..."، ص ١٨٦؛

Journál Lé Mâtin, N 11946, 11 Novembre 1916, p. 1.

^(٢٥٩) شركة "ميساجري ماريتيم" "Messagerie Maritime" تأسست عام ١٨٥١م وهي عبارة عن شركة نقل بحري، تهتم بنقل البضائع بين أوروبا وآسيا، للمزيد من المعلومات ينظر المقالة التالية:

Berneron-Couvenhes, Marie-Françoise, La Compagnie des Messageries Maritimes: Initiatives privées et subventions publiques a l'origine d'un grand Armement Commercial Français au XIXe siècle, (in Revue d'histoire maritime, no 5, 2006), p. 55.

^(٢٦٠) "La Depeche, Diplomate...", 24 September, 1916, Rabat No, 977.

^(٢٦١) "Lettre de President du...", le 1 mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 48.

^(٢٦٢) "La Depeche, Diplomate...", 25 September, 1916, Rabat No, 977.

^(٢٦٣) وهم على النحو التالي: من تونس: أ- سي الحاج الشاذلي العقبي. ب- سي الحاج العربي بن الشيخ. من المغرب: أ- ابن غريبط. ب- سي أحمد بن الحاج سكيرج. من الجزائر: أ- الأغا الحاج صحراوي. ب- الفقيه الحاج مصطفى بن أحمد شرشالي. أما مندوب أفريقيا الغربية الفرنسية السنغال فهو: سي عبد الحميد عبدو خان الكولغي، ويضاف إليهما شخصان بصفة سكرتير هما: أ- قسوس محمد بن يوسف. ب- سي علي مالك. كما تجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية قد تحملت نفقات البعثة والوفد والمندوبين ورصدت لهم ميزانية بلغ مقدارها (٣٥٠٠٠٠٠) فرنك،

متواجدين في مدينة باريس وقد التقوا بوزير الداخلية الفرنسي وتم إعطاؤهم المعلومات وتوجيههم بالعمل لمصلحة الحكومة الفرنسية والاجتهاد في إنجاح المهمة التي أرسلوا من أجلها^(٢٦٤)، وقد نقلوا على ظهر البارجة "أستريه" التي غادرت من ميناء مرسيليا "Marseille" الفرنسي في يوم الأربعاء ٨-١١-١٣٣٤هـ / ٦-٩-١٩١٦م لمقابلة الشريف حسين من أجل شراء نزل "خان" في مكة^(٢٦٥)، كما حرصت الحكومة الفرنسية أن يصحبهم بريموند "Bremond" رئيس الوفد العسكري، ويرافقهم كذلك كل من الكابتن كوس "Cousse" من طابور المشاة رقم (٣١٤) ورئيس المدفعية الثقيلة رقم (١١٣)، كوني "Cuny"، و ستركير "Streiberg" كاتم أسرار البعثة^(٢٦٦)، والكمندور كادي "Commandant Cadi"^(٢٦٧). ومن الضباط العرب كل من النقيب "سعد رفيد" والنقيب "رحو محمد ولد علي"^(٢٦٨) وقد وصلوا جميعاً إلى ميناء مدينة جدة يوم الأربعاء بتاريخ: ٢٢-١١-١٣٣٤هـ / ٢٠-٩-١٩١٦م^(٢٦٩) وعلى الصعيد

ينظر: القبلة: العدد (٢٣)، س ١، الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ الموافق ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣؛

"Notes on the Mission of French to Sherif Husein ruled Mecca", Arab Bureau, 16 Octobre 1916, F.O. 6074.

^(٢٦٤) "Lettre Ministre des Affaires...", du 6 Septembre 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

^(٢٦٥) Ibid;

القبلة: العدد (٢٣)، س ١، الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ الموافق ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

^(٢٦٦) القبلة: العدد (١٢)، س ١، الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

^(٢٦٧) "Arabian Report" N. S, 23 September 1916, F.O.17/177.

^(٢٦٨) Pascal, "La Mission du Lieutenant...", pp. 17-31.

^(٢٦٩) "La Depeche, Sairt Aulaire, Ministre Plenipotentiaire Delegates", du 9 Octoper 1916. Archives du Ministere des Affaires Étrangères, Àfrica II, 169-1.

التي أعدت للبعثة كما أكدت على متابعة شؤونها^(٢٧٦)، لأنها كانت حريصة على أن تظهر بعثتها بالمظهر اللائق أمام الحكومة البريطانية المنافسة^(٢٧٧) لها في ولاية الحجاز^(٢٧٨).

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الشريف حسين أولى اهتماما بالغاً باستقبال البعثة الفرنسية والحجاج المغاربة^(٢٧٩)، إذ أكدت المعلومات الفرنسية أن الشريف حسين في عشية يوم الجمعة ١٧-١١-١٣٣٤هـ / ١٥-٩-١٩١٦م استحوذت عليه فكرة التحضير لاستقبال يليق بالبعثة الفرنسية والحجاج المغاربة^(٢٨٠). وعلى إثر ذلك فقد قرر الشريف حسين إيفاد وفد^(٢٨١) من أعيان مكة لاستقبال البعثة في يوم وصولها على ظهر البارجة القادمين عليها في مياه ميناء جدة^(٢٨٢). وبعد وصولها إلى ميناء جدة تقدم الشريف محسن بن منصور نائب الشريف حسين في مدينة جدة وكان معه رئيس بلدية مدينة جدة ومدير الأمن العام، وكذلك المعتمد البريطاني في مدينة

الأخر فقد وصلت سفينة الحجاج المغاربة^(٢٧٠) المذكورة إلى بحر مدينة جدة في يوم الاثنين بتاريخ: ٢٧-١١-١٣٣٤هـ / ٢٥-٩-١٩١٦م^(٢٧١). عندها طلبت وزارة الخارجية الفرنسية من ويلسون "Wilson" البريطاني في الحجاز أن يساعد بعثتها^(٢٧٢) ويسهل تنقلاتها بين جدة ومكة حتى تصل بسلام إلى الشريف حسين في مكة، وهذا ما تم بالفعل^(٢٧٣). هذا وقد أكدت المعلومات أن الشريف حسين قد أرسل تلغرافاً إلى رئيس الجمهورية الفرنسية بوينكار "Poincare" أعرب فيها عن رضاه وابتهاجه بوصول البعثة الفرنسية إلى مكة كما شكر فيها الأمة الفرنسية على اهتمامها بالإسلام وعن مدافعتها عن الحقوق المدنية للشعوب وفي مقدمتها ولاية الحجاز^(٢٧٤). كما قال: "...إن التاريخ شاهد على العواطف الكريمة التي أظهرتها الأمة الفرنسية للإسلام والمسلمين..."^(٢٧٥).

٩- مراسم استقبال البعثة الفرنسية من قبل الشريف حسين:

أرسلت وزارة الخارجية الفرنسية رسالة إلى دوفرانس "Defrance"، أكدت فيها على متابعة البعثة الفرنسية المتجهة إلى الشريف حسين في مكة وأن تنقل لها كافة التفاصيل، وأن تتحرى في مراسيم الاستقبال

(276) Telegramme de Francais au Ministere des Affaires Étrangères Français, No, 40, du 4 Octoper, 1916, Archives du Ministere des Affaires Étrangères: Arabie-Hedjaz. Carton, 78.

(277) لم تستطع الحكومة الفرنسية زعزعة مكانة الحكومة البريطانية في شبه الجزيرة العربية أو في الهند، وإن كانت قد سببت لها قلقاً، بالرغم من حرص الحكومة الفرنسية على تأسيس شركة الهند الفرنسية الشرقية منذ عام ١٦٦٤م لمنافسة بريطانيا في تجارة الهند، ينظر: العقبي، التنافس، ص ١٩.

(278) "Le President du Conseil Ministre des Affaires Etrangères a Monsieur de Fleuriau Charge d Affaires de la Republique Francaise a Londres", Paris, Service Historique de la Défense, du 22 Octobre 1916.

(279) لمعرفة أعيان حجاج المغرب، ينظر: القبلة: العدد (١٥)، س ١، الاثنين ٥ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦م، ص ٤.

(280) "Le President du Conseil Ministre...", du 22 Octobre 1916.

(281) لمعرفة أعضاء الوفد الذين استقبلوا البعثة الفرنسية في مدينة جدة ينظر: القبلة: العدد (٩)، س ١، الاثنين ١٤ ذي القعدة ١٣٣٤هـ الموافق ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

(282) المرجع نفسه.

(270) لقد وجد مشروع إرسال سفن مجانية لموسم حج عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م معارضة؛ لأنه يكلف الحكومة الفرنسية مبالغ مالية طائلة كما أنه يشجع الناس على الذهاب إلى مكة، وهذا يخالف أهداف الاستعمار الفرنسي، ينظر:

Pautremat, La Politique Musulmane, p. 198.

(271) الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٦٠.

(272) "Arabian Report" N. S, 23 September 1916, F.O.17/177.

(273) Ibid.

(274) القبلة: العدد (١٨)، س ١، الخميس ١٩ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

(275) أمين، الثورة العربية، م ١، ص ١٦٢.

لبلباسهم العسكري^(٢٩١)، وكذلك جمع من العلماء الكبار بمكة^(٢٩٢) وأعضاء مجلس الشورى والوجهاء، ثم بعد ذلك أقام لهم مأدبة غداء تليق بهم كما أنه قد دعا إليها كبار رجال الهيئات الدينية، والمستشارين، وكبار الشخصيات البدوية^(٢٩٣) المؤثرة على مسرح الأحداث السياسية^(٢٩٤). وقد استقَرَّ هذا العمل الحكومة البريطانية التي كانت تؤمن بأن الشريف حسين هو صديقها الوحيد^(٢٩٥). وعلى الجانب الآخر رحبت ولاية الحجاز بالبعثة الفرنسية في أراضيها لدعم قوتها على أرض الواقع للوقوف في وجه الدولة العثمانية^(٢٩٦). ولكن أكدت الوثائق الفرنسية بأن الاستقبال الحجازي للبعثة الفرنسية يخفي سببا أبعد عمقا، يتجسد في رغبة الحكومة الفرنسية باحتوائها للشريف حسين^(٢٩٧). وقد أكد ذلك تلغراف وصل إلى الشريف حسين من الرئيس بوينكار "Poincare" يشكره فيها على إخباره بوصول البعثة الفرنسية إلى

جدة^(٢٨٣)، وأطلق ترحيبا بالبعثة الفرنسية (٢١) مدفعا من البر الحجازي. وكانت علامة على الصداقة والسلام، ثم بعد ذلك ركبوا الخيول، واتجهوا إلى دار الحكومة. وقد عملت لهم مأدبة غداء حافلة، تسودها عبارات الود والمحبة^(٢٨٤). وتجدر الإشارة إلى أن رئيس الجمهورية الفرنسية بوينكار "Poincare" أرسل تلغرافا إلى الشريف حسين شكره فيها على حسن استقباله للبعثة الفرنسية في مدينة جدة وتمنى أن يكون النصر حليفه^(٢٨٥). في حين كانت الحكومة البريطانية تراقب عن كثب كل تحركات البعثة الفرنسية وترصد تحركاتها؛ لأنها كانت تخشى منافسه فرنسا لها في ولاية الحجاز^(٢٨٦).

وفي صباح يوم الأربعاء: ٣٠-١١-١٣٣٤هـ/٢٨-٩-١٩١٦م غادرت البعثة الفرنسية مدينة جدة، واتجهت إلى مكة وعند وصولها^(٢٨٧) استقبلهم الشريف حسين بنفسه استقبالا رسميا لائقا بهم^(٢٨٨)، إذ حيَّوهم بمئة طلقة مدفعية^(٢٨٩) ثم انتقلوا إلى قاعة الاستقبال الرسمي^(٢٩٠) وكان بصحبة الشريف حسين أثناء الاستقبال الضابط "قاضي" وبقية الضباط

(291) "Le President du Conseil Ministre...", du 24 Octobre 1916.

(292) لمعرفة أعضاء الوفد الذين استقبلوا البعثة الفرنسية في مكة المكرمة ينظر: القبلة: العدد (١٤)، س ١، الخميس ١ ذو الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٢.

(293) تجدر الإشارة إلى أن الشريف حسين قد تقرب إلى البداية، وبسط نفوذه عليها ومنع اعتداءها على قوافل الحج تارة بالقوة وتارة بالسياسة، ينظر: حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب (بيروت: المطبعة السلفية، ١٩٣٣م) ط ١، ص ٣١٩؛

Baker, Randel, King Husain and the Kingdom of Hejaz (Cambridge: Oleander Press, 1979) p, 22.

(294) "Lettre Ministre des Affaires...", du 2 Octoper 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

(295) Telegram from the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 1916, L/PS/10/1175.

(296) Ibid.

(297) Tiegramme du Conseil Ministres dés Affaires Étrangères Francais, No, 39, du 17 Octoper, 1916, Archives du Ministere des Affaires Étrangères: Arabie-Hedjaz. Cârton, 77.

(283) القبلة: العدد (١٢)، س ١، الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٣.

(284) المرجع نفسه.

(285) القبلة: العدد (١٨)، س ١، الخميس ١٩ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ٣؛ غراييه، مقدمة في تاريخ، ج ١، ص ٣٤٣.

(286) "Arabian Report" N. S, 23 September 1916, F.O.17/177.

(287) "Le President du Conseil Ministre...", du 22 Octobre 1916.

(288) Ibid.

(289) Journal Le Matin, N 11946, 11 Novembre 1916, p, 1; القبلة: العدد (١٤)، س ١، الخميس ١ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٢.

(290) المرجع نفسه.

أكد دعم الحكومة الفرنسية على تأسيس دولة عربية مستقلة^(٣٠٥).

عند ذلك ارتجل الشريف حسين خطبة ردا على ابن غبريط، ومن أهم ما جاء فيها على النحو الآتي: أ- الترحيب بالبعثة الفرنسية. ب- شكر الحكومة الفرنسية لوقوفها بجانب الحق العربي. ج- وضح أن الهدف من ثورة العرب^(٣٠٦) ليس من أجل مطامع ومكاسب دنيوية وإنما الهدف هو إظهار الحق، والمحافظة على الكيان الديني والقومي للأمة العربية والإسلامية. د- أظهر محاسن الأمة الفرنسية بوقوفها ومؤازرتها للإسلام والمسلمين. ي- شكر سكان بلاد المغرب وحكامها على عنايتهم واهتمامهم بتوثيق أواصر المحبة والمودة مع ولاية الحجاز^(٣٠٧).

بعد ذلك قدم ابن غبريط للشريف حسين الهدايا التي جلبت من فرنسا ومن مستعمراتها في شمال أفريقيا^(٣٠٨). كما قدّم الإعانة الفرنسية التي أقرها مجلس الشيوخ الفرنسي^(٣٠٩). وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية كانت تهدف من وراء ذلك إلى دفع مخصصات البدو ورواتب الجنود النظاميين ورواتب القائمين على إدارة المسجد الحرام^(٣١٠)، حتى تستميل كافة أطراف المجتمع الحجازي إلى جانبها^(٣١١).

مكة^(٢٩٨)، كما يشكره على حسن المُقابل له الودية التي استقبلت بها البعثة^(٢٩٩). ثم في نهايه رسالته طمأن الشريف حسين وأكد له بقوله: "...أن الحكومة الفرنسية تتمنى بمنتهى الإخلاص النصر المبين لجيوشكم، وإني أشاطرها هذه العواطف، وأتمنى لعظمتكم الفوز"^(٣٠٠).

وعلى المشهد الآخر، وبعد مراسم الاستقبال تقدم رئيس البعثة ابن غبريط وألقى خطبة أمام الشريف حسين، ولعل أهم ما جاء فيها على النحو الآتي: أ- امتدح الشريف حسين؛ لأنه جمع بين السياسة الدينية والدنيوية. ب- حافظ على الأمن وشعائر الإسلام في مكة وضواحيها^(٣٠١). ج- امتدح الأمة الفرنسية صاحبة المدنية الإنسانية. د- أكد أنه جاء مندوبا من قبل الحكومة الفرنسية للوقوف بجانب الشريف حسين لاسترجاع الكرامة العربية. ي- أكد أن مسلمي شمال وغرب أفريقيا الواقعين تحت حكم الدولة الفرنسية يقفون مع ثورة^(٣٠٢) الشريف حسين ضد الدولة العثمانية^(٣٠٣). و- أكد أن النصر حليف الشريف حسين وأنه سيكون نصرا قريبا^(٣٠٤). ي-

^(٢٩٨)القبلة: العدد (١٣)، س ١، الاثنين ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٤هـ الموافق ٣٠ آب (أغسطس) ١٩١٦م، ص ٣.

^(٢٩٩)المرجع نفسه.

^(٣٠٠)أمين، الثورة العربية، م ١، ص ١٦٢.

^(٣٠١)لمزيد من المعلومات حول الأمن العام في ولاية الحجاز في عهد حكومة الشريف حسين لعام ١٩١٦م، ينظر: القبلة: العدد (٣٦)، س ١، الاثنين ٢٢ صفر ١٣٣٥هـ الموافق ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦م، ص ١.

^(٣٠٢)تجدر الإشارة إلى أن الشريف حسين قد قام بنشر منشور عام إلى كافة المسلمين وضح فيه هدفه من الثورة وشرح فيه أسباب وقوفه في وجه الدولة العثمانية، للمزيد من المعلومات حول ذلك المنشور، ينظر:

The King of Hedjeaz and Arab Independence, (London: Hayman Lilly Ltd, 1917) p.1.

^(٣٠٣)القبلة: العدد (١٤)، س ١، الخميس ١ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٢.

^(٣٠٤)المرجع نفسه.

^(٣٠٥)المرجع نفسه.

^(٣٠٦)تجدر الإشارة إلى أن السوريين كان لديهم خبر اتصال الشريف حسين بالحكومة البريطانية في صيف ١٩١٦م، وأنهم يؤيدون ذلك بشرط الاستقلال التام للبلاد العربية، ينظر: سعيد، أمين، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين (بيروت: دار الكتاب، د.ت) ص ٢٣٦.

^(٣٠٧)القبلة: العدد (١٤)، س ١، الخميس ١ ذي الحجة ١٣٣٤هـ الموافق ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، ص ٢.

^(٣٠٨)"Le President du Conseil Ministre...", du 24 Octobre 1916.

^(٣٠٩)Ibid.

^(٣١٠)أدركت الحكومة الفرنسية أن الشريف حسين كان يعاني من نفقات الجند الباهظة التي تتراوح شهرياً من ٥٠ إلى ٧٥ فرنكا، لذلك قدمت له المعونة، ينظر:

٩- المفاوضات حول تنفيذ المشروع:

حقق ذلك التلاحم والتحالف بين ولاية الحجاز والبعثة الفرنسية في موسم حج ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م اجتماع الوفد^(٣١٢) الفرنسي برئاسة ابن غبريط ومعه الضابط "قاضي" الشريف حسين من أجل التفاوض على شراء عقار^(٣١٣) يملكه السيد عبد الستار الميمني^(٣١٤) وبحضور كل من الشيخ سي أحمد أفندي باناجه^(٣١٥) وكيل المالية في ولاية الحجاز، وقاضي القضاة ومفتي الأقطار الحجازية بمكة الشيخ عبد الله بن أحمد سراج^(٣١٦) وبعد التفاوض تم شراء العقار بمبلغ قدره مائة وخمسة وعشرون ألف فرنك، قدرته اللجنة^(٣١٧) التي قامت بزيارة تفصيلية للعقار، وأوضحت بأن البناء يتميز بعدة مميزات لعل من أهمها الآتي: أ- قربه من إحدى الساحات الكبيرة للحرم^(٣١٨)، ب- قربه من الكعبة المشرفة؛ فباب

الحميدية على بعد حوالي مائة متر. ج- مخازن الدار تتسع للمؤن، د- صهريج يوفر الحاجة من الماء. و- المبنى تتوفر فيه النظافة^(٣١٩)، وبناء على تلك المواصفات اشترى ابن غبريط العقار^(٣٢٠) بأموال الدولة الفرنسية بعد دفعه عربونا قدره ألفا فرنك^(٣٢١). لكن الشريف حسين ومعه الشيخ سي أحمد أفندي باناجه قد واجها بعض الصعوبات الناتجة عن خوفهما من ضغط الرأي العام في مكة الراض لبيع أي عقار^(٣٢٢) في أنحاء مكة لدولة غير مسلمة، عند ذلك كادوا أن يتراجعوا عن البيع^(٣٢٣)، وعندما وصلت تلك المعلومات إلى بريموند "Bremond" أسرع إلى طمأنة الشريف حسين ومعه وزير ماليته بخصوص هوية المشتري^(٣٢٤)، لتفادي الإساءة للشريف حسين أمام الرأي العام الإسلامي، إذ لن يكن المشتري هو الحكومة الفرنسية بكل تأكيد بل

(319) "Note Redigee p ar M. le Commandant Cadi au Sujet" d'un Immeuble Visite par M. Benghabrit qui Pourrait Servir d'hotellerie Destinee aux Perlerins de la Mecque Ministere de Affaires Étrangères, 1918- 1919, "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2.

(320) يوجد بداخل الصك الشرعي تفاصيل دقيقة جدا عن العقار الذي تم شراؤه من قبل ابن غبريط، ينظر:

"Ambassadeur Francais au...", Carton, 529, p. 1-12.

(321) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

(322) تجدر الإشارة إلى أن العقار الذي اشترته الحكومة الفرنسية في مكة كان فيه بعض العيوب التي وضحتها لجنة الأطباء في تقريرها المرفوع للحكومة الفرنسية، مثل: بعض صهاريج الماء، بيوت الخلاء، طلاء الجدران، وغيرها، لكن تلك العيوب يمكن معالجتها بمبلغ (٢٥٨٥) فرنكاً، والبناء بمجمله مناسب للغرض المرجو منه، ينظر:

"Rapport Medical sur..." Carton 310. Dossier 2, p. 12.

(323) "Proces-Verbal de la Seance...", du 14 Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 6e.

(324) "Telegramme du Quai d'Orsay au Resident General du Mâroc à l'intention de Ben Ghabrit". Cite in Le Pautremat Ministere de Affaires Étrangères, Guerre 1914-1918, Hedjaz, Mi P 1462, Hotelleries de La Mecque (Decembre 1916-Avril, 1918), (Paris), vol. 1710.

"Le President du Conseil Ministre...", du 24 Octobre 1916.

(311) Ibid.

(312) تجدر الإشارة إلى أن الوفد الفرنسي قد حمل رسائل من حكام شمال أفريقيا إلى الشريف حسين، ولمعرفة تفاصيل تلك الرسائل، ينظر: الموصلي، تاريخ مقدرات، ج ١، ص ٣١٠-٣١٦.

(313) كانت صفه العقار التي اشترها ابن غبريط لإيواء الحجاج عبارة عن ثلاثة أبنية موزعة حول باحة مركزية، وأن الأبنية مستقلة عن بعضها بعضا، ومبنية بحسب طراز البناء في مكة المكرمة، ينظر:

"Rapport Medical sur...", Carton 310. Dossier 2, p. 11.

(314) هو عبد الستار بن المرحوم محمد أمين بن أبي طالب عبد الله الميمني، كما تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد حصل على نسخة شراء العقار باللغة العربية من الارشيف الفرنسي تتكون من اثنتي عشرة ورقة من الحجم المتوسط، ينظر:

"Ambassadeur Francais au Caire". Ministere des Affaires Étrangères Lr, Carton, 529, P. 1.

(315) لم نعثر على معلومات وافية حوله إلا أنه كان وكيل المالية في حكومة الشريف حسين في ولاية الحجاز، ولا تتوفر له ترجمة في المصادر والمراجع المتاحة.

(316) "Ambassadeur Francais au...", Carton, 529, p. 12.

(317) "Proces-Verbal de la Seance...", du 14 Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 8e; Pascal, "La Mission du Lieutenant...", pp. 17-31.

(318) ينظر ملحق رقم (١).

الجهادية^(٣٣٢)، عندها وافقت الحكومة الفرنسية على مقترح الشريف حسين؛ لأن هناك ميزات كثيرة في جعل ملكية لمسلمي شمال وغرب أفريقيا التي تخدم مصلحة فرنسا بالدرجة الأولى^(٣٣٣). وبذلك أكدت المعلومات الفرنسية أنه قد جرى توقيع العقد لاحقاً بتاريخ: ٢٩-٣-١٣٣٥هـ / ٢٣-١-١٩١٧م وتم دفع المبلغ المتبقى وهو مائة وثلاثة وعشرون ألف^(٣٣٤) فرنك^(٣٣٥). وعليه وبسرعة فائقة أعطت الحكومة الفرنسية تعليماتها لمبعوثها الرسمي سي الحاج مصطفى بن أحمد شرشالي^(٣٣٦) (نظرا لمغادرة بريموند "Bremond" ولاية الحجاز لعدة أسابيع) للقيام بمهمة خاصة تخدم مصلحة الحكومة الفرنسية^(٣٣٧)، وكذلك لسفر ابن غبريط إلى باريس^(٣٣٨) وكانت على النحو الآتي: ١- المحافظة على التناغم مع

تكون "جمعية^(٣٣٥) ثقافية إسلامية" محضة^(٣٣٦). وسيمثل تلك الجمعية رسميا ابن غبريط^(٣٣٧) وهو رئيسها وستحمل مسمى "جمعية أحباس الحرمين الشريفين"^(٣٣٨) وغايتها هو امتلاك البناء في مكة وتحويله إلى "وقف" لصالح الحجاج الفقراء المحتاجين للمأوى، والقادمين من أفريقيا الشمالية والغربية^(٣٣٩). عند ذلك اقتنع الشريف حسين وتُرجم إلى خطوة عملية وتمت كتابة عقد البيع^(٣٤٠) باسم ابن غبريط^(٣٤١)؛ لكن ساد خلاف مرة أخرى حول تسمية العقار في مكة، عندها اقترح الشريف حسين تسمية "رباط المغاربة في الحجاز" وكان هدف الشريف حسين من ذلك هو إكسابه الصفة الدينية

^(٣٣٥) تجدر الإشارة إلى أن النصوص القانونية الفرنسية تمنع تسجيل أي جمعية ذات أساس ديني، لكن استطاعت لجنة "C.I.A.M" تسجيل الجمعية في الجزائر عن طريق قاض في محكمة شرعية وتحمل مسمى "جمعية ثقافية إسلامية"، ينظر: الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٥٢. "Lettre de President du..."، le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 48.

^(٣٣٧) لقد أعطت الحكومة الفرنسية ابن غبريط كامل الصلاحيات لتمثيل الجمعية، والتصرف باسمها لشراء البناء ودفع ثمنه، وتحويله إلى وقف بموجب أحكام الشريعة الإسلامية، كما كلفته بكتابة النظام الذي يحدد القواعد والنظام الإدارية التي سيخضع لها البناء في مكة، وكذلك شروط قبول الحجاج الملتجئين إليه أثناء موسم الحج، ينظر:

"Traduction en Francais de Constitution..."، Carton 310. Dossier 2, P. 17.

^(٣٣٨) تجدر الإشارة إلى أن قرار إحداث "جمعية أحباس الحرمين الشريفين" قد صدر لاحقاً بتاريخ: ٢٣/٤/١٣٣٥هـ الموافق ١٦ / ٢ / ١٩١٧م، بقرار من الحكومة الفرنسية، على أن يكون مقر الجمعية في المسجد الكبير في الجزائر العاصمة، وتعمل باسم كل من سلطان المغرب وباي تونس ومفتي الجزائر، ينظر:

"Notes on the Mission of French to Sherif Husein ruled Mecca", Arab Bureau, 16 Febrory 1917, F.O. 6075.

"Traduction en Francais de Constitution..."، Carton 310. Dossier 2, P. 18.

^(٣٣٩) جرت المباحة لدى قاضي مكة المكرمة مستوفيه شرائط الشرعيه بموجب صك مصدق من قبل المحكمة الشرعية بمكة، ينظر:

"Ambassadeur Francais au..."، Carton, 529, p. 11.

^(٣٤٠) "Telegramme du Quai d'Orsay au Resident General du Maroc a l'intention..." (Decembre 1916-Avril, 1918), (Paris), vol. 1710.

^(٣٣٢) هوارى، مسألة الحج، ص ٧٧؛ الحناشي، "جمعية أحباس..."، ص ١٥٠-١٥١.

^(٣٣٣) "Lettre de President du..."، le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 47.

^(٣٣٤) تجدر الإشارة إلى أن القوانين المطبقة في مصر لم تسمح بتحويل مبلغ (١٢٣٠٠٠) فرنك، لذلك قام الشريف حسين بإعفاء الحكومة الفرنسية من رسوم التحويل، وعندئذ ألغت السلطات المصرية اعتراضها على إخراج العملة الذهبية، ينظر:

"Lettre de President du..."، le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

^(٣٣٥) "Telegramme Ministre des Affaires Etrangeres"، Paris, le 21 Jànviér 1917. Service Historique de la Defence. No "2837".

^(٣٣٦) أصبح شرشالي يحمل صفة المبعوث الرسمي للحكومة الفرنسية. وبصفته هذه فإنه يتولى إدارة كل العلاقات ما بين الحكومة الفرنسية وحكومة الشريف حسين في مكة المكرمة، ينظر:

"Lettre de Colonel Bremond, Chef de la Mission Francaise" M. Cherchali. Djeddah, Dossier, le 10 Juin 1917. Ministère de Affaires Étrangères, 1918-1919. "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2.

^(٣٣٧) لكن الحكومة الفرنسية شددت على مبعوثها الرسمي شرشالي أن يُرسل بشكل يومي إلى بريموند "Brémond" تفاصيل كل المحادثات التي ستجرى مع الشريف حسين؛ لأن بيده الإدارة العليا، ينظر:

"Lettre de President du..."، le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 54.

^(٣٣٨) Ibid.

الحكومة البريطانية. ٢- إكمال الإجراءات القانونية اللازمة لتملك ملكية نهائية عقار^(٣٣٩) مكة باسم "جمعية أحباس الحرمين الشريفين"^(٣٤٠). ٣. تحويل ذلك العقار إلى وقف. ٤. تجهيز العقار لاستخدامه نزلاً "خانا" أثناء موسم حج ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م. ٥. التجهيز والإشراف على حج رعايا الحكومة الفرنسية^(٣٤١). ٦- المحافظة على سلامة واستقلال ولاية الحجاز^(٣٤٢).

وعلى إثر ذلك وصلت رسالة من بريموند "Bremond" إلى مبعوثها الرسمي شرشالي بتاريخ: ١٩-٨-١٣٣٥هـ / ١٠-٦-١٩١٧م أكد فيها أن عليه أن يقوم بالعمل الآتي: ١. العمل مع الشريف حسين على ألا يمنع تصدير الجلود^(٣٤٣) إلى مدينة مرسيليا، وإقناعه بكل قوة بأن رفع الحظر عن تصدير الجلود^(٣٤٤) إلى فرنسا هو دليل صداقة

الشريف حسين مع الحكومة الفرنسية^(٣٤٥). ٢. عدم التحدث مع الشريف حسين في قضية البنك العثماني^(٣٤٦) حتى تصل التعليمات من دوفرانس "Defrance" بالقاهرة^(٣٤٧). ٣. يجب التفاهم مع الشريف حسين على كيفية حساب الرسوم الجمركية^(٣٤٨) وهذا سيكون عند عقد معاهدات تجارية^(٣٤٩) معه^(٣٥٠). ٧- يجب التفاهم مع الشريف حسين على الأبعاد الدولية لقضيتي الجمارك والتجارة^(٣٥١).

ولذلك وجهت الحكومة الفرنسية إلى بعثتها رسالة مضمونها كالاتي: إن المهمة التي تقوم بها البعثة الفرنسية لها مكانة كبيرة في التاريخ الإنساني، وهي

^(٣٤٥) "Lettre de Colonel Bremond, Chef de la Mission...", 10 Juin 1917, Carton 310. Dossier 2.

^(٣٤٦) منذ عام ١٩١٣م يوجد فرع للبنك العثماني في جدة، يحمل اسم "البنك الإمبراطوري العثماني" يقدم خدمات للحجاج وللتجار في جدة، لذلك رأت الحكومة الفرنسية أنه يمكن التفاهم مع الشريف حسين في إنشاء مؤسسة بنكية فرنسية- بريطانية في جدة، تُقدم خدمات للحجاج ولحكومة الشريف حسين وفي التطور الاقتصادي للبلد، لكن حكومة الشريف حسين اشترطت أن يتغير اسم البنك، ليصبح "البنك العربي في الحجاز" وأن يخضع لأحكام المحاكم الشرعية، بنظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 51.

^(٣٤٧) "Lettre de Colonel Bremond, Chef de la Mission...", 10 Juin 1917, Carton 310. Dossier 2.

^(٣٤٨) كانت الإدارة العثمانية تحصل على رسوم قدرها ١١% من قيمة البضائع المستوردة إلى مدينة جدة (٨% حصة الدولة و ٣% لسداد الديون)، وكانت هذه الرسوم تحصل بناء على فاتورة مصدقة أو بناء على تخمين الجمارك لقيمة البضاعة. لكن حكومت الشريف حسين خفضت الرسوم الجمركية من (١١ إلى ٩%)، بنظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 54.

^(٣٤٩) تم لفت نظر الشريف حسين إلى مساوئ المبادرات التي تتخذها إدارته في مجال الاقتصاد والتعرفة الجمركية دون التنسيق مع ممثلي فرنسا وبريطانيا. علما أنه في عهد الدولة العثمانية كانت حكومتي فرنسا وبريطانيا تحصلان على امتيازات اقتصادية أقل مما كانت تحصلان عليه في عهد حكومة الشريف، ولذلك يجب على حكومة الشريف التنسيق مع الحكومتين بما يتوافق مع المصالح الاقتصادية المشتركة، بنظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 54.

^(٣٥٠) Ibid.

^(٣٥١) Ibid.

^(٣٤٩) ينظر ملحق رقم (٢).

^(٣٤٠) تجدر الإشارة إلى أن "جمعية أحباس الحرمين الشريفين" (مكة والمدينة)، مقرها في المسجد الكبير في العاصمة بالجزائر، وهي مؤلفة من سبعة أعضاء عاملين وسبعة أعضاء شرفيين. والأعضاء العاملون السبعة هم الواردة أسماؤهم في البعثة الدبلوماسية التي توجهت إلى مكة لشراء العقار، أما الأعضاء السبعة الشرفيون بنظر إليهم في:

"Traduction en Francais de Constitution...", Carton 310.

Dossier 2, P. 17.

^(٣٤١) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

^(٣٤٢) Ibid, p. 48.

^(٣٤٣) قبل الحرب الأولى كانت شركة صبان "Sabban" تصدر سنويا الجلود بعد كل موسم حج إلى مرسيليا، وقد أصرت الحكومة الفرنسية على استمرار ذلك. لكن الشريف حسين منع ذلك وطالب بزيادة الاسعار؛ لأنه كان يمر بطروف ماليه صعبة ينظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 46.

^(٣٤٤) إن منع تصدير الجلود الخام له نتائج سلبية بالنسبة لفرنسا فتصدير الجلود الخام يشكل تجارة هامة مع مدينة مرسيليا، وهذه التجارة قابلة للتوسع نظرا لنقص الجلود في بقية أنحاء العالم، بنظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 53.

كل الأبواب^(٣٥٧)، وكانت أهم نتائجها على النحو الآتي: ١- نجاح مشروع الحكومة الفرنسية إذ أصبح النفوذ الفرنسي هو المهيمن في الأوساط السياسية في مكة^(٣٥٨). ٢- أعطت سلوكيات حجاج المستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا، سمعة طيبة عن الحكومة الفرنسية لكل المسلمين في أنحاء المعمورة^(٣٥٩). ٣- حصلت الحكومة الفرنسية فجأة بعد موسم حج ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م على مكانة عظيمة في مكة لم تحصل عليها الأمم الأخرى بحصولها على الاهتمام والرعاية من حكومة الشريف حسين^(٣٦٠). ٤- اختفت حدة الكراهية والجفاء من المسلمين تجاه الحكومة الفرنسية وخاصة الذين كانوا يكتّون لها الكره والجفاء، كما جنبت الحكومة الفرنسية مشكلات الانتفاضات والمقاومة المسلحة^(٣٦١). ٥- أوجدت البعثة للحكومة الفرنسية مكانة سياسية مرموقة في شبه الجزيرة العربية، إذ كان اسم فرنسا حاضراً بقوة في الأماكن المقدسة^(٣٦٢). ٦- تلك المكانة التي حظيت بها الحكومة الفرنسية في مكة كانت صمام أمان لفرنسا في مستعمراتها الإسلامية المنتشرة في القارة الأفريقية^(٣٦٣). ٧- كسبت الحكومة الفرنسية مكانة عظيمة لدى المسلمين في بلاد الشام^(٣٦٤) مما

مهمة عظيمة وجليلة، وعلى الجميع أن يتشاركوا فيها، وأن يكونوا على تفاهم تام، كما يجب أن يبذل كل واحد منهم كل جهد لإنجاح البعثة^(٣٥٢).

١٠- مغادرة البعثة، ونتائجها:

غادرت البعثة الفرنسية بصحبة الحجاج المغاربة مدينة جدة يوم الأربعاء بتاريخ: ٢٠-١٢-١٣٣٤هـ / ١٨-١٠-١٩١٦م^(٣٥٣)، في حين أوعزت الحكومة الفرنسية إلى مبعوثها شرشالي أن ينوب عن ابن غبريط^(٣٥٤) الذي غادر مكة في إكمال الإجراءات وفي تنفيذ الشروط اللازمة لإتمام تملك العقار في مكة، كما أوكلت إلى شرشالي بمهمة جعل العقار وقفاً، وتحويله إلى مأوى للمحتاجين من حجاج شمال وغرب أفريقيا^(٣٥٥).

وعلى أية حال، وصلت البعثة إلى مصر وعند وصولها أرسل السفير الفرنسي في القاهرة دوفرانس "Defrance" رسالة إلى وزير الحرب الفرنسي يخبره فيها بأنه كانت هناك نتائج عدة توصلت لها البعثة الفرنسية بقيادة ابن غبريط^(٣٥٦)؛ لأن البعثة في الأصل صممت على طريقة الحكومة الفرنسية، لذلك فإنها عرفت كيف تُرى وكيف تُفهم، وفُتحت أمامها

(357) Journal Le Matin, N 11946, 11 Novembre 1916, P, 1.

(358) "Le President du Conseil Ministre...", du 27 Octobre 1916.

(359) Ibid.

(360) Ibid.

(361) Ibid.

مرعي، الحجيج التونسيون، ص ١٤٧.

(362) "Le President du Conseil Ministre...", du 28 Octobre 1916.; Journal Le Matin, N 11946, 11 Novembre 1916, P, 1.

(363) Ibid.

(364) منذ عام ١٩١٢م عمدت الحكومة الفرنسية إلى تأكيد مصالحها في بلاد الشام لمنافستها التقليدية بريطانيا، ينظر: حجار، جوزيف، سورية بلاد الشام تجزئه وطن (دمشق: دار طلاس، ١٩٩٩م)، ص ١٩.

(352) "Lettre de Colonel Bremond, Chef de la Mission francaise au Capitaine Saad", 5 Juin 1917. Carton 310. Dossier 2.

(353) "Le President du Conseil Ministre...", du 25 Octobre 1916.

(354) إن الحماس الذي أبداه ابن غبريط لخدمة فرنسا والتميز الذي أظهره في مختلف المهمات التي أوكلت إليه قبل مغادرته مكة، هو بالنسبة للحكومة الفرنسية "ضمان أكيد أنه سيحوز على رضا الحكومة الفرنسية التام في المهمة التي شرفتمكم بها"، ينظر:

"Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2, p, 54.

(355) "Traduction en Francais de Constitution...", Carton 310. Dossier 2, P. 17.

(356) "Le President du Conseil Ministre...", du 26 Octobre 1916.

كان يعمل بصفة نائب قنصل في مكة^(٣٧٣) وكان يقوم بدور صلة الوصل ما بين بريموند "Bremond" وإدارات الشريف حسين^(٣٧٤). وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية قد استخدمت أسلوب الحكومة البريطانية بالتستر خلف مصالح ولاية الحجاز لإحداث مركز نفوذ لها هناك من أجل المحافظة على استمرار استعمارها لبلاد شمال أفريقيا من خلال السيطرة على الشريف حسين^(٣٧٥).

١١ - الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث يتضح أن الحكومة الفرنسية لم تتوان عن إرسال بعثتها إلى ولاية الحجاز من أجل أن تخوض معها في شؤون سياسية تهم مصالحها الاستعمارية، لما لها من مكانة دينية في نفوس المسلمين، ولما للشريف حسين من دور محوري في الحرب العالمية الأولى لكونه يسيطر على الأماكن المقدسة، محط آمال المسلمين شرقا وغربا. وبذلك أصبحت مكة مسرحا للتنافس بين فرنسا وبريطانيا؛ لأن الأخيرة كان لها قصب السبق لدى حكومة الشريف حسين وفي أجزاء شاسعة من شبه الجزيرة العربية، وبذلك كشفت الدراسة عن وجود تنافس استعماري فرنسي بريطاني على الرغم من توافق المصالح حول ولاية الحجاز من خلال محاولة فرنسا عرقلة هيمنة الحكومة البريطانية على شبه الجزيرة العربية حتى لا تتفرد الأخيرة بالمصالح وحدها في

سهل لها احتواءها سياسيا لاحقا^(٣٦٥). ٨ - مكنت الحكومة الفرنسية من ازدهار تجارتها بين المشرق والمغرب^(٣٦٦). ٩ - لم يعد هناك للحكومة الفرنسية ما يسمى إسلاما منغلقا وعدائيا؛ لأن الشريف مكة يدعوها إلى تقديم دعمها ومساعدتها^(٣٦٧). ١٠ - بروز نجم ابن غبريط الذي أدى مهمته ببالغ الإقتان؛ لأنه قد حاز على ثقة الشريف مكة، وعلى إثر ذلك عمل على تنظيم الدعاية في مكة بحنكة ونشاط لصالح الحكومة الفرنسية إذ كان له الدور الأكبر في الوصول إلى تلك النتائج التي يمكن وصفها بأنها نتائج عظيمة^(٣٦٨). ١١ - يجب أن تستغل الحكومة الفرنسية تلك النتائج العظيمة وأثارها الإيجابية على الأمة الفرنسية^(٣٦٩).

ونتيجة لما سبق حصل بريموند "Bremond" مباشرة بتاريخ: ٢٢-١٢-١٣٣٤هـ / ٢٠-١٠-١٩١٦م على موافقة وزارة الخارجية الفرنسية بإحداث تمثيل دبلوماسي في مكة؛ لأن ذلك سيكون مفيدا لها عندما يصبح الشريف حسين مجاورا لها في سوريا^(٣٧٠). وعلى إثر ذلك تم تعيين المترجم السابق في قنصلية مدينة جدة معمر بن عزوز "Ben Azzouz"^(٣٧١) بإدارة شؤون الحجاج المسلمين^(٣٧٢)؛ لكنه في الحقيقة

(365) Meynier, L. *Algerie Revellee*, p. 539.

(366) "Le President du Conseil Ministre...", du 23 Octobre 1916.

(367) Ibid.

(368) Ibid.

(369) Ibid.

(370) كانت الحكومة الفرنسية تنظر إلى سوريا أنها منطقة نفوذ فرنسي منذ عام ١٩١٢م / ١٣٣٠هـ ولأن تشاركها الحكومة البريطانية فيها، ينظر: حجار، بلاد الشام، ص ١٩.

(371) "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 84.

(372) إلى جانب القنصل معمر بن عزوز "Ben Azzouz" فقد كان هناك أعضاء من المسلمين يساعدونه في إنجاز مهمته وهي المحافظة على استقلال الشريف حسين وسلامة الأراضي المقدسة، ينظر:

"Lettre Ministre des Affaires...", du 2 Octoper 1916, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

(373) "Proces-Verbal de la Seance...", du 14 Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 6e; "Lettre de President du...", le 1mai, 1917, Carton 310. Dossier 2. p. 54.

(374) Ibid.

(375) "Proces-Verbal de la Seance...", du 15 Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 7e.

ولاية الحجاز؛ لأن للحكومة الفرنسية مصالح خاصة في تعزيز علاقتها مع الشريف حسين كان في مقدمتها إزالة الدولة العثمانية من الخارطة العالمية. وبالرغم من أن الحكومة البريطانية لم تغير موقفها من الحكومة الفرنسية من (خلال معارضتها للبعثة الفرنسية، ووجود ممثل لفرنسا في مكة)، إلا أن ذلك لم يمنعها من التعاون معها. وبذلك نجحت البعثة الفرنسية في دعم الشريف حسين في مواجهة العثمانيين.

مثل مشروع شراء نزل "خان" في مكة مسألة سياسية واجتماعية إذ كانت مدخلا لتوطيد العلاقات بين الحكومة الفرنسية والشريف حسين لعام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م؛ إذ كان الهدف من ورائه استمالة المسلمين وتقديم كل العون لرعاياها الحجاج القادمين من مستعمراتها في شمال وغرب أفريقيا وتقديم كل ما يحتاجون إليه حتى لا تضيق هيبتها أو تخسر شركاتها البحرية من جني الكثير من الأرباح التجارية من (خلال نقل الحجاج إلى الأماكن المقدسة).

أثبت البحث نجاح البعثة فقد حسنت العلاقة بين فرنسا وولاية الحجاز، كما عكست مردودا إيجابيا كسبت به عطف وود المسلمين مع زيادة فرص

الدولة الفرنسية في السيطرة على تلك البلدان من خلال إقامة تمثيل فرنسي مع الشريف حسين في مكة، وقد لعبت البعثة بقيادة ابن غبريط والوفد المرافق له في مكة نجاحا في لعب دور الوسيط الناجح في تنفيذ أجندة الحكومة الفرنسية داخل ولاية الحجاز وفي إقامة علاقات فرنسية حجازية، من خلال تسيير حملات للحج عندما فتحت الحكومة الفرنسية باب حج موسم ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م، وأكدت للشعوب الإسلامية أنها لا تقف في وجهه ممارسة شعائرهم الدينية من جهة، ومن جهة أخرى قدمت لهم الخدمات الصحية؛ لأن الحكومة الفرنسية كانت تخشى من نقشي الأمراض الفتاكة في مستعمراتها الإسلامية.

كما أن مشروع البعثة يكشف عن طبيعة السياسة الفرنسية الاستعمارية في التعامل مع ولاية الحجاز والرعايا المسلمين. فهي تتخذ من مسائل اجتماعية وثقافية مدخلا لكسب ود رعاياها المسلمين. وهو ما يفسر استراتيجية السياسة الفرنسية التي تعتبر أن الغزو الثقافي والاجتماعي أكثر نجاحا من الغزو الحربي نهجا على المثل السائر "يُدرِك باللين ما لا يُدرِك بالقوة".

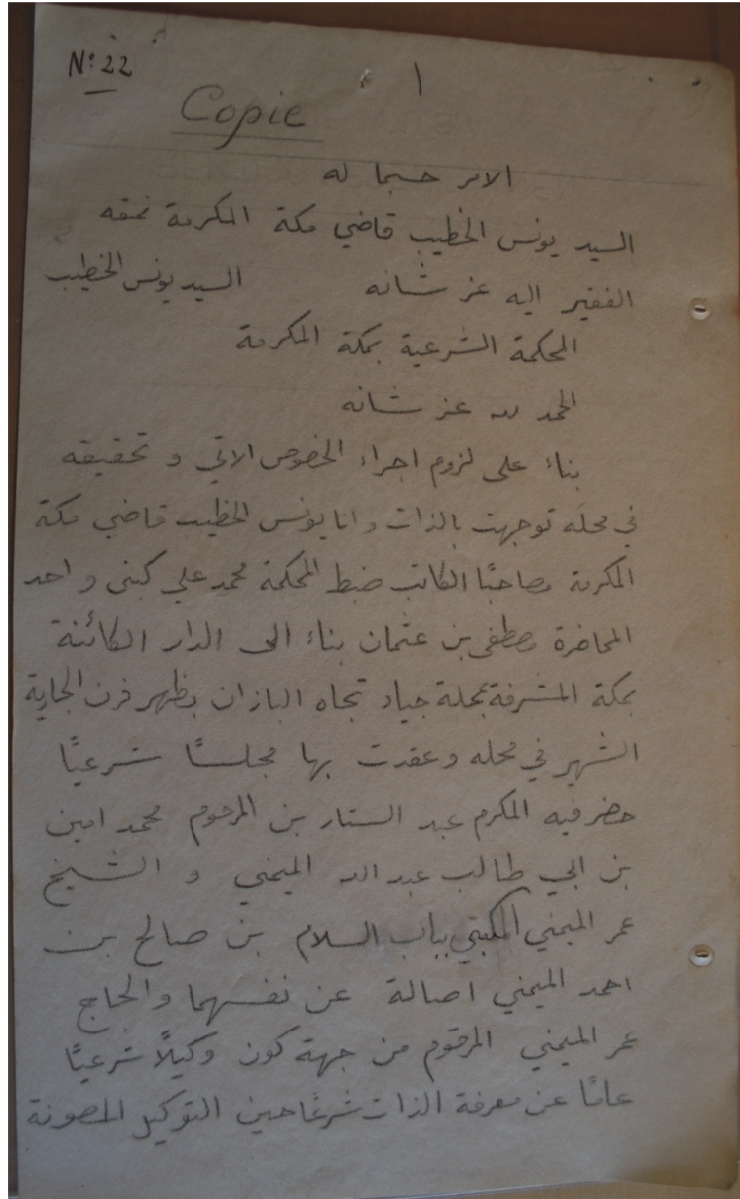
ملحق رقم (١): صورة من الورقة الأولى لموقع العقار الذي اشترته الحكومة الفرنسية في مكة باسم ابن غبريط،
عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م.



"Note Redigee p ar M. le Commandant Cadi...", 1916, "Àrabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie
É. Carton 310. Dossier 2.

مشروع بعثة الحكومة الفرنسية إلى مكة في عهد الشريف حسين بن علي عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م (دراسة تاريخية وثائقية) ١٣١

ملحق رقم (٢): صورة من الورقة الأولى لصك العقار الذي اشترته الحكومة الفرنسية في مكة باسم ابن غبريط،
عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م.



قائمة المصادر والمراجع

١ - وثائق الأرشيف البريطاني:

الاختصارات التي تم استخدامها أثناء البحث:

Abbreviations;

1- F. O: Records Created or inherited by the Foreign Office.

- "Arabian Report" N. S, 16 July 1916, F.O.17/177.
- "Arabian Report" N. S, 10 August, 1916, F.O.17/178.
- Foreign Office Memorandum, 14 August, 1916, F.O. 371/6074.
- Telegram from the Resident, Cairo to the Secretary of State for the Colonies, 28 August 1916, F.O. 882/10.
- Telegramme from Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 29 August 1916, F.O. 371/6096.
- "Arabian Report" N. S, 23 September 1916, F.O.17/177.
- Political Resident to the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 24 Septembre 1916, F.O. 371/2476.
- Telegram from Resident Aden to Sir McMahon Cairo, 15 October 1916, F.O. 2487.
- "Notes on the Mission of French to Sherif Husein ruled Mecca", Arab Bureau, 16 Octobre 1916, F.O. 6074.
- Statement of Lord Grey Regarding Mission to Mecca, 1916, F.O. 371/2479.
- Italian War Aims and Claims in regard to Arabia, 1916, F.O. 371/11448.
- Political Eastern Arabia, 1916, F.O. 371/11447.

- Under Secretary of State Foreign Office to India Office, Political Turkey, 1916, F.O. 371/2799.
- "Notes on the Mission of French to Sherif Husein ruled Mecca", Arab Bureau, 16 Febrory 1917, F.O. 6075.
- Telegram Secret From Resident Jedda to High Commissioner Cairo "Arabie Report", 12 July 1917, F.O. 371/6075.
- Telegram Secret From Resident Jedda to High Commissioner Cairo "Arabie Report", 11 August 1918, F.O. 371/6075.

2- Oriental and India Office (L/P/S).

- Telegram from the Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, 1916, L/PS/10/1175.
- Memorandum on British Commitments to Cairo, Political Intelligence Department, F.O. 1916, L/PS/10/1089.

٢ - وثائق الأرشيف الفرنسي:

- "Àmbassadeur Francais au Caire". Ministère des Affaires Étrangères Lr, Carton, 529, P. 1-12.
- "Commissaire Resident General, Relative a la Creation Hotolleries la Mecque", Rabat, le 23 Juin 1916, Àrchives Diplomatique de Nantes. Commission Interministerielle aux Affaires Musulmanes, Carton, 2 Mi 101, vol, 5e.
- "La Depeche le Consul de France a Djeddah a Son Excellence Poincare Prident du Conseil" Service Historiqué de la Defence, 20 Fevrier 1912, Dossier, 57. 13 Fevrier 1912, Dossier, 58. 14 Fevrier 1912, Dossier, 59. 20 Fevrier 1912, Dossier, 60.
- "La Depeche Direction des Affaires Politiques et Commerciales, Sous-Diriction Déuropes", du 14 Juin, 1916. Àrchives Diplomatie de Nantes, Maroc, Dossier, No,

660. du 13 Juin, 10, 24, 25, 1916, Rabat No, 977.

- "La Depeche Ministre des Affaires Etrangères", Paris, du 5, 9, 12, Aout, 1916, Archives Diplomatiques de Nantes, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 381".

- "La Depeche, Sairt Aulaire, Ministre Plenipotentiaire Delegates", du 9 Octoper 1916. Àrchives du Ministère des Affaires Étrangères, Àfrica II, 169-1.

- Étrangères, Guerre 1914-1918, Hedjaz, Mi P 1462, Hotelleries de La Mecque (Decembre 1916-Avril, 1918), (Paris), vol. 1710.

- "Lettre de Colonel Bremond, Chef de la Mission française au Capitaine Saad", 5 Juin 1917. Carton 310. Dossier 2.

- "Lettre de Colonel Bremond, Chef de la Mission Française" M. Cherchali. Djeddah, Dossier, le 10 Juin 1917. Ministère de Affaires Étrangères, 1918-1919. "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2.

- "Lettre Ministre des Affaires Etrangères", Paris, du 4, 6 Septembre, 2 Octoper 1916, Àrchives Diplomatiques de Nantes, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

- "Lettre de President du Conseil", Ministre des Affaires Étrangères a Monsieur Mustapha Cherchali Charge de Mission au Hedjaz. Paris, le 1 mai, 1917. Ministère de Affaires Étrangères, 1918- 1919. "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2. p. 46. p. 47 p. 48. p. 49. p. 50. p. 51. p. 53, p. 54. p. 84.

- "Note Redigee p ar M. le Commandant Cadi au Sujet" d'un Immeuble Visite par M. Benghabrit qui Pourrait Servir d'hotellerie Destinee aux Perlerins de la Mecque Ministère de Affaires Étrangères, 1918- 1919, "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2.

- "Le President du Conseil Ministre des Affaires Etrangères a Monsieur de Fleuriau Charge d Affaires de la Republique Française

a Londres", Paris, Service Historique de la Defence, du 22, 23, 27, 28 Octobre 1916.

- "Proces-Verbal de la Seance de la Commission Interministerielle des Affaires Musulmanes", Àrchives Diplomatique de Nantes, du 2, 3, 14, 15, Decembre, 1915, Carton, 2 Mi 101, vol, 6e vol, 7e, 8e.

- "Rapport Médical sur le local Propose". Mecque, le 11 Octobre, 1916. Ministère de Affaires Étrangères, 1915- 1919, "Arabie-Hejaz", 18. Mission de M. Cherchali. Serie É. Carton 310. Dossier 2, p. 11, 12.

- "Telegramme Affaire Etrangères, Reponse a letter", No, 878, du 15 Juin, 1916. Àrchives Diplomatique de Nantes, Arab-Hedj, E-Lev.18-40.

- Tiegramme du Conseil Ministres des Affaires Étrangères Français, No, 39, du 17 Octoper, 1916, Àrchives du Ministère des Affaires Étrangères: Àrabie-Hedjaz. Carton, 77.

- Telegramme de Français au Ministère des Affaires Étrangères Français, No, 40, du 4 Octoper, 1916, Àrchives du Ministère des Affaires Étrangères: Àrabie-Hedjaz. Carton, 78.

- "Telegramme, Ministre des Affaires Etrangères", Paris, du 3, 4, Septembre 1916. Àrchives Diplomatiques de Nantes, "Londres, Ambassade Fonds K, 378Po/K 382".

- "Telegramme Ministre des Affaires Etrangères", Paris, le 21 Jànvier 1917. Service Historique de la Defence. No "2837".

- "Telegramme du Quai d'Orsay au Resident General du Màroc à l'intention de Ben Ghabrit". Cite in Le Pautremat Ministère de Affaires

- "Traduction en Français de Constitution de Societe Civile". Ministère des Affaires Étrangères, 1918- 1919. "Arabie – Hejaz", 18. Serie É. Carton 310. Dossier 2, P. 18. Carton 310. Dossier 2, P. 16. Carton 310. Dossier 2, P. 17.

المراجع العربية والمعرية

- الخصوصي، بدر عباس، (١٩٨٤م)، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ج ١.
- الدقن، (١٩٨٥م)، سكة حديد الحجاز الحميدية، دراسة وثائقية (د. م، د. ن).
- زين، نور الدين، (١٩٨٧م)، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت: دار النهار للنشر والتوزيع، ط ٢.
- السدحان، عبد الله ناصر، (٢٠١٤م)، الأوقاف على الحرمين الشريفين، خارج المملكة العربية السعودية، الرياض: مركز تاريخ مكة المكرمة.
- سعد الله، أبو القاسم، (١٩٩٨م)، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت: دار الغرب الاسلامي، ج ٤.
- سعيد، أمين، (د.ت)، أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين، بيروت: دار الكتاب.
- سعيد، أمين، (د.ت)، الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن، القاهرة: مكتبة مدبولي، م ١.
- سعيدوني، نصر الدين، (٢٠٠١م)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- السماري، فهد عبد الله، وآخرون، (١٩٩٩م)، موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- الطويل، توفيق، (١٩٨٨م)، التصوف في مصر في العصر العثماني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ١.
- عبد الرحمن، عبد الوهاب أحمد، (٢٠٠١م)، تاريخ العرب الحديث ١٧٩٨-١٩٢٠م، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع.
- عطية الله، أحمد، (١٩٦٨م)، القاموس السياسي، القاهرة: دار النهضة العربية.

- أنطونيوس، جورج، (١٩٨٧م)، يقظة العرب تاريخ الحركة العربية القومية، ترجمة، الأسد، ناصر الدين، وعباس، إحسان، بيروت: دار الملايين، ط ٨.
- أنيس، محمد، (١٩٨١م)، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤م، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الباكستاني، إحسان إلهي ظهير، (٢٠٠٥م)، دراسات في التصوف، د. م، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع، ط ١.
- بروكلمان، كارل، (١٩٧٣م)، ترجمة، نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت: دار العلم للملايين، ط ٥.
- البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، (١٩٩٢م)، لبنان: دار الملايين.
- التميمي، عبد الجليل، (١٩٩٤م)، دراسات في التاريخ العربي العثماني ١٤٥٣-١٩١٨ "سياسة الاتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة ١٩١٦م محاولة جديدة للفهم"، زغوان: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية.
- التميمي، عبد المالك خلف، (١٩٨٣م)، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية مقارنة، الكويت: عالم المعرفة.
- حجار، جوزيف، (١٩٩٩م)، سورية بلاد الشام تجزئه وطن، دمشق: دار طلاس.
- حمزة، فؤاد، (١٩٣٣م)، قلب جزيرة العرب، بيروت: المطبعة السلفية، ط ١.
- الحميد، عبد اللطيف محمد، (١٩٩٥م)، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢-١٣٣٧هـ / ١٩١٤-١٩١٨م، الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١.

مشروع بعثة الحكومة الفرنسية إلى مكة في عهد الشريف حسين بن علي عام ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م (دراسة تاريخية وثائقية) ١٣٥

- ناتنغ، أنتوني، ولويل ثوماس، (٢٠١٠م)، تقديم، معدي، الحسيني، لُورنس لغز الجزيرة العربية، دمشق: دار الكتاب العربي، ط١.

- الأنصاري، عبد القدوس، (١٩٨٢م)، موسوعة تاريخ مدينة جدة، د.ن.

- نصيف، حسين محمد، (١٩٣٠م)، ماضي الحجاز وحاضره، الحسين بن علي، د.ن، ج١، ط١.

- وهبة، حافظ، (١٩٣٥م)، جزيرة العرب في القرن العشرين، د.م: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١.

٣- الصحف والدوريات العربية:

١- القبلة: (١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٦م)، الأعداد: (١)، (٩)، (١٢)، (١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٨)، (٢٣) (٣٦).

٢- صحيفة العرب: (١٤٣٥هـ الموافق ٢٠١٤م)، العدد: (٩٤٦٥).

٣- المدينة: (١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٥م)، العدد: (١٨٩٤٧).

- أمين، محمد، (١٤٣٣هـ)، "موسم حج ١٣٠٧هـ / ١٨٤٠م من خلال تقرير دبلوماسي فرنسي" مجلة الدارة، ع (٤)، سنة (٣٨).

- التميمي، عبد الجليل، (١٩٩٢م)، "سياسة الاتحاديين ببلاد الشام والثورة العربية سنة ١٩١٦م"، المجلة التاريخية المغاربية، ع (٦٥-٦٦)، سنة (١٩).

- الحناشي، عبد الطيف، (١٤٣٠هـ)، "جمعية أحباس الحرمين الشريفين" مجلة الدارة، ع (٣)، سنة (٣٥).

- حيزوم، عبد الرحيم محمد، (٢٠٠٩م) "الوقف ودوره في تمويل المرافق الخدمية عند عزز الميزانية العامة للدولة" بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف الإسلامية بالمملكة العربية السعودية (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية).

- سوقير، النمذر، (١٤٢٢هـ)، "العلاقات السعودية الفرنسية من خلال العشرينات والثلاثينات الميلادية" مجلة الدارة، ع (٣)، ج (١)، سنة (٢٧).

- العقاد، صلاح، (١٩٨٠م)، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، الجزائر-تونس-المغرب الأقصى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- العقبي، أحمد حسين، (٢٠٠٩م)، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر ميلادي، الرياض: دار الملك عبد العزيز.

- أبو عليه، عبد الفتاح حسن، (١٩٩١م)، تاريخ الدولة السعودية الثانية، الرياض: دار المريخ.

- غرايبه، عبد الكريم، (١٩٦٠م)، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٩م، العراق والجزيرة العربية، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ج١.

- فريد، محمد، (٢٠١٢م)، تاريخ الدولة العثمانية، هنداوي، ط٢.

- فريحات، حكمت عبد الكريم، (١٩٨٧م)، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠م، عمان: دار المستقبل للنشر والتوزيع.

- قدرى، أحمد، (١٩٥٦م)، مذكراتي عن الثورة العربية، دمشق: مطابع ابن زيدون.

- كوثراني، وجيه، (١٩٨٠م)، التاريخ الاجتماعي: بلاد الشام: السكان والسياسة في مطلع القرن العشرين، بيروت: معهد الاعتماد العربي.

- محمد عفيفي، (١٩٩١م)، الأوقاف والحياة الاقتصادية في العصر العثماني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- مرعي، نجيب، (٢٠١٤م)، الحجيج التونسيون زمن الاستعمار الفرنسي "من خلال وثائق الأرشيف الوطني التونسي والأرشيفات الفرنسية"، مكة المكرمة: إصدارات مركز تاريخ مكة المكرمة.

- موسى، سليمان، (١٩٩٢م)، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، الأردن: منشورات لجنة تاريخ الأردن، ط٢.

- القليبي، محيي الدين، (١٩٦٦م)، الرباط في سبيل الله كيف بدأ وإلى ما انتهى، "أبحاث دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية"، القاهرة: دن.

- الشيباني، محمد عبد الهادي، (٢٠٠٩م)، "أوقاف المدينة المنورة والنهضة العلمية في رحابها" بحوث المؤتمر الثالث للأوقاف الإسلامية بالملكة العربية السعودية، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

المراجع الاجنبية

- The Arab Buletin of The Arab Bureau in Cairo, 1916-1919, (London: Archive Editions, 1986) Vol, 2.
- Arnoulet, Francois, (1995) Residents generaux de France en Tunisie ces mal-aimés, ed. (Marseille: Narration).
- Baker, Randel, (1979) King Husain and the Kingdom of Hejaz (Cambridge:Oleander Press).
- Bellon, (2016) Christophe: Àristide Briand, (Paris: Edition CNRS,).
- Berneron-Couvenhes, Marie-Françoise, (2006) La Compagnie des Messageries Maritimes: Initiatives privees et subventions publiques a l'origine d'un grand Armement Commercial Français au XIXe siecle, (in Revue d'histoire maritime, no 5.
- Bertrand-Cadi, Jean-Yves (2005) Le Colonel Cherif Cadi: Serviteur de l'Islam et de la République. [Colonel Sharif Cadi: Servant of Islam and the Republic], (Paris: Maisonneuve & Larose).
- Busch, Briton Cooper, (1971) Britain India and the Arabs 1914-1921(London: University of California Press).
- Chauvin, Jacques, Doumer, Paul, (1994) le Président Àssassine, (Paris: Les Editions du Pantheon).
- Clayton, Gilbert Falkingham, (1969) An Arabian Diary, (Press: University of California).
- Commandement de la IvmeArmée (Tanine, 1916).
- Denechere, Yves, (2005) Femmes et Diplomatie: France au XXe Siecle. (Presse: Universitaires Europeennes Bruxelles).

- Elder, Dan, "French Policy Towards Hussyn Sharif of Mecca", An Annual Publishe by Frank Cass, Middel Eastern Studies, London, Vol, 26, No, 3 (July 1990).
- Gouvion, Edmond, (1920) Kitab Àayane el-Marhariba, Tome,1, (Paris: Fontana Freres.
- Hoisington, William, (1995) Lyautey and the French Conquest of Morocco (Palgrave, Macmillan).
- Guler, Mustafa, (2002) Osmanli Devetinde Haremeyn Vakhflari, Xvii (Istanbul).
- Hurewitz, J. C, Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record: 1914-1956, (London: D.Van Nostrand Company, 1956).vol. 2.
- Hurbert Lucien, (1918) L Islam et Guerre (Paris: Chcllamel Editeur).
- Hubert, lucien, (1918) Une Politique Colonel, le Salut par les Colonel, Une Politique Colonel: le salut par les Colonel / Lucien Hubert (Paris: Librairie Felix Alcan).
- Julien, Charles Àndres, (2010) Histoire de Lalgrie Contemporàine (Alger: Edition Casbah).
- The King of Hedjeaz and Arab Independence, (London: Hayman Lilly Ltd, 1917).
- Leclerc, C, Àvec (1998) T.E. Lawrence en Arabie. La Mission Militaire Francaise au Hedjaz 1916-1920 (Paris: Lharmattan).
- Malcolm, Edward Yapp's, (1990) The Making of the Modern Near East 1792-1923 (London: Forth Impression).
- Meynier, Gilbert, (1981) L Algerie Revellee, Là Guerre de 1914-1918 et le Premier Quàrt du Xxe (Geneva: Publications Libràirue Droze).

- Pascal, Pautremat, (2006) "La Mission du Lieutenant-colonel Brémond au Hedjaz, 1916-1917", Dans Guerresmondiales et Conflits contemporains /1 (n° 221).
- Pautremat, Pascal, (2003) La Politique Musulmane de la France au xxe siecle. De l'Hexagone aux Terresd' Islam. Espoirs, Réussites, échecs (Paris: Maisonneuve et Larose).
- Records of the Hashimite Dynastics, A-twentieth Century Docuementary History

- هوارى، قبائلي، (٢٠١٤م)، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر ١٨٩٤-١٩٦٢م، (الدكتوراة)، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار.

الصحف الاجنبية

- Écelsior, Paris, (10 Novembre 1916), Année 7, N 2191.
- "Journal Officiel (28 December 1915. 20 January 1916. 28 December 1915), de la Republique Française, Debats Parlementaires". Chambre des Deputes.
- "Journal Officiel (14 November 1916), de la Republique Française", Lois Decrets.
- Journal Le Matin, (11 Novembre 1916), N 11946.

الروابط الإلكترونية

- [Http://www.Assemblee-Nationale.fr/Decouvrir-l-assemblee/role-et-pouvoirs-de-l-assemblee-nationale](http://www.Assemblee-Nationale.fr/Decouvrir-l-assemblee/role-et-pouvoirs-de-l-assemblee-nationale).
- [Http://www.elysee.fr/Presidence/Paul-Deschanel](http://www.elysee.fr/Presidence/Paul-Deschanel).
- [Http://www.elysee.fr/la-presidence/paul-doumer](http://www.elysee.fr/la-presidence/paul-doumer).

- (1995) "The Hashimite Leadership of the Arab Revolt" (London: Archive Editions) vol, 5.
- Riley, Carroll, (1972) Historical and Cultural Dictionary of Saudi Arabia (New Jersey: Scarecrow Press).
- Sellam, Sadak, (2006) La France et ses Muslmans (Alger: Casbah).
- Sbai, Jalila, (2012) Ben Ghabrit Abdelqader (Sidi Bel Abbes, Algerie, 1868-1954) Dictionnaire des Orientalistes de L'angue Francaise (Paris: Editions Karthala).

الرسائل العلمية

- مكحلي، محمد، (٢٠٠٠م)، سيدي بلعباس البوزيدي ولي و ولاية دراسة تاريخية أنتروبولوجية (ماجستير)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب، قسم الثقافة الشعبية.

- [Http://data.bnf.fr/12951347/paul_bluysen](http://data.bnf.fr/12951347/paul_bluysen).
- [Http://fresques.ina.fr/rhone-alpes/fiche-media/Rhonal00368/justin-godart.html](http://fresques.ina.fr/rhone-alpes/fiche-media/Rhonal00368/justin-godart.html).
- [Http://gw.geneanet.org/deverdiere?lang.-fr&p-louis&n-malvy](http://gw.geneanet.org/deverdiere?lang.-fr&p-louis&n-malvy).
- [Http://orientxxi.info/l-orient-dans-la-guerre-1914-1918](http://orientxxi.info/l-orient-dans-la-guerre-1914-1918).
- [Https://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Lutaud](https://en.wikipedia.org/wiki/Charles_Lutaud).
- [Https://fr.wikipedia.org/wiki/Charles_Harding](https://fr.wikipedia.org/wiki/Charles_Harding) e.
- [Https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Cambon](https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Cambon).
- [Https://ar.wikipedia.org/wiki/Henry-McMahon](https://ar.wikipedia.org/wiki/Henry-McMahon).
- [Https://ar.wikipedia.org/wiki/Arnold-Talbot-Wilson](https://ar.wikipedia.org/wiki/Arnold-Talbot-Wilson).

The Project of the French Government Mission to Mecca During the Reign of Sharif Hussein Bin Ali in 1334 AH / 1916 (A Historical and Documentary Study)

Saeed Mushabbab Saeed Alqahtani
King Khalid University

Abstract. This study aimed to study the what was called the project or the strategic plan of the French government mission to Mecca during the reign of Sharif Hussein Ben Ali in 1334 AH / 1916. This study was a kind of a historical and documentary study. Its importance lied in trying to highlight the role played by the French government during World War I in an attempt to control the state of Hejaz through the head of its mission Ibn Ghabrit, who was entrusted with the tasks of the mission that was sent to Sharif Hussein in order to establish the bases of communication with Hussein. As the study showed, Ibn Ghabrit played a great role in buying a real estate (Khan / Inn) in Mecca to attract the attention of Muslims who were under the French control and colonization. This study was significant when put in its historical context, and when we are trying to understand the goal behind the mission which was to search for real estates in Mecca. However, there was another goal for the mission and that was to compete with British over the control of the state of the Hijaz due to the importance of this state to Muslims. This study gained even more importance as it relied on authentic documents and in making use of the historical context of criticism and analysis. This happened within the framework of the available texts and documents relied upon to produce a thorough and in depth study.

Keywords: French government Mission- Sharif Hussein bin Ali.

الأبعاد الاجتماعية لإستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي دراسة وصفية على عينة من طلبة المرحلة الثانوية بمدينة جدة

عبد الرحمن بن عبدالله عبدالرحمن العمري

الأستاذ المشارك بقسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

جامعة الملك عبد العزيز

مستخلص. انتشر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وازداد جذوة بين الشباب، وعلى وجه الخصوص فئة المراهقين الذين يعدون أكثر تعرضاً لتلك الوسائل الرقمية، ومن هنا جاءت هذه الدراسة للتعرف على الأبعاد الاجتماعية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية. وتعتبر هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التي تتبنى منهج المسح الاجتماعي، حيث تم جمع بيانات الدراسة الميدانية من عينة من طلاب بعض المدارس الثانوية بمدينة جدة تقدر بـ ٣٠٢ طالباً، من خلال استمارة استبانة وزّعت على المبحوثين. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: في جانب الأبعاد الأسرية تبين أن غالبية أفراد عينة الدراسة ينتمون لأسر متوسطة الحجم، ويسكنون في شقق بالإيجار، ومتوسطي الدخل الذي يأتي أغلبه من راتب الوظيفة، ومستوى تعليم والدَيْهم ثانوي؛ كما أوضحت النتائج فيما يتعلق ببيانات الأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالأصدقاء أن المبحوثين يشتركون من أصدقائهم في تفضيل استخدام الهاتف المحمول للدخول على مواقع التواصل الاجتماعي المفضلة مثل: الواتس آب واليوتيوب والسناپ شات، مع إيمان تعرضهم المفرط لتلك المواقع التي تتناول قضاياهم المعاصرة المختلفة؛ أما فيما يتعلق بالأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالمدرسة فأوضحت النتائج تواضع دور المدرسة التربوي في توجيه استخدام المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي، فضلاً عن وجود فجوة في العلاقة بين الطلاب المراهقين ومعلميهم، رغم حث البعض منهم للطلاب على استخدام وسائل التواصل.

مشكلة وأهمية الدراسة

تعتبر شبكة الانترنت بما لديها من قدرة فائقة على تجاوز حدود الزمان والمكان إحدى أدوات البعد الثقافي والمعرفي الهامة التي تتيح فرصاً ضخمة للمجتمعات للاطلاع على أحد المنجزات الثورية

التكنولوجية في العالم والحصول على المعلومات من مصادر متعددة ومتنوعة، وهذا هو الوجه المشرق لها، إلا أن ذلك لا يعنى وجود وجه آخر سلبي لها، حيث ينطوي التعامل مع شبكة الانترنت على مخاطر هائلة، من أهمها أن ذلك المجتمع

والسهولة واليسر: فلا تحتاج معظم خدمات الإنترنت إلى خبير معلوماتي، أو مهندس، أو مبرمج، فاستخدامها في غاية السهولة، ولا يحتاج رواد الشبكة إلى تدريبات معقدة للبدء في استخدامها.

ويمكن أن يشير البحث إلى أن تطبيقات التواصل العديدة على الإنترنت خاصة مواقع التواصل الاجتماعي قد أسهمت في بناء نسيج من العلاقات الاجتماعية لم يكن يعرفه الناس من قبل، حيث صار لمستخدمي الإنترنت أصدقاءً أكثر، هذا فضلاً عن تأثيراتها الاجتماعية المتعاظمة على أفراد المجتمعات حول العالم.

وهذه المواقع هي عبارة عن صفحات ويب (Web Sites) على شبكة الإنترنت، ومنها محركات البحث، والمراجع الحرة، والمدونات، ومواقع الصحف الإلكترونية والمجلات، ومواقع القنوات الفضائية وغيرها، حتى ظهرت عبر فترات متفاوتة من الزمن تطبيقات التواصل الاجتماعية مثل: (الفيس بوك Facebook - تويتر Twitter - ماي سبيس My Space - لايف بوون Lifeboon - هاي فايف Hi5 - أوركت Orkut - تاجد Tagged - لينكدين LinkedIn - يوتيوب YouTube - واتس آب WhatsApp - سناب شات Snapchat وغيرها)، التي أتاح البعض منها تبادل مقاطع الفيديو والصور ومشاركة الملفات وإجراء المحادثات الفورية، والتواصل والتفاعل المباشر بين جمهور المتلقين.

المعلوماتي الجديد لا يلبى سوى رغبات ومصالح النخبة التي تديره وتستخدمه، وبالتالي لا ينشر إلا ثقافة المجتمعات المتقدمة، هذا فضلاً عن انتشار ما يسمى بالجريمة الإلكترونية، وما يؤديه من عزلة عن العلاقات الاجتماعية الحقيقية خاصة في حالة إدمان الإنترنت.

ولم تتل وسيلة من وسائل نقل ونشر المعلومات في تاريخ البشرية ما نالته شبكة الإنترنت بشكل عام و الدردشة الإلكترونية (الشات) بشكل خاص من سرعة في الانتشار والقبول بين الشباب وعمق في التأثير على مختلف نواحي الحياة، نظراً لتفردا بما يلي:

(تكريتي، <http://www.alminber.net/whyinternet.htm>)

أ- اللامكان: فالإنترنت يتخطى كافة الحواجز المكانية التي تحول دون انتشار الأفكار والتفاعل بين الأشخاص.

ب- اللامكان: حيث تتم نقل المعلومات بسرعة كبيرة ويتم إسقاط عامل الزمن من الحساب .

ج- التفاعلية: وذلك من خلال المنتديات وغرف الدردشة، وبالتالي يمكن تبادل دوري المرسل والمستقبل في عملية الاتصال، وهو ما تؤكد عليه نظريات الاستخدامات والإشباع.

د- المجانية: أو بصورة أدق في المجتمع المصري شبه المجانية.

هـ- الرابط الدائم: حيث تمكن من الربط الدائم من خلال الحاسبات المحمولة، أو الهواتف المحمولة.

وجوجل Google والذي نشط مؤخراً حيث تشير الإحصاءات أن عدد مستخدميهم وصل إلى ما يقارب ٣٤٠ مليون مستخدم، والجدير بالذكر أن تلك الإحصاءات قابلة للزيادة والتطور في كل ثانية (<http://www.kolalwatn.net/news136120>).

وتشير كذلك الإحصائيات إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت في تزايد مستمر ولا توجد احصائية دقيقة تحدد عدد المستخدمين في الوطن العربي (الرفاعي، ٢٠١١: ٣١٣)، ويمكن تصنيف مستخدمي الإنترنت إلى فئتين أساسيتين: مستخدمي الشبكة لأهداف واضحة ومحددة في المجال العلمي أو التجاري فيما يسمى بـ "التجارة الإلكترونية" أو غيرها، ومستخدمي الشبكة لأغراض إجتماعية، وترفيهية، ولشغل أوقات الفراغ.

وتعد فئة الشباب من أكثر الفئات استخداماً وتأثراً بالثورة الرقمية - خاصة فئة المراهقين -، الأمر الذي جعل الكثيرين يطلقون على الشباب "جيل الإنترنت" فهم أكثر ميلاً لكل ما هو جديد وغريب، ولم يعد ما يجمع الشباب في العصر الرقمي الجلوس طويلاً في المقاهي الشعبية، أو المناطق السياحية، أو مبادلة الزيارات التي كانت من العادات الأساسية للشباب فيما سبق، بل أصبح التوجه الأساسي لهم هو الجلوس مطولاً أمام الشبكة العنكبوتية، والتنافس في الدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي لإشباع حاجاتهم وتحقيق متطلباتهم، بل أنه أصبح هناك جيل من مشاهير التواصل الاجتماعي الذين يحرص

وتعد وسائل التواصل الإجتماعية السابقة الأكثر انتشاراً على الشبكة العنكبوتية، لما تمتلكه من خصائص تميزها عن المواقع الإلكترونية الأخرى، مما شجع متصفح الإنترنت من كافة أنحاء العالم على الإقبال المتزايد عليها، في الوقت الذي تراجع فيه الإقبال على غيرها من المواقع الإلكترونية، ووفقاً للإحصائيات فإن أعداد مستخدمي تلك المواقع في زيادة مضطردة ومتنامية، فعلى سبيل المثال موقع فيس بوك يقارب أعداد مستخدميهم المليارين حالياً حول العالم، وتم رصد مستخدميهم في بداية ٢٠١٧ من العرب بـ ١٥٦ مليون مستخدم، لذلك يعد أكبر موقع اجتماعي حول العالم، يليه موقع تويتر (<https://weedoo.tech/facebook-arab-world-statistics-feb-2017>).

بينما يقارب مستخدمي الفيس بوك ألد ٦٠ مليوناً في منطقة الشرق الأوسط وحدها، في حين تشير الإحصاءات في نهاية الربع الثالث من عام ٢٠١٦م إلى وجود ٣١٧ مليون مستخدماً شهرياً لتويتر حول العالم، حيث يصل عدد مستخدميهم إلى ١١,١ ملايين في العالم العربي في مارس ٢٠١٧م، وتقدر عدد حساباته في مطلع ٢٠١٧م بـ ١٦,٣ مليون حساب (<https://weedoo.tech/ar>)، وذلك مقارنة بـ ٦ ملايين مشترك في العالم العربي في عام ٢٠١٣م، أما موقع مثل اليوتيوب فقد وصلت عدد مرات المشاهدة في العالم العربي إلى ١٧٠ مليون مشاهدة في اليوم، وذلك حسب إحصائية لعام ٢٠١٣م كذلك،

هؤلاء الشباب وخاصة المراهقين منهم على متابعتهم بشكل مستمر، في حين أن الكثير منهم لا يقدم سوى الغث من المعلومات والمقاطع التي قد يكون ضررها أكبر من نفعها، وهذا أحد المظاهر السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي التي يمتطيها الكثير من أجل الشهرة على حساب الإضرار بالناس بصورة متعددة. ولقد تباينت الآراء فيما يخص أثر وسائل التواصل الاجتماعي على شريحة المراهقين، ووجهت لها العديد من الانتقادات الشديدة حيث يتم ربطها بالتأثير السلبي والمباشر على سلوك الأفراد والمجتمع، فهناك من يرى أنها ساهمت في زيادة عزلتهم عن واقعهم المعاش حين قامت بنقلهم إلى واقع افتراضي جعلهم يفضلون إدمان استخدامها لساعات طويلة، والتواصل مع جمهور كبير من الناس في بلدان ومناطق مختلفة من العالم، إلا أن الواحد منهم يبقى وحيداً ومنفصلاً عن واقع من يتصل بهم، فكلما زاد استخدام شبكة الإنترنت للدخول على مواقع التواصل الاجتماعي زاد الميل للشعور بالاكتمال والعزلة والاغتراب الاجتماعي، كما أن إدمانها يعمل على تعظيم القيم الفردية، وإضعاف القيم الاجتماعية، ويمتد أثرها إلى تحطيم الروابط الأسرية والقريبة، فضلاً عن العزلة النفسية والاجتماعية، وبعد الفرد عن محيطه الاجتماعي، وضعف الولاء الأسري والوطني، وتدني الإحساس بقيمة الوقت والمكان، إلى غير ذلك من السلبيات التي قد تصل إلى عولمة العنف والجريمة، وظهور

أنماط حديثة من السلوكيات والأنشطة الإجرامية المرتبطة بالثقافة الرقمية، وفي المقابل هناك اتجاه يؤكد أن شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي قد ساهمت في زيادة وعي المراهق ومكنته من بناء شبكة علاقات واسعة مع الآخرين، لكونها وسيلة مهمة للتنامي والالتحام بين المجتمعات، وتقريب المفاهيم والرؤى مع الآخر، والإطلاع والتعرف على ثقافات الشعوب المختلفة، وأصبح المستخدم أكثر دراية بما يدور في العالم من أحداث، وأن انتقال الجيل الجديد من الواقع الافتراضي إلى الواقع المعاش ظهر جلياً في العديد من المبادرات الابتكارية التي بدأت بأفكار على صفحات الشبكة العنكبوتية وتحولت إلى واقع ملموس على أرض الواقع.

فقد أجرت قناة سي إن إن CNN الأميركية دراسة حول تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على فئة المراهقين، تضمنت بحثاً استقصائياً لنشاط وعادات وممارسات أكثر من ٢٠٠ مراهق على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، بهدف الكشف عن أسرار عالم المراهقين مع السوشيال ميديا Social Media، حيث كشفت الدراسة أن المراهقين يمكنهم تفقد مواقع التواصل الاجتماعي، والبحث عن أي جديد فيها، والقيام بمتابعة ما ينشره الآخرون عليها لأكثر من ١٠٠ مرة في اليوم الواحد، وهو ما يشبه مقياساً فورياً لمستوى الشعبية والشهرة، ويقصد بهذا علامات الإعجاب (Like) ورسوم القلوب التي

الاستخدام الذي لا يزال غير منضبط في مجتمعنا، وتعزيز ما ينتج عن هذا الاستخدام من الايجابيات التي تخدم شبابنا، لا سيما أن المكتبة ووصانعي القرار في مجال التربية والتعليم والسياسات الاجتماعية بحاجة إلى مثل هذه الدراسة التي من الممكن أن تسهم في رسم الخطط العلمية المناسبة في مجالها بالواقع المعاش، حيث لمس الباحث من خلال البحث المكتبي زيادة معدلات المشكلات لهذه الفئة نتيجة استخدامها العشوائي لهذه الوسائل وما ينتج عنه من إشكاليات كثيرة وإنحرافات لهذا حاول الباحث رصد هذه الظاهرة لما تمثله فئة المراهقين من أهمية في خارطة السكانية، والتي سيكون لها دوراً بارزاً في صناعة التنمية بالمجتمع السعودي مستقبلاً.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الأبعاد الاجتماعية المتمثلة في الأسرة والأصدقاء والمدرسة لاستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي، وينبثق من هذا الهدف الأهداف الفرعية التالية:

١. التعرف على الأبعاد الأسرية واستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي.
٢. التعرف على الأبعاد المتعلقة بالأصدقاء واستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي.
٣. التعرف على الأبعاد المتعلقة بالمدرسة واستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي.

يحصل عليها المراهق عندما ينشر شيئاً ما على صفحته، وعدم وجود ذلك أو قلته يعني افتقار المراهق للشعبية مما يؤثر سلباً عليه (رجب، ٢٠١٥، <http://www.alarab.co.uk/article>).

وقد أثرت شبكة الانترنت على اهتزاز منظومه القيم لدى مستخدميها وخصوصاً فئة المراهقين، واهتزاز القيم لدى هذه الفئة قد يؤدي إلى اهتزاز تركيبة المجتمع والعلاقات الاجتماعية، كما يمكن أن يفضي إلى استبدال العادات والتقاليد الضابطة للسلوك، بتقاليد غربية منخفضة في مضامينها القيمية والخلقية، وإن النظر في ظروف التنشئة الاجتماعية السائدة في واقعنا العربي يؤكد وجود اختلالاً كبير، بدءاً من الأسرة وانتهاءً بالإعلام، وكلاهما من أهم أدوات التنشئة الاجتماعية، فأصبح من الملاحظ وجود إفلاساً أخلاقياً ومشكلات سلوكية وثقافية مستجدة، وكل هذا يشير إلى خطورة هذه الفوضى الثقافية التي تسود بناءنا المجتمعي، وتؤدي إلى اهتزاز ملحوظ في النسق القيمي وخصوصاً لدى المراهقين (فرج، ٢٠٠٤).

وفي ضوء ما سبق تتمثل مشكلة الدراسة الحالية وأهميتها في رصد استخدامات المراهقين - الذين تم تحديدهم في هذه الدراسة في طلاب المرحلة الثانوية - لمواقع التواصل الاجتماعي، وما تحققه لهم من اشباعات، وذلك في ضوء نظرية الاستخدامات والاشباعات، لمحاولة تسليط الضوء على الطرق المناسبة لمواجهة السلبيات المترتبة على هذا

تساؤلات الدراسة:

انطلاقاً من أهداف الدراسة تنبثق تساؤلات الدراسة وتتضمن ما يلي:

١. ما الأبعاد الأسرية واستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي.
٢. ما الأبعاد المتعلقة بالأصدقاء واستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي.
٣. ما الأبعاد المتعلقة بالمدرسة واستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي.

مفاهيم الدراسة:

الأبعاد الاجتماعية:

الأبعاد الاجتماعية تعني المؤشرات التي تظهر تأثير سلوك المراهقين بالقيم الاجتماعية المكتسبة، سلبية أكانت أم إيجابية، من خلال التفاعل مع المجتمع الرقمي عبر التعرض المستمر لوسائل التواصل الاجتماعي، وسيتناول الباحث الأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالأسرة، والأصدقاء، والمدرسة لعينة الدراسة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة جدة.

الإستخدام:

يعني الباحث بالإستخدام في هذه الدراسة، قيام أفراد عينة الدراسة من الشباب في فترة المراهقة بالتعرض لوسائل التواصل الاجتماعي المختلفة أو بعضها بهدف إشباع حاجاتهم المختلفة وتحقيق أهداف معينة يسعون لها، وقد يكون ذلك بمشاركة الأسرة والأصدقاء والمدرسة، أو بعضهم، أو بدون مشاركتهم.

المراهقة:

تعتبر مرحلة المراهقة من أهم مراحل نمو الفرد العمرية، وتعني كمصطلح فترة الحياة الواقعة بين الطفولة المتأخرة والرشد، أي أنها تأخذ من سمات الطفولة ومن سمات الرشد، وهي مرحلة انتقالية يجتهد فيها المراهق للانفلات من الطفولة المعتمدة على الكبار، ويبحث عن الاستقلال الذاتي الذي يتمتع به الراشدون فهو موزع النفس بين عالمي الطفولة والرشد (أسعيد، ٢٠٠٣: ١٣). ويذهب الكثير إلى تسمية المراهقة بمرحلة الولادة الجديدة، أو العاصفة، أو فترة الأزمة النفسية، لأنها إحدى المراحل العمرية الحرجة في حياة الإنسان، وهي فترة من فترات تكتشف فيها الذات وينقب فيها عن الهوية وتكامل وتشكيل الشخصية في ضوء ما يتلقاه الفرد من رعاية وتنشئة اجتماعية، وما يتعرض له من مؤثرات وقيم ومعايير وموجهات للسلوك، والتي بدورها ترسم له خارطة طريق المستقبل.

ويمكننا تعريف المراهقة اجرائياً بأنها الفترة العمرية للفتى التي تلي البلوغ والتي تتسم بنوع من النمو المتسارع في كافة الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية، بحيث تسمح للفتى بزيادة الاعتماد على ذاته وتطوير مهاراته الحياتية، وفي هذه الدراسة يركز الباحث على طلبة مرحلة التعليم الثانوي في المرحلة العمرية التي تقابل وفقاً للتقسيمات المتعارف عليها مرحلة المراهقة الوسطى.

وسائل التواصل الاجتماعي:

عرّفت وسائل التواصل الإلكترونية بأنها خدمات مجانية تتم عبر الإنترنت وتعمل على تسهيل الاتصال من خلال شبكة تفاعلية (Williams, 2010).

ويمكن تعريف وسائل التواصل الاجتماعي إجرائياً في هذه الدراسة بأنها مجموعة من مواقع التواصل الفعالة على شبكة الانترنت في ظل عالم افتراضي يتخطى فيه الفاعلون حدود الزمان والمكان، ويسمح فيها ببناء علاقات وتقاسم التجارب وتبادل الأخبار والمعارف وتشارك المعلومات والأنشطة التي تستخدم لأغراض عديدة ذات تأثيرات مختلفة ايجابية وسلبية تتوقف على طبيعة الاستخدام، خاصة من قبل المراهقين.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري للدراسة:

(١) نظرية الاستخدامات والإشباع:

تعتمد الدراسة الحالية ضمن إطارها النظري على مدخل الاستخدامات والإشباع، وقد نشأ هذا المدخل في فترة سيادة الاعتقاد في التأثيرات المتوسطة لوسائل الإعلام، ويعتمد على مقولة أن وسائل الإعلام لا تؤثر على الفرد دون أن يكون للمستخدم تأثير ودوافع من وراء هذا الاستخدام، وقد أحدث ذلك تحولاً من الرؤية التقليدية التي تنظر إلى التأثير القوي لوسائل الإعلام وسلبية المتلقي.

ويعد هذا المدخل نقطة تحول هامة في دراسات الإعلام حيث تحول التساؤل الرئيس من ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور؟، إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟، ويقوم المدخل على مقولة رئيسة وهي: أن الجمهور يختار وسيلة إعلامية معينة، أو رسائل اعلامية معينة، لأشباع حاجة أو حاجات معينة لديه (Rizkallah, 2006:67). كما يذكر حجاب أن هذه النظرية تعدّ بمثابة نقلة فكرية في مجال دراسات تأثير وسائل الاتصال، حيث يزعم مؤيدي هذه النظرية أن للجمهور إرادة من خلالها يحدد أي الوسائل والمضامين يختار (٢٠١٠: ٢٩٨).

وتهتم نظرية الاستخدامات والإشباع بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منظمة، حيث جاء هذا النموذج كرد فعل لمفهوم قوة وسائل الإعلام الطاغية، فمن خلال منظور الاستخدام، لا تعد الجماهير مجرد مستقبلين سلبيين لرسائل وسائل الاتصال الجماهيرية، بل يصبح الأفراد في ظل هذه النظرية مشاركين فعالين وإيجابيين في عملية الاتصال (السيد، ٢٠٠٧: ١٥٠).

وتتمثل فروض هذه النظرية كما ورد في (Mondi, et al., 2006: 242) في الآتي:

أ- يتسم جمهور وسائل الاتصال بالفاعلية والإيجابية، ويرتبط استخدامه لوسائل الاتصال بتحقيق أهداف معينة.

وفى ضوء ذلك تحاول الدراسة الحالية انطلاقاً من هذه الافتراضات النظرية التعرف على استخدامات الشباب من فئة المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي بهدف إشباع حاجاتهم المرتبطة بدوافع معينة، سواءً أكانت (معرفية، أو الترفيه عن النفس، أو عاطفية، أو الحاجة إلى التفاعل الاجتماعي، أو إلى تحقيق الاندماج الذاتي وإزالة التوتر، أو قضاء وقت الفراغ، أو غير ذلك)، ومدى تأثير هذه الاستخدامات على الاستخدامات البديلة لشبكة الإنترنت، ومدى انعكاس المستوى الثقافي السائد في مجتمع الشباب في مرحلة المراهقة على استخداماتهم لمواقع التواصل الاجتماعي.

(٢) نظرية التفاعلية الرمزية:

كما تعتمد دراسة الباحث الحالية على نظرية التفاعلية الرمزية، التي تعتبر إحدى المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية، في تحليل الأنساق الاجتماعية، منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى (Macro Level) التي تشمل المنظمة والمجتمع، فهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى (Micro Level) التي تشمل الفرد والأسرة، بمعنى أنها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي، فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الأدوار، ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من خلال المعاني والرموز، وهنا يصبح التركيز إما على بنى الأدوار

ب- يقوم الجمهور بدور رئيس في إشباع حاجاته في عملية الاتصال الجماهيري، حيث يربط بين إشباع حاجاته واختياره للوسائل التي تشبع تلك الحاجات، ويضع ذلك حداً لما كان مسلماً به من قبل من التأثير الخاطئ لوسائل الاتصال على اتجاهات الجمهور وسلوكياته .

ج- تتنافس وسائل الاتصال مع مصادر أخرى لإشباع حاجات الأفراد من قائمة احتياجاتهم المتعددة.

د- يستطيع جمهور وسائل الاتصال تحديد اهتماماته ودوافع تعرضه لوسائل الاتصال.

هـ- تعكس استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال المستوى الثقافي السائد في المجتمع.

ويذكر مكاي والسيد (١٩٩٨:٢٤١) أن نظرية الاستخدامات والشباعات تحقق ثلاثة أهداف رئيسية تتمثل في:

١. السعي إلى الكشف عن كيفية استخدام الأفراد لوسائل الاتصال، وذلك بالنظر إلى الجمهور النشط الذي يستطيع أن يختار ويستخدم الوسائل التي تشبع حاجاته وتوقعاته.

٢. شرح دوافع التعرض لوسيلة معينة من وسائل الاتصال والتفاعل الذي يحدث نتيجة لهذا التعرض.

٣. التأكيد على نتائج استخدام وسائل الاتصال بهدف فهم عملية الاتصال الجماهيري.

والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي.

وقد بدأ جورج هيربرت ميد George H. Mead بتحليل عملية الاتصال، وقسمها إلى قسمين هما: الاتصال الرمزي، والاتصال غير الرمزي، فالاتصال الرمزي يؤكد بوضوح على استخدام الأفكار والمفاهيم، وبذلك تكون اللغة وسيلة لعملية الاتصال بين الناس في المواقف المختلفة، وبالتالي فإن النظام الاجتماعي يعد نتاجاً للأفعال التي يصنعها أفراد المجتمع، ويشير ذلك إلى أن المعنى ليس مفروضاً عليهم، وإنما هو موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين الأفراد.

ويتفق هيربرت بلومر مع جورج ميد في أن التفاعل الرمزي هو السمة المميزة للتفاعل البشري، وأن تلك السمة الخاصة تنطوي على ترجمة رموز وأحداث الأفراد وأفعالهم المتبادلة. وقد أوجز فرضياته في النقاط التالية:

- إن البشر يتصرفون حيال الموضوعات على أساس ما تعنيه تلك الموضوعات بالنسبة لهم.
- تعتبر هذه المعاني نتاج للتفاعل الاجتماعي الإنساني.
- وتلك المعاني تحور وتعديل، ويتم تداولها عبر عمليات تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.
- من جهته وجّه إرفنج جوفمان اهتمامه لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الأنساق

الاجتماعية، مؤكداً على أن التفاعل - وخاصة النمط المعياري والأخلاقي - ما هو إلا الانطباع الذهني الإرادي الذي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف، وتوضيح توقعات الدور.

ويمكن تحديد مصطلحات هذه النظرية فيما يلي:

١. التفاعل Interaction: وهو سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين فرد وفرد، أو فرد مع جماعة، أو جماعة مع جماعة.
٢. المرونة Flexibility: ويقصد بها استطاعة الإنسان أن يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد، وبطريقة مختلفة في وقت آخر، وبطريقة متباينة في فرصة ثالثة.
٣. الرموز Symbols: وهي مجموعة من الإشارات المصطنعة، يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الإنسان. وتشمل عند ميد اللغة، وعند بلومر المعاني، وعند جوفمان الانطباعات والصور الذهنية.

٤. الوعي الذاتي Self-Consciousness: وهو مقدرة الإنسان على تمثّل الدور، فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى نمثلها، على حد تعبير جوفمان
- <http://www.ingdz.net/vb/showthread.php?t=48408>.

وانطلاقاً من التحليل السابق يمكن إسقاط هذه النظرية على البحث الحالي، كونها تفسر طبيعة التفاعل الاجتماعي للفرد (المراهق) مع غيره، عن طريق الوسائل الالكترونية، وموقع التواصل الاجتماعي تحديداً، والدور الذي يؤديه من خلال اندماجه في المجتمع الرقمي الافتراضي، وهو دور إعادة إنتاج لقيمه، لأنه أصبح موضوعاً لها تملّي عليه رموز وقيم جديدة داخل المجتمع الافتراضي باستخدامه لهذه الوسائل، فضلاً عن ما هية المعاني والرموز التي تنتجها هذه الوسائل بالنسبة للفرد ثم المجتمع، وكيف يصبح الفرد فاعلاً أي هو الذي يصدر عن الرموز والقيم التي تنتجها الوسائل الالكترونية عن طريق الانترنت.

ثانياً: الدراسات السابقة:

حاولت دراسة محمد الخلفي (٢٠٠٢) استعراض التأثيرات التي تحدث نتيجة لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الانترنت على المجتمع، ومدى الاستفادة من تلك المواقع والآثار السلبية والإيجابية الواقعة على مستخدميها، وتم تطبيق هذه الدراسة على عينة تكونت من (٤١٢) طالباً وطالبة من كلية الهندسة، وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج من أهمها أن هناك العديد من السلبيات الناجمة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لفترات طويلة، بحيث أنها قد تصل إلى مرحلة الإدمان، وهو ما يجعل تلك المواقع مسيطرة بشكل كامل على حياة الفرد، وفي الجانب الآخر أوضح الباحث في دراسته

أن هناك جانباً إيجابياً لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وهو تقريب المسافة بين الأفراد وعلى وجه الخصوص بين فئة الشباب والطلبة الدارسين بالجامعات، كما تفيد في مساعدتهم على القيام بمهامهم العلمية ومحاولة التقريب بين الأفكار.

في حين أن دراسة فايز المجالي (٢٠٠٧) انطلقت من هدف سعى من خلاله الباحث إلى التعرف على أثر استخدام الانترنت على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي في المجتمع الأردني، حيث قام بإجراء استطلاع لآراء عينة من طلاب وطالبات جامعة مؤتة بالأردن بلغ عددها (٣٢٥) من الباحثين، وقد تم اختيار تلك العينة بطريقة عشوائية. وأظهرت نتائج الدراسة بأن أثر استخدام الانترنت على العلاقات الاجتماعية يزداد في حالة استخدام الطلبة للانترنت بمفردهم، وكلما زاد عدد ساعات الاستخدام اليومي. كما أوضحت النتائج بأن أكثر استخدامات الانترنت هي لغايات علمية وبحثية، وتتم في معظمها داخل الحرم الجامعي. كذلك أشارت النتائج إلى وجود علاقة بين أثر استخدام الانترنت على العلاقات الاجتماعية وبعض المتغيرات الديموجرافية والاجتماعية والاقتصادية كالجنس، والعمر، ونوع الكلية، والمستوى الدراسي، والدخل الشهري لأسر الباحثين، كما دلت على ذلك قيمة (F) بدلاله إحصائية ≥ 0.05 . وخلصت الدراسة إلى وضع مجموعة من التوصيات.

دراسة (Teens, عن Lenhart & Madden (2007)، والتي هدفت إلى التعرف على طبيعة الحياة التي يعيشها جيل الشباب من الأمريكيين، وذلك من خلال استخدامهم للانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وما المعلومات التي يتشاركون بها والتي لا يتشاركون بها مع الغير عبر هذه المواقع ومن الممكن أن تعرضهم لخطر الإيذاء مستقبلاً، وهل للأسرة دوراً في مراقبة الأولاد من الجنسين أثناء استخدامهم لهذه المواقع الرقمية أم لا؟ وذلك من خلال التطبيق على عينة مكونة من ٩٣٥ مفردة من المراهقين والمراهقات الأمريكيين، ممن تتراوح أعمارهم ما بين (١٢-١٧ عاماً)، وأولياء أمورهم.

وقد نتج عن هذه الدراسة أن (٥٥%) من المراهقين الأمريكيين لديهم حساب على مواقع التواصل الاجتماعي؛ وأن ما نسبته (٦٦%) من هؤلاء لا يشاركون مستخدمي المواقع الأخرى معلوماتهم على هذه الشبكات؛ وأن ما نسبته (٤٦%) من أولئك الذين يسمحون للغير بالاطلاع على معلوماتهم يزودون الغير بمعلومات مظلة لحماية أنفسهم أولاً وللمزاح والعبث وعدم الجدية ثانياً؛ كما أوضحت الدراسة أيضاً أن غالبية المراهقين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي لكي يبقوا على اتصال مع أصدقائهم الذين يعرفونهم؛ وأن (49%) يستخدمونها لتكوين صداقات جديدة؛ وأن (٢٣%) من أفراد العينة شعروا بالخوف عندما تم التواصل معهم من

وحددت دراسة عبدالله الغامدي (٢٠٠٧) هدفها في التعرف على مدى تردد فئة المراهقين في مدينة مكة المكرمة على مقاهي الانترنت، ومدى تطور أعداد المترددين من المراهقين على مقاهي الانترنت في مكة المكرمة في الأعوام الأخيرة، وأكثر المجالات والأنشطة التي يستخدم المراهقون مقاهي الانترنت من أجل استعراضها أو ممارستها، ونسبة استخدام كل منها، وأسباب تردد المراهقين على مقاهي الانترنت، والتعرف على أهمية كل سبب، واعتبر الباحث هذه الدراسة وصفية تحليلية معتمداً فيها على مقياس استخدام المراهقين للانترنت الذي طبقه على عينة بلغت ٣٠٠ طالباً في المرحلة الثانوية من المترددين على استخدام شبكة الانترنت، وتوصل الباحث من خلال دراسته إلى جملة من النتائج من أهمها تزايد أعداد ونسب المراهقين المستخدمين للانترنت للدخول على عدد من المواقع المختلفة، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين أفراد العينة من المراهقين خاصة ما يتعلق بالمشكلات السلوكية الخاصة بالمدرسة، والمشكلات الأسرية والوالدية، والمشكلات السلوكية العامة وبين طريقة تعاملهم مع الانترنت سواء كان ذلك بمفردهم أو مع أصدقائهم، بينما وجدت الدراسة أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية فيما يتعلق بمشكلات صورة الذات داخل المدرسة، الانفعالية، ومفهوم الذات، والعدوان، وسوء التوافق مع الآخرين.

قبل غرباء عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ كما بينت الدراسة كذلك أن الوالدين يعتقدان أن الإنترنت أمر جيد لأولادهم وقليل من الأباء والأمهات يمنحون أولادهم الفرصة للوصول لمواقع التواصل بلا قيود، ومعظم المراهقين والمراهقات يدركون أن والديهم يقومان بمراقبة سلوكهم عبر الإنترنت لمعرفة المواقع التي يتعرضون لها خلال إستخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال بعض البرامج الخاصة بهذا الشأن أو من خلال وضع جهاز الكمبيوتر في مكان عام داخل المنزل ومراقبة الأولاد (المراهقين) بصورة مباشرة.

وجاءت دراسة أشرف حسن (٢٠٠٩) حول أثر شبكات العلاقات الاجتماعية التفاعلية بالإنترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية، وتعتبر دراسة تشخيصية مقارنة على الشباب وأولياء الأمور في الأسرة المصرية والقطرية، حيث تم تطبيقها على عينة عشوائية تكونت من ٦٠٠ مفردة من الشباب وأولياء الأمور، بهدف رصد وتوصيف أثر الوسائل الاتصالية الحديثة (الإنترنت بكافة استخداماتها، والفضائيات، والمدونات) على طبيعة وحجم العلاقات والتفاعلات الاجتماعية والاتصالية داخل الأسرة المصرية والقطرية، للوصول إلى رؤية محددة نحو ترشيد استخدام التقنيات الحديثة وتفعيل دور المسؤولية الأسرية والمجتمعية في هذا الخصوص، وكان من أهم نتائجها الإقبال الكبير على المواقع

الاجتماعية بشبكة الإنترنت؛ وأن هناك استخداماً لرسائل الجوال بشكل اجتماعي الأمر الذي أثر إلى حد كبير على طبيعة ومستوى التفاعل الاجتماعي داخل كل من الأسرتين المصرية والقطرية، فكلما شعر الأفراد بالخصوصية في استخدام جهاز الكمبيوتر زاد انعزالهم عن الواقع الاجتماعي، وانخفض مستوى تفاعلهم الاجتماعي؛ كما أن التفاعل الاجتماعي يزداد بوجود الأب والأم وينخفض بغيابهما، سواءً أكان غيباً طبيعياً أو نفسياً؛ وقد احتل *الفيس بوك* و*اليوتيوب* و*الماي سبيس* مواقع الصدارة كشبكات اجتماعية مفضلة لأفراد العينة الذين يعتبرون أن أصدقائهم يمثلون المرجع الأول لهم في حالة حدوث مشكلة ما؛ في حين أن الفئة العمرية من ١٥ - ١٨ عاماً يميلون للدردشة، والمنتديات، والرسائل النصية، بينما تميل الفئة العمرية من ١٩ - ٢٢ عاماً إلى البريد الإلكتروني والتصفح.

وأوضحت دراسة Nie & Erbring (٢٠٠٩) تأثير الإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، سواء كانت على شبكة الإنترنت، أو من خلال تطبيقات الأجهزة المحمولة، على قدرة الفرد على التواصل اجتماعياً مع من هم يعيشون حوله، وأشارت نتائج تلك الدراسة إلى أنه كلما زاد استخدام الفرد لوسائل التواصل الاجتماعي كلما قلت قدرته على التواصل اجتماعياً مع الأقارب والأصدقاء، أي أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يؤثر سلبياً على علاقات الفرد الاجتماعية.

والاجتماعية المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى المستخدمين من أفراد الأسرة المصرية، وأهم دوافع استخدام هذه المواقع لدى الأطراف المختلفة في الأسرة المصرية الواحدة. وتم تطبيق إستمارات الاستبانة لهذه الدراسة على عينة غير احتمالية وبالتحديد عينة متاحة من أفراد الأسرة المصرية من الآباء والأمهات والأبناء من نفس الأسر قوامها ٤٢٠ مفردة، موزعة كالتالي: ٢١٠ مفردة من الآباء والأمهات، و ٢١٠ مفردة من الأبناء، وتم تقسيم اختيار العينات المتاحة حسب المستوى الاقتصادي الاجتماعي للمناطق من ثلاث محافظات تُمثل جمهورية مصر العربية. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: بالنسبة للأبناء اتضح أن موقع "الفيس بوك" جاء في المركز الأول بعدد نقاط ٨٢٢ نقطة من حيث استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي، وأشارت النتائج إلى وجود تأثيرات سلبية لمواقع التواصل الاجتماعي على علاقة المبحوث من الأبناء بأسرته بسبب تقليلها للحوار الشخصي التفاعلي بين أفراد الأسرة، مع استسهال الحوار عبر هذه الشبكات الاجتماعية داخل المنزل"، حيث جاءت بنسبة ٦٥,٢%، وفيما يتعلق بالآباء أكدت النتائج عدم استخدام المبحوثين من الآباء لمواقع التواصل الاجتماعي بنسبة ٦٨,٦%، وأن مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في بناء وتكوين شخصية أولادهم حيث جاءت بنسبة ٥٣,٣%.

وبينت نتائج دراسة Valkenburg & Peter (2009) أن المراهقين هم الفئة الأكثر استخداماً للإنترنت حالياً بين فئات الشباب، فهم يقضون وقتاً أكثر مما يقضيه البالغون على الإنترنت، ويستخدمونه في مجالات التفاعل الاجتماعي أكثر مما يفعل البالغون، ومن ثم فقد كشفت هذه الدراسة أن بعض الدراسات السابقة أظهرت العديد من المشكلات السلوكية للطلاب المراهقين في ضوء المتغيرات الاجتماعية والثقافية، والتي كان لها دوراً في التأثير بشكل مباشر على منظومة القيم ومنها: التهور، والعنف، والعدوانية، والعزلة الاجتماعية، والانسحابية، والاغتراب الاجتماعي، والسرقة، والمشكلات الجنسية.

واستهدفت دراسة خالد صالح (٢٠١٢) بيان مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي من منظور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية، وخلصت هذه الدراسة إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي تؤدي إلى تنمية معارف المشاركة في المناسبات العامة والاجتماعية، وتعمل على تدعيم ثقافة الحوار مع الآخرين، ولكن من أهم سلبياتها تزييف وعي الشباب بقيمة الانتماء للوطن.

وهدف دراسة هشام البرجي (٢٠١٣) إلى التعرف على مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة المصرية، والتعرف على أهم الآثار النفسية

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح لنا أهمية مواقع التواصل الاجتماعي، وتأثيرها المتنامي على الشباب عامة، وعلى المراهقين خاصة، نظراً لما لهذه المرحلة من سمات قد تتوافق مع ما تتضمنه مواقع التواصل الاجتماعي، وما يمكنها اشباعه من احتياجات لهم، لكن الجديد في هذه الدراسة هو اعتمادها على نظرية الاستخدامات والاشباع، وكذلك تطبيقها على طلاب المرحلة الثانوية بمدينة جدة ثاني أكبر المدن بالمملكة العربية السعودية، والميناء الأول، وبوابة الحرمين، ومركز الأعمال الذي يتيح توافد العديد من الجنسيات العربية والأجنبية إليها، وهذا يولد نوعاً من الإحتكاك مع الثقافات المختلفة.

الاجراءات المنهجية للدراسة

يتناول الباحث فيما يلي وصفاً لإجراءات الدراسة الميدانية؛ وتتضمن: تحديد نوع الدراسة والمنهج المتبع فيها، وتحديد مجتمع وعينة الدراسة، والأداة المستخدمة في جمع البيانات الميدانية من حيث بنائها والإجراءات المتبعة للتحقق من صدقها وثباتها، والمعالجة الإحصائية المستخدمة في تحليل النتائج، وذلك على النحو التالي:

أولاً: نوع الدراسة ومنهجها:

انطلاقاً من كون هذه الدراسة تستهدف التعرف على الأبعاد الاجتماعية لاستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي، فإنها تعد من الدراسات الوصفية التي تسعى إلى تحديد خصائص ظاهرة ما،

ويحقق هذا النوع من الدراسات إمكانية استخدام البيانات الكمية للتوصل إلى نتائج محددة، إضافة إلى إمكانية خضوع تلك البيانات للتحليل الإحصائي وإمكانية التعميم والتنبؤ من خلال نتائج الدراسة الميدانية التي تم تطبيقها في دراسة الباحث الحالية على طلاب المرحلة الثانوية. وتتبنى الدراسة منهج المسح الاجتماعي بالعينة للتعرف على استخدامات المراهقين لمواقع التواصل الاجتماعي في ضوء كل من نظريتي الاستخدامات والاشباع، والتفاعلية الرمزية.

مجتمع وعينة الدراسة:

يعتبر المراهقين من فئة الشباب في المرحلة الثانوية مجتمعاً للدراسة الحالية، حيث تم اختيار بعض المدارس الثانوية بمدينة جدة لتطبيق الاستبانة على عينة من طلبتها البنين بقسميها العلمي والأدبي (مدرسة ابن البيطار الثانوية، ومدرسة ابن حزم الثانوية، ومجمع أبحر الثانوي، ومدرسة رضوى الثانوية)، حيث تم سحب العينة عشوائياً بواقع ٨٠ طالباً من كل مدرسة من تلك المدارس التي تمثل أحياء جنوب وشرق ووسط وشمال المدينة، وتكونت العينة النهائية من ٣٠٢ مفردة بعد استبعاد استمارات الاستبانة التي لم يتمكن الباحث من تحليلها إحصائياً، لعدم استكمال بياناتها من قبل بعض المبحوثين.

أداة جمع البيانات:

تم استخدام استمارة الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات الميدانية لهذه الدراسة، وقد تكونت الاستبانة من أربعة أقسام أولها إشتمل على بيانات المبحوثين الأولية مثل: نوع المسار الدراسي، ومكان الميلاد، والقسم الثاني يمثل بيانات الأبعاد الأسرية لأفراد عينة الدراسة مثل: عدد أفراد أسرته، نوع سكن الأسرة، ملكية المسكن، متوسط دخل الأسرة ومصادره، مستوى تعليم الوالدين، والحالة العملية للوالدين، بينما تناول القسم الثالث الأبعاد المتعلقة بالأصدقاء، وكذلك الإشباعات التي تتحقق للمراهقين وأصدقائهم من وسائل التواصل الاجتماعي والآثار المترتبة عليها، والفئات التي يشاركها المراهق مناقشة ما تطرحه تلك الوسائل، والدور الذي يمكن أن تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي في زيادة الانتماء لدى تلك الفئة من المجتمع، أما القسم الرابع فتناول الأبعاد المتعلقة بالمدرسة ودورها في التعاطي مع المراهقين ووسائل التواصل الاجتماعي، وقد جاءت الأسئلة والعبارات في استمارة الاستبانة مغلقة النهايات بمجموعة من الاختيارات ليسهل على المبحوثين الإجابة عليها في زمن قصير، وقد تم عرض الاستبانة على ثلاثة من الأساتذة

المتخصصين في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية لتحكيمها، وبعد مراجعتها وابداء ملاحظاتهم حول مضمونها، من حيث تغطيتها لمحاور الدراسة، ووضوح عباراتها، وفهم لغتها، وبناءً على الملاحظات التي أبدوها تم تعديل الاستبانة، ومن ثم اختبارها في شكلها النهائي على عينة من طلبة إحدى المدارس الثانوية للتأكد من صلاحيتها للتطبيق، ومعرفة الزمن المتوقع للإجابة على محتواها، ووفقاً للنتائج التي حصل عليها الباحث فقد أكدت أن الاستبانة صالحة للتطبيق النهائي، ومن ثم تم توزيعها على أفراد عينة الدراسة بالتعاون مع بعض طلاب مادة التدريب العملي بقسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بجامعة الملك عبدالعزيز خلال الفصل الدراسي الأول ١٤٣٨/١٤٣٩هـ.

المعالجة الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

قام الباحث باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) للتعامل مع بيانات الدراسة الحالية إحصائياً تمهيداً لتحليلها وتفسيرها واستخراج النتائج، حيث تم عرض المتغيرات والتكرارات مع توضيح النسبة المئوية من خلال جداول بسيطة ثم تفسير هذه البيانات والنسب المئوية.

تحليل وتفسير بيانات الدراسة الميدانية

أولاً: بيانات أفراد عينة الدراسة الأولية:

جدول رقم (1) توزيع عينة الدراسة وفقاً لبياناتهم الأولية (ن = 302)

المتغير	المتغيرات الفرعية	ك	%
المسار الدراسي	علمي	265	87.7
	أدبي	37	12.3
مكان الميلاد	مدينة	278	92.1
	قرية	19	6.3
	بادية	5	1.7
المجموع		302	100.0

يوضح الجدول رقم (١) أعلاه أن حجم العينة بلغ (٣٠٢) مفردة وتمثلت بياناتها الأولية في أن الغالبية العظمى بنسبة تشكل (٨٧,٧%) يدرسون في المسار العلمي وهذا يوضح مدى جدية طلبية المسار العلمي في التعامل مع الأمور مما انعكس على الحرص على استكمال استبانة الدراسة بصورة صحيحة، في مقابل عدد قليل من الطلاب يدرسون في المسار الأدبي ذو الفرص المحددة مستقبلاً سواءً في التعليم العالي أو في مجالات التوظيف بنسبة (١٢,٣%)، وتفسر هذه النتيجة إقبال النسبة الأكبر من الطلاب على المسار العلمي في المدارس الثانوية. كما يظهر الجدول أن الغالبية العظمى من العينة بنسبة (٩٢,١%) من مواليد المدن أي كانت حياتهم في منطقة حضرية، مقابل نسبة بسيطة (٦,٣%) من مواليد الريف، ونسبة (١,٧%) من مواليد البادية.

ثانياً: بيانات تتعلق بالأبعاد الأسرية واستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي:

جدول رقم (٢) توزيع العينة وفقاً لبياناتهم المتعلقة بالأبعاد الأسرية (ن = 302)

المتغير	المتغيرات الفرعية	ك	%
عدد أفراد الأسرة	٣ أفراد فأقل	29	9.6
	من 4 إلى 7 أفراد	180	59.6
	من 8 فأكثر	93	30.8
نوع مسكن الأسرة	بيت شعبي	60	19.9
	شقة	199	65.9
	فيلا	43	14.2
ملكية مسكن الأسرة	ملك خاص	91	30.1
	ملك الحكومة	7	2.3
	إيجار	204	67.5
متوسط دخل الأسرة الشهري بالريال السعودي	5000 فأقل	116	38.4
	من 5000 إلى أقل من 10000	95	31.5
	من 10000 إلى أقل من 15000	52	17.2
	من 15000 إلى أقل من 20000	14	4.6
	من 20000 إلى أقل من 25000	2	٠.7
	أكثر من 25000	23	7.6
مصادر دخل الأسرة	راتب الوظيفة	231	76.5
	عقارات	15	5.0
	تجارة	56	18.5
مستوى تعليم الوالد	أمي	10	3.3
	يقرأ ويكتب	17	5.6
	ابتدائي	17	5.6

19.9	60	متوسط	
38.1	115	ثانوي	
18.9	57	جامعي	
8.6	26	فوق الجامعي	
7.6	23	أمية	مستوى تعليم الوالدة
7.0	21	تقرأ وتكتب	
9.3	28	ابتدائي	
20.9	63	متوسط	
38.1	115	ثانوي	
10.9	33	جامعية	
6.3	19	فوق الجامعية	عمل الوالد
28.5	86	موظف حكومي	
24.2	73	موظف قطاع خاص	
11.6	35	عسكري	
20.9	63	رجل اعمال	
2.0	6	معلم أو استاذ جامعي	
12.9	39	متقاعد	عمل الوالدة
10.3	31	موظفة حكومية	
4.3	13	موظفة قطاع خاص	
2.6	8	معلمة أو استاذة جامعية	
4.3	13	متقاعدة	
78.5	237	ربة منزل	
100.0	302	المجموع	

يوضح الجدول رقم (٢) الأبعاد الأسرية لأفراد عينة الدراسة، حيث تبين أن الغالبية بنسبة تمثل (٥٩,٦%) من أسر المبحوثين متوسطة الحجم وعدد أفرادها يتراوح ما بين (٤ - ٧ أفراد)، مقارنة بنسبة (٣٠,٨%) ممن أسرهم كبيرة الحجم وعدد أفرادها (٨ أفراد فأكثر)، ونسبة (٩,٦%) ممن أسرهم صغيرة الحجم وعدد أفرادها (من ٣ أفراد فأقل)، في حين تقطن غالبية أسر المبحوثين بما يمثل نسبة (٦٥,٩%) من المبحوثين في شقق سكنية كنمط اسكاني جديد بدأ ينتشر في المجتمعات الحضرية ألا وهو الاسكان العامودي، وعادة يكون هذا النوع من السكن ضيقاً عند أخذ عدد أفراد أسر المبحوثين الكبير في الاعتبار، في مقابل نسبة (١٩,٩%) يسكنون في بيوت شعبية، ونسبة (١٤,٢%) يسكنون في فلل، كما يوضح الجدول نسبة (٦٧,٥%) يسكنون في مساكن مؤجرة بما قد يكون أحد أبعاد مشكلة الاسكان الحضري إضافة إلى تحمل الأسرة أعباء إقتصادية تتمثل في الإلتزام بدفع الإيجار مما يتقل كاهلها، في مقابل نسبة (٣٠,١%) يسكنون في ملكيات خاصة، ونسبة بسيطة تمثل (٢,٣%) يعيشون في إسكان حكومي، كما يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة (٦٩,٩%) من أفراد العينة متوسط دخول أسرهم أقل من (١٠٠٠٠) ريالاً شهرياً، يليهم من متوسط دخل أسرهم ما بين ١٠٠٠٠ إلى أقل من ٢٠٠٠٠ ريال بنسبة (٢١,٨%)، بينما تقل نسبة من متوسط دخلهم الأسري من ٢٠٠٠٠ إلى أكثر من ٢٥٠٠٠ ريال حيث بلغت (٨,٣%)، وتشير هذه النسب إلى أن غالبية أسر المبحوثين من ذوي الدخل المنخفض أو المحدود، ويشكل الغالبية من المبحوثين الذي يعتبر الراتب الشهري المصدر الأساسي للدخل نسبة (٧٦,٥%) منهم من الراتب الشهري للوظيفة، يليهم التجارة بنسبة (١٨,٥%)، ثم العقارات بنسبة (٥%)، الأمر الذي يعد نتيجة طبيعية لأن المجتمع السعودي يؤمن بثقافة أن الوظيفة مصدراً آمناً للدخل للأسرة، كما يبين الجدول تقارب المستوى التعليمي لآباء وأمهات أفراد عينة الدراسة، وأن معظمهم من ذوي التعليم الثانوي فأعلى بنسبة (٦٥,٦%) للآباء، و (٥٥,٣%) للأمهات، وفيما يعمل الغالبية العظمى من آباء المبحوثين موظفين في القطاع الحكومي والخاص والعسكري، فإن الغالبية العظمى من أمهات الإناث لا يعملن

خارج المنزل (ريات بيت) وقد يرجع ذلك إلى النظرة السلبية السابقة لعمل المرأة والتي تغيرت كثيراً في الجيل الحالي. ويلاحظ من خلال البيانات الأسرية للمبحوثين في الجدول السابق أن حجم الأسرة كبير مما قد لا يتناسب مع توفير الرعاية الاجتماعية والتعليمية والتثقيفية للشباب في سن المراهقة، فضلاً عن أن انشغال الوالدين لتوفير متطلبات الأسرة بهذا الحجم قد يعطل ممارستهم تنشئة أبنائهم التنشئة السليمة في ظل متغيرات العصر المتسارعة، كما أن مستوى تعليم الوالدين قد لا يواكب تلك المتغيرات وخاصة فيما يتعلق بتقنيات وتطبيقات التواصل الرقمية، وهذه العوامل قد تشكل سبباً في الاستخدام السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي من قبل الشباب في هذه السن الحرجة التي تعرف بسن المراهقة وخصوصاً أن هذه المرحلة العمرية من خصائصها التمرد على السلطة الأسرية وهذا أيضاً قد يعمل كذلك على عدم قدرة الأسرة على كبح جماح الشباب في بعض توجهاته ومنها ما يتعلق باستخدامات لوسائل التواصل الاجتماعي والتي يقوم بإخفاء كثير من معالمها أمام أسرته.

ثالثاً: الأبعاد المتعلقة بالأصدقاء واستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي:

جدول رقم (٣) توزيع العينة وفقاً لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي المفضلة بالدرجة الأولى لديهم وأصدقائهم

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
حاسب آلي	18	6.0
جوال يدعم تطبيقات الانترنت وبرامج التواصل الاجتماعي	166	55.0
تلفزيون	70	23.0
بلايستيشن	36	12.0
ايباد	12	4.0
المجموع	302	100.0

يتضح من الجدول (٣) أعلاه أن وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي المفضلة بالدرجة الأولى للمراهقين وأصدقائهم، جاء في مقدمتها الجوالات الذكية التي تدعم تطبيقات الانترنت وبرامج التواصل الاجتماعي بنسبة (٥٥%)، والتي انتشرت بصورة متزايدة في الفترة الأخيرة بسبب انخفاض أسعارها، واتاحة العديد من التطبيقات التي تؤكد مقولة أننا انتقلنا الآن من الإعلام الجماهيري إلى الاعلام الشخصي، حيث يمكن تعديل مقولة العولمة بأن العالم قرية كونية صغيرة إلى جوال ذكي صغير، ويلاحظ انخفاض تفضيل وسائل الإعلام الأخرى مثل التلفزيون بنسبة (٢٣%)، والبلايستيشن بنسبة (١٢%)، والحاسب الآلي والآيباد بنسبة لا تتجاوز (١٠%)، وقد يرجع ذلك لما تمثله الهواتف الذكية من خصوصية واللامجهرية، والبعد عن الرقابة المباشرة للجماعات الأولية.

جدول رقم (٤) توزيع العينة وفقاً لمواقع التواصل الاجتماعي التي يجبر فيها المراهق بمشاركة

أصدقائه حسب الأهمية

المتغير	النسبة المئوية	التكرار
الإيمو	94	5.1
انستقرام	161	10.7
تويتر	239	15.8
سناپ شات	243	16.1
الفيس بوك	140	9.2
لينكد إن	126	8.3
الواتس أب	225	14.9

8.2	124	جوجل بلس
11.1	167	يوتيوب
100.0	*1510	المجموع

* ن = ١٥١٠ لاختيار المبحوث لأكثر من إجابة.

يوضح الجدول رقم (٤) تنوع مواقع التواصل الاجتماعي التي يرتادها المراهقون بمشاركة الأصدقاء، مما يشير إلى التأثير الكبير لها، وكذلك جاذبيتها، وقدرتها على تعدد الاشباع التي تقدمها للمراهقين، حيث جاء في مقدمتها السناش بنسبة (١٦,١%)، ثم التويتر (١٥,٨%)، والواتس آب بنسبة (١٤,٩%)، واليوتيوب بنسبة (١١,١%)، والانسيتورم بنسبة (١٠,٧%) وعلى الرغم من شيوع استخدام هذا التطبيق بين الشباب في المجتمع السعودي إلا أنه إتضح للباحث من خلال مناقشة أفراد عينة الدراسة أن شيوع استخدامه بين الفتيات أكثر من الفتيان، وهكذا تنازلياً يأتي الفيس بوك بنسبة (٩,٢%) وتشير هذه النسبة إلى أن هذا التطبيق غير مستخدم على نطاق واسع بين الشباب في المجتمع السعودي، ولينكيد إن وجوجل بلس بنسبة (٨,٣% & ٨,٢%) وهي تطبيقات يستخدمها المحترفون وهذا ما قد يبرر عدم شيوع استخدامها بين المبحوثين وأصدقائهم مقارنة بغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، وأخيراً لإيمو بنسبة (٥,٧%)، والملاحظ من تلك المواقع التي جاءت في المقدمة تعدد الاستخدامات لأن كل منها له استخدامات تختلف عن الآخر، فالتويتر يستخدم في تبادل الأخبار والمحادثات المباشرة وتبادل المقاطع والصور الأفكار وتقديم الخدمات الاجتماعية ومساعدة الآخرين إلى غير ذلك من المميزات، والواتس آب يستخدم في التواصل مع المعارف والأصدقاء المعروفين في الواقع الاجتماعي الحقيقي، وسناش شات لتبادل الصور والمقاطع في العالمين اللاحقي والافتراضي، واليوتيوب لمشاهدة الفيديوهات التي تشبع لديهم حاجات محددة، وجوجل بلس للتواصل مع الاصدقاء وتبادل الصور والمقاطع وغيرها وهكذا، وهذه النتيجة توضح شعبية هذه التطبيقات لدى الشباب السعودي مقارنة بغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي.

جدول رقم (٥) توزيع العينة وفقاً للفترة الزمنية التقديرية لتعرضهم اليومي وأصدقائهم لوسائل التواصل الاجتماعي (ن = 302)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٣ ساعات	84	27.8
من ٣ إلى ٦ ساعات	98	32.5
من ٧ ساعات فأكثر	120	39.7
المجموع	302	100.0

يوضح الجدول (٥) أعلاه الوقت الزمني التقديري الذي يتعرض فيه المبحوث وأصدقائه لوسائل التواصل الاجتماعي يومياً، حيث تبين أن الغالبية بنسبة (٣٩,٧%) من إجمالي عينة الدراسة يقضون مع أصدقائهم من ٧ ساعات فأكثر يومياً في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي المفضلة لديهم، بينما نسبة (٣٢,٥%) يقضون من ٣ إلى ٦ ساعات يومياً، وكلا النتيجتين تشير إلى كثافة تعرض المراهق وأصدقائه لوسائل التواصل الاجتماعي، فيما أوضح ما يمثل نسبة (٢٧,٨%) وهم الأقل في أفراد العينة بأنهم يقضون أقل من ٣ ساعات فقط في استخدام وسائل التواصل وقد يكون السبب في ذلك إلى الضوابط التي تضعها الأسرة على كيفية الاستخدام أو إلى عدم توفر مصدر للإتصال بالإنترنت لديهم لفترات أطول. ومن النتائج السابقة يتضح أن هناك استخدام مفرط قد يصل إلى حد الإدمان من قبل أفراد العينة من المراهقين وأصدقائهم، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كل من (Song,

(et al., 2004) ودراسة (Kaltiala, et al., 2004)، والتي أظهرت الإستخدام المفرط لفئة المراهقين للإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي يومياً، والعلاقة بين إشباعات الإنترنت والميل نحو إدمانه.

جدول (٦) توزيع العينة وفقاً لأسباب دخولهم وأصدقائهم لوسائل التواصل الاجتماعي حسب الأهمية

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
متابعة الأحداث المحلية	215	25.9
متابعة الأحداث العربية والعالمية	93	11.2
الترفيه	172	20.7
التواصل مع الأصدقاء	178	21.4
شغل وقت الفراغ	144	17.3
التعبير عن الرأي بحرية	29	3.5
المجموع	*831	100.0

* ن = 831 لاختيار المبحوث لأكثر من إجابة.

يوضح جدول رقم (٦) أسباب استخدام عينة الدراسة وأصدقائهم لوسائل التواصل الاجتماعي حسب الأهمية، حيث تتمثل في أسباب ايجابية تتم عن وعي بالاستخدامات الايجابية ظاهرياً، وقد تعبر من ناحية أخرى عن الأهداف المعلنة، ولا توضح بأية حال الأسباب الذاتية الكامنة وراء استخدام هذه المواقع، وجاء في مقدمة الأسباب المعلنة التي ذكرها المبحوثون على التوالي متابعة الأحداث المحلية بنسبة (٢٥,٩%) وقد يكون الدافع وراء ذلك ما يمر به المجتمع السعودي في الفترة الراهنة من تغيرات جريئة وسريعة دافعاً لمثل هذه النسبة من المتابعة بهدف التعرف على المستجدات على الساحة الوطنية، ثم التواصل مع الأصدقاء بنسبة (٢١,٤%) ولكن من هم الأصدقاء ونوع جنسهم والرسائل المتبادلة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة Lenhart & Madden (2007) والتي أفادت بأن غالبية المراهقين يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي لكي يبقوا على اتصال مع الأصدقاء أو تكوين صداقات جديدة، والترفيه بنسبة (٢٠,٧%) والذي لم يتضح هنا ما نوع هذا الترفيه الذي يحظى باهتمام هذه الفئة، وشغل وقت الفراغ بنسبة (١٧,٣%)، ثم متابعة الأحداث العربية والعالمية بنسبة (١١,٢%) وأخيراً التعبير عن الرأي بحرية بنسبة (٣,٥%) من إجمالي عينة الدراسة، وهذه النسبة تظل محل استغراب من الباحث قد يفسرها غياب هذه الثقافة عن شبابنا وهذا مؤشر خطير، فمن لا رأي له يكون مدعاة للتأثر بأراء الآخرين التي قد تكون سلبية وهدامة للفرد ولبناء المجتمع.

جدول رقم (٧) توزيع العينة وفقاً لمدى تناول وسائل التواصل الاجتماعي لقضايا المراهق وأصدقائه المعاصرة (ن = 302)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
نعم	89	29.5
إلى حد ما	173	57.3
لا	40	13.2
المجموع	302	100.0

توضح البيانات الواردة في الجدول رقم (٧) موافقة الغالبية العظمى من أفراد عينة الدراسة على تناول وسائل التواصل الاجتماعي لقضاياهم وأصدقائهم المعاصرة، حيث بلغت نسبة الموافقين والموافقين إلى حد ما (٨٦,٨%)، في مقابل نسبة غير الموافقين البسيطة التي شكلت (١٣,٢%) من إجمالي العينة، مما يشير إلى الدور القوي لوسائل التواصل الاجتماعي، ويفسر من ناحية أخرى عوامل جذبها لفئة الشباب عامة والمراهقين من المبحوثين وأصدقائهم بصفة خاصة.

جدول رقم (٨) توزيع العينة وفقاً لمتابعة الموضوعات التي تهتم المراهق وأصدقائه عبر وسائل التواصل الاجتماعي

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الألعاب الإلكترونية	٢٢٧	٧,٦
الموضوعات الرياضية	228	7.7
العنف الأسري	208	7.0
المخدرات	٢٢٢	٧,٥
الأفلام والأغاني	220	7.4
العلاقات الجنسية	221	7.4
الأحداث الاجتماعية المحلية	208	7.0
الظروف الاقتصادية	217	7.3
الوساطة والمحابة	201	6.7
الموروث الثقافي	200	6.7
متابعة مشاهير التواصل الاجتماعي	202	6.8
متابعة الموضة	199	6.9
التحرش والابتزاز	209	7.0
المجموع	*2979	100.0

* ن = 2979 لاختيار المبحوث لأكثر من إجابة.

توضح البيانات الواردة في الجدول رقم (٨) توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لمتابعتهم وأصدقائهم لأهم الموضوعات عبر وسائل التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المبحوثين، حيث يلاحظ تنوع هذه القضايا وشمولها، حيث جاءت على التوالي الموضوعات الرياضية بنسبة (٧,٧%)، الألعاب الإلكترونية بنسبة (٧,٦%)، المخدرات بنسبة (٧,٥%)، كلاً من الأفلام والأغاني؛ والعلاقات الجنسية بنسبة (٧,٤%) لكل منهما، الظروف الاقتصادية بنسبة (٧,٣%)، العنف الأسري؛ الأحداث الاجتماعية المحلية؛ التحرش والابتزاز بنسبة (٧%) لكل منهما، متابعة الموضة والمشاهير بنسبة (٦,٨%)، وأخيراً الموروث الثقافي؛ والوساطة والمحابة بنسبة (٦,٧%) لكل منهما. وقد غلب على تلك الموضوعات الجانب السلبي، كما يلاحظ على تلك الإهتمامات غلبة طابع المعاشية اليومية لها، وغياب القضايا العالمية، وكذلك غياب القضايا السياسية، وتنوع إهتمامات المبحوثين وأصدقائهم من خلال تقارب النسب الموضحة بالجدول التي تؤكد أن الشاب في هذه الفئة العمرية يكون شغوفاً بالتنقل بين الموضوعات والاهتمامات الموضحة بالجدول أعلاه بهدف الإطلاع والتعرّف على كل ما هو جديد في سبيل إشباع بعض الاحتياجات لديه، وهنا تكمن الخطورة حيث تتوفر إمكانية سرعة الاستجابة للمؤثرات أيّاً كان نوعها ومصدرها وخصوصاً في ظل غياب التوعية والإرشاد اللازمين في مثل هذه المرحلة العمرية.

رابعاً: الأبعاد المتعلقة بالمدرسة واستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي:

جدول رقم (٩) توزيع العينة وفقاً لأسباب انتشار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بين طلبة المدارس الثانوية (ن = 302)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
سرعة متابعة الأحداث	92	30.5
عدم وجود قيود على حرية التعبير	37	12.3
سهولة الاستخدام	57	18.9
تعتبر أدوات لقتل وقت الفراغ الزائد لدى الشباب	78	25.8
تمثل لغة العصر	38	12.6
المجموع	302	100.0

تشير البيانات الواردة في الجدول رقم (٩) إلى رؤية المبحوثين للأسباب التي أدت إلى انتشار استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بين طلبة المرحلة الثانوية، حيث جاء في مقدمتها سرعة متابعة الأحداث بنسبة (٣٠,٥%)، ثم لأنها تعتبر أدوات لقتل أوقات الفراغ الزائدة عند الشباب عامة والمراهقين خاصة، ثم لسهولة الاستخدام بنسبة (١٨,٩%)، ولأنها تمثل لغة العصر بنسبة (١٢,٦%)، وأخيراً لعدم وجود قيود على حرية التعبير بنسبة (١٢,٣%)، ويلاحظ على الأسباب السابقة أنها تعكس مميزات مواقع التواصل الاجتماعي من الاطلاع على الأحداث المستجدة، وتجاوزها للزمان والمكان، وسهولة الاستخدام، ولاتاحتها أكبر قدر من الخصوصية.

جدول رقم (١٠) توزيع العينة وفقاً لمرجعية المبحوث في مناقشة موضوعات التواصل الاجتماعي التي تهتم طلاب المدارس الثانوية (ن = 302)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
زملاء المدرسة	36	11.9
الأصدقاء	172	57.0
أفراد الأسرة	90	29.8
معلمي المدرسة	4	1.3
المجموع	302	100.0

يوضح الجدول رقم (١٠) التواصل الاجتماعي بين الواقعية والافتراضية، حيث تشير البيانات الواردة إلى أن الأشخاص الذين يناقش معهم المبحوث موضوعات مواقع التواصل الاجتماعي التي تحظى بمتابعة وإهتمام طلبة المرحلة الثانوية، حيث جاء في مقدمتهم الأصدقاء بنسبة (٥٧%) من إجمالي العينة، وهو ما يتوافق مع طبيعة المرحلة، ويشكل من ناحية أخرى واقعاً خطيراً حيث تتضمن تلك المواقع الغث والسمين، وقد لا يدرك الأصدقاء آليات التمييز بينهما فيتم توجيه المراهق إلى أمور سلبية تضر به، فضلاً عن مدى المصادقية والصلاح والثقة في هؤلاء الأصدقاء، خاصة في ظل انخفاض نسبة تأثير الأسرة (٢٩,٨%)، والمدرسة بنسبة بلغت (١,٣%) من إجمالي عينة الدراسة، وهي نتيجة خطيرة تشير بدورها إلى انخفاض الدور التربوي للمدرسة المتمثل في دور المعلمين وكذلك الفجوة في العلاقات بين المراهق وأسرته من ناحية وبينه وبين معلميه مدرسته من ناحية أخرى.

جدول رقم (١١) توزيع العينة وفقاً لمدى اعتمادهم وزملاء المدرسة على مواقع التواصل الاجتماعي في معرفة المقررات الدراسية (ن = 302)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
نعم	88	29.1
الى حد ما	160	53.0
لا	54	17.9
المجموع	302	100.0

تشير البيانات الواردة في الجدول رقم (١١) إلى اعتماد معظم المبحوثين وزملائهم بالمدرسة على مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعرفة بالمقررات الدراسية جاء إلى حد ما بنسبة بلغت (53%)، يليها في المرتبة الثانية من يرون أنهم يعتمدون بشكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي في متابعة مقرراتهم الدراسية بنسبة (29.1%)، في مقابل نسبة ضئيلة تمثل (١٧,٩%) لا يعتمدون عليها في التعرف على المقررات الدراسية. وتشير هذه النتائج إلى توجه أفراد عينة الدراسة وزملائهم بالمدرسة إلى البحث عن المعرفة وخصوصاً ما يتعلق بالمقررات الدراسية من خلال مواقع وسائل التواصل الاجتماعي، وقد يكون ذلك بتكليف من معلمي مدارسهم، وهذا يعد مؤشر ايجابي لاستخدام التقنية الرقمية في التعليم والتعلم.

جدول رقم (١٢) توزيع العينة وفقاً لمدى تأثير المدرسة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (ن = 302)

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
نعم	124	41.1
إلى حد ما	132	43.7
لا	46	15.2
المجموع	302	100.0

يتضح من الجدول رقم (١٢) أعلاه تأثير المدرسة في التوعية باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المبحوثين، حيث وافق على ذلك نسبة (٤١,١%)، بينما بلغت نسبة الموافقين إلى حد ما (٤٣,٧%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة، وقد يشير ذلك إلى وعي معلمهم بالاستخدامات الايجابية لمواقع التواصل الاجتماعي سواء في الحث على توسيع معارف الطلبة في المقررات الدراسية، أو في التواصل بينهم كمعلمين وطلبتهم للتذكير بالواجبات المدرسية، أو بالاختبارات الدورية، أو لاجراء بعض التكاليف لتنوع المحتوى في وسائل التواصل الاجتماعي وتعدد الاستخدامات بما يحقق الاشباع العلمية للطلاب، والتي تتعدد بتعدد اهتماماتهم وتوجهاتهم، في حين كانت نسبة غير الموافقين تمثل (١٥,٢%) من إجمالي العينة. وإن كان التأثير هنا يقتصر على الاستخدام، إلا أنه لا يعبر بالضرورة عن دور المدرسة كمؤسسة تربوية في التوعية بالجوانب الإيجابية والسلبيات لمواقع التواصل الاجتماعي الذي يجب أن يكون عن طريق عقد الدورات والندوات وإلقاء المحاضرات ضمن برامج الأنشطة اللاصفية خلال العام الدراسي، وهو أمر لا بد أن يكون ضمن أولويات المدارس خصوصاً أن التقنية الرقمية أصبحت شريكاً مهماً في التربية والتعليم.

جدول رقم (١٣) توزيع العينة وفقاً للتطبيقات الالكترونية التي يفضلها المراهق وزملائه بالمدرسة في اشباع احتياجاتهم

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الانستقرام	229	12.1
الواتساب	244	13.0
سناپ شات	248	13.1
اليوتيوب	238	12.6
الإيمو	167	8.8
تويتر	204	10.8
فيس بوك	180	9.5
لينكد إن	165	8.7
جوجل بلس	214	11.3
الاجمالي	*1889	100.0

* ن = 1889 لاختيار المبحوث لأكثر من إجابة.

يوضح جدول رقم (١٣) رؤية المبحوثين لأهم التطبيقات الالكترونية التي يفضلونها في اشباع احتياجاتهم المختلفة وزملائهم بالمدرسة، حيث جاء في مقدمتها سناپ شات بنسبة (١٣,١%)، ثم الواتس آب بنسبة (١٣%)، ثم اليوتيوب بنسبة (١٢,٦%)، ثم الانستقرام بنسبة (١٢,١%)، وجوجل بلس (١١,٣%)، وتويتر (١٠,٨%). يليها على التوالي الفيس بوك بنسبة (٩,٥%)، الإيمو بنسبة (٨,٨%)، لينكد إن بنسبة (٨,٧%)، وقد يرجع ذلك إلى تعدد المزايا والاستخدامات والاشباعات التي تتعلق بتلك التطبيقات الالكترونية، ويشير ذلك إلى امكانية مساهمة المدرسة بشكل فاعل في توجيه طلبتها إلى محتوى تلك التطبيقات بما يخدم القضايا الوطنية ونشر القيم الأصيلة للمجتمع ويثري تحصيلهم العلمي.

نتائج وتوصيات الدراسة

أولاً: نتائج الدراسة:

أوضحت نتائج الدراسة فيما يتعلق ببيانات أفراد العينة الأولية أن غالبية الطلاب يدرسون في المسار العلمي بنسبة (٨٧,٧%)، مقابل نسبة (١٢,٣%) يدرسون في المسار الأدبي؛ وأن الغالبية العظمى من أفراد عينة الدراسة بنسبة (٩٢,١%) من مواليد المدن أي كانت حياتهم في منطقة حضرية، مقابل نسبة بسيطة (٦,٣%) من مواليد الريف، ونسبة (١,٧%) من مواليد البادية.

بينت نتائج الدراسة فيما يتعلق ببيانات الأبعاد الأسرية لأفراد العينة المستخدمين لوسائل التواصل أن أسر غالبية العينة بنسبة تمثل (٥٩,٦%) متوسطة الحجم يتراوح عدد أفرادها ما بين (٤ - ٧ أفراد)، مقارنة بنسبة (٣٠,٨%) ممن أسرهم كبيرة الحجم (٨ أفراد فأكثر)، ونسبة (٩,٦%) ممن أسرهم صغيرة الحجم عدد أفرادها (٣ فأقل)، في حين يقطن ما يمثل نسبة (٦٥,٩%) من المبحوثين في شقق سكنية، في مقابل نسبة (١٩,٩%) يسكنون في بيوت شعبية، ونسبة (١٤,٢%) يسكنون في فلل،

وأن هناك نسبة (٦٧,٥%) يسكنون بالإيجار ويمثلون الغالبية في العينة، في مقابل نسبة (٣٠,١%) يسكنون في ملكيات خاصة، ونسبة (٢,٣%) يعيشون في إسكان حكومي، وأن غالبية المبحوثين ويشكلون نسبة (٦٩,٩%) متوسط دخول أسرهم أقل من (١٠٠٠٠) ريالاً شهرياً، يليهم من متوسط دخل أسرهم ما بين ١٠٠٠٠ إلى أقل من ٢٠٠٠٠ ريال بنسبة (٢١,٨%)، بينما تقل نسبة من متوسط دخلهم الأسري من ٢٠٠٠٠ إلى أكثر من ٢٥٠٠٠ ريال حيث بلغت (٨,٣%)، ويشكل الغالبية من المبحوثين الذي يعتبر الراتب الشهري المصدر الأساسي للدخل نسبة (٧٦,٥%) منهم من الراتب الشهري للوظيفة، يليه التجارة بنسبة (١٨,٥%)، ثم العقارات بنسبة (٥%)، الأمر الذي يعد نتيجة طبيعية لأن المجتمع السعودي يؤمن بثقافة أن الوظيفة مصدراً آمناً للدخل للأسرة، كما بينت الدراسة تقارب المستوى التعليمي لأباء وأمهات أفراد عينة الدراسة، وأن معظمهم من ذوي التعليم الثانوي فأعلى بنسبة (٦٥,٦%) للأباء، و(٥٥,٣%) للأمهات، وفيما يعمل الغالبية العظمى من أباء المبحوثين موظفين في القطاع الحكومي والخاص والعسكري، فإن الغالبية العظمى من أمهات الإناث لا يعملن خارج المنزل (ربات بيت) وقد يرجع ذلك إلى النظرة السلبية السابقة لعمل المرأة والتي تغيرت كثيراً في الجيل الحالي.

أوضحت نتائج الدراسة فيما يتعلق ببيانات الأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالأصدقاء لأفراد العينة أنه جاء

في مقدمة وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي المفضلة للمراهقين وأصدقائهم، الجوالات الذكية التي تدعم تطبيقات الانترنت وبرامج التواصل الاجتماعي بنسبة (٥٥%)، والتي انتشرت بصورة متزايدة في الفترة الأخيرة بسبب انخفاض أسعارها وإتاحة العديد من التطبيقات التي تؤكد مقولة أننا انتقلنا الآن من الإعلام الجماهيري إلى الإعلام الشخصي، حيث يمكن تعديل مقولة العولمة بأن العالم قرية كونية صغيرة إلى جوال ذكي صغير، ويلاحظ انخفاض نسبة الوسائل الأخرى والتي جاءت على التوالي التلفزيون بنسبة (٢٣%)، البلايستيشن بنسبة (١٢%)، الحاسب الآلي بنسبة (٦%)، ثم الآيباد بنسبة (٤%). وقد يرجع ذلك لما تمثله الهواتف الذكية من خصوصية واللامجهولية، والبعد عن الرقابة المباشرة للجماعات الأولية، إضافة إلى سهولة حملها والتنقل بها وتعدد استخداماتها.

كذلك تتنوع مواقع التواصل الاجتماعي التي يرتادها المراهقون وأصدقائهم، مما يشير إلى التأثير الكبير لها، وكذلك جاذبيتها، وقدرتها على تعدد الاشباع التي تقدمها للمراهقين، حيث جاء في مقدمتها الواتس آب بنسبة (١٦,١%)، ثم اليوتيوب بنسبة (١٥,٨%)، وسناب شات بنسبة (١٤,٩%)، وجوجل بلس بنسبة (١١,١%)، وتويتر بنسبة (١٠,٧%)، والفيس بوك بنسبة (٩,٢%)، ولينكد إن والإيمو بنسبة (٨,٣% & ٨,٢%)، وأخيراً الانستقرام بنسبة (٥,٧%).

تظل محل استغراب من الباحث قد يفسرها غياب هذه الثقافة عن شبابنا وهذا مؤشر خطير، فمن لا رأي له يكون مدعاة للتأثر بأراء الآخرين التي قد تكون سلبية وهدامة للفرد ولبناء المجتمع.

كما بينت نتائج الدراسة موافقة الغالبية العظمى من أفراد عينة الدراسة على تناول وسائل التواصل الاجتماعي لقضاياهم وأصدقائهم المعاصرة، حيث بلغت نسبة الموافقين إلى حد ما (٥٧,٣%)، يليها الموافقين بنسبة (٢٩,٥%)، في مقابل نسبة غير الموافقين البسيطة التي شكلت (١٣,٢%) من إجمالي العينة، مما يشير إلى الدور القوي لوسائل التواصل الاجتماعي، ويفسر من ناحية أخرى عوامل جذبها لفئة الشباب عامة والمراهقين من المبحوثين وأصدقائهم بصفة خاصة.

وأوضحت نتائج الدراسة بتنوع أهم الموضوعات التي يتابعها المبحوثين وأصدقائهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث جاءت على التوالي الموضوعات الرياضية بنسبة (٧,٧%)؛ والألعاب الإلكترونية بنسبة (٧,٦%)؛ ثم المخدرات بنسبة (٧,٥%)؛ يليها كلاً من الأفلام والأغاني؛ والعلاقات الجنسية بنسبة (٧,٤%) لكل منهما؛ ثم الظروف الاقتصادية بنسبة (٧,٣%)؛ والعنف الأسري؛ والأحداث الاجتماعية المحلية؛ والتحرش والإبتزاز بنسبة (٧%) لكل منهم، ومتابعة الموضة والمشاهير بنسبة (٦,٨%)، وأخيراً الموروث الثقافي؛ والوساطة والمحابة بنسبة (٦,٧%) لكل منهما. وقد غلب على تلك

كما اوضحت النتائج كثافة استخدام المراهقين وأصدقائهم يومياً لوسائل التواصل الاجتماعي، حيث يقضي الغالبية منهم أكثر من ٧ ساعات في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا زمن ليس بالبسيط إذا أخذنا في الاعتبار الموضوعات والمواقع التي يتم زيارتها في هذه المدة الزمنية يومياً، وهذه النتيجة تشير إلى الاستخدام المفرط الذي يصل لمرحلة الإدمان.

وأظهرت الدراسة أن أسباب استخدام عينة الدراسة وأصدقائهم لوسائل التواصل الاجتماعي إتصفت بالاجابية الظاهرية، وقد تعبر من ناحية أخرى عن الأهداف المعلنة، ولا توضح بأية حال الأسباب الذاتية الكامنة وراء استخدام هذه المواقع، وجاء في مقدمة أولويات الأسباب المعلنة التي ذكرها المبحوثون على التوالي متابعة الأحداث المحلية بنسبة (٢٥,٩%) وقد يكون الدافع وراء ذلك ما يمر به المجتمع السعودي في الفترة الراهنة من تغيرات جريئة وسريعة دافعاً لمثل هذه النسبة من المتابعة بهدف التعرف على المستجدات على الساحة الوطنية، ثم التواصل مع الأصدقاء بنسبة (٢١,٤%) ولكن من هم الأصدقاء ونوع جنسهم والرسائل المتبادلة، والترفيه بنسبة (٢٠,٧%) والذي لم يتضح هنا ما نوع هذا الترفيه الذي يحظى باهتمام هذه الفئة، وشغل وقت الفراغ بنسبة (١٧,٣%)، ثم متابعة الأحداث العربية والعالمية بنسبة (١١,٢%) و أخيراً التعبير عن الرأي بحرية بنسبة (٣,٥%) وهذه النسبة

الموضوعات الجانب السلبي، كما يلاحظ على تلك الإهتمامات غلبة طابع المعاشية اليومية لها، وغياب القضايا العالمية، وكذلك غياب القضايا السياسية، وتنوع إهتمامات المبحوثين وأصدقائهم من خلال تقارب النسب الموضحة بالجدول التي تؤكد أن الشاب في هذه الفئة العمرية يكون شغوفاً بالتنقل بين الموضوعات والاهتمامات الموضحة بالجدول أعلاه بهدف الإطلاع والتعرف على كل ما هو جديد في سبيل إشباع بعض الاحتياجات لديه، وهنا تكمن الخطورة حيث تتوفر إمكانية سرعة الاستجابة للمؤثرات أيما كان نوعها ومصدرها وخصوصاً في ظل غياب التوعية والإرشاد اللازمين في مثل هذه المرحلة العمرية.

أما فيما يتعلق بالأبعاد الاجتماعية المتعلقة بالمدرسة واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، فقد بينت نتائج الدراسة رؤية المبحوثين للأسباب التي أدت إلى انتشار استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بين طلبة المرحلة الثانوية، حيث جاء في مقدمتها سرعة متابعة الأحداث بنسبة (٣٠,٥%)، ثم لأنها تعتبر أدوات لقتل أوقات الفراغ الزائدة عند الشباب عامة والمراهقين خاصة، ثم لسهولة الاستخدام بنسبة (١٨,٩%)، ولأنها تمثل لغة العصر بنسبة (١٢,٦%)، وأخيراً لعدم وجود قيود على حرية التعبير بنسبة (١٢,٣%)، ويلاحظ على الأسباب السابقة أنها تعكس مميزات مواقع التواصل الاجتماعي من الاطلاع على الأحداث المستجدة،

وتجاوزها للزمان والمكان، وسهولة الاستخدام، ولاتاحتها أكبر قدر من الخصوصية.

أوضحت نتائج الدراسة الأشخاص الذين يناقش معهم المراهق موضوعات مواقع التواصل الاجتماعي التي تحظى بمتابعة وإهتمام طلبة المرحلة الثانوية، حيث جاء في مقدمتهم الأصدقاء بنسبة (٥٧%) من إجمالي العينة، وهو ما يتوافق مع طبيعة المرحلة، ويشكل من ناحية أخرى واقعاً خطيراً حيث تتضمن تلك المواقع الغث والسمين، وقد لا يدرك الاصدقاء آليات التمييز بينهما فيتم توجيه المراهق إلى أمور سلبية تضر به، فضلاً عن مدى المصادقية والصلاح والثقة في هؤلاء الأصدقاء، خاصة في ظل انخفاض نسبة تأثير الأسرة (٢٩,٨%)، والمدرسة بنسبة بلغت (١,٣%) من إجمالي عينة الدراسة، وهي نتيجة خطيرة تشير بدورها إلى انخفاض الدور التربوي للمدرسة المتمثل في دور المعلمين، وكذلك الفجوة في العلاقات بين المراهق ومعلمي مدرسته، حيث أن الأصدقاء قد يكونوا في الغالب أشخاصاً يجمعهم إهتمامات مشتركة، وليس بالضرورة أن يكونوا من زملاء المدرسة.

أظهرت نتائج الدراسة أن اعتماد معظم المبحوثين وزملاء المدرسة على مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على المعرفة بالمقررات الدراسية جاء إلى حد ما بنسبة بلغت (53%)، يليها في المرتبة الثانية من يرون أنهم يعتمدون بشكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي في متابعة مقرراتهم الدراسية

بنسبة (29.1%)، في مقابل نسبة ضئيلة تمثل (١٧,٩%) لا يعتمدون عليها في التعرف على المقررات الدراسية. وتشير هذه النتائج إلى توجه أفراد عينة الدراسة وزملائهم بالمدرسة إلى البحث عن المعرفة وخصوصاً ما يتعلق بالمقررات الدراسية من خلال مواقع وسائل التواصل الاجتماعي، وقد يكرن ذلك بتكليف من معلمهم بالمدرسة، وهذا يعد مؤشر ايجابي لاستخدام التقنية الرقمية في التعليم والتعلم.

كما أوضحت نتائج الدراسة تأثير المدرسة في التوعية باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي من وجهة نظرالمبجوثين، حيث وافق على ذلك نسبة (٤١,١%)، بينما بلغت نسبة الموافقين إلى حد ما (٤٣,٧%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة، وقد يشير ذلك إلى وعي معلمهم بالاستخدامات الايجابية لمواقع التواصل الاجتماعي سواءً في الحث على توسيع معارف الطلبة في المقررات الدراسية، أو في التواصل بينهم كمعلمين وطلبتهم للتذكير بالواجبات المدرسية، أو بالاختبارات الدورية، أو لاجراء بعض التكاليف لتنوع المحتوى في وسائل التواصل الاجتماعي وتعدد الاستخدامات بما يحقق الاشباع العلمية للطلاب، والتي تتعدد بتعدد اهتماماتهم وتوجهاتهم، في حين كانت نسبة غير الموافقين تمثل (١٥,٢%) من إجمالي العينة. وإن كان التأثير هنا يقتصر على الاستخدام الذي أكدته النتيجة السابقة، إلا أنه لا يعبر بالضرورة عن دور المدرسة كمؤسسة تربوية في التوعية بالجوانب الإيجابية والسلبيات

لمواقع التواصل الاجتماعي، والذي يجب أن يكون عن طريق عقد الدورات والندوات وإلقاء المحاضرات ضمن برامج الأنشطة اللاصفية خلال العام الدراسي، وهو أمر لا بد أن يكون ضمن أولويات المدارس خصوصاً أن التقنية الرقمية أصبحت شريكاً مهماً في التربية والتعليم.

وأظهرت النتائج كذلك رؤية المبجوثين لأهم التطبيقات الالكترونية التي يفضلونها في اشباع احتياجاتهم المختلفة وزملائهم بالمدرسة، حيث جاء في مقدمتها سناپ شات، ثم الواتس آب، ثم اليوتيوب، ثم الانستقرام، وجوجل بلس، وتويتر. يليها على التوالي الفيس بوك، ثم الإيمو، ثم ليكيند إن، وقد يرجع ذلك إلى تعدد المزايا والاستخدامات والاشباعات التي تتعلق بتلك التطبيقات الالكترونية، ويشير ذلك إلى امكانية مساهمة المدرسة بشكل فاعل في توجيه طلبتها إلى محتوى تلك التطبيقات بما يخدم القضايا الوطنية ونشر القيم الأصيلة للمجتمع ويثري تحصيلهم العلمي.

في ضوء ما سبق يمكن القول بأن استخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي حققت لهم بعض الإشباعات لاحتياجاتهم المتعددة، مثل اشباعات التفاعل الاجتماعي، اشباعات التسلية والترفيه وقضاء وقت الفراغ، اشباعات التعرف على الأحداث المحيطة بهم، اشباعات الوصول للمعرفة العلمية، اشباعات توسيع دائرة العلاقات الاجتماعية والصداقات .. إلخ.

ثانياً: توصيات الدراسة:

تفعيل دور الأسرة التوعوي المرتبط باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وتقنين ساعات الاستخدام، وضرورة توثيق العلاقة بين الأسرة والمدرسة بما يحقق تدعيم النسق القيمي لدى الطلاب المراهقين في هذه المرحلة الحرجة، وتوعية الأبناء بأهمية بناء العلاقات والصداقات الحقيقية، والتعايش مع الأصدقاء بمعاني الصداقة وأخلاقياتها من غير تصنع أو تخف أو إيهام، وتوجيه الدعوة إلى أولياء الأمور بضرورة مراقبة أبنائهم أثناء دخولهم على الإنترنت عموماً، ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة على وجه الخصوص.

تعزيز دور الأسرة والمؤسسات التعليمية والإعلامية في مجال التوعية بأضرار الإدمان الرقمي، وما قد يترتب على الإفراط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بشكل خاص والشبكة العنكبوتية بشكل عام من أضرار قد تتجاوز المستخدم لتنعكس لاحقاً على الأسرة والمجتمع.

أهمية التوعية بالمرحلة العمرية للمستخدمين، والتوعية بالبرامج والمواقع المناسبة لكل مرحلة، ووضع ضوابط محددة لاستخدام تلك المواقع من الناحية الفنية والتقنية بتفعيل قوانين رادعة وصارمة لما يكتب أو يقال أو ينشر في تلك الوسائل، مع فرض آليات تقنين نافذة من الجهات

المختصة التي تباشر تقديم تلك الوسائل أو الجهات الوسيطة لها.

التأكيد على تعزيز دور المعلم بمؤسسات التعليم، عن طريق محاولته التعرف على إهتمامات طلابه ومشاركتهم مناقشتها بأسلوب تربوي، مع حرص القائمين على التعليم على عقد دورات دورية للمعلمين لتزويدهم بالمهارات اللازمة للتعامل مع أجيال المستقبل، وحثهم على توطيد علاقتهم بطلابهم خارج حدود المنهج الدراسي، والقيام بدور الموجه من منطلق الأب الحريص على مصلحة أبنائه.

الاهتمام وتفعيل دور الأخصائيين الاجتماعيين بالمدارس بتدريبهم على التعامل مع التقنيات الحديثة وطرق الاستفادة منها إيجاباً، مع تكليفهم ضمن مهامهم بعمل مبادرات توعوية مستمرة للطلاب في هذا الخصوص، وإدراج بعض هذه المبادرات ضمن برامج الأنشطة الأصفية بالمدارس وتحفيز الطلاب للمشاركة فيها.

تعزيز القيم الإيجابية التي تحملها وسائل الاتصال الحديثة، والانتفاع بما تقدمه من أشياء إيجابية مثل: الثقافة، ونقل المعلومات المفيدة، والبرامج الجيدة، وتنمية العقل، والفكر، والمدارك، والبعد عن كل ما يدعو إلى السلبية، والتراخي، والعنف.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

إسعيد، دانيال سليم خالد (٢٠٠٣)، مشكلات طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة غزة وسبل علاجها في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بالجامعة الإسلامية، غزة - فلسطين.

البرجي، هشام (٢٠١٣)، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية للأسرة المصرية، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، <http://www.acrseg.org/40338> (تم الاطلاع في ٢٠١٧/٧/٧، ٢٢:١٠).

الخليفي، محمد (٢٠٠٢)، تأثير الإنترنت في المجتمع: دراسة ميدانية، عالم الكتب، المجلد ٢٢، العددان ٥ و ٦، ص ص ٤٦٩ - ٥٠٢.

الرفاعي، صباح (٢٠١١)، فعالية برنامج إرشادي لتعديل سلوك استخدام الانترنت لدى طالبات جامعة الملك عبد العزيز بجدة المدمجات للإنترنت، بحث منشور في مجلة كلية التربية - جامعة الإسكندرية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الرابع.

الغامدي، عبد الله (٢٠٠٧)، تردد المراهقين على مقاهي الانترنت وعلاقته ببعض المشكلات النفسية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمكة المكرمة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

المجالي، فايز (٢٠٠٧)، استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، المنارة، المجلد ١٣، العدد ٧، ص ص ١٦٠-١٩٩.

تكريتي، محمد (ب.ت)، لماذا الإنترنت، <http://www.alminber.net/whyinternet.htm> . (تم الاطلاع في ٢٠١٨/٢/٥، ٢٢:١٥).

حجاب، محمد منير (٢٠١٠)، نظريات الاتصال، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة.

حسن، أشرف جلال (٢٠٠٩)، أثر شبكات العلاقات الاجتماعية التفاعلية بالإنترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية: دراسة تشخيصية مقارنة على الشباب وأولياء الأمور في ضوء مدخل الإعلام البديل، بحث منشور، مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول "الأسرة والإعلام وتحديات العصر"، كلية الإعلام بجامعة القاهرة، ١٥ - ١٧ فبراير ٢٠٠٩م.

رجب، محمد (٢٠١٥)، مواقع التواصل الاجتماعي تفاقم مخاوف المراهقين وتزيد تعاستهم، صحيفة العرب، الاربعاء ٧ فبراير/شباط ٢٠١٨، العدد: ١٠٨٩٣، <http://www.alarab.co.uk/article>. (تم الاطلاع في ٢٠١٨/٢/٧، ٢١:٠٠).

مكاوي، حسن عماد & ليلي حسين السيد (١٩٩٨)،
الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية
اللبنانية، القاهرة.

http://www.univ-tebessa.dz/fichiers/master/master_1785pdf /
(تم الاطلاع يوم ٢٠١٧/١١/١٠، ٢٠٠٤:٤٢).

<http://www.kolalwatn.net/news136120/>.
(تم الاطلاع في ٢٠١٧/١٢/٢، ٢٢:٤٥).

<https://weedoo.tech/facebook-arab-world-statistics-feb-2017>.
(تم الاطلاع في ٢٠١٧/١٢/٢٢، ١١:٤٥).

<http://www.ingdz.net/vb/showthread.php?t=48408>.
(تم الاطلاع في ٢٠١٨/٢/١٠، ٠٨:١٨).

<https://weedoo.tech/ar/>. (تم الاطلاع في ٢٠١٨/٣/١٢، ١٥:١٥).

صالح، خالد صالح (٢٠١٢)، تأثير شبكات
التواصل الاجتماعي على القيم الاجتماعية لدى
الشباب الجامعي، مجلة دراسات في الخدمة
الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد ٣٣ -
الجزء الأول، جامعة حلوان، كلية الخدمة
الاجتماعية.

فرج، إيمان (٢٠٠٤)، الأبعاد الاجتماعية
والاقتصادية والثقافية للشباب والمراهقة، المنتدى
العربي للسكان، بيروت، ١ - ١٩ نوفمبر
٢٠٠٤م.

ليلى حسين السيد، "استخدامات الاطفال الموهوبين
لتكنولوجيا الاتصال"، القاهرة: مجلة الفن
الإذاعي، العدد ١٦٨، ٢٠٠٧.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Kaltiala, Heino, R., Lintonen, T., and
Rimpela, A. (2004), Internet
Addiction? Potentially Problematic
Use of Internet in A Population of
12 -18 Year - Old Adolescents,
Addiction Research and Theory,
Vol. 12, No. 1.

Lenhart, Amanda & Madden, Mary
(2007), Teens, Privacy and Online
Social Networks: How Teens
Manage their Online Identities and
Personal Information in the Age of
Myspace. *Pew Internet & American
life project*, 18th April.

www.pewinttent.org/. viewed in
Nov. 8th. 2017.

Mondi, Makingu, P Woods, A Rafi
(2008), A Uses and Gratification
Expectancy Model to Predict
Students: Perceived e-learning
Experience, *Journal of Educational
technology & Society*, vol.11, no 2.

Nie, Norman H. and Erbring, Lutz
(2009), Internet and Society: A
preliminary Report, Stanford
Institute for the Quantitative study
of Society. Intersurvey Inc., and
Mckinsey and co.

Rizkallah, Elias G., Razzouk, Nabil Y.
(2006), "TV Viewing Motivations

of Arab American Households in the US: An Empirical Perspective", *International Business & Economics Research Journal*, Vol. 5, N.1, p.67

Song, I., Larose, R., Eastin, M. S., and Lin, C. (2004), Internet Gratifications and Internet Addiction: On the Uses and Abuses of New Media. *Cyber Psychology and Behavior*, Vol. 7, No. 4.

Valkenburg, Patti M, Peter. Jochen (2009), "Social Consequences of the

Internet for Adolescents: A Decode of Research" *Current Directions in psychological science* - February 2009.

Williams, J., (2010) Social Networking Applications in Health Care: Threats to the Privacy and Security of Health Information. *Proceedings of 2010, ICSE Workshop on Software Engineering in Health Care*. Cape Town, South Africa, ACM: pp. 39 – 49.

Social Dimensions of Adolescents' Use of Social Media: A Descriptive Study on a Sample of Secondary School Students in Jeddah

Abdal rahman Abdallah Abdal Rahman Al-Omri

Reverso Context Sociology and Social Work Department

King Abdulaziz University

Abstract Nowadays, the usage of social media sites among the members of the society has grown and has become more popular among young people, especially the adolescents who are more exposed to these digital sites. In this study we are trying to identify the social dimensions of using the social media among high school student boys. This study is a descriptive study that adopts the social survey method. The field study data were collected from a sample of students in some secondary schools in Jeddah, estimated at 302 students, through a questionnaire distributed to those respondents. The most important results of this study is related to family dimensions found that the majority of the study sample belong to medium-sized families, who live in rented apartments, with middle-income, mostly it comes from the salary of the job, and most respondents' parent have a low level of education which is secondary. The data on social dimensions which is related to friends has indicated that respondents share their preference to use mobile phones to access preferred social networking sites such as WhatsApp, YouTube and Snapchat, with addiction to their excessive exposure to sites that address their various contemporary issues. The results showed the modest role of the educational school in directing; the use of adolescents for social media, as well as the gap in the relationship between students and their teachers, although some of the students are urged to use social media sites more often.

مفهوم ووعي الشباب السعودي برؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

دراسة ميدانية على طلاب جامعة الملك عبدالعزيز

أنمار حامد مطاوع

أستاذ مساعد، قسم الاتصال التسويقي، كلية الاتصال والإعلام، جامعة الملك عبدالعزيز
جدة، المملكة العربية السعودية

المستخلص. هدفت الدراسة إلى الكشف عن مصادر المعلومات التي يستقي منها طلاب وطالبات الجامعة -جامعة الملك عبدالعزيز أنموذجًا- المعلومات المتعلقة برؤية المملكة ٢٠٣٠. ولتحقيق ذلك تم تصميم استبانة موزعة على عدة محاور: وسائل الإعلام التقليدية، وسائل الإعلام الجديد، ومصادر المعلومات الأخرى؛ مثل: المؤتمرات والندوات والمحاضرات. تكونت عينة الدراسة من (١٥٠) طالبًا وطالبة تم اختيارهم عشوائيًا. وأشارت الدراسة إلى أن أكثر مصادر المعلومات الخاصة بالرؤية هي وسائل التواصل الاجتماعي؛ تويتر تحديدًا. بينما تأتي بعض تلك المعلومات أيضًا عن طريق وسائل الإعلام التقليدية؛ التلفزيون تحديدًا. وقد وجدت الدراسة أن المفهوم إيجابي لدى الطلاب والطالبات فيما يتعلق بواقعية الرؤية في أهدافها، وشمولها لجميع شرائح المجتمع ومدى تأثيرها المباشر على مستقبلهم المهني، حيث كانت النسب مرتفعة. كما أن نسبة قناعتهم بأن المملكة لن تعتمد على النفط كمصدر أساس للدخل بحلول عام ٢٠٣٠م كانت عالية. فيما انخفضت تلك النسب بشكل كبير فيما يتعلق بمدى وضوح أهداف الرؤية لهم. وهنا تأتي ضرورة العمل على توضيح الرؤية وأهدافها للأسرة والمجتمع بكافة شرائحه. كما اتضح من خلال الدراسة أن هناك علاقة ارتباطية بين معدل متابعة الطلاب والطالبات لوسائل الإعلام التقليدية والجديدة والاعتماد عليها في استقاء المعلومات عن الرؤية.

الكلمات المفتاحية: الشباب - الرؤية - طلاب - وسائل الإعلام - التواصل الاجتماعي - التحول الوطني.

المقدمة

مستوى عاليًا من الوعي لدى أفراد المجتمع خاصةً الشباب منهم. ومن الطبيعي أن تكون هناك تحديات وعقبات تواجه ذلك التحول، والمجتمع يحتاج إلى أن يكون على معرفة تامة بالرؤية وتوجهاتها وأهدافها

التحول الوطني الذي تشهده المملكة العربية السعودية خلال السنتين الماضيتين وما سيلحق به من سنوات حتى ٢٠٢٠ لتحقيق رؤية المملكة ٢٠٣٠ يتطلب

تركز على مدى وضوح مفهوم رؤية المملكة ٢٠٣٠ لدى الشباب السعودي.

أهمية الدراسة

يسعى الباحث أن تكون هذه الدراسة إضافة إلى الدراسات السابقة في مجال مقدار معرفة الشباب برؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ نتيجة الاعتماد على وسائل الإعلام التقليدي والجديد. فحين تم اعتماد الرؤية قبل عامين من مجلس الشؤون الاقتصادية؛ وتحديدًا في نهاية شهر مايو ٢٠١٦م، لم تكن واضحة لكثير من شرائح المجتمع، وخاصةً فئة الشباب التي تبني الرؤية عليهم آمالاً كبيرة وتضعهم في قلب أهدافها. فكان لابد من العمل على توضيح الجوانب التي تعنيهم ومدى مشاركتهم فيها. هذا ما دفع الباحث إلى دراسة مدى معرفتهم بتلك الرؤية واستيعابهم لخطتها، ومدى تفاعلهم معها.

أهداف الدراسة

الهدف الأساس من الدراسة هو التعرف على مدى معرفة الشباب السعودي بتفاصيل ومفهوم رؤية المملكة ٢٠٣٠ ومعرفة الوسائل الإعلامية التي استقى منها الشباب هذه المعرفة سواء من خلال الإعلام التقليدي أم الإعلام الجديد. وينبثق من هذا الهدف الرئيس عدد من الأهداف الفرعية وهي على النحو التالي:

- ١- مدى تفاعل الشباب السعودي مع أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠.

واستراتيجياتها ليتمكن من تجاوز تلك العقبات والتحديات. إن وجود وعي ومعرفة بالرؤية هو البداية الصحيحة لتحقيقها، خصوصًا وأن الرؤية شاملة لكافة جوانب الحياة في المجتمع؛ اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا..

تتعدد وسائل الإعلام التقليدية والجديدة التي يستقي منها المجتمع معلوماته عن الرؤية، وهذه المؤسسات عليها مسؤوليات كبرى في توضيح طريق الرؤية وتشكيل الوعي بها. فهذه الوسائل لديها قدرات عالية في التأثير المعرفي والوجداني والسلوكي لدى الأفراد من خلال الأخبار والمعلومات الرسمية وغير الرسمية. وعليه، فإنها تتحمل مسؤولية كبيرة تجاه تكوين مفهوم إيجابي واضح عن الرؤية لدى الجمهور.

على وسائل الإعلام التقليدية والجديدة مسؤولية كبيرة في متابعة المتغيرات التي تفرضها أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠ على أرض الواقع، وتوضيح تلك الأهداف والمتغيرات للمجتمع ليستطيع أن يواكب ويساير رؤية المملكة ٢٠٣٠ وما يسبقها من تحولات وطنية كبرى.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في تحديد مدى معرفة الشباب السعودي بمفهوم رؤية المملكة ٢٠٣٠، ومعرفة المصادر التي يستقي منها معلوماته الخاصة بالرؤية. وبالتالي تتأثر اتجاهاته المعرفية والوجدانية والسلوكية نحو الرؤية ومواكبة أهدافها واستراتيجياتها قريبة المدى ومتوسطة المدى وبعيدة المدى. فالدراسة

معرفيًا وعاطفيًا وسلوكيًا عندما تنتقل تلك الوسائل المعلومات بشكل مكثف. خصوصًا في حالات التغيير الاجتماعي. إضافة إلى أن فكرة تغيير السلوك والمعارف لدى الجمهور تأخذ طابع التأثير المرتد، فتصبح العلاقة ثلاثية بين وسائل الاتصال والجمهور والمجتمع^(٣).

ومن المهم النظر إلى نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام بأنها^(٤):

- نظرية ذات منشأ سوسيولوجي وظيفي،
- نظرية بيئية تفسر العلاقة بين أجزاء من النظم الاجتماعية وتفسر سلوك تلك الأجزاء،
- نظرية الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام وبقية أجزاء النظم الاجتماعية.

الآثار المترتبة على اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام^(٥)

يرى بعض الباحثين أن هناك علاقة بين وسائل الإعلام والجمهور والنظام الاجتماعي ككل. فالتعليم من الحياة اليومية يعتبر محدودًا، لذلك يلجأ الأفراد لوسائل الإعلام لمزيد من المعلومات التي تلبي احتياجاتهم. التساؤل الأساس لنظرية الاعتماد هو تفسير للوقت الذي يحتاج فيه الأفراد للتعرض لوسائل الإعلام والسبب وراء ذلك التعرض، بالإضافة إلى تأثيرات هذا التعرض على معتقداتهم وسلوكهم. وإجابة ذلك يعد تفسيرًا للطرق التي يستخدم بها الجمهور وسائل الإعلام لتحقيق أهدافهم الشخصية، حيث ينتج عن اعتماد الجمهور على

٢- مدى اهتمام الشباب السعودي بمتابعة أخبار الرؤية وما تحققه من أهداف على المستوى المحلي.

٣- تأثير وسائل الإعلام التقليدي والجديد على مفهوم رؤية المملكة.

الإطار النظري

الاعتماد على وسائل الإعلام^(١)

مع التطور الذي تشهده وسائل الاتصال، والتقدم المستمر في مجال وسائل التواصل الإلكترونية، ترتفع نسبة الأهمية فيما يختص بنقل المعلومات. فهي المصدر الأساس في العصر الحديث في مجال نقل المعلومات خصوصًا للمواطن العادي الذي يتابع كل الأحداث التي تهمة من خلالها؛ إضافة إلى البرامج الترفيهية التي تساعده على الهروب من مشاكل الحياة اليومية. ومن أجل حصول وسائل الإعلام على معلوماتها، فهي تتفاعل مع المؤسسات الأخرى؛ الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية. في الخمسينيات من القرن الماضي، وضع راوول بيربيتش نظرية الاعتماد. وهي نظرية تتحدث عن مدى تأثير وسائل الإعلام - خصوصًا على الدول النامية - خلال فترات التنمية: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وقد وضع ميلفين ديفلوير وساندرا بول روكيتش^(٢) عام ١٩٧٦م نموذجًا يوضح العلاقة بين وسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية الأخرى؛ وهو ما عُرف بنظرية الاعتماد. وملخص النظرية هو أن تأثير وسائل الإعلام يزداد بنسبة عالية ويحقق تأثيرًا

وسائل الإعلام مجموعة من التأثيرات يمكن تصنيفها على النحو التالي^(٦):

أولاً: التأثيرات المعرفية، وتتضمن:

أ- تجاوز الغموض: وفي العادة يظهر الغموض في حالات نقص المعلومات وعدم كفايتها، وربما يظهر من تناقض بعض المعلومات رغم ندرتها. وقد يكون الغموض نتيجة لعدم وجود تفسير صريح وواضح للمعلومات؛ خصوصاً حين وقوع أحداث غير متوقعة؛ مثل الحروب والكوارث الطبيعية .. أو ظهور توجهات جديدة في النظام السياسي أو الاقتصادي تؤثر بشكل مباشر على حياة الأفراد ومستقبلهم. حينها، يأتي دور وسائل الإعلام والاتصال كمصدر متاح لاستقاء المعلومات.

ب- تشكيل الاتجاه: تعتبر وسائل الإعلام مصدراً أساسياً في تشكيل اتجاهات المجتمع نحو القضايا التي تمسهم بشكل مباشر؛ مثل: مشاكل المياه، ومشاكل البيئة، والمستقبل الوظيفي .. حيث تتشكل اتجاهات الأفراد وفقاً لكمية المعلومات التي يستقونها من وسائل الإعلام.

ج- توضيح القيم الاجتماعية: وهي المعتقدات والقناعات الإنسانية التي يقوم عليها المجتمع؛ مثل: الولاء والأمانة والاعتدال .. فهذه القيم يتم نقلها بشكل كبير من خلال مناقشة وسائل الإعلام لها وترسيخها في ضمير المجتمع.

د- ترتيب جدول الأعمال: وهذا الترتيب يعتمد على تحديد الأولويات للمجتمع والقضايا التي يجب أن يتم الالتفات لها حسب الأهمية وتوظيفها وفقاً للفروقات الفردية.

هـ- توسيع المدارك: من المهام التي تقوم بها وسائل الإعلام هي توسيع مدارك الفرد عبر نقل المعلومات الثقافية المتعلقة بالمجتمع والمجتمعات الأخرى.

ثانياً: التأثيرات العاطفية (الوجدانية)

هذا النوع من التأثيرات متعلق بالمشاعر الوجدانية التي تتكون لدى الفرد من خلال نوعية محددة من المعلومات التي تقدمها له وسائل الإعلام. المقصود بالمشاعر الوجدانية مثل: اللامبالاة، والقلق، والاحساس بالاغتراب الاجتماعي .. وما إلى ذلك.

ثالثاً: التأثيرات السلوكية: نتيجة للتأثيرات

السابقة، يتولد تأثير سلوكي على الفرد مثل:

الخمول والتنشيط:

أ- الخمول: المقصود به قلة الأفعال، ويأتي نتيجة اللامبالاة والاحساس بالاغتراب الاجتماعي، حيث يمتنع الفرد عن المشاركة والاندماج في أنشطة المجتمع. ويكون هذا الفعل نتيجة عكسية لتكثيف الأخبار والمعلومات عن قضية معينة مما يصيب الفرد بالملل وعدم الرغبة في المشاركة.

ب- التنشيط: ويقصد به التأييد أو المعارضة لقضية ما. وهو أيضاً نتيجة حتمية للتأثيرات المعرفية والعاطفية. مثل التبرع لجهة معينة أو تقديم مساعدات لمجتمعات أخرى. إلا أن التنشيط قد يأخذ توجهاً سلبياً إذا كان مرتبطاً بسلوك سلبي؛ مثل: التدخين أو استخدام المخدرات أو القيادة الجنونية.

علاقة نظرية الاعتماد ببعض النظريات الأخرى^(٧)

نظرية الاعتماد ترتبط بنظريات أخرى تؤثر وتتأثر بها، مثل: نظرية ترتيب الأولويات. وتهتم هذه النظرية بترتيب جدول الأعمال لموضوعات الأفراد. ويتم ذلك الترتيب حسب خصائصهم الشخصية والمشكلات التي تواجههم في المجتمع. وهنا تقوم نظرية الاعتماد بتفسير تلك الأولويات.

أيضاً لنظرية الاعتماد علاقة بنظرية الفجوة المعرفية. وتشير هذه النظرية إلى أن هناك علاقة إيجابية بين المستوى الاقتصادي للفرد ومستوى اكتسابه للمعلومات. مما يصنع فجوة معلوماتية بين الطبقات الاجتماعية. وتأتي نظرية الاعتماد لسد هذه الفجوة إلى حد ما من خلال المعلومات التي تقدمها للمجتمع ككل^(٨).

نظرية أخرى تؤثر وتتأثر بنظرية الاعتماد وهي نظرية الاستخدامات والإشباع^(٩). وتعتمد هذه النظرية بشكل عام على أن الأفراد يستخدمون وسائل الإعلام لإشباع رغباتهم. والاستخدام يقصد به معدل التعرض للوسيلة. وهنا يأتي دور الاعتماد، فهو درجة الاهتمام بالوسيلة كمصدر للمعلومة. أي أن نظرية الاستخدامات والإشباع تركز على تحديد الاحتياجات والإشباع الناتجة من الاستخدام. وفي المقابل، تركز نظرية الاعتماد على العلاقة الثلاثية بين الوسيلة والفرد والمجتمع. كما أن نظرية الاستخدامات والإشباع تركز على المستوى الفردي في المجتمع، أما نظرية الاعتماد فتركز على المستويين الفردي والاجتماعي. كما أن نظرية

الاستخدامات والإشباع تؤكد على مفهوم الجمهور القوي، بينما تميل نظرية الاعتماد إلى مفهوم الوسيلة القوية.

أهم الانتقادات الموجهة لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

توجد بعض الانتقادات التي وجهت لنظرية الاعتماد^(١٠)، أهمها:

أ- أن التأثير الذي نتحدث عنه النظرية يحدث بالتعرض، والواقع أن التعرض للوسيلة لا يعني الاعتماد عليها في كل القضايا. فقد يتعرض الفرد لوسيلة مثل الإذاعة، ولكنه يعتمد على التلفزيون لاستقاء الأخبار الاقتصادية مثلاً.

ب- معظم الدراسات الإعلامية الخاصة بنظرية الاعتماد تعاملت مع النظرية من المفهوم الفردي، علماً بأن النظرية قد تشمل المجتمع ككل. تلك الدراسات ركزت على نتائج اعتماد الفرد على الوسيلة. وفي المقابل تم إهمال التركيز على اعتماد المجتمع ككل.

ت- تركز النظرية على تأثير الوسيلة الإعلامية وتهمل بشكل كامل بقية التأثيرات؛ مثل تأثير الاتصال الشخصي في تكوين المعلومات والتأثير العاطفي والسلوكي الناتج عنه.

الدراسات السابقة

رغم أن قضية رؤية المملكة العربية السعودية تعتبر جديدة نسبياً ولم تكمل عامها الثاني بعد، إلا أن هناك دراسات مشابهة تتعلق بمدى اهتمام الشباب

بالقضايا الحيوية التي تطرح؛ خاصةً في قضايا التحول الكبرى.

١- دراسة داليا كمال عواد محمد، ٢٠١٦م^(١١): أثبتت الدراسة وجود علاقة ارتباطية بين تعرض المبحوثين ممن هم بين ١٨ - ٢١ عامًا لمصادر المعلومات الإلكترونية واعتمادهم عليها وتأثيرها على توجهاتهم نحو القضايا والأزمات.

٢- دراسة هيام أنور أحمد أبوزيد، ٢٠١٦م^(١٢): توصلت الدراسة إلى أن المبحوثين كانوا يهتمون بمتابعة القضايا من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. مع وجود علاقة ارتباطية دالة بين نسبة الاهتمام وبين حجم التأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية المترتبة عليه.

٣- دراسة أميرة سمير طه، ٢٠١٤م^(١٣): توصلت هذه الدراسة إلى أن نسبة عالية من عينة الدراسة (٦٩٪) اعتمدت على وسائل التواصل الاجتماعي في الحصول على معلوماتها وأخبارها السياسية.

٤- دراسة ديفيد وستيرمان وآخرون، ٢٠١٤م^(١٤): أكدت هذه الدراسة على أن مواقع التواصل الاجتماعي تعتبر مصدرًا مهمًا للمعلومات خاصةً في أوقات التحولات الكبرى؛ مثل الأزمات. وأن المعلومات أصبحت متوفرة من خلال تلك الوسائل في أيدي المستخدمين. كما أنه توجد علاقة بين المصادقية وزيادة الجانب المعرفي للأفراد.

٥- دراسة أديت كوبتا، ٢٠١٤م^(١٥): تؤكد هذه الدراسة أن نسبة الشائعات ترتفع بشكل ملحوظ على تطبيق تويتر في حالات الأحداث المفاجئة، وبالتالي

تقل قيمة المعلومات الواردة فيه، حيث أن المصادقية تعتبر عاملاً مهماً في زيادة قيمة المعلومة.

٦- دراسة علياء علي محمد عنتر، ٢٠١٣م^(١٦): تشير الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية عكسية دالة إحصائيًا بين الاعتماد على القنوات العربية والصور الذهنية الكلية عن الدول العربية، وأثبتت وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيًا تجاه المعرفة السياسية.

٧- دراسة خالد الصوفي، ٢٠١٢م^(١٧): أشارت الدراسة إلى أن الفضائيات العربية تتفوق على الفضائيات اليمنية لدى الشباب اليمني في استقاء المعلومات منها حول الثورات العربية. وتبين علاقة ارتباطية سلبية بين التعرض لوسائل الإعلام المكثف والصورة المدركة عن الرؤساء والحكام العرب.

٨- دراسة علي عباس العرادي، ٢٠١٢م^(١٨): تشير الدراسة إلى أن الجمهور البحريني يعتمد بشكل كبير على الفضائيات لاستقاء معلوماته، تليها الإنترنت ثم الصحف الورقية. كما أكدت الدراسة على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين معدل اعتماد الجمهور البحريني على وسائل الإعلام لاستقاء معلوماته عن الانتخابات النيابية وأيضًا اتجاهاته نحو تلك الانتخابات.

٩- دراسة ماناجو وادريان، ٢٠١٢م^(١٩): أشارت إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي تتمتع بأهمية كبرى لدى الشباب، خصوصًا في تلبية حاجاتهم النفسية، وبالتالي يمكن أن تكون أداة للدعم الاجتماعي بين الشباب.

٣- ما تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية على مفهوم الشباب السعودي لرؤية ٢٠٣٠؟
فروض الدراسة:

- الفرض الأول: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين معدل متابعة الشباب لوسائل الإعلام التقليدية والجديدة والاعتماد عليها في استقاء معلوماتهم عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.
- الفرض الثاني: هناك علاقة ارتباطية دالة بين الاعتماد على وسائل الإعلام ومفهوم رؤية المملكة إيجابياً.

نوع الدراسة ومنهجها

تعد هذه الدراسة وصفية. فهي تستهدف وصف وتحليل العلاقات بين المتغيرات المختلفة للمفهوم محل الدراسة. حيث تهدف الدراسة إلى التعرف على اعتماد الشباب السعودي على وسائل الإعلام التقليدية والجديدة في تكوين مفهومهم ومعرفتهم برؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، مما يعزز من مساهمتهم المباشرة وغير المباشرة في مواكبتها. وقد اعتمدت الدراسة على منهج المسح بالعينة للدراسة الميدانية لصعوبة حصر مجتمع الدراسة كاملاً.

مجتمع وعينة الدراسة وأداة جمع البيانات

يتمثل مجتمع الدراسة الميدانية في جمهور الشباب السعودي لمن هم فوق سن ١٨ عامًا.

١٠- دراسة عريف رؤوف، ٢٠١١م^(٢٠): توصلت الدراسة إلى أن وسائل الإعلام الجديد تؤثر بشكل كبير في تعزيز الحوار السياسي داخل المجتمع، وأن لديها الاستطاعة لأن تكون وسائل بديلة للإعلام التقليدي في مجال استقاء الأخبار.

١١- دراسة مي مصلح، ٢٠١١م^(٢١): تؤكد هذه الدراسة على وجود علاقة إيجابية بين المستوى التعليمي للأفراد ومعدل التعرض لوسائل الإعلام التقليدية.

التعليق على الدراسات السابقة:

- يتضح من الدراسات السابقة أن وسائل الإعلام سواء التقليدية أو الجديدة تؤثر على أفراد المجتمع من النواحي المعرفية والوجدانية والسلوكية؛ خصوصاً فئة الشباب.
- يوجد تنافس بين وسائل الاتصال الجديدة والوسائل التقليدية - خصوصاً التلفزيون - فيما يتعلق بالاعتماد على وسائل الإعلام.
- تؤكد معظم الدراسات على وجود علاقة ارتباطية طردية بين الاعتماد على الوسيلة الإعلامية وسلوك الفرد؛ نتيجة للتأثر المعرفي والوجداني.

تساؤلات الدراسة:

- ١- ما مستوى اهتمام الشباب السعودي بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠؟
- ٢- ما هي المصادر التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن الرؤية ؟

وتعتمد الدراسة على اختيار عينة متاحة منهم تبلغ ١٥٠ مفردة. وقد تم حصر العينة داخل أروقة الجامعة من طلاب وطالبات نظرًا لأن الجامعة تجمع شرائح اجتماعية متعددة ومن مناطق جغرافية مختلفة. تم تصميم استبان الاستقصاء لجمع البيانات

منهم من خلال الأسئلة المفتوحة والمغلقة، وصياغة عبارات للتعرف على تأثيرات الاعتماد على نوعي وسائل الإعلام التقليدية والجديدة في تشكيل مفهوم الشباب نحو رؤية ٢٠٣٠. الجدول التالي يبين الخصائص الديموغرافية للعينة:

جدول (١) توزيع العينة حسب الخصائص الديموغرافية

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة
النوع	ذكر	٧٧	٦٧,٥٪
	أنثى	٣٧	٣٢,٥٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
العمر	من ١٨ إلى ٢٢ سنة	٨٣	٧٢,٨٪
	من ٢٣ إلى ٢٥ سنة	٢٩	٢٥,٤٪
	أكثر من ٢٥ سنة	٢	١,٨٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
الكلية	نظري	٨٤	٧٣,٧٪
	علمي	٢٤	٢١,١٪
	غير ذلك	٦	٥,٣٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
السنة الدراسية	متخصص	٨٣	٧٢,٨٪
	متوقع التخرج	٢٩	٢٥,٤٪
	غير متخصص بعد	٢	١,٨٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
مستوى الدخل	من ١ إلى ١٠٠٠ ريال	٧٤	٦٤,٩٪
	من ١٠٠١ إلى ٣٠٠٠ ريال	٢٥	٢١,٩٪
	من ٣٠٠١ إلى ٥٠٠٠ ريال	٥	٤,٤٪
	أكثر من ٥٠٠٠ ريال	١٠	٨,٨٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪

إجراءات الصدق والثبات لاستمارة الاستبيان

أولاً: اختبار الصدق

قام الباحث بعد إعداد استمارة الاستبيان بعرضها على السادة الأساتذة المختصين والخبراء المحكمين في مجال الإعلام والإحصاء وعلم الاجتماع، وذلك للتأكد من صلاحية الاستمارة للتنفيذ

واستبعاد المرادفات والتكرارات من الأسئلة. كما تم التأكد من صدق أداة الدراسة بحساب صدق الاتساق الداخلي عن طريق حساب درجة الارتباط بين كل فقرة من فقرات الاستبانة والدرجة الكلية، والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول (٢). معاملات ارتباط كل فقرة من فقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية.

رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط
١	٠,٦٦٥(**)	٥	٠,٤٩٢(**)	٨	٠,٤١٨(**)	١١	٠,٥٢٩(**)
٢	٠,٢٧٠(**)	٦	٠,٤٩١(**)	٩	٠,٤٥٦(**)	١٢	٠,٥٤٤(**)
٣	٠,٤٢٣(**)	٧	٠,٤٠٥(**)	١٠	٠,٣٥٣(**)	١٣	٠,٣٢٦(**)
٤	٠,٣٥٠(**)						

**معامل الارتباط دال عند (٠,٠١) (للاختبار من طرفين).

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

- التكرارات والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري.
- معامل ألفا كرونباخ وذلك لقياس ثبات أداة الدراسة.
- معامل الارتباط (PEARSON) لتوضيح (الاتساق الداخلي) لأداة الدراسة.
- التحليل ومناقشة النتائج

يضم هذا الجزء النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية والتي تهدف إلى التعرف على مدى معرفة الشباب السعودي بتفاصيل ومفهوم رؤية المملكة ٢٠٣٠ ومعرفة الوسائل الإعلامية التي استقى منها الشباب هذه المعرفة سواء من خلال الإعلام التقليدي أم الإعلام الجديد، حيث تم جمع الاستبانات ثم ترميزها وإدخالها للحاسوب، ومعالجتها إحصائياً باستخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وفيما يأتي نتائج الدراسة تبعاً لأسئلتها وفروضها.

من الجدول رقم (٢) نجد أن جميع قيم معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية كانت دالة إحصائياً عند (٠,٠١) وهي معاملات ارتباط موجبة وجيدة مما يدل على تمتع أداة الدراسة بمستوى مقبول من الاتساق الداخلي.

ثانياً: اختبار الثبات

تم قياس الثبات في استمارة الاستبيان من خلال إعادة تطبيق الاختبار. إذ تم تنفيذ الاستبيان على عينة قوامها (٣٠) طالباً وطالبة بواقع ٢٦٪ من حجم العينة الأصلية. وبعد مرور أسبوعين من تطبيق الاختبار، تم إعادة الاختبار مرة أخرى على نفس العينة، فوجد الباحث أن هناك اتفاقاً بين نتيجة الاختبارين بنسبة ٩٢,٣٪ وهي قيمة عالية وتشير إلى ثبات المقياس. كما تم التأكد من ثبات الأداة باستخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) حيث بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ للأداة ككل (٠,٨٢٢) وهي قيمة مرتفعة تشير إلى أن البيانات المستخرجة من الاستبيان كانت تتمتع بدرجة ثبات عالية.

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الأول:

بحساب التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة كما هو موضح في الجدول رقم (٣):

للإجابة على التساؤل الأول والذي ينص على "ما مستوى اهتمام الشباب السعودي بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠" قام الباحث

جدول (٣) التكرارات والنسب المئوية لمستوى اهتمام الشباب السعودي بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

المتغير	الفئات	التكرارات	النسب المئوية
هل تهتم بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠	نعم	٥٢	%٤٥,٦
	أحياناً	٥١	%٤٤,٧
	لا	١١	%٩,٦
المجموع		١١٤	%١٠٠

السعودي بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ يتراوح بين المستوى المتوسط والعالي.

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثاني:

للإجابة على التساؤل الثاني الذي ينص على "ما هي المصادر التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن الرؤية؟" قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة كما هو موضح في الجدول التالي:

يتضح من الجدول (٣) أن غالبية أفراد العينة (الشباب السعودي) يهتمون بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، حيث بلغت نسبة الذين أجابوا بنعم (%٤٥,٦)، كما نجد أن الذين يهتمون أحياناً بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ بلغت نسبتهم (%٤٤,٧)، بينما الذين لا يهتمون مطلقاً بمتابعة أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ كانت نسبتهم (%٩,٦). وهذه النسب تشير إلى أن مستوى اهتمام الشباب

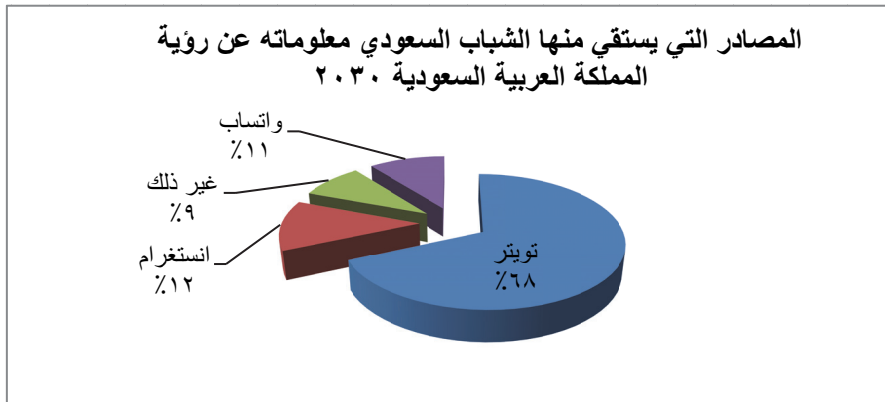
جدول (٤). التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة حول المصادر التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن الرؤية.

المتغير	الفئات	التكرارات	النسب المئوية
ما هي أكثر وسيلة تصالك من خلالها أخبار رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠	شبكات التواصل الاجتماعي	١٠٠	%٨٧,٧
	محركات البحث	٢	%١,٨
	وسائل إعلام تقليدية	٥	%٤,٤
	تطبيقات خاصة بالرؤية	١	%٠,٩
	غير ذلك	٦	%٥,٣
المجموع		١١٤	%١٠٠

مصادر أخرى غير التي تم ذكرها يستقون منها معلوماتهم عن الرؤية.

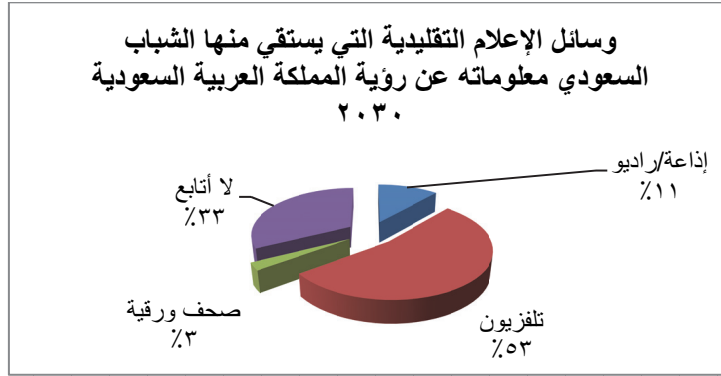
وقد كانت أبرز وسائل التواصل الاجتماعي التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ التويتر بنسبة (٦٨٪)، يليه موقع انستغرام بنسبة (١٢٪)، وأخيراً الواتساب بنسبة (١١٪)، بينما أشار ما نسبته (٩٪) من أفراد العينة إلى أنهم يستقون معلوماتهم عبر وسائل أخرى غير المذكورة في الاستبانة.

يتضح من الجدول رقم (٤) أن أبرز المصادر التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ كانت شبكات التواصل الاجتماعي بنسبة (٨٧,٧٪)، تليها وسائل الإعلام التقليدية بنسبة (٤,٤٪)، ومحركات البحث بنسبة (١,٨٪)، وأخيراً التطبيقات الخاصة بالرؤية والتي كانت نسبتها ضئيلة جداً ضمن المصادر المصادرة التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن الرؤية بنسبة (٠,٩٪)، بينما أجاب ما نسبته (٥,٣٪) من أفراد العينة أن لهم



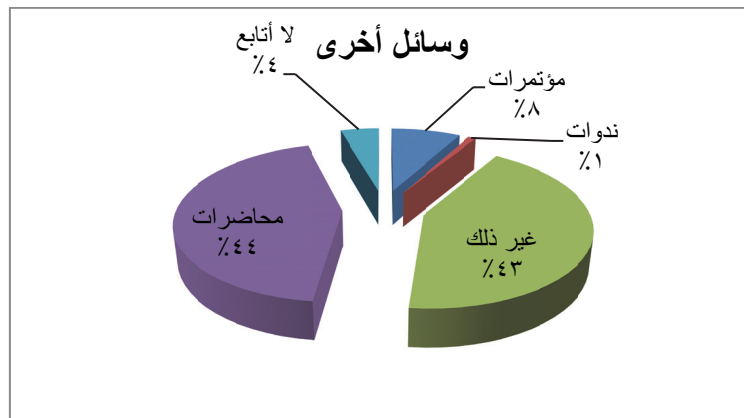
الإذاعة (الراديو) بنسبة (١١٪)، وأخيراً الصحف الورقية بنسبة (٣٪)، بينما كان ما نسبته (٣٣٪) من أفراد العينة لا يتابعون وسائل الاعلام التقليدية.

أما أبرز وسائل الإعلام التقليدية التي يستقي منها الشباب السعودي معلوماته عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، فقد كان التلفزيون بنسبة (٥٣٪) كأعلى نسبة تواجد بين جميع النسب، تليه



الندوات (١%)، بينما أجاب ما نسبته (٤٣%) من أفراد العينة بأنهم يتابعون أخبار الرؤية من خلال وسائل أخرى.

كذلك فإن أفراد العينة يتابعون أخبار الرؤية من خلال: المحاضرات بنسبة (٤٤%)، وبلغت نسبة الذين يتابعون أخبار الرؤية من خلال المؤتمرات (٨%)، وأخيرًا الذين يتابعون أخبار الرؤية من خلال



الشباب السعودي لرؤية ٢٠٣٠؟ قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة كما هو موضح في الجداول التالية:

عام			
المجموع	١١٤		%١٠٠
هل تشمل رؤية المملكة ٢٠٣٠ جميع الشرائح العمرية في المجتمع؟	نعم	٨١	%٧١,١
	لا	٣٣	%٢٨,٩
المجموع		١١٤	%١٠٠

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثالث

للإجابة على التساؤل الثالث الذي ينص على "ما تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية على مفهوم

جدول (٥). التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة حول واقعية الرؤية وأهدافها.

المتغير	الفئات	التكرارات	النسب المئوية
هل تعتقد أن الرؤية واقعية في أهدافها بشكل	نعم	٩٦	%٨٤,٢
	لا	١٨	%١٥,٨

تشمل جميع الشرائح العمرية في المجتمع، مقابل (٢٨,٩٪) لا يعتقدون ذلك. وقد أشار ما نسبته (٧٧,٢٪) من أفراد العينة إلى أن المجتمع سيستفيد من خصخصة بعض القطاعات العامة، ضمن سياسات رؤية المملكة ٢٠٣٠، بينما أجاب ما نسبته (٢٢,٨٪) بعكس ذلك.

كذلك من الجدول رقم (٥) نجد أن غالبية أفراد العينة يعتقدون بأن أهداف الرؤية واضحة وذلك بنسبة (٧١,٩٪) مقابل (٢٨,١٪) لا يعتقدون بوضوح أهداف الرؤية؛ رغم اعتقادهم بواقعيتها. كذلك نجد أن ما نسبته (٧٤,٦٪) من أفراد العينة يعتقدون بأن رؤية ٢٠٣٠ لها علاقة إيجابية مباشرة بمستقبلهم المهني، مقابل (٢٥,٤٪) من أفراد العينة لا يعتقدون بأن لرؤية ٢٠٣٠ علاقة إيجابية مباشرة بمستقبلهم المهني.

هل سيستفيد المجتمع من خصخصة بعض القطاعات العامة؟	نعم	٨٨	٧٧,٢٪
	لا	٢٦	٢٢,٨٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
هل تعتقد أن أهداف الرؤية واضحة؟	نعم	٣٢	٢٨,١٪
	لا	٨٢	٧١,٩٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
هل تعتقد أن رؤية ٢٠٣٠ لها علاقة إيجابية مباشرة بمستقبلك المهني؟	نعم	٢٩	٢٥,٤٪
	لا	٨٥	٧٤,٦٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪

يتضح من الجدول رقم (٥) أن غالبية أفراد العينة يعتقدون أن الرؤية واقعية في أهدافها بشكل عام وذلك بنسبة (٨٤,٢٪) مقابل (١٥,٨٪) لا يعتقدون بذلك. كذلك نجد أن ما نسبته (٧١,٩٪) من الشباب السعودي يرون بأن رؤية المملكة ٢٠٣٠

جدول (٦). التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة حول نتائج الرؤية.

المتغير	الفئات	التكرارات	النسب المئوية
من خلال الأخبار والتقارير الإعلامية، هل تعتقد أن المملكة لن تعتمد على النفط كمصدر دخل أساس عام ٢٠٣٠م؟	نعم	٥٣	٤٦,٥٪
	ربما	٤٧	٤١,٢٪
	لا	١٤	١٢,٣٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪
هل بدأت ترى بعض نتائج الرؤية على مستوى المجتمع؟	نعم	٣٦	٣١,٦٪
	إلى حد ما	٦٠	٥٢,٦٪
	لا	١٨	١٥,٨٪
المجموع		١١٤	١٠٠٪

(١٥,٨٪) لا يرون أي نتائج للرؤية منعكسة على مستوى المجتمع.

النتائج المتعلقة بفروض الدراسة:

الفرض الرئيس الأول:

للتحقق من صحة الفرض الرئيس الأول والذي ينص على أنه "توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين معدل متابعة الشباب لوسائل الإعلام التقليدية والجديدة والاعتماد عليها في استقاء معلوماتهم عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠" قام الباحث بحساب معامل ارتباط بيرسون لاستجابات أفراد العينة حول الأسئلة المتعلقة بالفرض والجدول رقم (٧) يوضح النتائج:

يتضح من الجدول رقم (٦) أن غالبية أفراد العينة من خلال الأخبار والتقارير الإعلامية يعتقدون أن المملكة لن تعتمد على النفط كمصدر دخل أساس عام ٢٠٣٠م وذلك بنسبة (٤٦,٥٪)، بينما الذين يعتقدون بأنه ربما لن المملكة تعتمد على النفط كمصدر دخل أساس عام ٢٠٣٠م كانت نسبتهم (٤١,٢٪) مقابل (١٥,٨٪) لا يعتقدون بذلك إطلاقاً.

كذلك نجد أن غالبية أفراد العينة أجابوا بأنهم بدأوا يرون بعض النتائج لرؤية المملكة ٢٠٣٠ على مستوى المجتمع إلى حد ما بنسبة (٥٢,٦٪)، وقد كانت نسبة الشباب السعودي الذين أجابوا بالتأكيد على رؤيتهم لنتائج رؤية المملكة ٢٠٣٠ على مستوى المجتمع بلغت نسبتهم (٣١,٦٪)، مقابل

جدول (٧). معامل ارتباط بيرسون للعلاقة بين معدل متابعة الطلاب والطالبات لوسائل الإعلام التقليدية والجديدة والاعتماد عليها في استقاء معلوماتهم عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

الدرجة	مستوى الدلالة	معامل الارتباط بدرجة الاعتماد عليها من قبل الشباب السعودي استقاء المعلومات عن رؤية ٢٠٣٠	متوسط معدل متابعته من قبل الشباب السعودي	المتغير
متوسط	٠,٠١١	٠,٦٣١	٧٧,٢٪	وسائل الإعلام الحديثة
ضعيف	٠,٠٤٢١	٠,٢١٠	٢٢,٨٪	وسائل الإعلام التقليدية

الارتباط بين متوسط معدل متابعة وسائل الإعلام الحديثة من قبل الشباب السعودي ودرجة الاعتماد عليها في استقاء المعلومات عن رؤية ٢٠٣٠ (٠,٦٣١) وهو ارتباط موجب ومتوسط ودال إحصائياً عند (٠,٠٥)، كما بلغ معامل الارتباط مع وسائل الإعلام التقليدية (٠,٢١٠) وهو ارتباط موجب وضعيف ودال إحصائياً عند (٠,٠٥).

من الجدول رقم (٧) نجد أنه متوسط معدل متابعة الشباب السعودي لأخبار رؤية المملكة ٢٠٣٠ من خلال وسائل الإعلام الحديثة بلغ (٧٧,٢٪) مقابل (٢٢,٨٪) لوسائل الإعلام التقليدية. كما يتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين معدل متابعة الشباب لوسائل الإعلام التقليدية والجديدة والاعتماد عليها في استقاء معلوماتهم عن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، حيث معامل

الفرض الرئيس الثاني

للتحقق من صحة الفرض الرئيس الثاني والذي ينص على أن "هناك علاقة ارتباطية دالة بين الاعتماد على وسائل الإعلام ومفهوم رؤية المملكة

إيجابياً" قام الباحث بإجراء اختبار مربع كاي (x^2) وحساب التقاطعات (Cross tabulation) ومعامل ارتباط بيرسون لاستجابات أفراد العينة حول الأسئلة المتعلقة بالفرض والجدول التالية توضح النتائج:

جدول (٨). معامل ارتباط بيرسون ومربع كاي (x^2) والتقاطعات (Cross tabulation) الاعتماد على وسائل الإعلام ومفهوم رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ إيجابياً.

معامل الارتباط	مربع كاي (x^2)	المجموع	ما هي أكثر وسيلة تصلك من خلالها أخبار الرؤية					الفئات	هل رؤية ٢٠٣٠ تؤثر إيجاباً على مستقبل المملكة
			غير ذلك	تطبيقات خاصة بالرؤية	وسائل إعلام تقليدية	محركات البحث	شبكات التواصل الاجتماعي		
*٠,٤٢٣	١٣,٠٤	%٨٨,٦	%٥,٣	%٠,٩	%١,٨	%١,٨	%٧٨,٩	نعم	
		%١١,٤	%٠,٠	%٠,٠	%٢,٦	%٠,٠	%٨,٨	لا	
		%١٠٠	%٥,٣	%٠,٩	%٤,٤	%١,٨	%٨٧,٧	المجموع	

من الجدول رقم (٨) نجد أن غالبية أفراد العينة موافقون على أن رؤية المملكة ٢٠٣٠ تؤثر إيجاباً على مستقبل المملكة بنسبة (٨٨,٦٪). مقابل (١١,٤٪) لا يوافقون على ذلك، أو يرون بأنها لا تؤثر إيجاباً على مستقبل المملكة.

كما نجد أن هناك علاقة ارتباطية دالة بين الاعتماد على وسائل الإعلام ومفهوم رؤية المملكة إيجابياً، حيث بلغت قيمة مربع كاي (x^2) ١٣,٠٤ وهي دالة إحصائياً عند (٠,٠٥)، وبلغ معامل الارتباط (٠,٤٢٣) وهو ارتباط موجب ودال إحصائياً عند (٠,٠٥) مما يشير إلى وجود علاقة إيجابية بين الاعتماد على وسائل الإعلام ومفهوم رؤية المملكة إيجابياً لدى الشباب السعودي.

كذلك من الجدول السابق نجد أن أكثر وسائل الإعلام التي يعتمد عليها الشباب السعودي في تكوين بالمفهوم الايجابي عن رؤية المملكة ٢٠٣٠ كانت وسائل التواصل الاجتماعي (تويتر - إنستغرام

- واتساب - غير ذلك) تليها وسائل الاعلام التقليدية وأخيراً التطبيقات الخاصة بالرؤية كأضعف الوسائل الاعلامية التي تدعم تكوين المفهوم الايجابي لدى الشباب السعودي.

توصيات الدراسة

١- رفع درجة الاهتمام برؤية المملكة ٢٠٣٠ في كافة مصادر المعلومات: التعليم، الإعلام، المساجد، المحاضرات واللقاءات والندوات، ووسائل التواصل الاجتماعي.

٢- الأخذ في الاعتبار أن مفهوم رؤية المملكة ٢٠٣٠ يعتبر مسؤولية الجميع في كافة القطاعات.

٣- على كل قطاع أن يهتم بتوضيح الرؤية فيما يخصه لكل المنسويين في جهته.

٤- أن يتم تقصي مفهوم الرؤية من خلال البحوث والدراسات واستطلاعات الرأي المستمرة على مدار العام لمعرفة مدى مفهومها لدى شرائح المجتمع.

٥- إقامة المؤتمرات العلمية الخاصة بالرؤية والتركيز على حملات التوعية الإعلامية.

- ٣- ضرورة مشاركة المؤسسات التعليمية ببرامج ومبادرات خاصة بالرؤية وأهدافها ليشترك الطلاب والطالبات فيها من خلال الأعمال التطوعية.
- ٤- ضرورة زيادة منصات التواصل الاجتماعية الخاصة برؤية المملكة ٢٠٣٠ وتكثيف عملها بأسلوب مبسط يستطيع الطلاب والطالبات فهمه والمساهمة في تنفيذه والمشاركة فيه.
- ٥- أهمية متابعة مدى وضوح الرؤية للطلاب والطالبات في الجامعات من خلال دراسات استقصائية مقننة وأكثر تفصيلاً. ومن المهم أن تركز تلك الدراسات على كل هدف بشكل منفصل.
- ٦- أن تعمل المنصات والمواقع الخاصة بالرؤية على زيادة التواصل مع كل جهة ذات علاقة وتهتم بتجميع الدراسات والأبحاث الاستقصائية الخاصة بوضوح أهداف الرؤية وتعمل على توضيح المعلومات الخاصة بجوانب الغموض وعدم الوضوح في الرؤية، وتركز أيضاً على الجوانب الواضحة في الرؤية بشرح تفاصيل أدق عنها تصل للمبادرات والمسارات.
- ٧- ضرورة عقد ورش عمل داخل الجامعات للطلاب والطالبات خاصة بأهداف الرؤية. فمن الواضح أن طلاب وطالبات الجامعة يعتقدون بواقعية الرؤية ومشموليتها وتأثيرها على مستقبلهم المهني، ولكن في المقابل، وضوح أهدافها لا يرتقي لمستوى ذلك المفهوم.

الهوامش

- ١- <https://www.mtholyoke.edu/acad/intrel/depend.htm>
- ٢- <https://www.communicationtheory.org/media-dependency-theory/>
- ٣- المرجع السابق.
- ٤- <http://constantine3.blogspot.com/2013/12/mass-media-dependency-theory.html>

- ٦- أهمية مشاركة القطاع الخاص والشركات في الفعاليات التوعوية الخاصة بالرؤية؛ كشريك استراتيجي مهم في تحقيقها.
- ٧- أن تتم دراسة المجتمع بناء على الشرائح المتعددة فيه وطبيعة الجمهور المستهدف لمعرفة مدى وصول مفهوم الرؤية لكل شريحة.
- ٨- يجب أن يتم دراسة الشائعات المتعلقة بالرؤية التي تشوه صورتها، للتمكن من الرد عليها وإظهار الحقائق للجمهور، مما يسهل ظهور مفهومها الصحيح للمجتمع. والعمل على تكثيف جهود المنصات الخاصة بالرد على تلك الشائعات والأخبار المتضاربة التي تضر بمفهوم الرؤية وأهدافها.
- ٩- مهما تكن الرؤية واضحة لأفراد المجتمع، هي في حاجة دائماً إلى تفصيلها ومناقشة أهدافها الرئيسية والفرعية وبرامجها ومشاريعها لتظهر نسبة تحققها على أرض الواقع.
- ١٠- التركيز على أهمية توضيح البرامج والمشاريع التابعة للرؤية وربطها بكل جهة خاصة بها؛ التعليمية والثقافية والاجتماعية والترفيهية والسياحية والاقتصادية... وإظهار ذلك في كافة الوسائل الإعلامية التقليدية والحديثة.
- توصيات خاصة بطلاب وطالبات الجامعات
- ١- ضرورة الاهتمام بتوضيح مفهوم الرؤية للمجتمع الجامعي والطلاب والطالبات بشكل خاص فيما يتعلق بأهدافها، خصوصاً وأن هناك تفرعات لها مثل: الأهداف الفرعية، والأهداف التفصيلية، والبرامج، والمبادرات، والمسارات، والمؤشرات.
- ٢- ضرورة إدخال أهداف الرؤية وما يتعلق بها من أهداف فرعية وتفصيلية وتضمينها في المناهج والمواد التي تدرس للطلاب والطالبات في الجامعات. فحين وضوح الرؤية والأهداف لهم، يستطيعون تحديد تخصصاتهم ومساراتهم في دراستهم الجامعية.

- Information, Journal of Computer-Mediated Communication. 2014
- ١٥- **Aditi Gupta**, Ponnuram Kumaraguru. Carlos Castillo, Patrick Meier, Tweet Cred: Real-Time Credibility Assessment of Content on Twitter, Computer Science, Volume 8851, 2014.
- ١٦- **علياء علي محمد عنتر**. دور القنوات الإخبارية في تشكيل الصور الذهنية عن الدول العربية لدى الجمهور المصري. رسالة دكتوراه غير منشورة. القاهرة: كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠١٣.
- ١٧- **خالد الصوفي**. دور وسائل الإعلام في تشكيل الصور الذهنية للحكام العرب لدى الشباب اليمني بعد ثورات الربيع العربي. المؤتمر الدولي الثامن عشر (الإعلام وبناء الدولة الحديثة). كلية الإعلام. جامعة القاهرة الجزء الثاني. ١-٣ يوليو ٢٠١٢.
- ١٨- **علي عباس العرادي**. دور وسائل الإعلام في تشكيل اتجاهات الجمهور البحريني نحو المشاركة السياسية: بالتطبيق على الانتخابات النيابية ٢٠١٠م. بحث منشور. الجامعة الأهلية. المنامة، البحرين. ٢٠١٢م.
- ١٩- **Manago, Adriana M**, "Me and my 400 friends: The anatomy of college students' Facebook networks, their communication patterns, and well-being." *Developmental Psychology*, Vol 48 (2), March 2012.
- ٢٠- **سلمان فيحان لبد**. وسائل الإعلام السياسي التي يعتمد عليها الشباب السعودي أثناء الأزمات ودورها في تعزيز الوعي السياسي لديهم- دراسة ميدانية. بحث منشور. مجلة بحوث العلاقات العامة الشرق الأوسط. يوليو ٢٠١٧م.
- ٢١- **مي عبدالرحمن مصلح**. دور وسائل الإعلام التقليدية والحديثة في إمداد الشباب المصري بالمعلومات السياسية. رسالة ماجستير غير منشورة. القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم الإعلام وعلوم الاتصال، ٢٠١١م.
- ٥- <https://www.communicationtheory.org/media-dependency-theory/>
- ٦- <https://www.britannica.com/topic/media-dependency-theory>
- ٧- http://www.economicsonline.co.uk/Global_economics/Dependency_theory.html
- ٨- Vincent Ferraro, "Dependency Theory: An Introduction," in *The Development Economics Reader*, ed. Giorgio Secondi (London: Routledge, 2008).
- ٩- <https://www.communicationtheory.org/media-dependency-theory/>
- ١٠- <http://www.sociologydiscussion.com/capitalism/critics-of-dependency-theory-social-science-theories/672>
- ١١- **داليا كمال عواد**. بناء الأطر الشكلية والموضوعية للخطاب الصحفي إنشاء الأزمات بالمواقع الإخبارية الإلكترونية وعلاقتها باتجاهات المراهقين نحو هذه الأزمات. رسالة دكتوراه غير منشورة. (جامعة عين شمس: معهد الدراسات العليا للطفولة. قسم الإعلام وثقافة الطفل. ٢٠١٦م.
- ١٢- **هيام أنور أحمد أبوزيد**. دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب نحو بعض الأزمات السياسية المصرية. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة عين شمس: معهد الدراسات العليا للطفولة. قسم الإعلام وثقافة الطفل. ٢٠١٦م.
- ١٣- **أميرة سمير طه**. اعتماد الشباب الجامعي على مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقته بمشاركتهم في الانتخابات الرئاسية المصرية ٢٠١٢. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد ٤٧، إبريل ٢٠١٤م.
- ١٤- **David Westerman, Patric R. Spence, Brandon Van Der Heide**. Social Media as Information Source: regency of Updates and Credibility of

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- عواد، داليا كمال (٢٠١٦م) بناء الأطر الشكلية والموضوعية للخطاب الصحفي إثناء الأزمات بالمواقع الإخبارية الإلكترونية وعلاقتها باتجاهات المراهقين نحو هذه الأزمة. رسالة دكتوراه غير منشورة. (جامعة عين شمس: معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الإعلام وثقافة الطفل.
- أبوزيد، هيام أنور أحمد (٢٠١٦م) دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب نحو بعض الأزمات السياسية المصرية. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة عين شمس: معهد الدراسات العليا للطفولة. قسم الإعلام وثقافة الطفل.
- طه، أميرة سمير (٢٠١٤م) اعتماد الشباب الجامعي على مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقته بمشاركتهم في الانتخابات الرئاسية المصرية ٢٠١٢. المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد ٤٧، إبريل.
- عنتر، علياء علي محمد (٢٠١٣م) دور القنوات الإخبارية في تشكيل الصور الذهنية عن الدول العربية لدى الجمهور المصري. رسالة دكتوراه غير منشورة. القاهرة: كلية الإعلام، جامعة القاهرة.
- الصوفي، خالد (٢٠١٢م) دور وسائل الإعلام في تشكيل الصور الذهنية للحكام العرب لدى الشباب اليمني بعد ثورات الربيع العربي، المؤتمر الدولي الثامن عشر للإعلام وبناء الدولة الحديثة، كلية الإعلام. جامعة القاهرة الجزء الثاني، ١-٣ يوليو.
- العرادي، علي عباس (٢٠١٢م) دور وسائل الإعلام في تشكيل اتجاهات الجمهور البحريني نحو المشاركة السياسية: بالتطبيق على الانتخابات النيابية ٢٠١٠. بحث منشور. الجامعة الأهلية. المنامة، البحرين.
- لبده، سلمان فيحان (٢٠١٧م) وسائل الإعلام السياسي التي يعتمد عليها الشباب السعودي أثناء الأزمات ودورها في تعزيز الوعي السياسي لديهم - دراسة ميدانية. بحث منشور. مجلة بحوث العلاقات العامة الشرق الأوسط. يوليو.

مصلح، مي عبدالرحمن (٢٠١١م) دور وسائل الإعلام التقليدية والحديثة في إمداد الشباب المصري بالمعلومات السياسية. رسالة ماجستير غير منشورة. القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم الإعلام وعلوم الاتصال.

ثانياً: المراجع الإنجليزية

- <https://www.mtholyoke.edu/acad/intrel/depend.htm>.
- <https://www.communicationtheory.org/media-dependency-theory/>.
- <http://constantine3.blogspot.com/2013/12/mass-media-dependency-theory.html>.
- <https://www.communicationtheory.org/media-dependency-theory/>.
- <https://www.britannica.com/topic/media-dependency-theory>.
- http://www.economicsonline.co.uk/Global_economics/Dependency_theory.html.
- Vincent Ferraro, "Dependency Theory: An Introduction," in *The Development Economics Reader*, ed. Giorgio Secondi (London: Routledge, 2008).
- <https://www.communicationtheory.org/media-dependency-theory/>.
- <http://www.sociologydiscussion.com/capitalism/critics-of-dependency-theory-social-science-theories/672>.
- David Westerman, Patric R. Spence, Brandon Van Der Heide. Social Media as Information Source: regency of Updates and Credibility of Information, *Journal of Computer-Mediated Communication*. 2014.
- Aditi Gupta, Ponnurangam Kumaraguru. Carlos Castillo, Patrick Meier, Tweet Cred: Real-Time Credibility Assessment of Content on Twitter, *Computer Science*, Volume 8851, 2014.
- Manago, Adriana M, "Me and my 400 friedns: The anatomy of college students' Facebook networks, their communication patterns, and well-being." *Developmental Psychology*, Vol 48 (2), March 2012.

Comprehension and awareness of the youth in Saudi Arabia on the Saudi Vision 2030 - Field study on University Students.

Anmar Hamed Matawi

*Assistant Professor, Marketing Communication, Faculty of Communication and Media,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia*

Abstract. The aim of this study was to know the most significant sources of information that university students throughout The Kingdom of Saudi Arabia (King Abdul-Aziz University as a model) get on Saudi Arabia's 2030 Vision.

To achieve that, a questionnaire has been designed to cover several axes: traditional and new media and other information sources such as conferences, seminars and lectures. The research population represented is both male and female, a sample of 150 students randomly selected. The study shows that the main source of information students are gaining from regarding the 2030 vision is through social media, mainly Twitter. The study also found that still, students are getting information from traditional media, mainly TV.

The study found that there is a positive conception that exists amongst students on the implementation of the 2030 Vision and its goals being directed equally to all segments of society, as well as the extent of its direct impact on the future of the kingdom. In addition, the study also found that the students are very positive towards the new economic plan and believe that oil will no longer be the main source of income for Saudi Arabia by 2030. While those ratios declined significantly when it came to the clarity on the Vision's goals, it's necessary that we begin working on clarifying the vision and its objectives even more to all sections of society. Finally, the study also showed that there is a strong correlation between the rate of follow-up students and relying on both traditional and new media to get their information on The Kingdom of Saudi Arabia's Saudi Vision 2030.

ظاهرة إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين

ميساء علي روابدة

أستاذ مساعد ، جامعة البلقاء التطبيقية

كلية الأميرة عالية الجامعية

مستخلص. واكب عملية التأليف والتصنيف في علم الحديث النبوي تطوراً وتنامٍ اقتضته طبيعة المرحلة الزمنية من جهة، وتوسع العلم وتنوع فروعه من جهة أخرى... وكان من نتائج حركة التأليف والتصنيف هذه أن وجدت بعض الظواهر التي تتصل بالكتاب بناءً وإكمالاً، واختصاراً، وترتيباً، وتصحيحاً، ومراجعة... وكان من أهم هذه الظواهر ظاهرة إعادة ترتيب الكتب"، وقد أخذ المحدثون بحظٍ وافرٍ من هذه الظاهرة؛ فقدّموا نماذج عدة في ترتيب الكتب وإعادة بنائها على وضع غير الوضع الأول الذي ألفه عليه أصحابها... وكان من جراء إعادة ترتيب الكتب وتجديد بنائها أن ظهرت مجالات مختلفة مثلت أنواعاً لعلوم الحديث.

ويأتي هذا البحث ليُسلط الضوء على "ظاهرة إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين" تحديداً مبيّناً فيه أسباب إعادة الترتيب، ومجالاته، وفوائده، ممثلاً لذلك بعدد من المؤلفات التي وضعها المحدثون باختلاف أساليبها وتنوع طرقها، واقتضت طبيعة هذه الدراسة استخدام منهج يجمع بين الاستقراء، والتحليل، والاستنباط، وكان من أبرز نتائجها: أنه يمكن جعل تسهيل الوصول للمعلومة والانتفاع الأكبر من الكتاب هي الثمرة الأبرز لإعادة ترتيب الكتب، وأن ظاهرة إعادة ترتيب الكتب لم تكن حكراً على المحدثين، وإنما شاركهم غيرهم من أهل العلوم الأخرى، وإن كان المحدثون لهم الحظ الأوفر من هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة، إعادة ترتيب الكتب، المحدثين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم
على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

فقد أبدع المحدثون في بناء مؤلفاتهم، وترتيب
مصنفاتهم، وقد سلكوا في ذلك طرائق عدة وسُبلاً
مختلفة؛ اختلفت بحسب الزمان والأوقات، وتنوعت
بحسب المقاصد والغايات فكان أول الجمع

الجوامع، ثم السنن، ثم المستخرجات فالمستدركات، ثم البرامج... وهكذا الشأن في تأليف كتب التاريخ والرجال، والعلل والنقد، وأحاديث الأحكام، والشروحات الحديثية.

هل أعيد ترتيب كتب معينة عند المحدثين على غير وضعها الأول؟ ويتفرع عنه السؤالات الآتية: الأول: ما أهم الكتب التي أعيد ترتيبها عند المحدثين؟ الثاني: ما البواعث والمقاصد التي حفزتهم على إعادة الترتيب؟

الثالث: ما أهم مجالات إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين؟

الرابع: ما ثمرات إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين؟

أهمية الدراسة

تظهر أهمية هذه الدراسة من كونها تُبين عناية المحدثين بمصنفاتهم ومراجعتها مرة بعد مرة؛ وأنهم لا يأخذوا كل ما كتب مأخذ التسليم والإقرار؛ بل نظروا فيما كتبه من قبلهم واصلحوا فيه ما أمكن أن يصلحوا؛ بحيث قدموا للأجيال اللاحقة مؤلفات غاية في الدقة والإفادة تناسب عصرهم وتلائم زمانهم، كما تقدم تطبيقات عملية على بعض الكتب التي أعيد ترتيبها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث وسؤال المختصين لم أجد في حدود اطلاعي على بحث عالٍ هذه الظاهرة سواء عند المحدثين، أم عند غيرهم في العلوم الإنسانية عموماً، والعلوم الشرعية خصوصاً.

والتصنيف مبنياً على الأسانيد ثم صار التأليف إلى الموضوعات، ثم تعددت صور إخراج كتب الموضوعات، فظهرت المتون الحديثية: بدءاً بالنسخ، فالأصناف، ثم ظهرت الموطآت، ثم المصنفات، ثم اختص كل صاحب كتاب بطريقة معينة تخالف غيره ممن صنف في الموضوع نفسه... وإن وقع بعض اتفاق فيما بينهما - كاتفاق صاحبي الصحيحين بإخراج الصحيح والتدقيق في الرجال ومثلها - أيضاً - أصحاب السنن فمع اتفاقهم على إخراج الأحاديث التي احتج بها الفقهاء إلا أنه كان لكل واحد منهم طريقته الخاصة به، وهكذا دواليك في بقية المصنفات.

وقد كان من جملة تلك الطرائق المسلوكة في التأليف طريقة تقوم في أساسها على إعادة ترتيب كتب معينة سبق تأليفها على سَمَتٍ معين فكان أن أعاد بعض العلماء ترتيبها والنظر فيها تقديماً وتأخيراً لموضوعاتها، وحذفاً وزيادة لمضامينها، ونقلًا وتعديلاً لمحتواها... وإنما حملهم على ذلك مقتضيات وأسباب - يأتي الحديث عنها لاحقاً - حتى أضحي إعادة ترتيب الكتاب عند المحدثين ظاهرة ملحوظة في التراث العلمي الذي قدمه أهل الحديث على مر عصورهم واختلاف دهورهم.

مشكلة الدراسة:

وبناء على ما تقدم يمكن صياغة مشكلة الدراسة في سؤال رئيس:

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أدلة وقوع إعادة الترتيب والتنظيم لكتب معينة من كتب الحديث باختلاف مجالاتها، كما تهدف إلى بيان أهم الأسباب التي دعت المحدثين إلى إعادة ترتيب كتب مَنْ سبقهم، كما أنها حرصت على رصد الظاهرة وبيان المؤلفات التي أعيد ترتيبها.

حدود الدراسة:

ستقتصر أطر الدراسة في تناولها للموضوع على حدود الجانب التطبيقي من خلال استعراض عدد من الكتب الحديثية التي تُعد مثلاً على ظاهرة إعادة الترتيب والمنصوص عليها في عناوين الكتب؛ ولذلك لن يكون من شأن الدراسة تناول الكتب الحديثية التي أعيد ترتيبها ولم ينص على ذلك في العناوين.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة استخدام منهج يجمع بين الاستقراء، والتحليل، والاستنباط، على النحو الآتي:
أولاً: المنهج الاستقرائي: استقراء كتب الحديث؛ لجمع المادة العلمية المتعلقة بظاهرة الترتيب عند المحدثين.

ثانياً: المنهج التحليلي: ويظهر من خلال دراسة مناهج المؤلفين في تأليف كتبهم ومناهج من أعادوا ترتيب تلك الكتب الحديثية.

ثالثاً: المنهج الاستنباطي: ويظهر في النظر في تصرفات العلماء في كتبهم، لتحديد صفة التعامل مع الكتب الحديثية التي أعيد ترتيبها.

خطة الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة.

وأما المباحث: فعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: إعادة ترتيب الكتب عند العلماء: المفهوم، والأهمية.

المطلب الأول: مفهوم ترتيب الكتب لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: أهمية إعادة ترتيب الكتاب

المطلب الثالث: إعادة ترتيب الكتب عند

العلماء

المبحث الثاني: إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين: الصور، والأمثلة.

المطلب الأول: إعادة ترتيب كتب المسانيد

على الموضوعات

المطلب الثاني: إعادة ترتيب كتب

الموضوعات على المسانيد

المطلب الثالث: إعادة ترتيب كتب غير

مؤلفة على الموضوعات أو المسانيد

المبحث الثالث: إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين: المجالات، والثمرات.

المطلب الأول: مجالات إعادة ترتيب الكتب

عند المحدثي

المطلب الثاني: ثمرات إعادة ترتيب الكتب

عند المحدثين

المبحث الأول

إعادة ترتيب الكتب عند العلماء: المفهوم والأهمية

المطلب الأول: مفهوم ترتيب الكتب لغة واصطلاحاً أولاً: الأفراد: معنى الترتيب لغة:

الترتيب لغة: رتب: رتب الشيء يرتب رتباً، وترتب: ثبت فلم يتحرك، ويقال: ورتبه ترتيباً: أثبته رتّب يُرتّب، ترتيباً، فهو مُرتّب^(١)، ورتبه: أثبته وأقره وجعله في مرتبته، يُرتّب أُمُورُهُ: أن يُسَوِّيَهَا، رتّب كُلّ وَاحِدٍ حَسَبَ كِفَائَتِهِ: جَعَلَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ^(٢)، ورتّب الشيء: أثبته وأقره بنظام، ونسّقه، ونظّمه ووضعه في موضعه، ترتّب الأمور: انتظمت^(٣).

الترتيب اصطلاحاً: هو وضع الأشياء مرتبة واحدة بعد الأخرى بناء على معيار محدد؛ لتحقيق هدف محدد^(٤).

ثانياً: المفهوم التركيبي:

ترتيب الكتاب الحديثي: إعادة التنظيم والتنسيق على أبواب جامعة أو كلمات ناظمة لكتاب من كتب الحديث، أو لباحث معين؛ لقصد معين.

المطلب الثاني: أهمية إعادة ترتيب الكتاب

لترتيب الكتب أهمية كبيرة في واقع العلوم، وواقع الدرس الحديثي خاصة منها:

١- حفظ نسخ الكتاب الذي فقدت نسخه الأصلية، فهناك كتب كثيرة لم نعرف عنها إلا مما وصلنا من الكتب التي أعادت ترتيبها، كما هو الشأن في صنيع الهيثمي بكتاب "ثقات العجلي"^(٥)، وصنيع ابن شهيد الأندلسي بكتاب "الجمع بين كتابي لحن العامة" للزبيدي^(٦) من كتب اللغة، وصنيع ابن عروة المشرقي بكتابه (الكواكب الدراري)^(٧).

٢- تسهيل الوصول إلى مقاصد الكتاب على القارئ والباحث، فعندما تكون الكتب مرتبة نستطيع الوصول إليها، والتعامل معها وفق ترتيبها وبسهولة، كما فعل ابن بلبان في كتاب "التقاسيم والأنواع" لابن حبان، وعبد الرحيم عنبر الطهطاوي في كتابه "هداية الباري إلى ترتيب أحاديث صحيح البخاري"^(٨)، وقد رتب فيه

(٥) تاريخ الثقات، "وترجع أهمية الكتاب إلى أمور منها: حفظه للكتاب الثاني كاملاً، مع مقدمته، وهو لا يزال إلى يومنا هذا مفقوداً، وحفظه لنسخه من الكتاب الأول؛ إذ صار له نسختان لا واحدة، وجمعه الكتابين معاً، وترتيبهما" ينظر: العجلي، ص ٣٦-٣٧.

(٦) التهذيب بمحكم الترتيب، ينظر: ابن شهيد الاندلسي، ص ١٦.

(٧) فقد كانت كتب ابن تيمية في وقته تُتلف وتُحرق، فصار ابن عروة يأتي إلى أي مناسبة فيها كتاب مؤلف لابن تيمية فينقله بحروفه؛ ليحفظ كتب ابن تيمية بهذا الكتاب الذي عنوانه (الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري)، ينظر موقع عبد الكريم الخضير،

<http://shkhudheir.com/book-detector>

(٨) هداية الباري إلى ترتيب أحاديث صحيح البخاري، قال في مقدمته: "ولطالما خطر بالخطر المخاطر أن ارتبه على حروف المعجم مع حذف أسانيد المروي، والاقتصار على الراوي الصحابي، واقتصر منه أيضاً على أحد المكرر تذكيراً لسبله لمن أراد أن يروي، أو يرتوي من سلسيله... فرتبت

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٤٠٩.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، ج ١، ص ٣٢٦.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، ج ٢، ص ٨٥٣.

(٤) الترتيب، جامعة الباحة،

http://portal.bu.edu.sa/c/document_library

عليه، وعُزيت أحاديث لمن دونه منزلةً وهي فيه، فرأيتُ التقربَ إلى الله - عز وجل - بتقريبه وترتيبه، وخدمة سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بتخريجه وتهذيبه، ليسهل على طالبه، ويقرب إلى رغبه، وسميته "الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام" (١٠).

المطلب الثالث: إعادة ترتيب الكتب عند العلماء:

تُعد ظاهرة "إعادة ترتيب الكتب" من الظواهر العلمية المشتركة بين العلوم والعارف عموماً؛ فلا يكاد يخلو فرعٌ من فروع العلوم الإنسانية إلا وتجد فيها كُتُب فيها مَنْ انتهض - من أهلها - لإعادة ترتيب بعض كتب ذلك العلم، وتنظيم شيء مما جمع في ذلك الفن. وسببه وداعيه أن من جمع - ممن سبق - لم يوفق في العرض، أو أن من عرض لم يُجدِ الجمع على ما قال ابن منظور الأفريقي في مقدمة كتاب اللسان: "ورأيتُ علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يُجدِ جمعه، فلم يُقدِ حسنُ الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادَةُ الوضع مع رداءة الجمع" (١١)، ثم ضرب مثلاً بكتابي: "تهذيب اللغة"، و"المحكم" وأنه لم يُنْتَفِعَ بهما كثيراً بسبب سوء ترتيبهما وتنظيمهما (١٢).

(١٠) الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام، الدوسري، جاسم، ج ١، ص ٧.

(١١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٧.

(١٢) لسان العرب، فقال: "ولم أجِد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة للأزهري، ولا أكمل من المحكم ل بن سيده وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق غير أن كُلاً منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأنَّ واضعه شرع

أحاديث تجريد صحيح البخاري للزبيدي على حروف المعجم.

٣- أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها، ولا منتظمة؛ فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها، كما فعل أسعد تيم بكتاب "روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان.

٤- الاختصار؛ ليسهل حفظها، وضبطها، فقد كثرت الكتب المختصرة، ويبدو أن الكتب التي حظيت بالاختصار هي التي ذاع صيتها بسبب الحاجة الماسة إلى مضمونها، وما شهرة "لسان العرب" لابن منظور، رغم حجمه إلا لكونه اختصر ما جاء في معاجم سابقة، وأعاد ترتيبها (٩).

٥- نشر الكتاب، وعدم هجره، كما فعل جاسم الدوسري بكتاب "فوائد الحديث" للحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الرازي، وأسماه "الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام" فقال في مقدمة كتابه: "فقد رأيت كتاب "فوائد الحديث" للحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الرازي من أجل كتب الفوائد قَدراً، وأعظمها حَظراً، لما حواه من رواياتٍ عزيزة وفوائد غزيرة، لكنّه لعدم ترتيبه وتبويبه قد صار بين الطلاب مهجوراً، وفي ظلماتِ الأسفار مغموراً، لا تَطَالُهُ الأيدي، ولا تُمعن فيه الأنظار، فقلّ العزُّ إليه، ونَدِر التعرُّجُ

أوائلها على الحروف...". عبد الرحيم عنبر الطهطاوي،

ج ١، ص ٣-٤.

(٩) بنية النص في المعاجم المختصرة، مسعودي، الحواس، ص ٢١٦.

وهكذا فإن إعادة ترتيب الكتب ظاهرة علمية متداولة في كتابات العلماء قديماً وحديثاً وفي مختلف العلوم، وإنك واجدٌ هذا الأمر في علوم كثيرة منها :

أولاً: علوم اللسان واللغة كما فعل ابن منظور (ت ٧١١هـ)، في لسان العرب، وكما فعل ابن السراج (ت ٣١٦هـ) حين أخذ مسائل سيبويه وأعاد ترتيبها على الموضوعات، وأضاف إليها مباحث أخرى^(١٣)، وفي صنيع ابن شهيد الأندلسي بكتاب "الجمع بين كتابي لحن العامة" للزبيدي (ت ٣٧٩هـ) فقد كان للزبيدي كتابان في اللحن أحدهما: مخطوط موجود، والثاني: مفقود، ورأى ابن شهيد أن يجمع بين الكتابين في كتاب واحد، وأن يقوم بترتيبهما، ولكنه حفظ لنا مقدمة كل كتاب كما هي، فعرفنا سبب تأليف الزبيدي للكتاب الثاني ألا وهو أن يؤلف تأليفاً آخر على نسق التأليف الأول، ويذكر فيه ما لم يذكره في سابقه^(١٤).

للناس موردا عذبا وجاههم عنه ، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه ؛ قد آخر وقدم ، وقصد أن يُعرب فأعجم فزق الذهن فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب". مصدر سابق، ج ١، ص ٧.

^(١٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، كمال الدين ص ١٨٦. وينظر: ترتيب اصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت الاهوازي، قام بترتيبه محمد حسن بكائي، وقد اراد ابن السكيت مؤلف كتاب " اصلاح المنطق " ان يعالج ايضا داء " اللحن " والخطأ الذي كان قد استشرى وترسخ في لغة العرب التي هي لغة القرآن، فعمد إلى تأليف كتابه هذا ورتب عبد الرؤوف المناوي كتاب الشهاب للقضاعي، وسماه: إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب ، وشرحه شرحين، صغيرا، وكبيراً سماه: فتح الرؤوف الوهاب بشرح ترتيب الشهاب. ورتب عبد الله الرصاع (ت ٨٩٤هـ)، الشواهد في كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام، وأسماه "الجمع الغريب في ترتيب أي مغني اللبيب".

^(١٤) التهذيب بمحكم الترتيب، ينظر: ابن شهيد الأندلسي، ص ١٦.

ثانياً: علوم العقيدة وتزكية الأنفس: ومثاله: كتاب " العقيدة الطحاوية": لأبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، ذكر فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة بأسلوب سهل ميسر "والعقيدة التي دونها الطحاوي محل عناية العلماء قديماً وحديثاً... ولكن لم يعتن بترتيبه، قال ابن أبي العز: "ولكن الشيخ - يقصد الطحاوي- لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب، وأحسن ما يرتب عليه أصول الدين ترتيب جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل حين سألته عن الإيمان"^(١٥).

وقد قام بترتيبه كلٌّ من: أحمد بن عبد الرحمن القاضي بكتاب أسماء " ترتيب العقيدة الطحاوية" ورتبه على أصول الإيمان الستة، وضم المسائل المتعلقة بأصل واحد تحت باب واحد، ثم أتباع هذه الأصول الستة ببقية أبواب الاعتقاد، ولواحقه حسب الترتيب المعهود، ووضع عنواناً لكل أصل وباب؛ تقريباً للعلم وتسهيلاً للفهم"، وخالد فوزي عبد الحميد بكتاب وأسماء: " تقريب وترتيب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز" ، وقد رتب أحاديثه وآثاره الشيخ طالب بن محمود في كتابه " اللآلئ الأثرية في ترتيب أحاديث وآثار شرح العقيدة الطحاوية"^(١٦)

^(١٥) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ج ٢، ص ٦٨٩. ^(١٦) ومن الكتب أيضاً "نظم القلائد في ترتيب كتاب الفوائد" لابن القيم (ت ٧٥١هـ) ولا يخفى على أحد ما لهذا الكتاب من ميزة بين الكتب التي ألفت في الرقائق وشعب الإيمان، ومما هو معلوم لمن اطلع على كتاب " الفوائد" أن الورقة الواحدة منه تشتمل على عشرة فوائد قد تقل أو تزيد، وكل فائدة تهدف لإيضاح أمر معين، من إخلاص للعبادة، أو ذكر لله، أو شكر

"الهداية في ترتيب فوائد البداية والنهاية"، جمع فوائده ورتبها في غير مادة الكتاب الرئيسة وهي التاريخ على فصول وتحت كل فصل فوائده المتناسقة؛ بحيث يسهل للقارئ التقاط الفائدة، والاستفادة من العلوم المختلفة المبثوثة في ثنايا الكتاب^(١٩).

خامساً: علوم القرآن: ومثاله: كتاب "الاتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) الذي رتب به بازمول في كتاب "تهذيب وترتيب الاتقان في علوم القرآن"، وقد أفصح عن سبب تأليفه بقوله: "والناظر في كتاب "الاتقان" يجد فيه استطراداً وإطناباً وتتبعاً لبعض الفروع والجزئيات؛ مما يجعل الكتاب بحرّاً زاخراً بفوائد لا توجد مجموعة في كتاب غيره، لكن؛ ليس هذا بمقصود الكتاب حيث قال مصنفه: "والمقصود من جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول، لا استيعاب الفروع والجزئيات"^(٢٠)، كما أن هذا الاستطراد قد يشوش على من يطالع ويبحث عن مبادئ بعض أنواع علوم القرآن فيه، فاحتاج الكتاب إلى من يهذهبه ويقرّبه...، فقمت بتهذيبه وترتيبه لنفسي ولمن يحتاج إليه من طلاب العلم، وتحقيقاً لغرض مصنفه الذي صرح به في عبارته السابقة"^(٢١).

ثالثاً: علوم الفقه كما فعل البدر المارديني (ت ٩١٢ هـ) بكتاب "المجموع في علم الفرائض" لأبي عبد الله الكلّائي (ت ٢٧٧ هـ)، حيث أشار في مقدمة كتابه "شرح وترتيب المجموع في علم الفرائض" إلى أن كتاب الكلّائي غير مرتب، وأن فيه كثيراً من المسائل المكررة، ومسائل لم يذكر لها قواعد... فأراد أن يرتب الكتاب بضم المسائل المتشابهة إلى بعضها البعض، ويقدم ما ينبغي تقديمه على غيره، مع ذكر القواعد التي أهملها الكلّائي مع عدم الحذف منها شيئاً، إلا أن يكون مكرراً...^(١٧)، وكما فعل المغراوي في كتابه "فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر"، حيث أعاد ترتيبه على الأبواب الفقهية ليسهل الاستفادة منه ووصول الباحث إلى مراده^(١٨)، وكما فعل ابن الصيرفي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ) في كتابه "نتائج الفكر في ترتيب مسائل المنهاج على المختصر في الفروع".

رابعاً: علوم التاريخ: من أهم الكتب التاريخية التي أعيد ترتيبها: كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، وقد حمل الكتاب الكثير من الفوائد، وقد اعتنى بترتيبه ياسر العدني في كتابه

لنعمة... إلى آخره من أعمال القلوب وشعب الإيمان، وهذا أغلب صفحات الكتاب من غير تنويه أو وضع عنوان لكل فائدة تدل على مراد المؤلف فقام بترتيبه على أبواب شعب الإيمان والأخلاق رضوان جامع رضوان حتى يسهل تدارسها والاستفادة منها كما أشار في مقدمته. ينظر: رضوان، جامع رضوان، ص ٦.

^(١٧) المصدر: موقع مكتبة جامعة هارفرد،

<https://archive.org/stream/al-mardin>

^(١٨) مقدمة فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، ينظر: المغراوي، محمد، ج ١، ص ١٤.

^(١٩) الهداية في ترتيب فوائد البداية والنهاية، ينظر: العدني،

ياسر، ج ١، ص ١٤.

^(٢٠) الاتقان في علوم القرآن، ينظر: السيوطي، جلال الدين، ج ٢، ص ٣٠٨.

^(٢١) تهذيب وترتيب "الاتقان في علوم القرآن"، ينظر: بازمول، محمد، ص (و).

المبحث الثاني

إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين: الصور والأمثلة
توجهت أنظار المحدثين إلى إعادة ترتيب كتب الحديث على الكتب والأبواب بعد أن كان جُلّها مرتباً على المسانيد أو العكس، مما يصعب معه الوصول إلى المطلوب منها؛ وإنما حملهم على ذلك تسهيل الوصول إلى المعلومة، والإفادة الأوسع من الكتاب، ولا يظن ظان أنّ هذا الترتيب أمر متيسر وسهل للجميع، فإنه يحتاج إلى التيقظ، والصبر، والفقّه، والتأني، ودقة نظر.

وقد تعددت أساليب العلماء في إعادة ترتيب الكتب التي وضعها من سبقهم، وذلك بحسب المقصد، وبحسب طبيعة الكتاب المُعاد ترتيبه، وقد ظهرت عدة صور وأنماط عند المحدثين في إعادة ترتيب الكتب.

المطلب الأول: ترتيب كتب المسانيد على الموضوعات :

وتعتمد هذه الطريقة في أساسها على الكتب المصنفة على مسانيد الصحابة؛ ويتبع في ترتيبها طرائق عدة، بحيث يكون المصنف جمع الأحاديث في "مسنده" على حسب أسماء الرواة الذين رووا تلك الأحاديث... ويكون إعادة ترتيبه بإهمال اسم الراوي، والبحث في معنى المروي؛ بحيث ينظم المتن التي تدور حول معنى معين في مكان واحد، ومثاله: مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، الذي رتبته الإمام أحمد على طريقة المسانيد، وتقسيمه معروف

إذ بدأ مسنده بمسانيد الخلفاء الأربعة، ثم مسانيد بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم مسند أهل البيت، ثم مسانيد المكثرين...^(٢٢)، وقد مات الإمام أحمد قبل أن يرتب "المسند" ترتيباً حسناً بحيث تعظم الفائدة منه بقدر عظمة هذا المسند نفسه... وقد تكلم العلماء في ذلك بما لم يتكلموه في حق غيره، بسبب عظيم منزلة الكتاب ولذا قال الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ): "... ومع جلالة قدر هذا الكتاب فالوقوف على المقصود منه متعسر، والظفر بالمطلوب منه بغير تعب متعذر؛ لأنه غير مرتب على أبواب السنن، ولا مهذب على حروف المعجم؛ لتقريب السنن، وإنما هو مجموع على مسانيد الرواة من الرجال والنساء لا يسلم من طلب منه حديثاً من نوع من الملل والعناء؛ إذ خلط منه بين أحاديث الشاميين والمدنيين... وقد ثراه توفي قبل تهذيبه، ونزل به أجله قبل تلفيقه وترتيبه،"^(٢٣)، فقام عدد من العلماء بإعادة ترتيبه لتسهيل الاستفادة منه، قال الذهبي: "فلعل الله يقيض لهذا الديوان العظيم - مسند الإمام أحمد" - من يرتبه ويهذهبه، ويحذف ما كرر فيه..."^(٢٤)، فظهرت طرائق في إعادة ترتيب الكتاب تختلف باختلاف بواعث أصحابها، ومن أهم كتب تلك الطرق:

^(٢٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ينظر: ابن حنبل، مقدمة تحقيق المسند، ج ١، ص ٥١.

^(٢٣) ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد بن حنبل في المسند، ابن عساكر، ص ٣٣.

^(٢٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين، ج ١٣، ص ٥٢٥.

ثالثاً: الترتيب على أبواب العلم : فابن البنا المعروف بالساعاتي (ت: ١٣٧٨هـ) رتب على أبواب العلم، في كتابه المسمى "الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني"، "وقسمه على سبعة أقسام، ويكون هذا التقسيم باعتبار الفنون، وإن كان بعضها أطول من بعض، مقدماً الأهم فالهم مبتدئاً بقسم التوحيد وأصول الدين لأنه أول ما يجب على المكلف معرفته، ثم الفقه، ثم التفسير، ثم الترغيب، ثم الترهيب، ثم التاريخ، ثم القيامة وأحوال الآخرة. وكل قسم من هذه الأقسام السبعة يشتمل على جملة كتب، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبواب. وبعض الأبواب يدخل فيها جملة فصول، وفي أكثر تراجم الأبواب ما يدل على مغزى أحاديث الباب تسهيلاً للمراجع، وتقريباً للمراجع" (٢٨).

المطلب الثاني: إعادة ترتيب كتب الموضوعات على المسانيد:

وهذه الطريقة عكس سابقتها؛ إذ تعتمد على الكتب المصنفة على الموضوعات بإهمال موضوع الحديث وفكرته والتركيز على راوي الحديث من الصحابة، وقد عني مؤلفوها ببيان أسانيد الأحاديث، "وكان غرض المؤلفين في المسانيد؛ تدوين الحديث ليحفظ لفظه، ويستنبط منه الحكم، وكان الناس إذ ذاك لهم اعتناء شديد بحفظ الأحاديث" (٢٩)،

أولاً: الترتيب على الأبواب: قال عبد العزيز الدهلوي (١٢٣٩هـ): "وكذلك رتبته بعض المحدثين من أصبهان على الأبواب، ولكني لم أطلع على تلك النسخة"، ورتبه ابن زريق (ت ٨٠٣هـ) على الأبواب في كتاب أسماه "ترتيب المسند"، وضاعت نسخته في حملة تيمور على دمشق سنة (٨٠٣ هـ) وأفرد الحافظ الهيثمي (٨٠٣هـ) زوائد المسند على الأصول الستة، ورتبها على الأبواب (٢٥).

ثانياً: الترتيب على موضوعات أبواب البخاري: فابن زكنون (ت ٨٣٧هـ) رتب على موضوعات أبواب البخاري وأسماء "الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري"، قال السخاوي: "هذا الكتاب رتب فيه "المسند"، وشرحه في مائة وعشرين مجلداً، وطريقته فيه: أنه إذا جاء لحديث الإفك مثلاً يأخذ نسخة من شرحه للقاضي عياض، ويضعها بتمامها، وإذا مرت به مسألة فيها تصنيف مفرد لابن القيم أو شيخه ابن تيمية أو غيرهما وضعه بتمامه، ويستوفي ذاك الباب من "المغني" لابن قدامة ونحوه... (٢٦)، والكتاب في غاية النفاسة والأهمية لطالب العلم، حيث يأتي بترجمة البخاري، وفقه البخاري، وآثار البخاري ثم يورد الأحاديث من مسند أحمد... (٢٧).

(٢٥) بستان المحدثين في بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين، ينظر: عبد العزيز، ولي الله الدهلوي، ص ٧٠.

(٢٦) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، وأضاف إليه شرح الأحاديث وفصولاً من كلام ابن تيمية، وابن القيم على بعض الأحاديث والمسائل، السخاوي، شمس الدين، ج ٥، ص ٢١٤.

(٢٧) موقع عبد الكريم الخضير،

(٢٨) الفتح الرباني بترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني، الساعاتي، أحمد البنا، ج ١، ص ٢٥.

(٢٩) "الفتح الرباني"، الساعاتي، مقدمة ج ١، ص ١١.

السيوطي: "صحيح ابن حبان ترتيبه مخترع، ليس على الأبواب، ولا على المسانيد، ولهذا سماه: التقاسيم والأنواع، والكشف من كتابه عسرٌ جداً"^(٣٣)، وقد "نحا ابن حبان في ترتيب كتابه طريقة غريبة، أنتجتها عقليته المتميزة بالقدرة على التصنيف والإبداع، المبرمجة بعلم الأصول والكلام، وقد اتخذت طريقة إعادة ترتيبه شكلين:

الأول: فهرسته عن طريق ذكر أطراف أحاديثه، وهو ما فعله الحافظ العراقي في كتابه: "أطراف صحيح ابن حبان"، وما ألفه الحافظ ابن حجر في كتابه "إتحاف المهرة بأطراف العشرة" ومنها: "صحيح ابن حبان".

الثاني: إعادة ترتيبه على الأبواب الفقهية، شأنه شأن سائر كتب السنن التي يسهل فيها الكشف عن أي حديث منها، وممن رتبته: الأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، وقد سمى كتابه "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"^(٣٤)، حيث قام بإعادة ترتيب الكتاب فقدم نفعاً عظيماً بتسهيل هذا الكتاب للقارئ بترتيبه.

المبحث الثالث

ترتيب الكتب عند المحدثين: مجالاته، وثمراته
سلك المحدثون في مجال خدمة السُّنة المطهرة وعلومها مسالك شتى في مصنفاتهم ويبرز ذلك من

ومثاله: كتاب "الجمع بين الصحيحين" للحميدي (ت ٤٨٨هـ)، وقد أثنى العلماء على كتابه هذا من جهات عدة، أهمها حسن ترتيبه كما قال الذهبي^(٣٥)، فقد رتبته على "مسانيد الصحابة"، وليس على الأبواب والموضوعات، ومن المعلوم أن الحفظ على المسانيد أيسر وأسهل منه على الأبواب، وفي داخل كل مسند من مسانيد الصحابة يبدأ بالمتفق عليه بين الشيخين، ثم ما انفرد به البخاري، ثم يورد ما انفرد به مسلم، وأشار إلى هدفه من تأليف كتابه "تجريد ما في هذين الكتابين - صحيح البخاري وصحيح مسلم - من متون الأخبار ونصوص الآثار، وقد بين في خاتمة الكتاب الهدف من إعادة ترتيب الصحيحين على المسانيد " لاختصار المُعين على سرعة الحفظ والتذكر..."^(٣٦)، ومن جميل صنعه وتسهيل كتابه على الحفاظ والطلاب أنه كان يجمع الأحاديث المتفقة المعنى، وإن اختلفت ألفاظها ورواياتها قليلاً أو كثيراً، الأمر الذي أدى إلى تقليل أعداد الأحاديث المرقمة بالنسبة لكتب الأطراف مثلاً^(٣٧)

المطلب الثالث: إعادة ترتيب كتب غير مؤلفة على الموضوعات أو المسانيد:

وهي طريقة مخترعة وجديدة ، ومثاله: كتاب "المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع"، المسمى اختصاراً: "التقاسيم والأنواع" للحافظ ابن حبان البُستي، كما قال

^(٣٥) سير أعلام النبلاء، قال الذهبي: "رتبه أحسن ترتيب"، الذهبي، ج ١٩، ص ١٢١.

^(٣٦) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي، محمد بن فتوح، ج ١/٧٤-٧٥ و ج ٤، ص ٣٢١.

^(٣٧) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، انظر مقدمة الكتاب، الحميدي ج ١/٧٤-٧٥.

^(٣٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، جلال الدين ج ١، ص ١١٥.

^(٣٤) ينظر: المناهج الخاصة للمحدثين - منهج الإمام ابن حبان، موقع <http://articles.islamweb.net>

الأخرى: الترتيب على الأبواب حسب الموضوعات إما فقهية أو غيرها، كترتيب "الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري"، لابن زكنون (٨٣٧ هـ)، وكرتيب "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" للساعاتي (ت ١٣٧٨ هـ). و"ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج لهم أحمد بن حنبل في المسند" لابن عساكر (٥٧١ هـ)، "ويعتبر هذا الكتاب في أصله وتحقيقاته ذا أهمية كبيرة نظراً لما توفر عليه، بالإضافة إلى الترتيب والإحصاء، من الفوائد الحديثية النادرة التي لا يستغني عنها المتمرسون في هذا الفن، لا سيما من يتولى خدمة المسند وتحقيقه"^(٣٦).

ومثاله: كتاب صحيح ابن حبان المسمى بـ"التقاسيم والأنواع" لابن حبان البستي، وقد رتبته ترتيباً مخترعاً، قسمه إلى خمسة أقسام من أقسام السنن، وهي: الأوامر، والنواهي، وإخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم عما احتجج إلى معرفتها، والإباحات التي أبيح

خلال: العناية بعلوم الحديث تأليفاً وترتيباً وتهذيباً، والابتكار في التصنيف والعناية بالترتيب، حيث ظهرت أنواع جديدة من المصنفات في مجالات عدة منها: إعادة ترتيب كتب السابقين سواء في مجال المتون أم في الرجال؛ ليسهل الانتفاع بها، فكانت هذه المجالات وهذه الثمرات حصيلة هذه العناية.

المطلب الأول: مجالات إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين:

نوع المحدثون مجالات إعادة ترتيب الكتب، وتغنوا في ترتيبها مما جعلها أسهل تناولاً، ومطلباً لما يُراد منها، ومن أهم المجالات في ذلك:

أولاً: ترتيب كتب المتون: ومثاله: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ولتيسير الاستفادة من هذا الكتاب أعيد ترتيبه وتقريبه في كتب عدة وعلى طرائق عدة: أحداها: **الترتيب على الأطراف:** حيث يجمع المؤلف أحاديث المسند مقتصرًا على طرف منه يدل على بقيته، مرتباً إياه على حروف المعجم، ككتاب ترتيب المسند، لأبي بكر بن المحب (٧٨٩ هـ): قال ابن الجزري: "وأما ترتيب هذا المسند، فقد أقام الله تعالى لترتيبه شيخنا خاتمة الحفاظ الإمام أبا بكر محمد بن عبد الله بن المحب الصامت، فرتبه على معجم الصحابة، ورتب الرواة كذلك، كترتيب الأطراف، تعب فيه تعباً كثيراً"^(٣٥).

^(٣٦) **العمر،** ابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٤٠. وقال محقق مسند أبي سعيد الخدري من ترتيب المسند لابن المحب: واختيار الحافظ ابن المحب لهذا الترتيب دون الترتيب على الأبواب يرجع -فيما أرى- لعدة أسباب: سهولته، بخلاف الترتيب على الأبواب فإنه شاق جداً ويستغرق وقتاً كثيراً. ومنها: أنه لا يؤدي إلى تكرار الأحاديث بخلاف الترتيب على الأبواب، فإنه يؤدي إلى تكرار الحديث في مواضع كثيرة... ومنها: أنه لا يختلف عليه، فالترتيب على الأبواب يدخله الاجتهاد الشخصي، ويختلف من إمام لآخر كما هو معلوم. ومنها: سهولة الوقوف على الفائدة منه لمن عرف إسناد الحديث المراد البحث عنه. ويبقى أن الترتيب على الأبواب أنفع للفقهاء. ينظر: مقدمة تحقيق مسند أبي سعيد الخدري، ص ٧١-٧٢.

^(٣٦) **المذهب الحنبلي «دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته»**، التركي، عبد الله، ج ١، ص ١٣٣.

^(٣٥) **المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد**، ابن الجزري، شمس الدين، ج ١، ص ٤٥. وقال ابن حجر: "لما رتب الحافظ شمس الدين بن المحب المعروف بالصامت" مسند أحمد" على ترتيب حروف المعجم حتى في التابعين المكثرين عن الصحابة؛ أعجب ابن كثير فاستحسنه" إنباء الغمر بأنباء

تقريباً، قال في مقدمة كتابه: "هذا كتاب قصرت فيه ترتيب كتاب "العلل" لأبي عيسى الترمذي رحمه الله، على نسق كتاب الجامع له، حتى يسهل فيه طلب الحديث ؛ إذ الأحاديث فيه مفترقة منثورة، فلا يضبطها أبواب تذكر فيها، فرددت أحاديث كتاب العلل إلى ما يليق بها من كتب الجامع، فجعلت أحاديث الطهارة في كتاب الطهارة ، وأحاديث الصلاة في كتاب الصلاة، وهكذا إلى آخر الجامع"^(٣٨).

ومن الأمثلة أيضاً: كتاب (الأفراد) للدارقطني (٣٨٥هـ) وقد جمع فيه أحاديث الأفراد والغرائب... قال عنه الإمام ابن كثير: " له كتابُ العلل؛ بيّن فيه الصواب من الزلل، والمتصل من المرسل، والمنقطع والمعضل، وكتابُ الأفراد؛ الذي لا يفهمه فضلاً عن أن ينظمه إلا من هو من الحفاظ الأفراد، والأئمة النقداء، والجهابذة الجياد"^(٣٩)، وكتاب «الأفراد» من أشهر الكتب المصنفة في بابيه، وموضوعه الأحاديث التي لا تروى إلا من طريق راو واحد، يتفرد فيها بإسناد أو متن، يسوقها الدارقطني بإسناده، ثم يتكلم عن التفرد فيها، ويذكر أحياناً عللها والاختلاف فيها، وينقل بعض ذلك عن مشايخه^(٤٠)،

وقد قام ابن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني (٥٠٧هـ) بترتيب كتاب «الأفراد» في كتابه "أطراف

ارتكابها، وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم التي انفرد بها، وكأنه لصعوبة ترتيب الكتاب تحت هذه الأقسام لم يستفد منه العلماء كثيراً حتى جاء ابن بلبان (٧٣٩هـ)، فرتبه على الأبواب الفقهية، قصداً لتكميل التهذيب وتسهيل التقريب كما ذكر، فانتشر الكتاب، وترتيبه هو المتداول بين أهل العلم، قال ابن بلبان: "فإنه لم ينسج له على منوال، في جمع سنن الحرام والحلال لكنه لبديع صنعه، ومنيع وضعه قد عز جانبه، فكثرت مجانبه، تعسر اقتناص شوارده، فتعذر الإقتباس من فوائده وموارده، فرأيت أن أتسبب لتقريبه، وأتقرب إلى الله بتهديبه وترتيبه، وأسهله على طلابه، بوضع كل حديث في بابيه وسميته: "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"^(٣٧).

ثانياً: ترتيب كتب العلل:

وهي الكتب التي يجمع فيها الأحاديث المعللة مع بيان عللها، ومثاله: كتاب العلل الكبير، للترمذي (٢٧٩هـ)، وكتابه عبارة عن عدة أحاديث يرويها الترمذي بأسانيد، ثم يعقبها بالحكم على كل حديث منها إما بكلامه، وإما بكلام شيوخه الذين يذكروهم، وقد كان النصيب الأوفر من الحكم على هذه الأحاديث من نصيب الإمام البخاري، وقد بلغت نصوص هذا الكتاب ٤٨٤ نصاً مسنداً، وقد أعاد ترتيب الكتاب على الأبواب الفقهية أبي طالب القاضي ، ويتميز ترتيبه بدقة تبويبه، وتفصيله للكتب والأبواب، وجعل عنوان لكل مسألة أو مسألتين

^(٣٨) علل الترمذي الكبير بترتيب أبي طالب القاضي، الترمذي،

محمد بن عيسى، ص ١٩. ^(٣٩) البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ج ١١، ص ٣٦٢.

^(٤٠) أطراف الغرائب والأفراد، المقدسي، أبو الفضل محمد بن طاهر، ج ١، ص ٣.

^(٣٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، ج ١، ص ٩٥.

سبحانه وتعالى في أن أُفردَ من الطبقة الثانية وما بعدها من كتاب «الثقات» للشيخ الإمام العلامة الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان مَنْ ليس في «تهذيب الكمال» مرتباً ذلك ترتيب «التهذيب»، وأُرقم على الاسم عدد الطبقة اختصاراً...^(٤٢). ففي ذلك أنه سلك مسلك الحافظ المزي وسار على طريقته في ترتيب كتابه ويرتبهم على حروف المعجم، وفي ذلك من السهولة والتيسير للباحثين.

كتاب «معرفة الثقات من رجال اهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم» لأبي الحسن العجلي الكوفي (ت ٢٦١هـ)، فقد صنف العجلي كتابه على الطبقات، كتصنيف ابن حبان البستي للثقات، فجاء الهيتمي (ت ٨٠٧هـ)، فرتبه أبجدياً بكتاب «ترتيب ثقات العجلي»، كما رتب أيضاً ثقات ابن حبان.

قال الهيتمي في مقدمة كتابه: «أشار سيدي أبو الفضل عبد الرحيم العراقي إلي في ترتيب ثقات أبي الحسن العجلي؛ لكي يسهل الكشف منها لطالب العلم؛ فأجبتة إلى ذلك... وقد رتبته على حروف المعجم وبدأت بمن اسمه أحمد تبركاً بالنبي صلى الله عليه وسلم»^(٤٣)، وكتاب «ترتيب ثقات العجلي» بهذا العنوان، هو من صنع الحافظ الهيتمي، وقد أفاد هذا الترتيب من ناحيتين: الأولى: حفظ لنا الكتاب

الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأطراف، فاقصر فيه على طرف الحديث، وساق بعده كلام الدارقطني عليه، جامعاً في موضع واحد ما تفرق منه، مرتباً إياه على المسانيد، وقدم له بمقدمة ترجم فيها للدارقطني، وذكر فيها أنواع الأفراد، وبيّن منهجه في ترتيبه؛ فحفظ بعمله جزءاً كبيراً من كتاب الدارقطني^(٤٤).

ثالثاً: ترتيب كتب الرجال:

يقوم علم الرجال على فكرة تفكيك الأسانيد، وهي بصورة أو بأخرى إعادة تشكيل لهذا الفن ويكون ترتيب الرواة بحسب الترتيب الطبقي، أو حسب الترتيب المعجمي، أو غير ذلك...، ووجدنا العلماء يقومون بإعادة ترتيب هذه الكتب التي في أصلها أسانيد مودعة في كتب الرواية، ومن أبرز كتب الرجال التي أعيد ترتيبها كتاب «الثقات» لابن حبان (٣٥٤هـ)، وابن حبان رتب كتابه على الطبقات ليس على نسق معين مما يجعل الاستفادة منه صعب عند البحث، فرتبه ابن قُطُوبغا (٨٧٩هـ) في كتابه «ترتيب الثقات»، فيقول: «إني قد استخرتُ الله

^(٤١) أطراف الغرائب والأفراد، قال المقدسي: «فإن الدارقطني خرّج لنفسه فوائد من الغرائب والأفراد، دُونت عنه ونُقِلت... وسمعت جماعة من أهل الحديث يذكرون أنّ عيب هذا الكتاب إيراده على غير ترتيب، وأنه لو كان مرتباً لعظمت به المنفعة وعُمت، وأنه لا يمكن استخراج الفائدة منه إلا بعد مشقة وتعَب... ثم ذكر قصة إعادة ترتيب كتاب الأفراد، فقال: «وقف علينا أبو الحسن أحمد بن المحسن المقرئ ببغداد، فقال: يا أصحاب الحديث، كتابُ الدارقطني في الأفراد غير مرتب، فمن قدر منكم على ترتيبه أفاد واستفاد؛ فوقع إذ ذاك في نفسي ترتيبه، فاستخرت الله عز وجل، ورتبته على ترتيب الأطراف، ليكون فائدة لكل من عرض له حديث أراد معرفته» ج ١، ص ١٦-١٧.

^(٤٢) «كتاب ترتيب الثقات للقاسم بن قُطُوبغا» الزهراني، مبارك، ص ٨٩.

^(٤٣) تاريخ الثقات، العجلي، أحمد بن عبد الله، ص ٤٥.

الذي فقدت نسخة الأصلية، والثانية: ترتيبه أبجدياً ليسهل الكشف منها لطالب العلم.

رابعاً: ترتيب كتب أحاديث الأحكام:

جمع المحدثون أحاديث الأحكام ، ورتبوها أحسن ترتيب وعلى أحسن نظام، مع الانتقاء منها من المصنفات الحديثية الأصول، لأهميتها وشدة الحاجة إليها ورتبوها على أبواب الفقه؛ ليسهل الانتفاع بها، فمثلاً كتاب الأحكام الشرعية الوسطى لابن عبد الحق الاشبيلي (٥٨١هـ) جمع فيه آلاف الأحاديث في الأحكام الشرعية من الكتب الستة وغيرها، مع حذف الأسانيد، وذكر ما في الأحاديث من علل إن وجد، فنتبع ابن القطان أو هام عبد الحق وأغلاطه في كتاب أسماه "بيان الوهم والإيهام الواقعيين في كتاب الأحكام" نقداً وتمحيصاً، واستدراكاً، وترتيباً، لكن كان من الصعوبة الاستفادة من ترتيب ابن القطان لكتابه لأنه يقتضي من الباحث استيعابه كله إن هو أراد أن يظفر بفائدة من تلك الفوائد التي لا توجد في غيره من الكتب على حد قوله، ولئن كان الواقع يؤيد قوله؛ كما شهد بذلك الجهابذة من نقاد هذا الفن ؛ فإن دون إحراز فوائده صعوبات جمة أهمها :

أن عناوين الأبواب ليست عناوين لمجموعة محددة من الأحاديث المنقودة تكلم عليها المؤلف ؛ بل هي عناوين لأفكار في ذهن المؤلف رتبها مع نفسه بحسب ما ظهر له من تصنيف للأحاديث التي تكلم عليها ؛ ولم يراع فيها احتياج القارئ إلى استفادة حكم واحد على حديث أو رجل فيسهل له سبل هذه

الاستفادة ، كما أنه لا يمكن للقارئ أن يتكهن بأن هذا الباب مظنة للكلام على الحديث الفلاني مثلاً أو الرجل الفلاني ؛ فإذا وجد القارئ في " تهذيب التهذيب " أن هذا الرجل ضعفه ابن القطان أو وثقه؛ وأراد أن يقف على نص كلامه في كتابه فلا مجال له لذلك إلا بقراءة الكتاب كله ، وإذا وجد في " نصب الراية " أو " التلخيص الحبير " أن هذا الحديث صححه ابن القطان ؛ وأراد أن يقف على طريفة تصحيحه ؛ فانه لن يجد الحديث إلا مصادفة ؛ أما قصداً إلى الحديث المعين ؛ فيتعذر ذلك تعذراً تاماً على أي قارئ إلا باستيعاب الكتاب كله ^(٤٤).

"وبقدر ما أدرك العلماء فائدة الكتاب العلمية ؛ أدركوا صعوبة الاستفادة منه لتقسيم ابن القطان الاوهام إلى أنواع، فجاء ترتيبها على غير ترتيب ورودها عند عبد الحق الإشبيلي" ^(٤٥)؛ فقام بترتيبه عالمان كبيران هما: صدر الدين بن المرحل (٧١٦هـ) أحد شراح أحكام عبد الحق؛ والحافظ مغلطاي (٧٦٢هـ) في كتابه "منار الإسلام بترتيب كتاب الوهم والإيهام" ^(٤٦)؛

^(٤٤)، علم علل الحديث من خلال كتاب: "بيان الوهم والإيهام الواقعيين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان الفاسي"، ينظر بتصرف الصديق، إبراهيم ، ج ١، ص ٣٥١-٣٥٢.

^(٤٥) لحظ الألاحظ بذيّل طبقات الحفاظ، قال ابن فهد في مؤلفات مغلطاي: "وله كتاب في الأحكام مما اتفق عليه الأئمة الستة، وكتاب في ترتيب الوهم والإيهام لابن القطان، وقد تقدم في ذلك صدر الدين بن المرحل..."، ابن فهد، تقي الدين، ص ٩٤.

^(٤٦) قال العراقي: "وتصانيفه أكثر من مائة منها شرح البخاري ... ورتب المبهمة على الأبواب ، ورتب بيان الوهم لابن القطان" السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، ص ٥٣٨، وقال ابن حجر: " ورتب المبهمة على أبواب الفقه رأيت منه بخطه، وكذا رتب بيان الوهم لابن القطان، وأضافها إلى الأحكام وسماه منارة الإسلام"، ابن

كتاب "المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قُطْع في سندها ولا ثبوت جَرَح في ناقلِها"، المسمي اختصاراً: "التقاسيم والأنواع" للحافظ ابن حبان البُستي، وقد دعاه إلى ذلك ما ذكره في مقدمته من أنه أراد أن يحمل الناس على حفظ السنن، فلم يجد حيلة في ذلك إلا أن يقسم السنن إلى أقسام، كل قسم يشتمل على أنواع، وكل نوع يشتمل على أحاديث، قصده في ذلك أن يحذو ترتيب القرآن؛ إذ القرآن مؤلف من أجزاء، وكل جزء منها يشتمل على سور، وكل سورة تشتمل على آيات، فكما أن الرجل يصعب عليه معرفة موضع آية من القرآن إلا إذا حفظه، بحيث صارت الآي كلها نصب عينيه، فكذلك يصعب عليه الوقوف على حديث في كتابه إذا لم يقصد الحفظ له، ثم قال ابن حبان: "وإذا كان المرء عنده هذا الكتاب، وهو لا يحفظه، ولا يتدبر تقاسيمه وأنواعه، وأحب إخراج حديث منه، صعب عليه ذلك، فإذا رام حفظه أحاط علمه بالكل، حتى لا ينخرم منه حديث أصلاً، وهذا هو الحيلة التي احتلنا ليحفظ الناس السنن" (٤٨)، ولما كانت الحاجة ماسة إلى هذا الكتاب فقد قام الأئمة بتقريبه، بإعادة ترتيبه على الأبواب الفقهية، ليسهل عملية الكشف عن أي حديث فيه، وممن رتبته: الأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، فقدم نفعاً عظيماً بتسهيل وترتيب هذا الكتاب للقارئ، وقد سمي كتابه "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان".

(٤٨) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، ج ١، ص ١٥١.

ولكن لا نعلم شيئاً عن ترتيبهما ولا يعرف منهجهما في ذلك؛ ولو وجد هذان الكتابان لأفادا فائدة عظمية سواء بالنسبة إلى الاستفادة من كتاب ابن القطان أو بالنسبة إلى تتميم النقص في السطور المحوثة (٤٧).

المطلب الثاني: ثمرات إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين:

أولاً: تسهيل الوصول للمعلومة:

من ثمرات إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين تسهيل الكتاب الحديثي وتقريبه للمتلقي، مما جعل العلماء ينطلقون في إعادة ترتيب المؤلفات الحديثية تكشف للمتلقي عما يتضمنه الكتاب من معاني وأفكار ومقاصد... بحيث تحقق مطلباً أساسياً من مطالب تأليف الكتاب وهو تسهيله وتيسيره للمتلقي مما يؤدي إلى انتشاره، ويمكن أن يقال: إن تسهيل الوصول للمعلومة يأتي لأحد أمرين: الأول: أن يكون عرض المعلومة في الكتاب معقداً ومتداخلاً؛ فلا يمكن الاستفادة من الكتاب إلا بالشرح، والبيان والتوضيح... والآخر: أن يكون الوصول للمعلومة عسراً وصعباً؛ بسبب طريقة ترتيبها، فيعالج هذه الصعوبة بإعادة ترتيبه، وتعد معالجة هذه الصعوبة، وذلك التعقيد والوعورة ثمرة من ثمرات "إعادة ترتيب الكتب عند المحدثين"، ومثال ذلك:

حجر (٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٦، ص ١١٦.

(٤٧) علم علل الحديث من خلال كتاب: "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان الفاسي"، ينظر بتصرف: الصديق، إبراهيم، ج ١، ص ٣٥٣.

وكذا مسند الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، وقد حوى مسنده معظم ما أستند إليه من أحاديث الأحكام في الحلال والحرام، ويحتوي على أحاديث من مسموعات ابن مطر من الأصم من كتاب الأم والمبسوط، وهو غير مرتب على المسانيد ولا على الأبواب، قال ابن حجر: "ولم يرتب الذي جمع حديث الشافعي أحاديثه لا على المسانيد ولا على الأبواب، وهو قصور شديد..."^(٤٩)، ولذا ترى في المسند سرد أحاديثه تحت عناوين: إما غير دالة على أبواب الفقه اكتفاء بمجرد ذكر مصادرها من الكتب نحو (من كتاب اختلاف مالك والشافعي ومن كتاب الرسالة) ... وتلك عناوين لا تدل على نوع معاني الأحاديث المدونة تحتها، وأما: دالة على أبواب من الفقه لكن لا دقة في توزيع الأحاديث عليها ولا في جمعها في أبوابها، وكان هذا المسند ينقصه هكذا حسن الترتيب، فيحول ذلك دون استثمار فوائده بأيسر نظرة، وقد اعتنى عدد من العلماء بترتيب مسند الإمام الشافعي؛ ليعم النفع به، منهم:

محمد عابد السندي (ت ١٢٥هـ)، عني بترتيب مسند الإمام الشافعي وتهذيبه أنفع ترتيب، وأمتع تهذيب فرتبته على أبواب الفقه ترتيباً علمياً يسر به سبيل الاستفادة منه وحفظ وقت المراجعين والباحثين، وترتيبه للمسند بذكر كتاب الإيمان والإسلام أولاً ثم

كتاب العلم، ثم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ثم كتاب الطهارة في عشرة أبواب، وهكذا^(٥٠).
وسنجر بن عبد الله الجاولي (٧٤٥هـ)، حيث بين في المقدمة سبب إعادة ترتيب مسند الشافعي وهو تخفيف الصعاب على طالب العلم لما يجده عند البحث لذلك الحديث في أي موضع قد جاء من المسند، ثم بين طريقة إعادة ترتيب كتاب المسند^(٥١).
وابن البنا الساعاتي في كتابه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وفي هذا الكتاب أعاد ابن البنا جمع وترتيب كتابي الشافعي المسند والسنن في كتاب واحد لحاجتهما إلى ذلك، وفي ذلك يقول "وبعد الدراسة وجدت فيهما ما يحتاج للخدمة، والعناية"^(٥٢) فرأى ابن البنا أن يعيد ترتيبهما من جديد، بطريقة تقربه من طلاب العلم، والإفادة منه بطريقة أسهل من ذي قبل.^(٥٣)

^(٥٠) مسند الإمام الشافعي، يقول معلقاً على ترتيب مسند الشافعي بأنه غير مرتب على الأبواب الفقهية: "ولذلك كان يشكل البحث فيه على الطالب خصوصاً عند إيراد الحديث في غير مظانه، أو تكراره للحديث في مواضع متفرقة من كتابه، فاستخرت الله تعالى في جمعه وترتيبه، وتهذيبه، وتبويبه فانشرح صدري لذلك" ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس، ج ١، ص ٧.

^(٥١) مسند الإمام الشافعي ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، (ترتيب سنجر)، ج ١، ص ١٤٠.

^(٥٢) بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي، الساعاتي، ابن البنا، ج ١، ص ٣-٤.

^(٥٣) "فقام بتقيد أحاديث الكتابين بالكتب والأبواب؛ جاعلاً كل حديث فيما يليق به من باب أو كتاب كما فعل في كتاب الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد، فقام بتقسيم الكتاب إلى أقسام ثم إلى كتب ثم إلى أبواب وفق ما يحتاج إلى خدمة، ينظر: حمدان، ناصر، الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وجهوده في خدمة الحديث الشريف، ص ٧٧.

^(٤٩) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ابن حجر، ج ١، ص ٢٣٩.

ثانياً: إتمام العمل والتنبيه على النقص والزلل:

حرص العلماء على سلامة المؤلفات من النقص والزلل، فألفوا كتباً كثيرة كان لها الأثر في إتمام تلك المؤلفات وصيانتها وتنقيتها مما علق بها، لأن أي مؤلفات لا يسلم من النقص والزلل، وقد أكثر علماء الحديث بتتبع مؤلفات السابقين الحديثية وتبيان ما فيها من عوار، وإتمام ما فيها من نقص، فقد أشار ابن الأثير في كتابه جامع الأصول إلى ذلك بقوله: "لما كان أولئك الأعلام هم الأولين في هذا الفن، والسابقين إليه، لم يأت صنعهم على أكمل الأوضاع وأتم الطرق، فإن غرضهم كان أولاً حفظ الحديث مطلقاً وإثباته، ودفع الكذب عنه، فإن الواجب أولاً إثبات الذات، ثم ترتيب الصفات، والأصل، إنما هو عين الحديث وذاته، ثم بعد ذلك ترتيبه وتحسين وضعه، ثم جاء الخلف الصالح، فأجملوا تحسين وضعها، إما بإبداع ترتيب، أو بزيادة تهذيب، أو اختصار وتقريب، أو استنباط حكم، وشرح غريب، فمن هؤلاء المتأخرين من جمع بين كتب الأولين بنوع من التصرف والاختصار، ... ورتبوا كتبهم على المسانيد، دون الأبواب، كما سبق ذكره، وتلاهم آخراً أبو الحسن رزين بن معاوية العبدي السرقسطي... ورتب كتابه على الأبواب دون المسانيد، فلما وقفت على هذه الكتب، ورأيتها في غاية من الوضع الحسن والترتيب الجميل، ورأيت كتاب «رزين» هو أكبرها وأعمها، حيث حوى هذه الكتب الستة التي هي أم كتب الحديث... فحينئذ

أحببت أن أشتغل بهذا الكتاب الجامع لهذه الصحاح، وأعتني بأمره، ولو بقرائه ونسخه، فلما تتبعته وجدته - على ما قد تعب فيه - قد أودع أحاديث في أبواب، غير تلك الأبواب أولى بها، وكرر فيه أحاديث كثيرة، وترك أكثر منها... (٥٤).

ثالثاً: فهم علة الحديث:

المؤلفات في هذا الفن كثيرة، ومتعددة الطرائق في التأليف، قال ابن رجب: "وقد صنفت فيه كتب كثيرة مفردة، بعضها غير مرتبة: كالعلل المنقولة عن يحيى القطان، وعلي بن المديني، وأحمد، ويحيى وغيرهم، وبعضها مرتبة: ثم منها ما رتب على المسانيد: كعلل الدارقطني، وكذلك مسند علي بن المديني، ومسند يعقوب بن شيبه... ومنها ما هو مرتب على الأبواب: كعلل ابن أبي حاتم، والعلل لأبي بكر الخلال الحنبلي..." (٥٥).

(٥٤) وقال "ثم إنني جمعت بين كتابه وبين الأصول الستة التي ضمنها كتابه، فرأيت فيها أحاديث كثيرة لم يذكرها في كتابه، إما للاختصار، أو لغرض وقع له فأهملها، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدها في الأصول التي قرأتها وسمعتها ونقلتها منها، وذلك لاختلاف النسخ والطرق، ورأيت قد اعتمد في ترتيب كتابه على أبواب البخاري، فذكر بعضها، وحذف بعضها، فناجيتني نفسي أن أهذب كتابه، وأرتب أبوابه، وأوطئ مقصده، وأسهل مطلبه، وأضيف إليه ما أسقطه من الأصول، وأتبعه شرح ما في الأحاديث من الغريب والإعراب والمعنى، وغير ذلك مما يزيده إيضاحاً وبياناً... فإنها كثيرة العدد، متنشعبة الطرق، مختلفة الروايات، وقد بذلت في جمعها وترتيبها الوسع، واستعنت بتوفيق الله تعالى ومعونته في تأليفه وتهذيبه، وتسهيله وتقريبه، وسميته: «جامع الأصول في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -»، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، ج ١، ص ١.

(٥٥) شرح علل الترمذي، ابن رجب، ج ٢، ص ٨٩٢.

الألفاظ الواردة في الحديث النبوي، وترتيبها على حروف المعجم، مع ذكر عبارة من الحديث التي وردت فيه الكلمة، فإذا أردت معرفة مصدر الحديث، كشفت عنه عن طريق أحد ألفاظه، فتدرك إلى مصدره، والمصادر التي اعتمدها فنسك هي: الصحيحان صحيح البخاري وصحيح مسلم، والسنن الأربعة المعروفة، وهي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، بالإضافة إلى مسند أحمد بن حنبل وهو أكبر كتب السنة، وسنن الدارمي وموطأ مالك.

الخاتمة

فإني أنهى في خاتمة هذا البحث أهم النتائج التي توصلت إليها على النحو الآتي:

١. وجود كتب حديثة أعيد ترتيبها وتنظيمها على خلاف وضعها الأول.
٢. تنوعت مجالات الكتب التي أعيد ترتيبها من كتب المتن، والجرح والتعديل، والعلل... فلم يقتصر المحدثون على مجال واحد.
٣. كان للمحدثين مسلكان في إعادة ترتيب الكتب، أحدهما: إعادة الترتيب من غير إجراء أي زيادة أو نقص في أصل الكتاب المعاد ترتيبه، والأخرى: إجراء بعض التصرف أثناء إعادة الترتيب.
٤. يمكن جعل تسهيل الوصول للمعلومة والانتفاع الأكبر من الكتاب هي الثمرة الأبرز لإعادة ترتيب الكتب.

ولما كان بهذه الصعوبة قام بعض العلماء فوضعوا تيسيراً لهذا العلم في بعض الكتب التي جمعت علل الحديث ويصعب تناولها لصعوبة الترتيب، فأعادوا ترتيبها لتكون أقرب للمشتغل بعلم العلل، ومثاله: كتاب (الأفراد) للإمام الدارقطني (٣٨٥هـ) وكتاب الأفراد؛ الذي لا يفهمه فضلاً عن أن ينظمه إلا من هو من الحفاظ الأفراد، والأئمة النقاد، والجهابذة الجياد^(٥٦)، وكتاب «الأفراد» من أشهر الكتب المصنفة في بابيه، وموضوعه الأحاديث التي لا تروى إلا من طريق راو واحد، يتفرد فيها بإسناد أو متن، يسوقها الدارقطني بإسناده، ثم يتكلم عن التفرد فيها، ويذكر أحياناً عللها والاختلاف فيها، وينقل بعض ذلك عن مشايخه^(٥٧)، وقد قام ابن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني (٥٠٧هـ) بترتيب كتاب «الأفراد» في كتابه "أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" على الأطراف، فاقصر فيه على طرف الحديث، وساق بعده كلام الدارقطني عليه، جامعاً في موضع واحد ما تفرق منه، مرتباً إياه على المسانيد...^(٥٨).

رابعاً: جمع المادة في مكان واحد:

كان المشتغلون بالحديث يعانون معاناة شديدة في تخريج الحديث، وربما قلب أحدهم صفحات كتاب من كتب السنة حتى يعثر على الحديث، فجاء كتاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث يقوم على إيراد

(٥٦) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ١١، ص ٣٦٢.

(٥٧) أطراف الغرائب والأفراد، المقدسي، ج ١، ص ٣.

(٥٨) سبق التفصيل عنه.

التهذيب بمحكم الترتيب، ابن شهيد الاندلسي، تحقيق علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (د. ط.).

ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد بن حنبل في المسند، ابن عساكر، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري، مكتبة الرسالة (د. ط.).

لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ، ابن فهد، تقي

الدين (٨٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:

الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، كمال الدين (ت ٥٧٧هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار،

الزرقاء - الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

تهذيب وترتيب "الاتقان في علوم القرآن"، ازمول، محمد، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

المذهب الحنبلي «دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته»، التركي، عبد الله، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

علل الترمذي الكبير بترتيب أبي طالب القاضي، الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي - أبو المعاطي النوري - محمود الصعدي، عالم الكتب ط١، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.

الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وجهوده في خدمة الحديث

الشريف، حمدان، ناصر، رسالة ماجستير، جامعة

النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٤م.

٥. لم تكن ظاهرة إعادة ترتيب الكتب حكراً على المحدثين، وإنما شاركهم غيرهم من أهل العلوم الأخرى، وإن كان المحدثون لهم الحظ الأوفر من هذه الظاهرة.

٦. ظهور مؤلفات حديثية فيما يخدم البحث الحديثي بسبب الترتيب.

المصادر والمراجع

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر (٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء (ت ٧٩٢هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

المصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد، ابن الجزري، شمس الدين، المطبوع في مقدمة أحمد شاکر للمسند، المحقق: أحمد شاکر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، ترتيب:

الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)،

تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني، أحمد (٨٥٢هـ)، المحقق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٦٩م (د. ط.).

مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، مقدمة تحقيق المسند، شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ (د. ط.).

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: أبو قتيبة الفاريابي، الرياض، دار طيبة، (د. ط.) .

مسند الإمام الشافعي (ترتيب سنجر)، الشافعي، محمد بن ادريس (٢٠٤هـ)، رتبة: سنجر بن عبد الله الجوالي، أبو سعيد، (٧٤٥هـ)، تقيق: ماهر فحل، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٥ هـ

مسند الإمام الشافعي، الشافعي، محمد بن ادريس (٢٠٤هـ)، رتبة على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عناية: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١م، (د. ط.) .

علم علل الحديث من خلال كتاب: "بيان الوهم والإيهام الواقعيين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان الفاسي" الصديق، إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، ١٤١٥هـ، (د. ط.) .

هداية الباري إلى ترتيب أحاديث صحيح البخاري ، الطهطاوي، عبد الرحيم عنبر ، مطبعة السعادة - مصر، ط١، ١٣٢٩هـ.

تاريخ الثقات، العجلي، أحمد بن عبد الله (٢٦١هـ)، ترتيب نور الدين الهيثمي، تعليق: عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.

الهداية في ترتيب فوائد البداية والنهاية، العدني، ياسر، دار الآثار، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، العسقلاني، ابن حجر، المحقق: إكرام الله إمداد الحق، ط١، دار البشائر . بيروت.

المواقع الالكترونية:

معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي ، محمد بن فتوح (ت ٤٨٨هـ) تحقيق: علي البواب، ابن حزم، لبنان، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

الروض البسام بترتيب وتخرير فوائد تمام، الدوسري، جاسم، دار البشائر الإسلامية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧م.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

نظم القلائد في ترتيب كتاب الفوائد لابن القيم، رضوان، جامع رضوان، مكتبة التابعين، القاهرة، عين شمس، ط١، ١٤١٩-١٩٩٨م.

"كتاب ترتيب الثقات للقاسم بن قطلوبغا"، الزهراني، مبارك، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠١٥م.

مقدمة الفتح الرباني بترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني"، الساعاتي، أحمد البناء، إحياء التراث العرب، (د. ط.) .

بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي، الساعاتي، أحمد البناء، مصر: مكتبة الفرقان، ط٢، ١٤٠٣هـ، ي، لبنان.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت (د. ط.) .

طبقات الحفاظ، السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ

اللاتقان في علوم القرآن ، السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

مقدمة فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر،
المغراوي، محمد، مجموعة التحف النفائس الدولية،
ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

أطراف الغرائب والأفراد، المقدسي، أبو الفضل محمد بن
طاهر، المحقق: جابر بن عبد الله السريّ، دار
التدمرية، ط١، ١٤٢٨هـ.

٣- موقع مكتبة جامعة هارفرد،
<https://archive.org/stream/al-mardin...ge/n0/mode/1up>

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم
مصطفى، أحمد الزيّات، حامد عبد القادر، محمد
النجار)، الناشر: دار الدعوة، (د. ط)
بنية النص في المعاجم المختصرة، مسعودي، الحواس، مجلة
اللسانيات - الجزائر. العدد المزدوج: ١٩-٢٠،
٢٠١٤م.

١- موقع عبد الكريم الخضير،
<http://shkhudheir.com/book-detector>
٢- المناهج الخاصة للمحدثين - منهج الإمام ابن
حبّان، <http://articles.islamweb.net>

Remodelling Books by Hadith Narrators

Maessa Ali Rawabdeh

*Assistant Professor Al- Balqa Applied University
Princess Alia University College*

Abstract. The study of Hadith has gone through a considerable progress through ages and due to the development of knowledge. The two major processes of authoring and classification of sciences led to the development of other phenomena which are associated with the writing, abridging, ordering, correcting, and reviewing books. One of the most prominent phenomenon is remodelling (re-ordering) parts of the same book. Narrators of Hadith played an important part here. They have provided us with excellent models of books which they have remodeled in a manner different form that used by the original authors of these books. This process of reshaping the form and the structure of the book has produced different ways of studying Hadith and, consequently, new Hadith studies.

This paper focuses on the phenomenon of remodelling books written by Hadith narrators, the reasons behind such process, and its advantages. The researcher has studied a number of books in this field which have adopted different methods of remodelling. After analysing them, she has found out that those Hadith narrators were motivated by the desire to make studying Hadith much easier and more fruitful. Also, they wanted to make it easier for the reader to search inside these collections. Furthermore, she has found out that this phenomenon of remodelling these books was not restricted to Hadith narrators. Indeed, many scientists were equally interested; however, Hadith narrators were the ones whose fingerprints were strongly visible.

Keywords: phenomenon, remodelling books, Hadith narrators.

بنية الخطاب السردي في رواية (ساق البامبو)

حصة أحمد الدوسري

قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل - المملكة العربية السعودية

مستخلص. تعد رواية (ساق البامبو) لسعود السنعوسي من الروايات الخليجية التي مثلت نضجاً فنياً في بنيتها القصصية، وتجديداً في خطابها السردي أكسبها تميزاً، وجعلها تستحق البحث والدراسة؛ ولأن معظم من توقف عند هذه الرواية علّق على مضمونها، وما تناقشه من قضية اجتماعية تمس المجتمع الخليجي المحافظ الذي يرفض ازدواج الهوية في أفرادها، فإن هذه الدراسة لن تتوقف عند متن الرواية ومضمونها، وإنما ستدرس بنية خطابها السردي من خلال الوقوف على مظاهر السرد، وتتبع صيغ الحكى، وتحليل البنية الزمنية في الرواية.

التمهيد

من الروايات الخليجية التي مثلت نضجاً فنياً في بنيتها السردية رواية (ساق البامبو) لسعود السنعوسي*، الصادرة عام (٢٠١٢م). فهذه الرواية تدور حول صراع داخلي يعاني منه بطل الرواية (عيسى) أو (هوزيه) الذي ينتمي إلى أب كويتي وأم

فلبينية، وقد نشأ وتربى عند والدته في الفلبين، ولما ضاق به العيش هناك آثر الانتقال إلى الكويت؛ باحثاً عن جذوره، فخاض تجربته مع الانتماء الآخر الذي يُشكّل هويته، وتجرع مرارة الرفض، والنظرة الدونية، وعدم التقبل لهذا الازدواج في هويته وشكله وانتمائه، فعاد خائباً يبحث عن ذاته التي أضاعها في رحلة البحث عن الانتماء، وقد أدرك بعد هذه الرحلة أن عليه أن يتقبل ذاته كما هي بانتماءاتها المتعددة، وصراعاتها المختلفة، وأن يتآلف مع واقعه

* سعود السنعوسي كاتب وروائي كويتي، ولد عام (١٩٨١م)، أصدر عام (٢٠١٠م) روايته الأولى بعنوان "سجين المرايا"، ثم أصدر رواية "ساق البامبو" التي حصلت على جائزة الدولة التشجيعية في دولة الكويت عام (٢٠١٢م)، وفازت بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام (٢٠١٣م).

مفهوم الخطاب السردي:

بدأ يتشكل المفهوم الاصطلاحي للخطاب مع جهود علماء اللسانيات، حينما وسّع هاريس دائرة التحليل اللساني الذي كان يقف عند حدود الجملة باعتبارها (أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي)^(٢)، داعياً إلى (تحليل الخطاب) في بحثه المعنون بهذا الاسم، معرّفاً الخطاب بأنه "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة مغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض"^(٣). وبذلك يكون هاريس قد حدّد مفهوم الخطاب بأنه متتالية الجمل، تربطها علاقات " تعبر عن انتظام معين يكشف عن بنية النص"^(٤).

ثم وسّع بنفست مفهوم الخطاب وجعله أكثر شمولية حينما أطلقه على كل " تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"^(٥). ثم ميّز بين نوعين من التلفظ هما: الحكّي، والخطاب، قاصداً بالأول تقديم الأحداث كما وقعت دون تدخل المتكلم في الحكّي، وهو خاص باللغة المكتوبة. أما الخطاب فيطلق على كل ملفوظ يشترط بائناً ومتقبلاً، ويمتد من المحادثة اليومية إلى الخطبة البليغة، ويكون في اللغة المكتوبة والشفوية على السواء^(٦).

وانطلاقاً من هذا التمييز بين الحكّي والخطاب في

الذي يفرض عليه الشعور بالغربة في كلا المجتمعين اللذين ينتمي إليهما، بعد أن عجز أن يكون مثل (ساق البامبو) ينمو حيثما زُرِع.

وقد أبدى بعض النقاد إعجابهم بمضمون هذه الرواية، وما تناقشه من قضية اجتماعية تمس المجتمع الخليجي المحافظ الذي يرفض ازدواج الهوية، وتعدد الانتماء في أفرادهِ^(١).

وإذا تجاوزنا متن الرواية إلى مبناها وكيفية تشكيلها فنياً، وهو ما يُعرف في الدراسات السردية الحديثة بالخطاب السردى نجد أنها عُرِضت في بنية محكمة، ووظفت فيها تقنيات سردية حديثة، لم يتوقف عندها النقاد، ولم يفردها بدراسة فنية تحليلية تسبر أغوارها، وتكشف عن العناصر التي شكلتها، وهو ما سوف يتم التطرق إليه في هذه الدراسة، التي ستقف أولاً عند مفهوم الخطاب السردى، ثم تتطرق من هذا التمهيد النظري إلى التحليل الفني لبنية الخطاب السردى في رواية (ساق البامبو) من خلال الوقوف على أهم مكوناتها وهي: مظاهر السرد فتبيّن موقع الراوي في الحكّي، وكيفية إدراكه القصة، وزاوية تقديمه لها، ثم تتطرق إلى صيغ الحكّي، مبينة تعدد أساليب الخطاب المستخدمة، وتنوع صيغهِ، ثم تقف عند البنية الزمنية: تشكيلها، وأهم تقنياتها السردية، وتعالقها مع الفضاء الحكائي للرواية الذي بنى صورهِ على التضاد وإبراز المفارقات.

(١) ينظر على سبيل المثال: مروان الدليمي، مقال " البحث عن الوطن في غربة الإنسان"، جريدة الزمان الدولية، س١٦، ع ٤٤٨٨، ٢٠١٣م؛ ومحمد الخباري، مقال " قراءة في رواية (ساق البامبو) ... عندما تفقد الإنسانية نقطة البداية"، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، س٥١، ع ٥٨٧٤، ٢٠١٤م؛ وسلام مراد، مقال " ساق البامبو"، الموقف الأدبي، سوريا، مج٤٤، ع٥٢٩٤، ٢٠١٥م.

(٢) ينظر: د. سعيد بقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التنبيه)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، ص١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٨.

(٥) المرجع السابق، ص١٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص١٩، و ٦٥-٦٦.

محاولته كتابتها ونظمها"^(٣). فالخطاب هو البنية التركيبية والشكلية للنص السردى. وهنا تكمن براعة الكاتب، ويظهر تميزهم؛ فكل كاتب أسلوبه الخاص في تشكيل البنية السردية للخطاب، والتأليف بين عناصرها ومكوناتها "ابتداءً من الراوى وأسلوب روايته، مروراً بمفاصل المروى أي الأحداث وكيفية بنائها، والشخصيات وعلاقاتها، والزمن وتقنياته، والمكان وأنواعه، وانتهاءً بتعالقات الراوى والمروى له"^(٤). فدراسة ترابط هذه العناصر وما ينشأ بينها من علاقات تُظهر المقدرة الإبداعية للكاتب، وتساعد في فهم النص السردى والوقوف على ما ورائياته، وتكشف بعضاً من وجوه تميزه وأسرار بنائه.

وقد حدّد تودوروف ثلاثة جوانب يمكن الوقوف عليها في تحليل بنية الخطاب السردى وهي: "زمن السرد الذي يتم التعبير من خلاله عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب، ومظاهر السرد أو الكيفية التي تدرك بها القصة من طرف السارد، وأنماط السرد التي تتوقف على نوع الخطاب المستعمل من طرف السارد من أجل إبلاغنا القصة"^(٥).

فهذه الجوانب الثلاثة لا تدرس عناصر البنية السردية منفصلة، إنما تنظر إليها من خلال علاقتها ببقية العناصر، وتربطها بمكونات السرد الرئيسة: الراوى، والمروى، والمروى له؛ ولأهمية هذه الجوانب الثلاثة وشموليتها ستنطلق منها هذه الدراسة في تحليلها لبنية الخطاب السردى في رواية (ساق البامبو)؛

الدراسات اللسانية بنى نقاد السرد تحليلهم للنص السردى، إذ رأى الشكلاى توماشفسكى أن العمل السردى يتكون من قسمين أساسيين هما: المتن والمبنى، وقصد بالأول (مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يتم الإخبار بها خلال العمل)، أما الثانى وهو المبنى الحكائى فقصده به (نظام ظهور هذه الأحداث فى العمل)^(١).

وقد أكد تودوروف هذا التقسيم الثنائى فى بحثه (مقولات السرد الأدبى)، وسمّى المتن (قصة)، والمبنى (خطاباً)، مشيراً إلى أهمية الخطاب فى بناء النص وتشكيله، حيث يقول: "للعمل الأدبى مظهران: فهو قصة وخطاب فى الوقت نفسه. بمعنى أنه يثير فى الذهن واقعاً ما، وأحداثاً قد تكون وقعت، وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية... غير أن العمل الأدبى خطاب فى الوقت نفسه، فهناك سارد يحكى القصة، أمامه يوجد قارئ يدركها. وعلى هذا المستوى ليست الأحداث التي يتم نقلها هي التي تهتم، إنما الكيفية التي بها أطلعنا السارد على تلك الأحداث"^(٢).

واستناداً إلى هذا التقسيم الثنائى: قصة وخطاب، يكون المقصود (بالخطاب السردى) "الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية فى الرواية. وقد تكون المادة الحكائية واحدة، لكن ما يتغير هو الخطاب فى

(١) تقسيم توماشفسكى للعمل السردى، ينظر: توماشفسكى، (نظرية الأغراض)، ضمن كتاب (نظرية المنهج الشكلى: نصوص الشكلايين الروس)، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت)، الشركة المغربية للناشرين المتحدّين، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ١٨٠.

(٢) تزفيتان تودوروف، (مقولات السرد الأدبى)، ضمن كتاب (طرائق تحليل السرد الأدبى)، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٤١.

(٣) د. سعيد يقطن، تحليل الخطاب الروائى، ص ٧.

(٤) د. سحر شبيب، مقال "البنية السردية والخطاب السردى فى الرواية"، مجلة دراسات فى اللغة العربية وآدابها، سوريا، ع ١٤، ٢٠١٣م، ص ١٢٠.

(٥) تودوروف، مقولات السرد الأدبى، ص ٥٥.

فقسّم توماشفسكي السرد انطلاقاً من موقع راويه إلى سرد موضوعي، وسرد ذاتي، يكون السارد في النوع الأول عالمًا بكل شيء، لا تخفى عليه دوائر شخصياته، وأفكارها، وأسرارها. أما في النوع الثاني فيتتبع الحكيم من خلال عيني الراوي^(٣).

ثم قدم جان بويون تقسيماً آخر لزوايا الرؤية حين ذكر أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- رؤية من الخلف: يكون فيها السارد مطلعاً على كل شيء، ومعرفة تفوق معرفة الشخصية الروائية.

٢- رؤية مع: تكون فيها معرفة السارد مساوية لمعرفة الشخصية الروائية.

٣- رؤية من الخارج: تكون فيها معرفة السارد أقل من معرفة الشخصية الروائية.

وزاد تودوروف على هذا التقسيم (الرؤية المجسمة) وتعني تعدّد زوايا الرؤية للحدث الواحد بتعدد الشخصيات الروائية^(٤).

ثم جاء جنيت وأطلق مصطلح (التبئير) على (زوايا الرؤية)، مفصلاً القول حول أنواع التبئير^(٥).

وقد صاحبت الآراء النقدية السابقة، وتوالت بعدها جهود نقدية أخرى درست راوي العمل السرد، وفصلت في أنواع رؤيته ووجهات نظره، غير أننا نكتفي بما ذكرناه من هذه الآراء؛ لأهميتها، ولأن هذه

حيث ستقف أولاً عند مظاهر السرد في الرواية، مبيّنة زاوية الرؤية التي يعرض من خلالها السارد أحداث قصته، ثم ستتطرق إلى صيغ الحكيم أي (أنماط السرد) موضحة تنوع صيغ الخطاب المستخدم، وتباين أساليبه، ثم ستفصل الحديث عن زمن السرد في الرواية وأهم تقنياته، وتقاطعاته مع الفضاء الحكائي.

أولاً: مظاهر السرد

تتضافر ثلاثة مكونات أساسية لتشكيل النص السرد، وهي: الراوي، والمروي، والمروي له. وإذا كان النقد قديماً ركزوا على دراسة المروي بعناصره من أحداث، وشخصيات، وزمان، ومكان، فإن النقد المحدثين اهتموا بدور المكونين الآخرين في تركيب النص وإبداعه.

ففيما يتعلق بالراوي وهو من يقوم بسرد الحكاية وتقديمها، وهو يختلف عن المؤلف، فالمؤلف "هو خالق العالم التخيلي وهو الذي اختار الأحداث والشخصيات والبدائيات والنهايات، كما اختار الراوي.. فلاشك أن هناك مسافة تفصل الروائي والراوي.. إذ إن الراوي قناع من الأقنعة العديدة التي يتستر وراءها الروائي لتقديم عمله"^(١). وقد اجتهد النقد في تحديد موقع الراوي في الحكيم، وعلاقته بما يروي، مبيينين كيف يظهر السرد من خلال منظوره وزوايا رؤيته، وهو ما عُرف بمفهوم الرؤية السردية "أي الطريقة التي بواسطتها تدرك القصة عن طريق الراوي، وذلك في علاقته بالمتلقي"^(٢).

(١) د. سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م، ص ١٨٤.

(٢) د. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص ٢٩٣.

(٣) ينظر: توماشفسكي، نظرية الأغراض، ص ١٨٩.

(٤) ينظر: تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ص ٥٨-٥٩.

(٥) ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، الهيئة العامة للطباعة الأميرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص ٢٠١-٢١٨؛ وينظر: جيرار جنيت، عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٩٥-١٠٣.

يعرف سببه إلى أن قال: "سألت غسان في حين كنت أنظر إلى الشوارع وراء زجاج النافذة: طريقتنا مختلفة في رفع الأعلام عن طريقكم... في الفلبين يكون العلم في أعلى السارية. هز غسان رأسه... قال: وفي الكويت كذلك، وفي كل مكان، ولكن الدولة في حالة حداد. حداد؟! سألته منتظرا منه أن يوضح. قال: الأعلام منكسة.. مات أمير البلاد فجر اليوم"^(٢). ففي كلا النموذجين تتساوى معرفة السارد مع معرفة بطل الرواية.

ولأن البطل هو الراوي فإن الرؤية السردية في هذا العمل هي رؤية داخلية انطلقت من داخل العمل السردى، وتأثرت بموقع البطل في السياق السردى، وبدوافعه وتوجهاته؛ فشكّلت العمل من زاوية رؤيته، وعرضت أحداثه وشخصياته من خلال وجهة نظره. وقد اتضح ذلك في تصوير عيسى لشخصيات الرواية، فهو يصفها من وجهة نظره، ومن خلال مشاعره تجاهها من ذلك قوله واصفاً عمته عواطف ونورية أثناء نقاشهما مع جدته غنيمه حول مصيره في الكويت: "عمتي عواطف الكبرى ترتدي عباءة سوداء.. وجهها يخلو من المساحيق تماماً، ملامحها مريحة... باسمه طيلة الوقت، تبدو ودودة... ملامحها إلى جانب وجهها البشوش جعلت منها صورة آدمية عن الدلفين. أما نورية فقد كانت على النقيض تماماً.. تبدو واثقة جداً.. حادة الملامح. ترفع ذقنها وحاجبيها حين تتحدث. تبدو متعالية.. طال نقاشهم حتى جاوز الساعة.. الدلفين يبتسم بسداجة.. سمكة القرش تتحدث بعصبية. والنسر

الدراسة ستستند عليها في تحليل مظاهر السرد في رواية (ساق البامبو).

فالسرد في هذه الرواية منذ الوهلة الأولى يحدد الراوي، حينما يستهل الحكى بعبارة (اسمي Jose)، فاستخدام ضمير المتكلم دل على أن القصة ستروى بلسان (البطل) (هوزيه / عيسى) فهو الشخصية الرئيسية في الرواية، وهو من سيقوم بدور الراوي. فالسرد ذاتي أشبه بسيرة ذاتية للبطل، مما يعني أن الأحداث ستقدم من زاوية رؤية السارد الذي هو البطل، وبالتالي فإن نوع الرؤية السردية هي (رؤية مع) وفيها تتساوى معرفة الراوي بمعرفة البطل، فلا يتعرف الراوي على الأشياء إلا حينما يتعرف عليها البطل، فمعه يكشف الأحداث، ويستجلي بواطن الشخصيات. وقد دلت على ذلك مواضع كثيرة في الرواية منها على سبيل المثال حينما تحدث بطل الرواية (هوزيه / عيسى) عن العجوز (إينانغ تشولينغ) التي لم يعلم أنها والدته جده (ميندوزا) إلا بعد موتها حيث يقول: "خرج القس بعد أن أنهى مهمته.. ألقى ميرلا بسؤالها بصوت خفيض: صور جدّي على جدران إينانغ تشولينغ.. لماذا؟... ومن دون أن تلتفت ماما أيذا أجابت: ليس غريباً أن تزين الأم جدرانها بصور ولدها الوحيد.. تبادلنا أنا وميرلا النظرات غير مصدقين. سألتُ ماما أيذا: إينانغ تشولينغ هي والدته ميندوزا؟! هزت رأسها إيجاباً والدموع تسيل على وجنتيها بسخاء"^(١).

وكذلك حين وصف البطل / السارد وصوله إلى مطار الكويت وما شاهده من حزن في وجوه الناس لم

(١) رواية (ساق البامبو)، ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٧-١٨٨.

المنغولي العجوز يُخرس الجميع بإشارة من رأسه.. في حين بقي الجرد الذي هو أنا أخرس ينقل نظراته مرتبكا من دون أن يفهم شيئا مما يدور حوله سوى نظرات حانية من عصفورة وديعة اسمها خولة^(١). فالسارد البطل وصف عمته (عواطف) في طبيبتها وإلفها بالدلفين، وعمته (نورية) في قوتها وعدائيتها بسمكة القرش، وجدته بجبروتها مثل النسر المنغولي، وأخته خولة برقتها ووداعتها مثل العصفورة. فهذه الصفات عكست مشاعره تجاه هذه الشخصيات، ونبعت من مواقفها تجاهه، فهو يصورها من زاوية رؤيته لها داخل العمل السردى.

ورغم أن الرواية غلبت عليها (الرؤية مع) حيث يرى السارد من خلال عيني البطل، إلا أنها في مواضع كثيرة تتحول إلى (رؤية من الخلف) فيروي السارد بضمير الغائب، ويتحول إلى سارد عالم بكل شيء، فيخبر عن أحداث وقعت أو أخرى ستقع مثل قوله: "عملت والدتي في بيت كبير، تسكنه أرملة في منتصف الخمسينات مع ولدها البكر وبناتها الثلاث. هذه الأرملة أصبحت جدتي في ما بعد"^(٢). أو يكشف عما يدور في أذهان بعض الشخصيات، وما تكنه في صدورهما مثل قوله: "كان والدي على يقين أن مجيئي إلى هذا العالم كفيل بتغيير جدتي... لم تندم أُمي على شيء في حياتها، بما في ذلك زواجها من والدي وحملها بي"^(٣).

وكثيراً ما يسرد البطل /السارد الأحداث سرداً مظهرًا علمه بكل شيء مثل: المواضع التي يُعرّف فيها

بخالته آيدا^(٤)، أو بالظروف التي ساقته والدته للعمل في الكويت، وكيف حملت به^(٥)، أو حينما يعطي خلفية عن بعض شخصيات القصة مثل: غسان^(٦)، أو خولة^(٧). ففي كل هذه المواضع يعرض السارد القصة من خلال (رؤية من الخلف) يروي أحداثها وهو عالم بها، لا يعرضها من خلال عيني البطل ومشاهداته، إنما من خلال معرفته السردية بكل تفاصيل الرواية، وخلفيات أحداثها، ودوافع شخصياتها. فالسارد في هذه المواضع يبدي معرفة شاملة يتقن بالبطل لإظهارها.

وبذلك فإن السارد تارة يعرض الأحداث من زاوية رؤية البطل من خلال (الرؤية مع)، وتارة يطل من زاوية أخرى أشمل هي (الرؤية من الخلف)، مما جعل هذا العمل السردى يتسم بتنوع الرؤية، حيث تنازعت نوعان من الرؤية السردية (رؤية مع) وهي التي سيطرت على النص من أوله إلى آخره، تخللتها (رؤية من الخلف) تشرح تفاصيل سردية، وتُعرّف ببعض الشخصيات والأحداث التي يتطلبها السياق السردى.

وهذا التنوع في الرؤية السردية كسر رتابة القصة، وأضفى عليها نوعاً من التشويق، غير أنه لم يخرجها من النمط التقليدي، إذ ظل البطل السارد مسيطراً على النص السردى، موجّهاً إياه من منظوره فقط. فالصوت السردى ظل واحداً هو صوت البطل، والأصوات الأخرى التي وردت في الرواية مثل:

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩-٢٢.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣-٤١.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١٢.

(١) رواية (ساق البامبو)، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٨.

ويحددها في الغالب نوع الرؤية السردية. ففي الأجزاء التي سيطرت عليها (الرؤية مع) استخدام السارد أسلوب (العرض) (بصفته إحدى شخصيات الرواية)، فجعلنا نتابع أحداث الرواية من خلال الحوار الدائر بين الشخصيات، من ذلك مثلاً حوار رجل الأعمال الكويتي مع جوزفين التي جاءتته تسأله عن زوجها راشد، فقد دار على النحو التالي: " - اسمى إسماعيل..

- أجابته أمي: أنا جوزفين.. سيدي..
- ثم أشارت نحوي: وهذا عيسى.. اب....
- قاطعتها: هوزيه!
- صحت والدتي: هوزيه ابني.
- قال: سررت بلقائكما..
- سيدي أريد أن أسألك عن رجل..
- حسبت أنك بحاجة إلى عمل! "... (٣).

لأن البطل هو السارد، فقد نُقلت جميع الحوارات على لسانه حتى التي دارت بين الشخصيات الأخرى، وفي تحديد درجة النقل نلاحظ تفاوت المسافة بين السارد وما يسرد، فتارة يكون النقل مباشراً، أي يلتزم السارد بالنقل الحرفي عن الشخصيات المتحاور، وهو ما يُعرف (بالخطاب المنقول) كما في الحوار السابق بين إسماعيل الكويتي وجوزفين. وتارة يكون النقل غير مباشر أي مع تصرف بسيط في الحوار المنقول وهو ما يُسمى (بالخطاب المحول)، ومن ذلك قول عيسى حينما احتدم نقاشه مع جدته غنيمه قبل تركه منزل العائلة " ماذا تقول؟! بغضب سألتُ خولة. كانت تهز رأسها رافضة.

صوت الأم، أو خولة الأخت جاءت على لسان البطل، ومن زاوية رؤيته، ومن خلال وجهة نظره؛ مما جعل القصة تروى من زاوية نظر أحادية. وقد انعكست طريقة تقديم الرواية وزاوية عرضها على صيغ حكيها وبنائها، وهو ما سوف يتم التطرق إليه فيما يأتي.

ثانياً: صيغ الحكي

كثيراً ما ترتبط صيغ الحكي بالرؤية السردية التي يتم تقديم القصة من خلالها، فهي تنتج عنها وتترتب عليها، فإذا كانت الرؤية السردية التي أشرنا لها سابقاً في (مظاهر السرد) تتعلق بالكيفية التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد، فإن (صيغ الحكي) تتعلق بكيفية عرض القصة وتقديمها لنا^(١). فكلاهما يعتمد على تحديد موقع السارد في الحكي، هل هو يسرد من داخل الحكي مستخدماً ضمير المتكلم أو المخاطب، أو يسرد من خارج الحكي مستخدماً ضمير الغائب، وتبعاً لذلك انقسمت صيغ الحكي إلى نوعين رئيسيين هما: (الحكي) والمقصود به كلام السارد، وتعتمد الصياغة فيه على السرد المحض، أو الأسلوب البانورامي. أما النوع الثاني فيُسمى (العرض) ويُقصد به كلام الشخصيات، وتعتمد الصياغة فيه على الأسلوب المشهدي الحوارى، فنرى من خلاله الأحداث، دون أن نسمعها مسرودة كما في النوع الأول^(٢).

وإذا تتبعنا صيغ الحكي المستخدمة في رواية (ساق البامبو) سنجدتها متنوعة ما بين حكي وعرض،

(١) ينظر: تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ص ٦١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٦١.

(٣) رواية (ساق البامبو)، ص ٩٨.

شقة صغيرة سكن الاثنان. شقة بمستوى راتب والدي المتواضع آنذاك. لا يتردد عليهما في سكنهما سوى غسان ووليد، اللذين شهدا على زواجهما الرسمي بعد انتقالهما إلى سكنهما الجديد^(٤).

ويتضح مما سبق أن الرواية لم تعتمد على نوع واحد من أنواع الصيغ الكبرى: العرض أو الحكى، إنما وظفت النوعين في سياقها؛ فأكسبت الأسلوب غنى وتنوعاً، ولم تقتصر على ذلك بل نوعت أيضاً في استخدام الصيغ الصغرى، فتارة يُضمّن (الحكى) أو يقطع (العرض) بفقرات وصف لأشخاص أو أشياء، من ذلك وصف عيسى لجده غنيمه^(٥)، ولوالده^(٦)، ولوليد صديق والده^(٧)، ولإينانغ تشولينغ^(٨)، وللرجل الكويتي إسماعيل^(٩)، ولجده ميندوزا^(١٠)، ولميرلا ابنة خالته^(١١)، ولغسان صديق والده^(١٢)، ولأخته خولة^(١٣)، ولعمتيه عواطف ونورية^(١٤).

ومن وصف الأشياء تصوير عيسى لبيت جدته غنيمه، وما كان عليه من فخامة وجمال^(١٥)، ووصفه غرفته في بيت جدته التي لم يكن ينقصها شيء^(١٦). ومن الصيغ الصغرى التي تخللت أسلوب الرواية الفقرات التأملية أو الفلسفية، فكثيراً ما كان السارد

أخبرني ماذا تقول؟!، ألححت عليها. أجابت وهي تدبر ظهرها تساعد جدتي على العودة إلى الداخل. غسان جاء بك انتقاماً من عائلتنا إزاء رفضها زواجه من عمتي هند^(١).

وبالإضافة إلى النوعين السابقين في عرض كلام الشخصيات وردت أيضاً حوارات الشخصيات مسرودة على لسان البطل/السارد، وقد تقيّد بمضمونها لا بلفظها، وهو ما يُعرف (بالخطاب المسرود)، من ذلك قول عيسى: "قالت لي آيدا إن أمي تحبني.. تشتاقني كثيراً"^(٢).

يتبين من خلال ما سبق أن السارد نوع في مستويات عرضه لكلام الشخصيات، فتفاوتت المسافة بينه وبين الشخصيات التي ينقل عنها، فتارة يستخدم (الخطاب المنقول)، وتارة (الخطاب المحول)، وفي أحيان كثيرة يميل إلى (الخطاب المسرود) الذي يمنحه التصرف في الحوار المنقول، ويعزز حضوره السردى فيما ينقل^(٣).

وإذا كانت صيغ (العرض) التي تمثل كلام الشخصيات بمختلف مستوياتها قد غلبت على الأجزاء القصصية التي كانت فيها الرؤية السردية (رؤية مع)، فإن الفقرات القصصية التي عُرضت من خلال (الرؤية من الخلف) استخدم فيها السارد أسلوب (الحكى)، فنقل إلينا الأحداث بطريق غير مباشر من خلال سرده وحكيه لها، من ذلك مثلاً قوله واصفاً حال والديه بعد أن طردتهما جدته: "في

(١) المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٣.

(٣) للاستزادة حول أنواع كلام الشخصيات، ينظر: محمد بو عزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ١١٨-١١٩.

(٤) رواية (ساق البامبو)، ص ٤٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٩، ٢١٨.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٦.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٥، ٥٦.

(٩) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٧.

(١٠) ينظر: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(١١) ينظر: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(١٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(١٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١٧.

(١٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(١٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١٧.

(١٦) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣٢.

بالمأنجو والجاكفروت والأناناس والموز وجميع الأشجار التي تنبت في أرض ميندوزا^(٣). فقد دلت عبارة (أحدثي) على حديث الشخصية مع نفسها أو ما يُعرف (بالمونولوج). وقد تكرر المونولوج في مواضع أخرى من الرواية بمؤشرات لسانية أخرى دلت عليه مثل (قلت في نفسي)^(٤).

ويُلاحظ أن المونولوج يقتصر (في جميع المواضع التي ورد فيها) على الشخصية المحورية، شخصية البطل (عيسى/هوزيه)، وقد قُصد من هذا التوظيف الأسلوبى للمونولوج إيضاح الشخصية الرئيسة التي تدور حولها الرواية، وكشف ما يعتمل في نفسها من مشاعر، وما يجول في خاطرها من أفكار.

وبالإضافة إلى تنوع الصيغ السردية الصغرى ما بين مونولوج، ووصف، وتأمل، وفلسفة اعتمدت الرواية على أساليب سردية حديثة حكمت من خلالها بطريقة غير مباشرة، فاستخدمت مثلاً الرسائل، حيث أوردت نماذج كاملة منها ضمن السياق الحكائي، وجعلتها جزءاً من البنية الأسلوبية، وميّزتها كتابياً بالخط الأسود الغامق المائل إشارة إلى وجود كولاج روائي، الغرض منه كسر رتابة الحكى المباشر، وإضفاء واقعية على الرواية، حيث جعلت القارئ يشعر أنه يشارك السارد في تلقي الحدث مباشرة من الرسائل الواردة، أي يتلقاها من مصدرها الأصلي، لا من خلال كلام السارد أو كلام الشخصيات. من هذه الرسائل التي شكّلت جزءاً من التركيبة الأسلوبية لرواية (ساق البامبو) الرسائل المتبادلة بين والد

يقطع بها حكيه، بأثاً من خلالها آراء المؤلف وتعليقاته. فمن الفقرات التي يتأمل فيها عيسى الطبيعة من حوله وهو في (بياك - نا - باتو) قوله: " طفت بنظري حول الصخور الكبيرة، والأشجار العملاقة، والكهوف العظيمة. أقسم بأني كنت أستمع إلى وشوشة الصخور من حولي.. حفيف الأشجار.. خرير الماء.. كل شيء يهمس بشيء أجهل لغته. آمنت منذ ذلك اليوم بأن لكل شيء روحاً"^(١).

ومن الفقرات التي عكست فلسفة السارد/ البطل قوله عن الحزن: " الحزن مادة عديمة اللون، غير مرئية، يفرزها شخص ما، تنتقل منه إلى كل ما حوله، يُرى تأثيرها على كل شيء تلامسه، ولا تُرى. هكذا كانت الكويت في الأيام الأولى لوصولي، يفرز الناس أحزانهم، تنتشر بها الأرض والسماء والهواء.. وكل شيء"^(٢).

فهذه الفقرات التأملية والفلسفية يطل من خلالها المؤلف مقحماً أفكاره ومعتقداته في نسيج البنية السردية للرواية محدثاً خرقاً أسلوبياً، الغرض منه التقرير.

ولم تقتصر الصيغ الصغرى على الوصف وخطابات التأمل والفلسفة، إنما عمد السارد في كثير من الأحيان إلى المونولوج (الحوار الداخلي) يطعم فيه أسلوبه، من ذلك قول عيسى " كنت أجلس على الأرض مواجهاً الشارع الرئيسي، وورائي مساحة ترابية تملأ من البيوت... كنت أنظر إلى المساحة الترابية ورائي وأحدثني: لو كانت لي.. لزرعتها

(٣) رواية (ساق البامبو)، ص ٢٤٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣١، ٢٣٩.

(١) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠.

بالتتابع المنطقي للأحداث، فيقدم ويؤخر كيفما يشاء^(٤).

ومن الطبيعي أن يختلف زمن الخطاب عن زمن القصة ؛ لأن " زمن القصة زمن متعدد الأبعاد. ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجري في آن واحد"^(٥). أما زمن الخطاب فهو زمن خطي، ينتقي فيه المؤلف الأحداث، وينسقها زمنياً وفق إرادته^(٦). ويتضح اختلاف الزمنين في رواية (ساق البامبو)، فعند ترتيب الأحداث وفقاً لزمن القصة تكون على النحو الآتي:

- ١- حياة جوزفين في الفلبين وظروفها الصعبة التي دفعتها إلى العمل في الكويت.
 - ٢- عمل جوزفين في الكويت وزواجها من راشد، وإنجابها عيسى.
 - ٣- عودة جوزفين إلى الفلبين، ونشأة عيسى فيها.
 - ٤- عودة عيسى إلى الكويت شاباً.
 - ٥- بداية كتابة عيسى لقصته.
 - ٦- عودة عيسى إلى الفلبين، واختياره البقاء فيها.
 - ٧- نهاية كتابة عيسى لقصته بعد ثلاث سنوات من رجوعه إلى الفلبين، وتحديدًا عام ٢٠١١م.
- هذا هو التسلسل الطبيعي للأحداث كما هو مفترض في زمن القصة، غير أنها لم ترد في الرواية على هذا النحو، وإنما وردت بتقديم وتأخير، وهو ما عُرف (بزمن الخطاب)، وفيه تشظت البنية الزمنية، إذ

عيسى ووالدته^(١)، أو تلك المرسلة من والدته إلى خالته آيدا^(٢)، أو الرسائل التي كانت بينه وبين ميرلا^(٣).

هذا التنوع في صيغ الحكى ما بين: عرض وسرد، والتعدد في الصيغ الصغرى التي وظفتها الرواية في سياقها ما بين: وصف، وتأمل، وفلسفة، ومونولوج، والاستعانة بأساليب سردية حديثة في الحكى مثل: الرسائل؛ أخرج أسلوب الرواية من النمطية، وأكسبها جدة وتشويقاً جذب إليها المتلقي، ودفعه لمتابعة قراءتها دون أن يتسلل الملل إلى نفسه.

ثالثاً: الزمن

(أ) تشظي البنية الزمنية:

يعد الزمن من العناصر المهمة في تشكيل البنية السردية، فعليه تبنى الرواية، ومن خلال مؤشرات ودلالاته يتم توجيه أحداثها، ورسم نسقها العام. وقد تعمقت دراسة هذا المكون السردى مع ظهور الأنماط الروائية الجديدة التي ركزت في بنيتها السردية على التقنيات الزمنية، فتم تجاوز النظرة التقليدية التي تحصر الزمن في دلالاته التاريخية إلى نظرة أعمق تبحث في أنواع الزمن وتقنياته السردية، وكيفية توظيفه في البناء الروائي.

فقسّم الزمن بحسب طريقة ترتيب الأحداث إلى: زمن القصة، وزمن السرد (الخطاب)، فُصِدَ بالأول الترتيب الطبيعي للأحداث، وفُصِدَ بالثاني الزمن الذي يعرض من خلاله الساردُ القصةَ دون التقيد

(٤) ينظر: د. حميد لحداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ٧٣.

(٥) تودوروف، مقولات السرد الأدبي، ص ٥٥.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٥.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٧١-٧٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٨٢-٨٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٨١-٢٨٢، و ص ٣٢٠-٣٢٢، و ص ٣٢٨-٣٢٩.

أحدث هذا التقديم والتأخير مفارقات زمنية^(١)، قطعت التسلسل الزمني للرواية إما بتذكر أحداث ماضية، وهو ما يُسمى (بالاسترجاع)، أو استشراف أحداث مستقبلية، وهو ما يُسمى (بالاستباق). وهذا التوقف الزمني للاسترجاع أو الاستباق أدى إلى تشظي البنية الزمنية. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ترتيب الأحداث وفقًا لزمن الخطاب، وتعيين مواضع المفارقة الزمنية، وأنواعها، وأغراضها، وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

(١) للاستزادة حول المفارقة الزمنية، ينظر: د. حميد لحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص ٧٤.

ترتيب الأحداث وفقاً لزمن الخطاب	التحديد الزمني	نوع المفارقة الزمنية	غرضها
١- عيسى يكتب قصته.	عام ٢٠٠٨م	-	-
٢- عمل والدته (جوزفين) في الكويت.	في منتصف الثمانينات	استرجاع	الإخبار
٣- الظروف التي أدت إلى عمل والدته.	قبل منتصف الثمانينات	استرجاع	التوضيح
٤- طفولته عندما روت له والدته قصة زواجها من والده.	في العاشرة من عمره عام ١٩٩٨م	استرجاع	الإخبار
٥- والدته تروى قصة ولادته، وعودتها معه إلى الفلبين.	منتصف الثمانينات	استرجاع	الإخبار
٦- قصة حياة جده ميندوزا.	منذ عام ١٩٦٦م	استرجاع	التوضيح
٧- حياة والدته في الفلبين: طلاقها من راشد، وزواجها البيرتو، وإنجابها أدريان.	بعد الثمانينات	استرجاع	الإخبار
٨- علاقة عيسى بميرلا ابنة خالته.	٢٠٠٢م	استرجاع	الإخبار
٩- أسطورة بينيا (الأناناس).	زمن قديم	استرجاع	التشويق
١٠- رحيل عيسى عن بيت جده، وعمله، ولقائه بشباب كويتيين في بوراكي.	في السادسة عشرة من عمره عام ٢٠٠٤م	استرجاع	الإخبار
١١- عودته إلى الكويت.	٢٠٠٦م	استرجاع	الإخبار
١٢- دور المقاومة أثناء احتلال الكويت.	التسعينات	استرجاع	الإخبار
١٣- ذكريات والده من خلال صورته.	قبل الثمانينات	استرجاع	التوضيح
١٤- قصة (لايو - لايو) سلطان ماكتان الفلبيني المسلم.	١٥١٢م	استرجاع	الإخبار
١٥- قصة أبو سيف واختطاف الرهائن في الفلبين.	٢٠٠١م	استرجاع	الإخبار
١٦- قصة عائلة الطاروف.	قبل منتصف الثمانينات	استرجاع	التوضيح
١٧- قصة أخته خولة.	التسعينات	استرجاع	التوضيح
١٨- إقامته في بيت العائلة.	٢٠٠٦م	استرجاع	الإخبار
١٩- قصة البطل الفلبيني خوسيه ريزال.	إبان الاستعمار الإسباني للفلبين	استرجاع	الإخبار
٢٠- رحيله عن بيت العائلة.	بعد عدة شهور من إقامته عام ٢٠٠٦م	استرجاع	الإخبار
٢١- عمله وتعرفه على المجتمع الكويتي ولقائه بشباب بوراكي.	من ٢٠٠٦ - إلى ٢٠٠٨م	استرجاع	الإخبار
٢٢- بداية كتابة قصته.	٢٠٠٨م	استرجاع	الإخبار
٢٣- الرجوع إلى الفلبين وتأسيس أسرة.	٢٠٠٨م	استرجاع	الإخبار
٢٤- نهاية كتابة القصة.	٢٠١١م	استرجاع	الإخبار

ويقطع من خلالها تسلسل المراحل الزمنية في الرواية، من ذلك أسطورة بينيا^(٤)، ومن السير الذاتية قصة الجد ميندوزا^(٥)، وقصة لايو - لايو سلطان ماكتان المسلم^(٦)، وقصة أبي سيف الفلبيني^(٧)، وقصة عائلة الطاروف^(٨)، وقصة خولة^(٩)، وقصة البطل الفلبيني خوسيه ريزال^(١٠). فجميع هذه القصص قطعت زمن الرواية، غير أن السرد استدعاها، وحقق من خلالها وظائف سردية تراوحت بين: التوضيح، والإخبار.

ومن الطبيعي أن يسيطر الاسترجاع على الرواية؛ فقد عرضت بطريقة (الفاش باك) إذ بدأت من النهاية؛ مما جعل سياقها العام يُبنى على صيغة (الماضي) صيغة الاسترجاع، ولا يعني ذلك غياب الاستشراف أو الاستباق تمامًا من تركيبة البنية الزمنية في الرواية، فقد وردت استباقات محدودة جدًا كما في قول السارد (عيسى): "من أصبحت بعد زمن جدتي"^(١١)، وكذلك قوله: "كان والدي على يقين أن مجيئي إلى هذا العالم كفيل بتغيير جدتي. وأنها ستأخذني إلى حضنها ما إن تراني محمولا بين يديه معلنا تنويجها جدّة"^(١٢). ومثل الفقرات التي يتخفف فيها من عبء واقعه بالشرود الذهني، وتخيل ما

يُلاحظ أن السارد/البطل عيسى حرص منذ بداية الرواية على تحديد زمنها: حينما استهل قصة والدته جوزفين بقوله: "جاءت والدتي للعمل هنا... في منتصف ثمانينيات القرن الماضي"^(١)، وحينما ختم الرواية بتذييل تاريخ الانتهاء من كتابتها وهو عام (٢٠١١م)^(٢).

فبين أن أحداث هذه الرواية تدور في ستة وثلاثين عاما، وهي سنوات عمر بطل الرواية (عيسى) منذ ولادته، إلى أن اتخذ قراره بالبقاء في موطن والدته الفلبين (حيث نشأ، وترعرع).

ورغم هذا التحديد الزمني لم يتقيد زمن الخطاب بالتسلسل الزمني للأحداث، فكما اتضح من خلال الجدول السابق تم تقديم أحداث، وتأخير أخرى، واستدعاء سير وأساطير من أزمنة قديمة؛ مما أحدث مفارقات زمنية، تبين من خلال الوقوف عليها أن معظمها جاء استرجاعًا إما ذاتيًا يعرض من خلالها السارد ذكريات طفولته وشبابه، حياته في الفلبين، وغربته في الكويت، أو استرجاعًا غيريًا تسترجع فيه الشخصيات الأخرى في الرواية ذكرياتها (كما في الأحداث التي رواها جوزفين عن زوجها براشد، وولادتها لعيسى)^(٣)، أو استرجاعًا مطلقًا تُستدعى فيه أساطير وسير ذاتية لبعض شخصيات الرواية، تعود أحداثها إلى أزمنة قديمة تسبق زمن الرواية الذي حدده المؤلف، فيضمنها السارد السياق الروائي،

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٠-١٢٤.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٦١-٦٢.

(٦) ينظر: رواية (ساق البامبو)، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١١.

(٩) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١١-٢١٣.

(١٠) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(١١) المرجع السابق، ص ١٩.

(١٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

(١) رواية (ساق البامبو)، ص ١٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٩٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٣١-٥١.

١- الوقفة:

يُقصد بها قطع السرد إما بالوصف الذي " يقتضي انقطاع السيرورة الزمنية، وتعطيل حركتها. فيظل زمن القصة يراوح في مكانه بانتظار فراغ الوصف من مهمته، حيث ينقطع سير الأحداث، ويتوقف الراوي ليصف شيئاً أو مكاناً أو شخصاً. وليست هذه الوقفات الوصفية زائدة، بل هي أهداف سردية، يضيء السرد فيها الحدث القادم، وتتجلى فيها أسلوبية الروائي" (٢).

وقد تنوع الوصف في الرواية فتارة يصف السارد الأشياء، كما في قول عيسى واصفاً المقاعد في معبد (سينغ - غوان): "أشار تشانغ نحو مقاعد أرضية جلدية حمراء. ستة صفوف يحتوي كل واحد منها على عشرة مقاعد متلاصقة، ليس لها مساند للظهر أو لليدين. ارتفاعها لا يتجاوز الثلاثين سنتيمترا... (٣)".

وتارة يقطع السرد بوصف الأماكن من ذلك وصف عيسى بيت جدته غنيمه، حيث يقول: "جميل هذا البيت... تتناسق الألوان.. الأثاث.. رخام الأرضيات وقطع السجاد الفاخر.. النقوش على الجدران.. الثريات المتدلّية من السقف.. الستائر المخملية الفخمة.. الطاولات الخشبية الصغيرة تغطيها مفارش مرصعة بقطع صغيرة تشبه اللاّلي والأحجار الكريمة.. مزهريات بأحجام مختلفة تحمل سيقان

سيقع من ذلك قوله: "أراني في خيالي مرتدياً الثياب البيضاء. أقبل رأس جدتي أهنئها بالعيد. طردت الصورة من رأسي بعد أن مللت ممارسة الخيال الكاذب" (١).

وأياً كانت هذه المفارقات الزمنية: استرجاعات أم استباقات فقد قطعت التسلسل الزمني لأحداث الرواية، وأحدثت خروفاً في البنية الزمنية، خروفاً لم تُخل بالبناء العام للرواية، إنما أضفت عليها تشويقاً وجمّالاً فنياً، فكما اتضح من خلال الجدول السابق تنوعت الوظائف السياقية التي أدتها هذه المفارقات الزمنية ما بين إخبار، وإيضاح، وتشويق، وجميعها غايات اقتضاها السياق، واستلزمها المقام؛ فقد كسرت رتابة السرد المتواصل، وجذبت القارئ لمتابعة الرواية، وأضاءت فيها جوانب معتمة، وأضافت إليها أبعاداً معرفية وفنية؛ مما جعل تشظي البنية الزمنية ميزة لا عيباً في الرواية.

(ب) تقنيات الإيقاع السردية في الرواية:

يشعر القارئ لرواية (ساق البامبو) أن الإيقاع الزمني للرواية لا يسير على وتيرة واحدة، فتارة تتسارع مقاطعه، وتختزل أزمنته، وتارة يتباطأ فيه السرد، وتنخفض وتيرته. وهذا التذبذب في سرعة الإيقاع وبطنه أحدثته تقنيات سردية وظفها المؤلف، وقصّد من خلالها جذب القارئ، وشد انتباهه، وتحقيق وظائف سردية مختلفة، فمن التقنيات السردية التي عملت على تعطيل السرد وإبطائه:

(٢) محمد عزام، شعرية الخطاب السردية، اتحاد الكُتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ١١٠.

(٣) رواية (ساق البامبو)، ص ١٣٧.

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٤.

البامبو" (١).

فهذه الأوصاف للأشياء والأماكن وإن قطعت السرد، إلا أنها أضفت على الرواية واقعية، حيث جعلت القارئ يرى ما يراه السارد، فيشاركه اللحظة التي يعيشها.

وفي كثير من الأحيان، يعتمد السارد إلى قطع السرد بوصف الأشخاص وتصويرهم، من ذلك قوله عن الجد ميندوزا: "قصير القامة كان، داكن البشرة، خطوط غائرة تملأ جبينه ووجنتيه، عيناه غائرتان، تكادان تختفيان أسفل حاجبيه الكثين، يسعل باستمرار وكأنه يوشك أن يستفرغ رئتيه" (٢). وكذلك وصفه ميرلا بأن لها "شخصية قوية، ذكية، قيادية منذ كانت طفلة.. ممشوقة القوام، طويلة نسبياً، بيضاء البشرة مائلة إلى الحمرة، شعرها بني متموج، عيناها ملونتان" (٣). أو وصف خولة بأنها "تبدو أكبر من سنواتها الستة عشرة. سمراء، وتغطي شعرها بحجاب أسود، لها أنف دقيق بارز، شفتان دقيقتان، وأسنان بيضاء مصفوفة بشكل ملفت، جميلة، ولكنها تصبح فاتنة إذا ما ابتسمت" (٤). فوصف هذه الشخصيات ساعد في إيضاحها، ورسم صورة لها قربتها إلى القارئ.

وإن كانت الأوصاف السابقة (سواء للأشياء، أو الأماكن، أو الشخصيات) قد قطعت السرد، وأوقفت سيرورته الزمنية؛ لتحقيق غايات سردية، فإن ذلك لا

يعني أن كل أوصاف الرواية قطعت السرد فبعض المقاطع الوصفية جاءت جزءاً من الحبكة القصصية، ومن تأملات بطل الرواية؛ مما جعل "الوصف باعتباره استراحة وتوقفاً زمنياً قد يُفقد هذه الصفة عندما يلتجئ الأبطال أنفسهم إلى التأمل في المحيط الذي يوجدون فيه... ففي هذه الحالة يصعب القول بأن الوصف يوقف سيرورة الحدث؛ لأن التوقف هنا ليس من فعل الراوي وحده، ولكنه من فعل طبيعة القصة نفسها، وحالات أبطالها" (٥).

ومن الأوصاف التي لم تقطع زمن السرد، بل مثلت جزءاً من سياق أحداثه، وصف عيسى ملابس الأطفال في إحدى المناسبات الشعبية في رمضان، حيث يقول: "في أحد أيام رمضان، قبل منتصفه بقليل... كنت في غرفتي.. ومن خلف ستارة النافذة كنت أراقب الأطفال في الفناء الداخلي، أبناء عمتي عواطف ونورية... جرس الباب يدق بين حين وآخر. أطفال كثيرون يجتمعون عند الباب. يرتدون ثياباً مميزة. الأولاد بالثياب التقليدية البيضاء مع جاكيت بلا أكمام، تعلو رؤوس البعض طاقيات، والبعض الآخر يرتدي غطاء الرأس الأبيض مثل الرجال. ترتدي البنات ثياباً مختلفة. قطعة قماش خفيفة بنقوش ذهبية تغطي رؤوسهن وتمتد إلى منتصف أجسادهن. والجميع، أولاداً وبنات، يعلقون على رقابهم أكياساً من القماش..." (٦).

(١) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٥) د. حميد لحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص ٧٧.

(٦) رواية (ساق البامبو)، ص ٢٦٤.

يُلاحظ أن السياق كان يدور حول طقوس رمضان التي يشاهدها عيسى لأول مرة في حياته، ومن ضمنها الاحتفال (بالقرقيعان)، وهي مناسبة شعبية يلبس فيها الأطفال الأزياء التراثية، فجاء الوصف في سياق الحدث، وليس قطعاً له. فهذه المقاطع الوصفية المحدودة تجعلنا نقول: إن معظم الوصف في الرواية مثل وقفات سردية وليس كله.

وإذا كان الوصف أحد أشكال الوقفة التي تعطل السرد وتبطئ إيقاعه، فهناك شكل آخر للوقفة وهو التأمل، فكثيراً ما يقطع السارد زمن الأحداث بمقاطع تأملية؛ تروح عن النفس، وتخفف من وطأة الأحداث، وتلاحق الإيقاع، من ذلك مثلاً قوله متأملاً وجوه الناس في الحافلة التي أقلته من مانيل إلى بيته في فالنسويللا: "في الحافلة يتجاوز عدد الواقفين عدد الجالسين إلى المقاعد. ينام البعض وقفاً كالأحصنة، وقد صبغ التعب وجوههم بلونه الباهت... بين الوجوه كنت أرسل نظراتي باحثاً عن شيء. أمعنت النظر حولي. عمّال أحرقت الشمس وجوههم، موظفون وموظفات بلباسهم الرسمي، ممرضون وممرضات يشكّلون فريقاً أبيض اللون، أمّ ترضع صغيروها، أطفال يتزاحمون على النوافذ، يقربون وجوههم إليها، يشكّلون بزفيرهم غيوماً على الزجاج، وعلى الغيوم يرسمون أحلامهم الصغيرة بأناملهم.. الصغيرة. البعض يفسح مجالا لشيخ يتكى على عصاه، والبعض الآخر يسند عجوزاً... والمحصل، يتغلغل كالزئبق بينهم.. تهتز الحافلة..

تهتز الرؤوس لاهتزازها وتتمايل، تتوقف فجأة، تحمل مزيداً من الركاب. زحام فوق الزحام تبتلع الحافلة الكثير، وتلفظ القليل، ثم تنطلق من جديد. وأنا، مسحور بحكايات الوجوه من حولي. لا أحتاج لتخمين القصص التي تختفي وراءها، فكل وجه بحكاياته يبوح. أصدق في كل وجه أقرأه... نزعت نظراتي الشمسية. وضعتها أمام وجهي. ومن خلال عدستها العاكسة أخذت أصدق في هذا الوجه... سيصبح وجهي واحداً من الوجوه الباهتة التي أشاهدها حولي في الحافلة. فزعت! أي مصير ينتظرني هنا؟"^(١). فهذه الوقفة التأملية التي شغلت صفتين من صفحات الرواية عطلت السرد، إذ قطعت تتابع أحداثه، وأطالت زمن الرواية؛ فأشعرت القارئ بتباطؤ الإيقاع، إلا أنها أدت وظيفة سردية حيث نفذ البطل من خلال التمعن في وجوه الطبقة الكادحة من الناس الذين شاهدتهم في الحافلة إلى التأمل في ذاته وفي مصيره؛ مما أثار هلعاً على مستقبله.

٢- المشهد أو الحوار:

تُعد المقاطع الحوارية من التقنيات السردية التي تعمل على إبطاء السرد وتعطيله، فهي تمثل استراحات زمنية تخفف فيها وتيرة السرد، ويتباطأ فيها إيقاعه، وقد شغلت هذه الحوارات جزءاً كبيراً من الرواية؛ محدثة وقفات زمنية ومحطات استراحة متعددة تخللت متن الرواية.

(١) رواية (ساق البامبو)، ص ١٤٣-١٤٤.

رعاية جدتي غنيمه"^(٣). فالسارد هنا اختزل زواج راشد من إيمان، ووقوعه في الأسر، وولادة ابنته خولة، وزواج إيمان من زوج آخر بعد سنوات. اختزل كل هذه الأحداث التي استغرقت عدة سنوات في مقطع قصير، لم يتجاوز الأربعة أسطر؛ فأدى هذا التتابع السريع في عرض الأحداث إلى سرعة في الإيقاع الروائي.

٢- الحذف:

من تقنيات التسريع في الرواية الحذف، ويُقصد به حذف مراحل زمنية، دون الإشارة إلى أحداثها لا بتفصيل ولا بإيجاز. وقد جاء هذا الحذف مُعلنًا في بعض مواضع الرواية، أي محددًا بزمان معين كما في قول عيسى "تزوجت والدتي بعد حوالي سنتين من ألبيرتو"^(٤). فبعد أن ذكر السارد طلاق راشد لجوزفين، ذكر أنها تزوجت بعد سنتين من ألبيرتو، فحذف ما حدث في العامين من زمن السرد، وحدد الحذف بسنتين، فكان (حذفًا مُعلنًا) أي محددًا بزمان معين؛ وقد أدى هذا الحذف إلى اختزال السرد، وبالتالي إلى سرعة الإيقاع في الرواية. وقد ورد في الرواية أيضًا حذف ضمني أي غير محدد بزمان، كما في قول راشد في إحدى رسائله إلى جوزفين: "بعد أيام قليلة سأ تزوج من فتاة طيبة إيمان"^(٥). لم يشر راشد إلى الأحداث التي سبقت أو مهدت لزوجاه من إيمان، كما لم يحدد الأيام المتبقية

كما وجدت تقنيات سردية عملت على إبطاء السرد وتعطيله، وجدت أيضًا تقنيات سردية أخرى أسرعت إيقاع الرواية، وجعلت السرد يبدو في بعض المقاطع متلاحقًا وسريعًا، من هذه التقنيات السردية:

١- الخلاصة:

تعني اختزال الأحداث الروائية التي تقع في أيام، أو شهور، أو سنوات في مقاطع محدودة، أو عبارات موجزة، أو صفحات قليلة^(١)، ويشار إلى هذا التلخيص بمؤشرات لسانية تدل على ذلك؛ فيشعر القارئ عند المرور على هذه الأحداث المختزلة بسرعة في السرد، وتلاحق في الإيقاع.

وقد ورد التلخيص في بعض مقاطع الرواية من ذلك مثلاً قول السارد عيسى: "بعد حوالي ستة شهور من الترتيبات، بعد مكالمة غسان الأولى، استلمت جواز السفر من سفارة الكويت في مانيل"^(٢). فالسارد هنا لم يسترسل في توضيح الترتيبات، إنما ذكرها إجمالاً وتلخيصاً في قوله: "ستة شهور من الترتيبات".

وكذلك اتضح التلخيص في قول السارد أيضًا: "تزوج أبي في منتصف العام ١٩٩٠م من إيمان. لم يستمر معها طويلاً بسبب وقوعه في أسر قوات الاحتلال. أنجبت زوجته في سنة التحرير أختي خولة. واستقرت الاثنتان في بيت جدتي إلى أن تزوجت إيمان بـرجل آخر بعد سنوات؛ لتنتقل إلى بيته تاركة خولة في

(١) ينظر: أمانة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٨٢؛ و ينظر: د. حميد لحداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص ٧٦.

(٢) رواية (ساق البامبو)، ص ١٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٢-٢١٣.

(٤) رواية (ساق البامبو)، ص ٧٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٧٨.

يقتضي استمرارية الزمن^(٢).

وعند الوقوف على الفضاء الحكائي في رواية (ساق البامبو) يتبين أن الرواية بُنيت على ثنائية ضدية مكانية، مثلت مرحلتين زمنيتين في حياة بطل الرواية (عيسى) شكّلت فيها هويته، وتنازعت مشاعره وانتماءه، تمثلت هذه الثنائية الضدية في الجمع بين بيئتين متناقضتين في جغرافيتهما وفي سكانهما، فكل منهما أعراقه ولغته وديانته وعاداته وتقاليده التي تختلف عن الآخر، إحداهما الكويت مسقط رأسه وموطن والده، والأخرى الفلبين بلاد والدته وموطن نشأته وصباه.

بين هذين البلدين عاش (عيسى/هوزيه) حالة من الصراع النفسي، محاولاً البحث فيهما عن وطن يحتويه، وأرض ينتمي إليها، ويغرس فيها جذوره. وقد عبّر في مقاطع كثيرة من الرواية عن هذا الصراع الذي يشعر به، وهذا الرفض الذي واجهه، من ذلك مثلاً ما ذكره في مستهل روايته عن تعدد أسمائه، وما حمله ذلك من إشارة إلى ازدواجية انتمائه، فهو ليس بالفلبيني الخالص، ولا الكويتي الأصيل؛ مما جعل المجتمعين يستهجنانه ويرفضانه حيث يقول: "هوزيه، خوسيه، جوزيه أو عيسى.. ليست مشكلتي مع الأسماء أمراً ملحقاً للحديث حوله، ولا أسباب التسمية، فمشكلتي ليست في الأسماء، بل بما يختفي وراءها. عندما كنت هناك، كان الجيران وأبناء الحي،

على زواجهما، فكان ذلك حذفاً ضمنياً، أحدث في الموضوع الذي ذكر فيه سرعة في الإيقاع السردية. وقد تكرر هذا الحذف سواء المعلن أو الضمني في مواضع عديدة من الرواية^(١)؛ فكان من تقنيات تسريع الإيقاع في الرواية.

ويتضح من خلال ما سبق أن السارد اعتمد في بناء حبكة القصصية على تقنيات متعددة بعضها أحدث تعطّيلاً للسرد، وإبطاء لإيقاعه مثل: الوقفات الوصفية أو التأملية، أو المشاهد الحوارية. وبعضها الآخر أحدث تسريعاً للسرد، أشعر القارئ بتلاحق الإيقاع وتتابعه، مثل الفقرات التي تخللها تلخيص أو حذف لمراحل زمنية.

وهذا التناوب في إبطاء السرد وتسريعه من خلال تقنيات سردية متنوعة دفع الملل عن القارئ، وجذبه لمتابعة الرواية.

(ج) التضاد في تصوير الفضاء الحكائي:

عادة ما يحتاج الحدث الروائي إلى حيز مكاني يعرض من خلاله، ومن مجموع هذه الأماكن يتشكل الفضاء الروائي، فمفهوم الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان؛ لأن المكان يطلق على المكان المحدد والجزئي في الرواية، ويفترض دائماً توقفاً زمنياً لسيروية الأحداث، أما الفضاء فيشمل جميع الأماكن في الرواية، ويفترض تصور الحركة داخله، أي

(٢) ينظر: د. حميد لحمداني، *بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي*، ص ٦٣. وللاستزادة ينظر: المرجع السابق، ص ٥٣-٧٢؛ ومحمد عزام، *شعرية الخطاب السردية*، ص ٦٥-٧١.

(١) ينظر على سبيل المثال، المرجع السابق: ص ٨٢، ٩٠، ٩٦، ١٤٣، ٢٢٦، ٢٨٠، ٣٥٢.

أوراقى الثبوتية هي ليست كذلك. كانت الكويت في سنوات مضت هي الجنة التي سأفوز بها في يوم ما، والتي كان الناس هناك يبشرونني بها. كنت غريبًا، ولا أزال. حاولت بشتى السبل أن أتآلف مع كل شيء، رغم صعوبة.. كل شيء حاولت أن أخترق الحواجز والسدود المنيعَة التي ارتفعت بيننا، ولكنني - وفي كل مرة - كنت أطردها ما إن أتجاوز حدودي. إنكم تختلفون في أشياء كثيرة، ولكنكم تتفقون على رفضي^(٣).

هذا الرفض الذي ألمه في الكويت جعله يقارن بين حياته في كل من البلديتين قائلاً: "في بلاد أمي كنت لا أملك شيئاً سوى عائلة. في بلاد أبي أملك كل شيء سوى عائلة.. الكويت كلما أحكمت قبضتي على طرف ثوبها فلتت من يدي.. أناديها.. تدير لي ظهرها.. أركض إلى الفلبين شاكياً.. كان من الصعب عليّ أن آلف وطناً جديداً. حاولت أن أخترل وطني في أشخاص أحبهم فيه. ولكن الوطن في داخلهم خذلني"^(٤).

فالسارد يقارن بين حياته في مكانين متباينين هما: الفلبين والكويت. ويتضح حضور الزمن في وصف هاتين البيئتين اللتين نتج عن تضادهما اختلاف إحساس البطل بالزمن الذي قضاه في كل منهما، وتناقض مشاعره تجاهه. وقد نفذ من خلال هذه الثنائية الضدية التي شكّلت الفضاء الحكائي إلى ثنائية ضدية نفسية هي ثنائية القبول والرفض، فهو

ممن يعرفون حكايتي، لا ينادونني بأسمائي التي أعرف، ولأنهم لم يسمعوها ببلد اسمه الكويت، فقد كانوا ينادونني Arabo، أي العربي، رغم أنني لا أشبه العرب في شيء... أما هنا (أي في الكويت) فإن أول ما افتقدته هو ذلك اللقب Arabo إلى جانب ألقابي وأسمائي الأخرى، لأكتسب لاحقاً لقباً جديداً ضمته الظروف إلى جملة ألقابي، وكان ذلك اللقب هو.. الفلبيني! لو كنت فلبينياً هناك.. أو Arabo هنا! لو تتفع كلمة لو^(١).

يتضح اختلاف البيئتين في تصنيفه، ففي الفلبين يصفونه بالعربي، وفي الكويت بالفلبيني، فكل البيئتين اللتين مثلتا مراحل زمنية مختلفة من حياته ترفضان انتماءه التام إليها. وإن كان الرفض في الكويت أشد؛ فاختلاف شكله عن العرب، وعدم إتقانه لغتهم، ولا إمامه بدينهم؛ حال دون اندماجه فيها، فعجز عن الانتماء إلى شعبها نفسياً، وإن كان ينتمي إليهم رسمياً. ومن المواضع التي أشار فيها إلى ذلك قوله: "حين عدت إلى بلاد أبي وجدتهم متورطين بي، يريدونني ولا يريدونني، بعضهم سعيد بعودتي، بعضهم في حيرة، والبعض يطلب تسوية الأمر مادياً ويطلب مني العودة: (إلى بلاد أمك). وأنا أقف على أرض لست أعرفها، باحثاً عن أرض تأويني بين بلاد أبي وبلاد أمي!"^(٢). وكذلك قوله: "عندما كنت هناك (أي في الفلبين) صغيراً لا أزال، كانت أرضكم هي الحلم، أقول أرضكم ولا أقول أرضي؛ لأنها رغم

(١) رواية (ساق البامبو)، ص ١٧-١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(٣) رواية (ساق البامبو)، ص ٣٨٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠٣-٣٠٤.

في الفلبين يملك عائلة، ويجد من يحبه لذاته، في حين يفقد في الكويت الشعور بالعائلة، والقبول من الآخرين.

هذا الصراع النفسي وحالة الشتات التي شعر بها بطل الرواية، جعلته يتمنى لو كان مثل ساق البامبو ينمو حيثما زرع، دون أن يمثل له المكان أية إشكالية، فإذا هو يقول: "لو كنت مثل نبتة البامبو، لا انتماء لها. نقتطع جزءاً من ساقها نغرسه، بلا جذور، في أي أرض.. لا يلبث الساق طويلاً حتى تنبت له جذور جديدة.. تنمو من جديد.. في أرض جديدة.. بلا ماضٍ.. بلا ذاكرة.. لا يلتفت إلى اختلاف الناس حول تسميته.. كاوايان في الفلبين.. خيزران في الكويت.. أو بامبو في أماكن أخرى"^(١).

يتضح مما سبق أن السارد ركز كثيراً على التضاد في إبراز علاقته بالمكان، فحياته واهتماماته في الفلبين تختلف عما أصبح عليه حاله في الكويت، والتقبل الذي وجده بين أسرة والدته في الفلبين قابله رفض وعدم تقبل من أسرة والده في الكويت.

ولم يكتف السارد/البطل بالتأمل في علاقته بالمكان، إنما توقف أيضاً عند علاقة غيره بالمكان، حينما أشار إلى قضية (البدون) قائلاً: "تعرفت من خلال غسان على نوع جديد وفريد من البشر. فصيلة جديدة ونادرة... أناس ينتمون إلى مكان لا ينتمون إليه.. أو أناس لا ينتمون إلى مكان ينتمون إليه.. استعصت الفكرة على فهمي.. تمكن عقلي من

هضمها بصعوبة!"^(٢). فهو هنا يتعجب من المفارقة التي تجعل من بعض الناس لا ينتمون إلى المكان الذي ينتمون إليه، ولا يعرفون وطنًا سواه. فهذه المفارقة قامت على التضاد بين الانتماء إلى المكان وعدم الانتماء إليه.

وقد تكرر توظيف هذا التضاد في معظم الأماكن التي تم وصفها في الرواية، فمن ذلك وصف دور العبادة التي تمثل ثلاث ديانات مختلفة، هي: المسيحية، والبوذية، والإسلامية؛ مؤكداً من خلال هذا التصوير أن هذه الأماكن على اختلافها، وتعارض شعائرها، تتفق في بث الروحانية في نفوس معتنقيها. ففي وصف كاتدرائية مانويلا يقول: "تجاوزنا البوابة الخشبية الكبيرة، ماما آيدا، خالي بيدرو وزوجته، وأنا. توقفنا أمام تمثال لملاك يحمل وعاء الماء المقدس. غطس الجميع أناملهم في الماء... وبالمثل فعلت. أهو الإيمان الذي أنزل بي ذلك الشعور بالرهبة تجاه المكان؟ أم أن للشموع والأيقونات دورها في ذلك؟... تنتشر الكراسي الطولية الخشبية في صفين عن يميني ويساري. شعور جديد لم آلفه قبل زيارتي تلك. هدوء مطبق، نقوش على سقف يستند إلى أعمدة رخامية ثمانية..."^(٣).

وفي تصوير معبد سينغ - غوان البوذي يقول: "يبدو مهيباً لونه رمادي داكن، يعلوه القرميد بتصاميم تشبه البيوت الصينية، نقوش كثيرة بارزة على جدرانه..

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) رواية (ساق البامبو)، ص ١٠٤.

(١) المرجع السابق، ص ٩٤.

هنا تمثال لنتين صيني. وهناك تمثال لشيخ أصلع باسم الوجه له لحية طويلة. وفي أعلى البوابة المقوسة تبرز لوحة تحمل حروفا صينية، وأسفل اللوحة، على الجزء المقوس من البوابة كُتب اسم المعبد بالإنكليزية.. أحببت المكان... ذهبت وتشانغ إلى معبد سينغ - غوان. لم يكن يشبه الكنيسة في شيء، ولكن الشعور هو ذاته^(١).

وفي وصف المسجد يقول: "تقدمت ببطء نحو الباب... نزلت حذائي ووضعتهما في الرفوف المخصصة لأحذية المصلين. الهواء البارد، فور دخولي المسجد داعب قدمي العاريتين. شعرت بأنني أخف من أي وقت مضى. كدت أطيّر. (أهذا هو المسجد؟!)" تساءلت في حيرة. الأرض مفروشة بالسجاد بالكامل. سجاد أخضر فاتح بخطوط أفقية خضراء داكنة. ثريا كبيرة تتدلى من السقف... وقفت في منتصف المكان أنظر حولي. أمامي محراب عبارة عن تجويف يشبه الباب المقوس في صدر المسجد. تنتشر أعلاه نقوش وزخارف، لعلها حروف عربية. لا يتميز المسجد بتفاصيل كثيرة... فقد كان بسيطاً إلى درجة لفتتني... الشعور الذي داعب قدمي فور دخولي، تكرر في حين كنت أتجه نحو المحراب، ولكن في قلبي.. أحسسته عارياً.. متحرراً من كل شيء^(٢).

ويلاحظ أن السارد قد تجاوز الوصف المادي لهذه الأماكن إلى الاندماج الروحي فيها، والتأمل في

تفاصيلها ودلالاتها، ووصف أثرها على نفسه. وقد ظهر أيضاً هذا الأثر النفسي للمكان حينما توقف السارد/البطل عند علاقته بألوان المكان، وما تشيعه في داخله من دفء وراحة. فوصف عشقه لأرض ميندوزا الخضراء قائلاً: "كم كنت أعشق الأرض التي نشأت بها. كم من الوقت كنت أختلي فيه بنفسى متأملاً الأشياء من حولي، حتى خلقتني إحدى أشجار أرض جدّي... أحببت اللون الأخضر، لون الحياة بدرجاته حتى خلته اللون الوحيد في هذا الكون.. ومع ذلك، وبقدر عشقي للون الأخضر في أرض ميندوزا، كنت أكره ميندوزا"^(٣). ثم وصف بحر بوراكاى الأزرق بقوله: "في بوراكاى افقدت اللون الأخضر بحق، ولكن الأزرق كان لطيفاً معي. ياله من لون! أيني من سحره كل هذه السنوات؟ لون لا بدايات له، ولا نهايات. أطلق عيني في هذا اللون السرمدي، مثل طائري نورس يحلقان في السماء.. أحببت اللون الأزرق في السماء وفي البحر وأنا الذي ما كنت أراه سوى في عيني ميرلا"^(٤).

فقد تشكّلت للمكان ذكرى في ذهنه اصطبغت بألوان معينة، استمدّها من طبيعة المكان ذاته، فعشّق اللون الأخضر الذي ألفه في أرض ميندوزا، الأرض التي درج عليها زمن طفولته وصباه، وأحب اللون الأزرق الذي اعتاد عليه في بحر بوراكاى حين بدأ يخوض مرحلة العمل وتحمل المسؤولية. فمثّل له المكان

(٣) رواية (ساق البامبو)، ص ٩٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(١) المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٩-٢٧٠.

الأخرى في الرواية التعبير عن مكنوناتها أو تبرير مواقفها.

أما دراسة صيغ الحكيم فقد بينت تنوع الصيغ المستخدمة في الرواية ما بين: الحكيم، والعرض. ففي المواضيع التي عُرضت من خلال (الرؤية مع) استخدم السارد صيغ العرض (أي كلام الشخصيات)، وقد نُوِّع في مستويات عرضه لكلام الشخصيات، فتارة يستخدم الخطاب (المنقول)، وتارة (المحول)، وغالبًا (المسرود). أما عن المواضيع التي عُرضت من خلال (الرؤية من الخلف)، فقد استخدم السارد صيغ الحكيم (أي كلام السارد).

وقد بدا هذا التنوع أيضًا في تعدد صيغ الحكيم الصغرى المستخدمة في الرواية ما بين أساليب وصف، وتأمّل، وفلسفة، ومونولوج، ومحاولة التجديد من خلال تضمين الرسائل في البنية الأسلوبية للرواية.

أما فيما يتعلق بزمان السرد فقد بُنيت الرواية على المفارقات الزمنية التي أحدثت تشظيًّا للبنية الزمنية، غير أنها لم تُخلِ بجماليات الرواية، إنما أضفت إليها تشويقًا وجمالًا فنيًا.

ومما زاد من هذا التشويق التنوع في استخدام التقنيات الزمنية، فتارة يعمد إلى إبطاء السرد من خلال الوصف والحوار، وتارة يلجأ إلى تسريع السرد من خلال تقنيات الحذف والتلخيص.

أما عن علاقة الزمان بالمكان فقد اتضحت من خلال دراسة الفضاء الحكائي في الرواية، إذ إن

بدلالاته الزمنية أهمية معنوية ونفسية، ولم يكن مجرد حيز جغرافي.

هذه الأهمية ميزت سائر الأماكن التي شكّلت الفضاء الحكائي في الرواية، فقد أبدع الكاتب في تصويرها، مبرزًا من خلالها حجم المعاناة النفسية التي شعر بها بطل الرواية في كلا البلدين: الفلبين والكويت. وقد ساعده على ذلك توظيف التضاد، فإبراز المفارقة والاختلاف بين البلدين والشعبين بما يمثلانه من مراحل زمنية مختلفة في حياة بطل الرواية (عيسى/هوزيه) عكس حالة الشتات والاضطراب التي مرّ بها في رحلة البحث عن الانتماء وتشكيل الهوية.

الخاتمة

يتضح من خلال ما سبق أن مؤثرات عديدة تضافرت في تشكيل بنية الخطاب السردية في رواية (ساق البامبو). وقد بدت هذه المؤثرات من خلال الوقوف على ثلاثة جوانب رئيسية في تحليل البنية السردية للرواية هي: مظاهر السرد، وصيغ الحكيم، وزمانه.

فقد كشفت دراسة مظاهر السرد عن تنازع نوعين من الرؤية السردية في عرض الأحداث، هما (الرؤية مع) التي سيطرت على الرواية من أولها إلى آخرها، و(الرؤية من الخلف) التي جاءت في ثلثي السرد، في المواضيع التي يُعرّف فيها السارد ببعض الشخصيات والأحداث التي يقتضيها السياق الحكائي. وكلا الرؤيتين انطلقتا من وجهة نظر السارد، وهي وجهة نظر أحادية، لم تتح للشخصيات

خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلى، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م. عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

- الخياري، محمد، مقال " قراءة في رواية (ساق البامبو) ... عندما تفقد الإنسانية نقطة البداية"، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، س ٥١، ع ٥٨٧، ٢٠١٤م.

- الدليمي، مروان، مقال " البحث عن الوطن في غربة الإنسان"، جريدة الزمان الدولية، س ١٦، ع ٤٤٨٨، ٢٠١٣م.

- السنعوسي، سعود، رواية (ساق البامبو)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة العاشرة، ٢٠١٣م.

- شبيب، سحر، مقال " البنية السردية والخطاب السردى في الرواية"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، سوريا، ع ١٤، ٢٠١٣م.

- عزام، محمد، شعرية الخطاب السردى، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

- قاسم، سيزا، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م.

- لحمداني، حميد، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

وصف المكان تضمن إشارات زمنية، ومن مجموع هذه الأماكن التي تم وصفها في الرواية تشكل الفضاء الحكائي، الذي بُني في رواية (ساق البامبو) على التضاد وإبراز المفارقات الزمكانية؛ للتعبير من خلالها عن الصراع النفسي وحالة الشتات والاضطراب التي يعاني منها بطل الرواية.

وبذلك ساعدت دراسة زمن السرد، وصيغته، ومظاهره على فهم البنية التركيبية للخطاب السردى في رواية (ساق البامبو)، ودورها في إبراز مضامين الرواية، والتعبير عن منتهاها.

قائمة المصادر والمراجع

- بو عزة، محمد، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

- تودوروف، تزفيتان، (مقولات السرد الأدبي)، ضمن كتاب (طرائق تحليل السرد الأدبي)، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- توماشفسكي، (نظرية الأغراض)، ضمن كتاب (نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلايين الروس)، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت)، الشركة المغربية للنشر المتحددين، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

- جينت، جيرار:

- مراد، سلام: مقال " ساق البامبو"، الموقف الأدبي، سوريا، مج ٤٤، ع ٥٢٩، ٢٠١٥م.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التنبير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

The structure of narrative discourse in the novel: *Saq al-Bamboo*

Hessah Ahmad ALDossary
Imam Abdulrahman Bin Faisal University

Abstract. *Saq al-Bamboo*, a novel written by Saud al-San'ousi, is considered a highly artistic work representing literature of the Gulf. It is distinguished by its storytelling techniques and novelty of narrative discourse which make it a suitable work for study. Previous critical studies of the novel focused on its content, especially the theme of social values as seen in the conservative Gulf society which rejects double identity. Thus, this paper will not tackle content and themes; conversely, it will study narrative discourse through analyzing narrative manifestations, storytelling techniques and temporal structure.

مسيرة الذات بين (الوطن) و (الأنا) في: "إن لم... فمن...؟!!" لخالد الفيصل قراءة تطبيقية لجمالية التلقي

رانية بنت محمد شريف العرضاوي

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز، جدة

مستخلص. تقدّم هذه الدراسة تطبيقاً نقدياً لمنهج جمالية التلقي عبر قراءة حركة الذات في كتاب "إن لم... فمن...؟!!" للفيصل، وتهدف من خلال هذا التقديم إلى متابعة تحولات الذات وارتحالاتها بين قطبي (الوطن) و (الأنا)، لتظهر جمالية الدور الذي تلعبه عتبات النص وتعاورها مع التجنيس في تمثيل تماهي حركة النص مع الذات. ومن خلال ذلك، تطرح أنواع العتبات الداخلية والخارجية، مفصلة في تطبيق القراءة الجمالية على عتبات النص المختار، ومستفيدة من البعد الجمالي في إطار القراءة البصرية للعتبات. كما تناقش جدلية التجنيس للنص، وأسباب انفلات النوع فيه عبر التطبيق القرائي المطروح.

الكلمات المفتاحية: جمالية التلقي، السيرة الذاتية، العتبات.

المقدمة

النصّ، وتجاوز بهما فرضية تحرّر الذات عبر التماهي في ذات أكبر، هي الوطن، والانفكاك النوعي للنص. وهي إذ ذاك؛ ستبدأ بالوقوف بين يدي عتبات النصّ بأنواعها، محاولةً تتبّع امتداداتها الداخليّة، وأبعادها الخارجية في محيط النصّ ذاته. وعبر ذلك ستطرح إشكالية تجنيس النصّ والسيرة الذاتية، محاوراً حركة النصّ وامتداده الأفقي الذي شكّل إلى مدى ما بناءه اللانوعيّ عبر هذه العتبات.

تطرح هذه الورقة رؤية نقدية، تمارس فيها قراءة كتاب: "إن لم... فمن...؟!!" لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - حفظه الله - ؛ لتضع بين يدي القارئ خارطة عبور إلى بواطن النصّ، ومنطلقة على أساس المنهجية القرائية الموسومة بجمالية التلقي. وستتخذ هذه القراءة من معياريّ (العتبة) و(التجنيس) إجراءين تحاول عبرهما سبر أغوار

التوطين "لإعادة الاعتبار للقارئ والقراءة دونما إغفال للنص الأدبي"^(٤) ومنتجه. وهو ما حقق التوازن بين أطراف العملية الأدبية الجمالية كلها.

وتقوم العملية الأدبية على أطراف محددة وفق هذه النظرية، أو هذا النوع من القراءة، وهي:

(١) النص، وهو ما يؤكد (ياوس) أنه "قد أن الأوان لفتح الحلقة المغلقة التي تشكلت من جمالية الإنتاج والتصوير، لتؤدي إلى جمالية التلقي والأثر الذي ينتجه العمل الأدبي في قرائه"^(٥)، فالنص لم يعد ذلك الكائن الجامد الذي تحدت هويته بكيونته الأولية المخرجة، بل هو كائن حيوي، يحدث جلبة ملتدة في وعي قارئه، وهو الكائن الذي يمكنه خلخلة كثير من بنية الجهاز المفهومي في وعي المجتمع، أو ابتداء مفاهيم جديدة. وبالتالي، يصبح النص إراثاً إنسانياً منقطعاً عن احتمالية الجمود والقطعية المضمونية. إنّه وسيلة يعبر بها القارئ إلى معرفة جديدة، تساهم بشكل ما بتشكيل وعيه وعلاقته بذاته ابتداءً، وحتى العالم كله.

وبما يحمله النص من تجربة جمالية فنية تتسم بالفردانية، تتسع في مسافتها أو تضيق تجاه القارئ، يكون تلقي هذا الجمال من قبل القارئ نفسه وفق مقدار هذا الاتساع؛ فكلما اتسعت هذه المسافة بينهما - أي القارئ والنص - كلما "ازدادت قيمة النص الفنية؛ لأنه يساهم في إعادة توجيه تجربة القارئ نحو أفق تجربة جمالية جديدة"^(٦)، محققاً فورة الدهشة التي تمنح القارئ ومضة التناذ معرفية أو تخيلية، وهو ما يسجل للنص ولادة تلو الأخرى.

وستحاول في كل ذلك إبراز مسيرة الذات في بناء النص بين (الوطن والأنا). ثم تختم بملخص لأهم نتائج هذه القراءة.

إطلالة نظرية

تأتي جمالية التلقي لتؤسس علاقة قرآنية بين النص والمتلقي، تقوم على فكرة مفادها أن القارئ هو الطرف الفاعل في إنتاج النص بعد خروجه للنور، ويمكن الزعم وفق هذه الفكرة أنه من "دون القارئ يبقى العمل الأدبي فاقداً تحققه ووجوده الفعلي"^(١). وبالتالي؛ تصبح اللحظة التي يتمكن فيها القارئ من نص ما بين يديه، هي لحظة ميلاد متوالية في حراك حيوي للنص، قد يكون المتلقي من خلالها من يقوم "ببناء النص على خطاطاته الذهنية وردود أفعاله، فيصبح المتلقي كاتباً جديداً يعيد كتابة النص"^(٢)؛ كتابة مُجددة تثبت وجودية النص القيمية ضمن المنظومة الأدبية التي ينتمي إليها، وتساهم في مشروعية مفهوم الخلود للنصوص الفريدة في الوعي الإنساني.

وابتداءً، لقد أعطيت القيمة المهمة للمتلقي في المناهج النقدية الحديثة عبر القراءة الجمالية للتلقي مع "رؤاد مدرسة (كونستانس) خاصة (ياوس) و(إيزر)، اللذين عملا على توجيه الاهتمام نحو القارئ، باعتباره أحد العناصر الفاعلية في العملية الأدبية"^(٣) وقد كان للأثر بالفلسفة الظاهرية مع (هوسرل)، والشكلانية الروسية، وحلقة براغ، وأطروحات (غادامير) و (إنغاردن) دور حاسم في

(١) الفراع، سعيد، جمالية التلقي وتجديد تاريخ الأدب، عالم الفكر، مج ٣٩، ع ١، يوليو-سبتمبر، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠١٠م)، ص: ١٧.

(٢) تمارة، عبدالرحمن، القارئ وتلقي النص الأدبي بين فولغانغ إيزر وميكائيل ريفتر، ثقافات: مجلة ثقافية فصلية، كلية الآداب، جامعة البحرين، ع ١٧، (البحرين: مؤسسة الأيام للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م)، ص: ٢٨.

(٣) تمارة، مرجع سابق، ص: ٢٢.

(٤) نفسه.

(٥) الفراع، مرجع سابق، ص: ١٥.

(٦) المرجع السابق، ص: ٢١.

ويأتي النص عادة محملاً بما يجتذب القارئ إلى عالمه، بما يثيره من "أسئلة يطرحها، أو أجوبة تخلق أسئلة"^(١)؛ هذه الأسئلة هي التي تخلق أفقاً جديداً في المألوف لدى القارئ، مما يحقق رحابة جمالية وفنية، تتجح في جذب القارئ إلى منطقة النص أكثر فأكثر، لترسم محاثات القارئ الخاصة، تلك المحاثات التي وجدت لها إمكانية كشفية من خلال ما يستقره فيها النص بأسئلته وأجوبته المتسائلة جمالياً.

(٢) التلقي، وهو ما تنوع تحديد معناه بين النقاد، لكنه لم يخرج بشكل عام عن حصره في الاستقبال، وإعادة الإنتاج، والتكيف، والاستيعاب، والتقييم النقدي لمنتوج أدبي أو لعناصره، بدمجه في علاقات أوسع أو بغير ذلك^(٢). وبذلك، تكون عملية التلقي عملية تبادلية، تتعاور فيها ملكية النص بين الكاتب والمتلقي، مما يحقق جمالية التفاعل بين النص من جهتين: جهة كاتبه، وجهة قارئه. وهو ما يشي بأن النص ممتد في حيويته؛ فاستجابة كل قارئ هي بشكل من الأشكال خلق جديد للنص، واكتناه مزيد من جمالياته في كل قراءة. وهذا يقود إلى ما مفهومه أن "التأثير الجمالي المرتبط بالمعنى في النص، ينتجه النص في لحظة القراءة/التلقي"^(٣)، لحظة التماهي الحاصلة بين النص والقارئ.

(٣) القارئ، ذلك المتبلور في أنماط متعددة في التلقي، أهمها: القارئ الحقيقي الواقعي الذي يُعرف من ردة فعله المؤقت، والقارئ الافتراضي سواء كان تخيلياً أو معاصراً موجوداً، وما يُعرف بالقارئ الصمّني، وهو الذي "يبقى أهم قارئ من الأنماط

السابقة التي كانت مقدمة تمهيدية عند (أيزر) للوصول إلى حقيقة تؤكد: إن القارئ بنية نصية مرتبطة بنسق مرجعي يفترض وجوده ويسلم بحضوره في العمل الأدبي، دونما تحديد لطبيعته"^(٤). إذن، القارئ الصمّني هو ما يمكن عدّه القارئ المُساهم في إيجاد علاقة تفاعل بين النص والقارئ، فهو له امتداد قوي في البنية النصية للعمل الأدبي، ناهيك عن كونه غير قابل للمطابقة مع أي قارئ حقيقي يواجه النص؛ فهو مركّب في تكوينية النص الأولية، وإجرائه البنائي، ومُجسد في كل الاستعدادات المسبقة بالنسبة لتأطير العمل الأدبي"^(٥). وبالتالي هو قارئ يؤسس لفعل التجاوب والتفاعل المطلوب بين القارئ والنص.

ولابد من التنبيه إلى أن القارئ غير مخول بأنطاق النص بما ليس فيه؛ فإن اللحظة التي يُشرع فيها النص للقارئ، ليستكنه معناه، يكون فيها وعي القارئ وإدراكه متابعاً لإشارات النص، ومدرّكاً بقرائته لجماليات المعنى ضمن ركيزتين أساسيتين للقراءة الناجعة: ركيزة الإشارة في النص نفسه، وركيزة وعي القارئ، ويكون بذلك "الإدراك الجمالي للمعنى حصيلة القراءة التي يجريها القارئ، ووليدة استجابته التي تدرك إشارات وملاحم النص وبنياته في مساراتها المتعددة"^(٦). والدلالة الراهنة لمعنى نص ما، تعطي القارئ فرصة اكتشاف المعنى بقدر ما يندرج فهمه للعالم وللحياة في إطار السند الأدبي الذي يستتبعه هذا النص. وهذا الفهم القبلي يحتوي على التوقعات الفعلية المطابقة لأفق مصالح القارئ،

(٤) السابق، ص: ٢٣.

(٥) السابق، ص: ٢٥.

(٦) السابق، ص: ٢٨.

(١) تمارة، مرجع سابق، ص: ٢٣.

(٢) تمارة، مرجع سابق، ص: ٢٣، "بتصرف".

(٣) السابق، ص: ٢٤.

وتجاربه كما يحددها المجتمع وطبقته التي ينتمي إليها، وكما يحددها تاريخه الشخصي^(١). ويفهم (أيزر) أفق التوقع على أنه: "نسق من الإحالات قابل للتحديد الموضوعي يسمح بقياس استعدادات القارئ لتلقي عمل جديد بعيداً عن عوائق النزعة النفسية"^(٢)، ومن ثم، يكون الأفق الذي يحمله النص في لقاء بالأفق الذي يحمله القارئ في قراءته، ومحصلة كسر توقع أفق القارئ هو تحقيق عفوي لمتعة استجابة القارئ له، و"تحرر من الرتابة والإكراهات اليومية"^(٣)، هذه المتعة التي لا تتفكّ عن القراءة نفسها في حال المطابقة المقبولة المقدمة من أفق النص تجاه أفق القارئ. فتكون القراءة بذلك تمثّل للالتحام بين التجربة الإنسانية الموجودة في النص والتجربة الإنسانية لدى القارئ، ويولد بهذا الالتحام قارئ واع يكشف الجمال، ويخلق الكشف. ويكون الأثر الذي يتركه النص هو الاستجابة الأكثر عمقاً في وعي القارئ والقراء بما يحمله من كثافة جمالية تساهم في تخلق قارئ تلو قارئ. وهكذا يضمن الإنسان لنفسه كاتباً أو قارئاً نصّاً حياً، هو صورة لحيواته المتنوعة.

١. في جمالية التلقي لـ "إن لم... فمن...!!؟":

يقع هذا العمل الأدبي فيما يقارب مئتين وسبع عشرة صفحة، مؤلفاً من ثلاثة عشر قسماً، بلا فهرسة له،

(١) يابوس، هانس روبيرت، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ت: رشيد بنحدو، ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ص: ١٣٥.

(٢) أيزر، فولفكانك، "أفاق استجابة القارئ"، ترجمة: أحمد بوحسن، ضمن كتاب: من قضايا التلقي والتأويل، سلسلة ندوات ومناظرات، ع ٣٥، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٥م)، ص: ٢١٢.

(٣) يابوس، مرجع سابق، ص: ١٣٦.

ويخلو من مُسمّى مقدّمة، ولا ينتهي بخاتمة. وإن حملته بيمينك؛ ستشعر بثقل الكتاب عن مثيله في الحجم، فنوع الورق الذي استخدم في إخراجه من الجودة ما يجعله ثقيلاً في وزنه. كلّ هذه المعلومات الأولية يصبّها الكتاب في وعي قارئه في لحظة التلقي الأولى، وقبل أن يشرع بقراءته.

ويمكن القول من وجهة نظر الباحثة، بأنّ النصّ يتركز في وجوديته على قطب جاذب، هو السؤال، و"الكتابة ما لم يكن أسّها السؤال؛ فليس لها من قيمة تُرجى"^(٤)، ويمكن التصديق بأنّ "السؤال هو سمّت الباحث لتجاوز ما قدّم من معرفة"^(٥). لذا؛ لا غرابة من أن تبدأ الأسئلة بالتداعي على ذهن القارئ من لحظة حمل الكتاب وحتى الفراغ منه، وهي أسئلة تتجاوز طلب الأجوبة، بل تذهب إلى تفتيق الرغبة في قراءة ما وراء كلّ سؤال بسؤال آخر متولّد عنه. فهل الكتاب سيرة ذاتية للأمير خالد الفيصل؟ وهل الكتاب جواب لسؤال تصدر عنوانه؟ وهل الكتاب وحيد أم سليله رديف بعده؟ وهل الكتاب قال كلّ شيء عن الفيصل والوطن؟ وغير ذلك من أسئلة كثيرة تحسن التخلّق في ذهن المتلقي، لتستقرّ رغبته في مزيد من الاقتراب من نصّ الكتاب.

ولذلك، يمكن وضع السؤال مفصلاً لهذه القراءة؛ السؤال الذي يكون في وجوده ملامح أجوبة قد يستملح وعي القراءة بثّها في خطوط متوازية مع نصّ الكتاب، مع محاولة فضّ إشكاليات جمالية وفنية

(٤) الربيعي، جلال، قراءات في التراث: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي والمقائسات للتوحيدي أنموذجاً، (تونس: مكتبة علاء الدين، ٢٠١٢م)، ص: ١٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص: ١٢١.

وجود النص ابتداء من خارجه، ثم يكون مُركَّباً في أجزاء داخلية، تربط بين أقسام النص. وبذلك يمكن تناول العتبات في أيسر تقسيماتها على النحو التالي:

١,١,٣. العتبات الخارجية:

وهي ما يُعرف بالنص المحيط عند (جبرار جينيت)، وهذا النص المحيط يتضمّن "اسم الكاتب مع مكان ظهور هذا الاسم وشكله. والعناوين، سواء كانت العنوان المَرَكَز وتوضعه، أو العنوان الفرعي، أو المؤشر النوعي^(٤)"^(٥)، ويمكن إضافة الإشارة النصية في ظهر الكتاب ضمن هذا النوع.

وفي النص المطروح في هذه القراءة، تتطالع القارئ عتبات خارجية موازية للنص في دلالاته، مشكلة لباطنه الذي يتراءى بعد طول تمعّن. وقد تحاورت هذه العتبات حول قطبين أساسيين هما: الكلمة والصورة، لتتشكل في صياغة عتبات النص الخارجية على تراتبية اللون المنفرد، والصورة، والعنوان المَرَكَز، واسم المؤلف، والإشارة النصية الخلفية، وهو ما يظهره الكتاب على النحو التالي:

يحسّن النص مَحَوْرَتَهَا في ذهن القارئ من خلال عتباته المتنوّعة، وإشكالية تجنيسه. ويمكن تقسيم وجود السؤال في قراءة النصّ إلى إجرائين نقديين: إجراء العتبات، وإجراء التجنيس الأدبي، ويتعاور كلّ إجراء منهما لمساندة الإجراء الآخر، في محاولة لإبراز جمالية النص في المقام الأول، وخلق أفق ثقافي خاص، قد يعين القارئ على تلقّف هذه الجمالية بأبعادها المتنوّعة.

١,٣. العتبات:

يقول إمبرتو إيكو: "بإمكان القارئ أن يستنتج من النصّ ما لا يقوله بشكل صريح، ولكنّه لا يستطيع أن يجعل النصّ يقول نقيض ما يقوله"^(١). وخير ما يعين على فهم النصّ عند تلقيه هو عتبة النص. والعتبة هي "مكوّن نصّي عرضي، وبناء نصّي، له خصائصه الشكلية ووظائفه الدلالية التي تمكّنه من إدارة جدل خلاق بينه وبين أبنية أخرى، لها نفس الدرجة"^(٢)، فهي أوّل ما يقابل المتلقي باعتبارها النصّ الموازي الذي يسير مع النصّ المَرَكَز في ذات الاتجاه. ولا مشاحة من الزعم بأنّه "لم يسبق من قبل أن وُجد أيّ أثر أدبي بدون عتبة، في الوقت الذي يمكن أن توجد العتبة دون وجود النصّ المركزي"^(٣). فقد مرّ ذكرُ عناوين نصوص عبر التاريخ، وأسماء مؤلفيها، دون أن توجد أو تُعرف هذه النصوص المركزية البتّة. وعتبة النصّ هي المحيط الذي يلفّ

(٤) يُراد بالمؤشّر النوعي هنا تجنيس العمل الأدبي، ففي بعض الأعمال الأدبية يذكر المؤلف بجوار العنوان أنّه مثلاً: رواية، أو شعر، أو سيرة ذاتية، ليحسم إشكالية التجنيس بشكل إسقاطي على النص.

(٥) بلعابد، عبدالحق، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرين، ٢٠٠٨م)، ص: ٦٧، وما بعدها، "بتصرّف".

(١) إيكو، إمبرتو، تأملات في السرد الروائي، ت: سعيد بنكراد، ط٢، (المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥م)، ص: ١٤٩.
(٢) أشبهون، عبدالمالك، عتبات الكتابة في الرواية العربية، ط١، (القاهرة: رؤية، ٢٠١٦م)، ص: ٢٥.
(٣) المرجع السابق، ص: ٣٦.



الشكل رقم (١)

أ. اللون المنفرد:

عتبات أخرى تمثلتها الصورة، والكلمة المنتظمة في جملة العنوان، واسم المؤلف، والإشارة النصية في الغلاف الخلفي.

واللون "غني عن التعريف. وقد قال بعض القدماء من الحكماء لا حقيقة لشيء من الألوان أصلا، بل كلها متخيلة. وإنما يُتخيل البياض من مخالطة الهواء المضيء للأجسام الشفافة المتصغرة جدا"^(٢)، فصار

يقول ميرلو-بونتي: "إنّ اللون هو المكان الذي يلتقي فيه دماغنا مع العالم"^(١)، وأوّل ما يخطف عين الناظر في هذه العتبة هو اللون الأبيض الذي يفرض سلطة شفيفة تمتد باتساع رحب على غلافي الكتاب الأمامي والخلفي، ليشكّل قاعدة نقية، تسترخي عليها

(١) لمزيد من الاطلاع على أفكار ميرلو- بونتي الظاهرانية حول الفن، يُنظر: سباع، محمد وآخرون، الفلسفة الفينومينولوجية الوجودية عند موريس ميرلو-بونتي: من أولية الوعي إلى مساءلة الوجود، ط١، (الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص ٧٢ وما بعدها.

(٢) التهانوي، محمد بن عليّ، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: رفيق العجم وآخرون، ج٢، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م)، ص: ١٤١٧.

البياض علامة يميز بها أتباعه يوم القيامة حين شبّهم بالخيال المُحجّلة^(٧)، والتحجيل في الخيل هو بياض يكون في قوائمه وناصيته^(٨). وقد لقي البياض في الثقافة العربية قبل وبعد الإسلام قبولاً واستحساناً، حتى صار مدحة يمدح بها الشاعر محبوبته، فيقول^(٩):

وَتَبَسُّمٌ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا^(١٠)

تَخَلَّلَ حُرَّ الزَّمَلِ دِعْصٌ لَهُ نَدَى

سَقَتُهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِثَاتِهِ

أُسِفٌ وَ لَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِثْمٍ^(١١)

وبذلك يمكن القول، بأن ارتقاء البياض على واجهتي الكتاب الأمامية والخلفية، فيه من الحُسن المقبول في الثقافة العربية الإسلامية، وهو يشير إلى أن ما

الضوء عندهم شرط لإدراكه. وقد غني باللون وتشكلاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، واستعمل دلالة وبرهاناً على قدرة الخالق سبحانه في تجلّي جمال خلقه، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرِيبٌ سُودٌ﴾^(١٢). ويمكن القول بأن اللون هو نتيجة إدراكنا بعض الخاصيات التي تتمتع بها بعض أسطح الأشياء، وللضوء الذي ينيرها. والضوء الأبيض، وخصوصاً ذلك الذي تعكسه الشمس، هو مصدر الضوء الأول للإنسان^(١٣).

واللون الأبيض تحديداً، هو لون له خاصية الصفاء والنقاء والبراءة، وهو لون من يحاول دائماً الوصول إلى المثالية العالية^(١٤). ولا يغيب عن الأذهان أن البياض لون ممدوح في الثقافة الإسلامية، فقد جاء على الدوام سمة مائزة للمتقين، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(١٥)، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴾^(١٦) ولبسه سنة^(١٧)، وقد جعل النبي ﷺ

(١) سورة فاطر: آية ٢٧.

(٢) أومون، جاك، الصورة، ترجمة: ريتا الخوري، ط١، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م)، ص: ٢٣.

(٣) Willis, David., Home Color Bible. First edition, New York, Axis publishing Ltd, (2010), p. 37.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٠٦.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٠٧.

(٦) ثبت عن النبي ﷺ قوله: "البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم". رواه عبدالله بن عباس، وصححه الألباني. يُنظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ت: زهير الشاوش، ح ٦-٧، ط ٣، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧م)، ص: ١٢٣٦.

(٧) جاء في الحديث الصحيح، فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمُقْبِرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِقُونَ، وَبَدِثْنَا أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أَمَتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ ذُهُمٌ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيُذَانَن رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّلَّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا". يُنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ح ٤-٣، ط ١، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (لبنان: دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٤م)، ص ٢٤٩.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ت: علي شبري، مج ٣، ط ٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م)، مادة (حجل).

(٩) طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى، صاحب المعلقة المعروفة، توفي سنة ٥٦٤هـ. يُنظر: الزركلي، مرجع سابق، ج ٣، ص: ٢٢٥.

(١٠) المُنَوَّر: صفة لموصوف محذوف هو الأقحوان. يُنظر: الوائلي، طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد البكري، ديوان طرفه بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، ط ٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ص: ٢٠.

(١١) المرجع السابق نفسه.

سيحويه النص هو خالص نقي مرسل إلى المتلقي بصفاء لا يخلو من جمال ارتبط بنور الروح والحقيقة. وهو في الوقت ذاته، ما يساعد على إبراز العتبات الأخرى المتحاوره على ضفاف هذا البياض. فالبياض هو الوضوح، والنص هنا ييوج بتجلٍ وتشفيف لما سوف يتلوه بين يدي القارئ، من سيرة للذات في تنقلات ومراحل حياتية وخدمة الوطن. فيصبح البياض أولى إشارات كشفٍ متوقع من النص، لكنه كشف مخالط لبياض لا يوجد إلا بوجود النور. وبذلك سيكون ما يبثه نوراً يعين على رؤية ما فيه من معانٍ حياتية. إنه المسعى الذي يقدمه النص لكل قاصد، مسعى بناء الذات عبر تحقق بناء الوطن.

ب. الصورة:

وعلى ضفة هذا البياض، تتموضع العتبة الموسومة بصورة الأمير خالد الفيصل مؤلف الكتاب. ويأتي هذا التوضع فوقياً على العتبة الثالثة التي هي عنوان الكتاب، وهو ما يوحي أول ذي بدء بذاتية النص وشدة تعالقه مع مؤلفه. بل ويرسم احتمالية واسعة لتجنيسه بالسيرة الذاتية. ولكن هذا الاحتمال لا يلبث أن ينتفي أو يتضعع بسبب الإشارة الخلفية النصية الواردة في الغلاف الخلفي : (كتاب ليس فيه "أنا"). ومن ثم؛ تظهر حركة التضاد الأولى في العتبات بين تموضع الصورة الفوقي من جهة، والإشارة الخلفية النصية من جهة مقابلة. هذا التضاد، يصنع فعلاً تحريرياً للنص من الحكم القبلي

النوعي على جنس الكتاب، الذي أمكن تكوينه بسبب الصورة، وحصره في جنس السيرة الذاتية. وهذا التحرير في الوقت نفسه، ينقل المتلقي إلى دائرة التساؤل: عن ماذا يتكلم الكتاب إذن؟! وبذلك، يحصل الالتاذ الاستقزاي لاكتشاف النص، وعلاقته بصاحبه. حتى يكتشف بأن الذات هنا ذائبة في تلاوة سيرة أعظم من حصرها في النظر إلى فردانيتها، إنها تنظر وتتأمل "أنا" أكبر، هي "أنا" الوطن.

ويكون الوقوف الحثيث لحركة التضاد الإغرائية في العتبة وقوف تأمل، يسوق عين المتلقي مرة أخرى إلى الصورة التي سيكتشف بعد تأمل سريع بأنها تميل إلى طبيعة اللوحة المائية أكثر ما يكون. والرسم المائي هو رسم يعطي مزاجاً حسناً، وراحة عالية، وكثيراً من هدوء وسعادة لقربه من بساطة تتاغم الطبيعة^(١)، ما يعني أول الأثر الإيجابي الذي تصنعه الصورة بطبيعة أصل مادتها اللونية.

وفي استدعاء لهذه الهوية المائية، تحضر تفاصيل اللون بقوة في قراءة هذه العتبة. حيث يبرز تضافر لوني، تكون السيادة فيه للون البنفسجي، بشكل "اللطخة اللونية" الخلفية، وهي لطخة سوف تتكرر مع النص طوال العتبات الداخلية، وتنشئ تضيفاً مع العتبات الخارجية، بطريقة لا تغيب عن عين المتلقي، فكما انتقل إلى قسم من أقسام الكتاب سيجد البنفسج في استقباله. واللطخة اللونية هنا تعطي

Haines, Jean. (2016), Paint yourself calm, (١) colourful, creative mindfulness through watercolour. Search press, Wells, Kent. pp: 27-28.

الطبيعة^(٤)، وهي الزهرة التي تحمل ذات الدرجة اللونية. وهذا البنفسج في علم الألوان، يعتبر وسيطاً لونياً بين مثلث اللون الأزرق البارد، واللون الأحمر الساخن، وهو مكون انشعابي هادئ بين اللونين، ويمكن مقارنته مع اللون الأصفر المضاد له بجمالية التناغم العكسي بينهما^(٥). وهو لون يستدعي معاني الثراء والرفاهية والنعيم. وتشير دراسة الألوان إلى أنه لون ملكي^(٦)، عادة ما يعبر عن شخصية قوية فذة، وشخصية قيادية للغاية. وفي الحين نفسه، هو متعلق بالروحانيات والحكمة العميقة، ويرمز لالتقاء السماء بالأرض في خيال الحكمة وواقعها، كما أنه محفز قوي للإبداع والخيال^(٧). وقد اختاره موقع Pantone لوناً للعام^(٨) ٢٠١٨.

(٤) تعتبر هذه الزهرة من الزهور التي رمزت لكثير من الأساطير، ومن أبرزها الأساطير اليونانية القديمة، إذ ربطت بين لون هذه الزهرة وبين أسطورة الجميلة سيرينجا Syringa التي أغرم بان Pan الإله – وفق عقيدة اليونان الوثنية – بفنتتها وجمالها فطاردها في الغابة فهربت منه بأن تشككت على شكل زهرة الليلك المعروفة، ومن يومها رمزت إلى الحب الذي لا يتحقق. لمزيد من التفصيل يُنظر: www.mythencyclopedia.com/Fi-Go/Flowers-in-Mythology.html (شاهد في : ٢٠١٨/١/١م).

(٥) Wills, David. (2010), p.11 and p.17

(٦) "اللون الليلي والأرجواني عرف على مر العصور كلون ملوكي، حتى أنه في بعض المجتمعات كان يمنع أي شخص من لبس لباس بهذا اللون إن لم يكن ملكاً أو أميراً"، يُنظر: أفرام، مارلين دمرجيان، معاني الألوان ورموزها، سنة ٧، ع ٢٦، خريف ٢٠٠٠، دار الحداثة، ص ١٧٧.

(٧) Wills, David. (2010)، نفسه.

(٨) "The Pantone Color of the Year has come to mean so much more than 'what's trending' in the world of design; it's truly a reflection of what's needed in our world today." – Laurie Pressman, Vice President of the Pantone Color Institute. <https://www.pantone.com/color-of-the-year-2018>. (شاهد في : ٢٠١٨/١/١م).

مساحة عبورية حُرّة تذكر العين بعبور الفرشاة الممزوجة بالماء واللون على الورق، لتثبت علاقة ما بين الصورة وفنّ الرسم. فتستقطب المتلقي إلى ساحة فنية استقطاباً خفيفاً، مما يستحضر قول هوبرت داميش: "إنّ فنّ الرسم لا يُظهر فقط؛ إنّه يفكر"^(١)، فما يسجله اللون، هو فكر يسوس معانٍ تحكي هي دورها موضوعات مجسّدة في العالم المعيش. وهو ما يسجل للعتبة حضوراً جمالياً ناعماً، يمكن أن يحدث في نفس المتلقي ما يعرف بأثر "التربية المستتيرة للنفس على المعرفة الحسية الجمالية"^(٢)، مما يدفع إلى أن يعترف المتلقي بأناقة العتبة، التي نجحت في أول تلامس لها مع عين المتلقي بإحداث التوطين للمعرفة الجميلة الأنيقة. وهذا النوع من التوطين، يمكن نظمه على مراحل معرفية متراكبة تتجح العتبة في بنائها، بما يمكن أن ينشئ ما يعرف بـ "الفنّ المستتير"^(٣) المولود في أحضان تناغم مجموعة من الفنون في عمل أدبي واحد، وهذا ما يبدأ هنا بالرسم. كلّ ذلك يعطي توجيهاً لحواس المتلقي لوعي ما سيكون وراء هذه العتبة من نصّ جماليّ.

والدرجة التي اختيرت من البنفسج هنا هي ما يُداول تسميته عادة بالليلك Lilac نسبة لاسم الزهرة في

(١) المسكني، أمّ الزين بنشيجة، تحرير المحسوس: لمسات وجماليات المعاصرة، ط١، (بيروت: منشورات ضفاف، ٢٠١٤م)، ص: ١٧-١٨.

(٢) نفسه.

(٣) المسكني، المرجع السابق.

وبعد كل هذا العرض لرمزية هذا اللون، سيبزغ الآن السؤال في ذهن القارئ: ما علاقة هذا اللون بالنص؟ هذا السؤال الذي لن نتحصّل إجابته إلا بتقليب صفحات النص الداخلية، وهو ما سيعطي القارئ بُعدًا جماليًا للمعاني التي يحملها النص، معاني الحكمة، ومعاني الأحلام الوطنية الكبرى التي يشهد النص بتحققها عبر سرده لأحداث كثيرة مرّت بين فصوله المتعددة. إنّ الرسالة التي يحملها اللون البنفسجي هنا، هي رسالة تحفيزية عالية، تعطي المتلقي شحنة تخيلية تحكي قبل الحكاية، وتسرد قبل الولوج إلى النص السردى؛ فما سيجده المتلقي في النص، هو انعكاس للحكمة والنقاء والملكية التي حقّت التاريخ المروي في صفحات السرد المعنية. سيُفهم من قبل القراءة إذن، أنّ هنالك وليدًا كلاميًا، يحمل الكثير من سمات هذا اللون، ويسير معه في خطّ متوازٍ دونما إخلال ببنيته السردية المتينة. وهو ما يجعل القارئ يسأل مرة أخرى: هل خالد الفيصل الموجود هنا هو الرسام خالد الفيصل؟ أم الأمير خالد الفيصل؟ وهل ستتطرق الألوان فقط أم الكلمات أيضا؟ وسيكون مزيدًا من أسئلة عندما تستقرّ العين على الصورة الشخصية "البورتريه" للأمير خالد الفيصل. تلك الصورة المائية، التي أخذت تموضعها القوي، وقد قدّمت ملامح الأمير خالد الفيصل في اللباس السعودي المعروف، المكوّن من: "الغتره البيضاء،

العقال الأسود، المشلح الأسود المقصّب بالذهبي". وهو ما يؤكّد على رسالة يحملها هذا النصّ، تخدم الهوية الوطنية التي تبدو في وهلتها الأولى متمثلة ببساطة في هذه التفاصيل، أي تفاصيل اللباس. وإن صحّ التعبير، فلقد قدّمت الصورة البورتريه هنا (الوجه) بوضعية توحى بتلك النظرة الرانية إلى "أقصى اليمين العلوي بحالة من التذكّر والتأمل، ووضع (الكفّ) في حالة الاقتراب من طرف العين مع نصف استدارة إلى جهة اليمين، وهي كذلك تعبّر عن وجدانية وصدق الموقف، مع عمق في التفكير"^(١). وكما هو معلوم، فإنّ للصورة وظيفة "تمثلية وتثقيفية، وهذه الوظائف الاجتماعية الكبيرة"^(٢) لا يمكن أن تغيب عن ذهن المتلقي الواعي، فالتأمل المرصود والتذكّر الجليّ في ملامح هذه الصورة، يعطي للمتلقي إشارة مهمّة، وهي أنّه في حالة مجالسة مع حكمة سنين طويلة، سوف تُصَبّ بين يديه بكل مصداقية، لتروي له سيرة سعوديّة، تكشف ملامح مسيرة الوطن، حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم. وإن كانت الصورة تتضمّن معنى ما، فيجب على المتلقي أن يقرأه، ففي قراءته قراءة لشيء من النص الذي سيتلقاه تاليًا عندما يغادر هذه العتبة. ويمكن الزعم ممّا سبق في الحديث عن عتبتى: "اللطخة اللونية" و"الصورة الذاتية للمؤلف"، تحقّق قول القائل: "أحيانًا يحدث الرسم على الورقة، وأحيانًا

(١) *What every body is saying*, Joe Navarro and Marvin Karlins. 2008, Harper Collins, New York.

(٢) أومون، مرجع سابق، ص: ٢٦٧.

ولقد تمّ اختيار اللون البنفسجي لونا لهذا العام، وذلك لدلالاته على الخيال والإبداع، والتأمل والأمل، ومزيد من الأحلام، وهو ما يراه الموقع ضرورة نحتاج إليها في عالم اليوم.

مشاحة من اعتباره الجزء الأهم من بين العتبات رغم سطوة الصورة وسلطة البصر.

وعند تفكيك عنوان "إن لم... فمن...؟!!"، سنجد أنه يتكون من عدة أنساق تتشاكل فيه بتناغم ضمن بنيات عميقة، أولها النسق الدلالي، الذي يحمل دلالات مفهومة من التركيب اللغوي للعنوان، وقد جاء على ثلاثة تراكيب، وهي: تركيب شرطي، وتركيب استفهامي، وتركيب تعجبي. فأما التركيب الشرطي فهو من (إن) الشرطية، و(الفاء) الواقعة في جوابها. وعند أهل اللغة: "الشرط تعليق حصول أمر على حصول أمر آخر، أو ارتباط فعل أو قول بشيء آخر. وما تعلّق به حصول فعل أو قول. وهو تعليق حصول مضمون جملة بحصول أخرى" (٣).

وأما التركيب الاستفهامي، فهو المائل في (من) الاستفهامية، والاستفهام يطلب من الفاعل التأثير ليرتب عليه الأثر (٤). وأما التركيب التعجبي، فهو هنا تركيب ضمني، يشي به حضور قرائي للعنوان كاملاً، ويثبت وجوده في الذهن علامتا التعجب المائلتان في العنوان قبل علامة الاستفهام في آخره، وهو تركيب على قوة دلالته، قد فهم من السياق المحذوف لجواب الاستفهام الظاهر. وقد جاء في معنى التعجب: "معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأنّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، وقال الرّماني: المطلوب

يهاجر إلى عالم آخر، هو عالم الكلمات" (١)، والعبور الآن في هذه القراءة حاصل من عالم الرسم إلى عالم الكلمات الذي يوجد فيه كلّ شيء، فاللغة لا تغلق المعاني أو تحدّها، بل هي البوابة التي يمكن العبور من خلالها إلى المزيد من المعاني التي تجعل المتلقي أكثر قدرة على فهم الجديد والمغاير، ومن ثمّ تفتح آفاقاً جديدة لا يمكن لشيء أن يفتحها كما تفعل اللغة. وهذا ما يرمي إليه البحث في قراءته للنصّ.

ومن هنا تكون العتبة التالية للصورة لغة ليست لغة اللون فحسب، بل هي لغة الكلمة، والتي تمثلها العنوان المركز، وهو ما تموضع تالياً للصورة مباشرة: "إن لم... فمن...؟!!"، مطّرحاً على مسافتي سطرين في وسط الغلاف الأمامي.

ج. العنوان المركز:

والعنوان في منهج التلقي والقراءة التي تستظلّ به، هو "علامة تدلّ على النص، وشبكة دلالية يفتح بها النص ويؤسّس لنقطة الانطلاق الطبيعية فيه. والعنوان بوعي الكاتب، يهدف إلى تبئير انتباه المتلقي" (٢)، باعتباره العلامة التي لا تفارق العمل الأدبي، بل هو خطاب مستند بنفسه على النصّ، وإلى النصّ. وتنبثق أهميته من دوره العميق الإعلامي الذي يؤدّيه للنصّ، والقيمة الدلالية التي يتحمّلها في تلقّفه من قبل القارئ أول ذي بدء. ولا

(٣) التهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: رفيق العجم وآخرون، ج ١، ط ١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م)، ص: ١٠١٣.
(٤) المرجع السابق، ص: ١٧١.

(١) المسكيني، مرجع سابق، ص: ١٤٣.
(٢) حليف، شعيب، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ص: ٩.

يستوطن نفس المتلقي، وكأنه يقول: هو ذاك، هو ذاك.

وقد حمل العنوان نسقاً داعماً لنسق الدلالة تمثّل في نسق علامات الترقيم التي وظّفها ليدلّ الحاضر على الغائب، فاستدلّ على الغائب تقخيماً بنقاط ثلاثة بعد (إن لم)، ونقطتين بعد (فمن). والنقطة لا تدلّ على فراغ كما قد يظنّ، بل هي تدلّ على امتلاء متحصّل بتمام واكتمال، وإن قيل هي دلّت على محذوف. وهي بذلك تدلّ على الحاضر المعلوم الذي لا حاجة للتذكير بحتمية حضوره وكأنّه مُسلّم به. وقد عبّر بالنقطة لمثل هكذا دلالة كبيرة لما للنقطة في الخط العربي من عظيم قدر؛ إذ غُيّت الدراسات في مختلف التخصصات بالنقطة، فهي ليست مجرد علامة ترقيم تشير إلى غائب، وليست حديثة الاتصال برسم الخط^(٣)، وهي قبل كلّ ذلك "ليست مجرد ما يميز حرف عن آخر، فهي المتناهية في الصّغر لكنّها المُمثّلة للنظام الهندسيّ للخط. وهي وحدة القياس التي تكون لأعمدة الخط، وهذا ما وعاه الخطاطون العرب مبكراً كابن مقلة^(٤)، والفلاسفة

في التعجب الإبهام، لأنّ من شأن الناس أن يتعجّبوا مما لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن، وهو يفيد التقخيم بالإضمار قبل الذكر^(١). وكأنّ البناء اللغوي للعنوان على النحو التالي: إن لم يكتب خالد الفيصل، فمن الذي سيكتب!!؟ أو: إن لم يتكلّم خالد الفيصل فمن الذي سيتكلّم إذن!!؟ وهي متوالية من جمل محذوفة تتداعى بلا تردّد على ذهن القارئ حال انتقاله إلى العنوان المَرَكز بعد توطيّن الصّورة لحضور خالد الفيصل في النصّ. وهو حضور آخر للذات يشهد بأنّ ما سيحمله النصّ هو سيرة مرتبطة بهذه الذات لكنّها تتضاد مع الإشارة الخلفية مرة أخرى كما تضادت الصورة بداية.

ويصير بذلك العنوان متضافراً من هذه التراكيب باعتباره جزءاً حاضراً لمحذوف أكثر حضوراً، ويكون في غيابه أقوى من حضوره، فالمسكوت عنه لحتميته هو أبقى أثراً من المنطوق به للتذكير به. وهذا أسلوب بلاغيّ شرطي عميق الأثر، قد استخدمه القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾^(٢)، فصار جواب الشرط مقدّراً: "لكان هذا القرآن" لحتمية استنتاج الجواب والتصاقه بالمشتراط له، وعظمة قدر المحذوف المُقدّر. فيكون اشتراط الكتابة أو الكلام للفيصل حتمياً أو لازماً لا تنفك عنه، وهو ما يوقّع أثراً في التقدير والتقخيم

(٣) أوّل من أدخل النّقط على الحروف هو نصر بن عاصم فيما عرف بإعجام الحرف، لتمييز الحروف المتشابهة رسماً عن غيرها كالحاء والخاء والجيم وغيرهم، كما كانت النقطة في بعض استخداماتها دليل إعرابي مميّز بين المرفوع والمنصوب والمجرور كما تقول رواية وضع النحو الأولى في الحوار الذي كان بين علي بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي. يُنظر: الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ أداب العرب، ط ١، ج ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ص: ٢٣٤. "بتصرف"

(٤) ابن مقلة، محمد بن علي بن الحسين، أبو علي، وزير من الشعراء الأدباء، يُضرب بخسن خطه المثل. وُلد في بغداد، استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦هـ، ثمّ نفاه إلى فارس سنة ٣١٨هـ، واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠هـ، ثمّ رُمي بتهمة المؤامرة على القاهر، ثم استوزره الرازي بالله سنة ٣٢٢هـ، ثمّ

(١) المرجع السابق، ص: ٤٧٤.

(٢) سورة الرعد: آية ٣١.

الكندي^(١) والفارابي^(٢).^(٣) وعبر هذه النقطة^(٤)، جعلت المقاييس الدقيقة للخط العربي ورسمه الجمالي الفريد، وقد أمكن بذلك اعتبارها رمزاً للجمال الخطي، وهويته المختلفة. وقد أشار التهانوي إليها بقوله: "النقطة عند المهندسين هي شيء ذو وضع يمكن أن يشار إليه بالإشارة الحسية غير منقسم أصلاً لا طولاً ولا عرضاً، ولا عمقاً، لا بالفعل ولا بالتوهم، ولا يرد انتهى به المقام بقطع يمينه ولسانه وسجنه الذي مات فيه. يُنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم، ط١٣، ج٦، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٨م)، ص٢٧٣.

(١) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف: فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة. ونشأ في البصرة. وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وألف وترجم وشرح كتباً كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة. توفي سنة ٨٧٣م. يُنظر: الزركلي، مرجع سابق، ج٨، ص: ١٩٥.

(٢) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، وتوفي بدمشق سنة ٩٥٠م. يُنظر: الزركلي، مرجع سابق، ج٧، ص: ٢٠.

(٣) Moustafa, Ahmed and Sperl, Stefan (2014). The cosmic script; sacred geometry and the since of Arabic penmanship. Thames and Hudson, first edition, U.K. P:127/1, "بتصرف".

(٤) يقول الحلاج: "النقطة أصل كل خط، والخط كله نقطة مجتمعة، فلا غنى للخط عن النقطة ولا للنقطة عن الخط. وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها. وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين"، يُنظر: Massignon, Louis and Kraus, Paul (1936), *Akhbār al-Hallāj*. Paris: Edition Larose, p:16. وقد توسع بعض المتكلمين في النقطة حتى رويوا فيها بعض الإسرائليات كقول كعب الأحبار: "روي أنه أول ما خلق الله تعالى "نقطة" فنظر إليها بالهبة فتضعضت، وسالت ألفاً، وجعلها مبتدأ كتابه، واستفتح حروفه، وظهر وهابه، فكانت النقطة كنزاً لم تعرف". يُنظر: السكندري، ابن عطاء، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، (القاهرة: دار جوامع الكلم، د.ت)، ص: ٤٤. وفي هذا عميق إشارة إلى الدقة المتناهية التي وسم بها الحرف العربي، وكيف أن كل ما رُسم فيه هو لقصد أو معنى، وهذا عين جمال وقيمة هذا الحرف العربي المبين.

الجوهر الفرد لأنهم غير قائلين به"^(٥). وبذلك، استخدام النقطة للدلالة عن موجود في حال حذفه، إشارة لمّاحة، استخدمها الكتاب ليعطوا القارئ فرصة استنتاج هذا الموجود، ويكون الحذف بين أمرين: عدم ضرورة الذكر لقلة أهميته، أو ضرورة الحذف لإثبات الحتمية بوجوده، وهذا ما كان بالنسبة للحذف هنا، أي الأهمية للمحذوف حتى صار حتمية متداعية في ذهن القارئ وإن لم يُذكر. والمتلقي هنا قد أعطي مساحة حرية عالية في محاورته لنفسه من خلال قراءة العنوان، فهو في تأصيل للحذف بالذكر، وللذكر تحت ظل الحذف، وهذا شيء من بناء الحوارية الكلامية الداخلية عند المتلقي، يفضي إلى تعالق ذهني بينه وبين النص المحذوف الذي سيأخذه إلى مزيد من شغف اكتشاف الموجود منه عبر قراءة النص كاملاً، فيقع تحت سحر الحذف الذي يوجز ببلاغة، وقد نسب لابن الأثير^(٦): "أمّا الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر أشبه بالسحر، وذلك أن فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذب أنطق ما تكون إذا لم تنطق"^(٧).

(٥) التهانوي، مرجع سابق، ج ١، ص: ١٧١.

(٦) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب: وزير، من العلماء الكتاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر، وتعلم بالموصل، كان قوي الحافظة، من محفوظاته شعر أبي تمام والمنتبي والبحتري. ومن تأليفه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، توفي ببغداد سنة ١٢٣٩م. يُنظر: الزركلي، مرجع سابق، ج ٨، ص: ٣١.

(٧) مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط٢، ج ١، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦م)، ص: ٣٤٩-٣٥٠.

وجاءت علامتا التعجب^(١) لتؤكد معنى التعجب من احتمالية منعدمة هي احتمالية ألا يكتب الفیصل. والاستفهام هنا ليس إلا استفهاماً تقريرياً؛ فالمسؤول عنه مُقرّر الجواب بحصوله؛ لفضل أسلوب الشرط وتضافر علامات الترقيم السالفة الذكر. وعلامة الاستفهام تأكيد على هذا التقرير عندما جاءت لاحقة بعلامتي التعجب.

وأما النسق التالي الذي ساهم في تشكيل العنوان المركز فهو النسق الخطّي. وللخطّ وظائف رئيسة، منها التسجيل التاريخي، والإنتاج المعرفي، والتأثير الجمالي^(٢). وقد جاء العنوان شاخصاً مختاراً قالب خطّ الرقعة بحبر أسود اللون. وخطّ الرقعة من أنواع الخطوط التي تعود إلى الخطّ اللين في العربية^(٣)، وهو خطّ "يمتاز بسهولة قراءة حروفه المنبسطة. وسمّي بذلك لأنه يكتب على الرّقع الصغيرة لتسهيل مهمة كتابته في الاستخدامات والمُخاطبات العامة،

(١) تنسب علامات الترقيم في وضعها لأحمد زكي باشا، وقد وضعت تأثراً إيجابياً بالكتابة الغربية، وأفادت كثيراً في فهم المعنى مع غياب القراءة الجهرية، وهي تعين على استيعاب إشكاليات الجمل المكتوبة، مما يمنح القارئ فرصة لتلقّي أعقق الجملة العربية، وكذلك تعين على التلوين الصوتي في القراءة الجهرية، وتذهب الباحثة إلى أنّ علامات الترقيم بمثابة النوتة الموسيقية للقارئ العربي متى ما أحسن توظيفها في إيصال المعنى، ويمكن تطويرها بشكل أعقق في حال التدريب الخطابي والتأثير الصوتي على الجمهور. يُنظر: باشا، أحمد زكي، الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، قدم له: عبدالفتاح أبو غدة، (سوريا: مكتب المطبوعات الإسلامية بعلب، د.ت).

(٢) لمزيد من التفصيل، ينظر: محيسن، عبدالجبار حميدي، الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية، (المملكة الأردنية الهاشمية: المكتبة الوطنية، ٢٠٠٥م)، ص ٣٧ وما بعدها.

(٣) للخط العربي نوعان: "اليابس الذي يتميز باستقامة خطوطه، واللين ذو التدويرات الظاهرة على حد سواء، ولكل واحد منهما قياساته واسمه الذي يدلّ عليه"، يُنظر: المرجع السابق، ص: ٣٩.

ولذلك جاءت أشكال حروفه صغيرة بقياساتها، كما أنّ النقط الثنائية والثلاثية للحروف تُكتب مُتّصلة لهذا الغرض أيضاً^(٤). وفي ذلك معنى ضمني يُفهم من اختياره، فما في النصّ هو كلامٌ لعامة الناس، يمكن أن يعيّه كلّ إنسان مهما كان بسيط الثقافة، وسيكون بسلاسة استقباله منبسّطاً في وعي الأذهان، تعقله بليونية ويسر وبلا تركيبٍ أو تعقيد أو إشكال. ويكون العنوان بخطّ الرقعة قد تولّى بنفسه مهمة الاقتراب أكثر من المتلقي، ذلك الاقتراب الناعم الهادئ الذي يحمله هذا الخطّ بما يريح البصر عند تذوقه للوهلة الأولى. وهو ما سيعطي مزيداً من الشغف للولوج إلى النص كاملاً.

بيد أنّ الأمر لا يتوقّف عند شكل الخط المختار فقط، فلون الحبر الأسود يتصل بتناغم وانسجام مع اللون الأسود في الصورة العلوية للمؤلف، فلون (العقال والمشلح) هو السواد أيضاً، وهو ما جعل العين تلاحظ هذا الانسجام بشكل عفوي غير متكلف، وأرجعها إلى تحقق التضافية مرة أخرى، أي التضافية اللونية، فيبرز الأسود الذي هو عادة ما يكون لباساً "للأشخاص المهمّين، واللون الذي فيه من التحدي ما فيه والسيادة، ومرات الغموض"^(٥)، هو الرابط القويّ الحاضر بين عتبة الصورة، وعتبة العنوان المركز، بل وحتى الإشارة النصية الخلفية في الغلاف الخلفي. وبذلك يحدث مزيداً من التكاثر

(٤) وضع هذا الخطّ ممتاز بيك الخطاط العثماني، وطول الألف فيه ثلاث نقاط، يُنظر: المرجع السابق، ص: ٩٢.

(٥) Wills, David (2010), p: 36.

الانسجامي بين العتبات الخارجية من جهة، وبين النص المسرود بالحبر الأسود من جهة أخرى، لتتحقق شمولية الاتباع والتوازي بين النص الموازي والنص المركز المطروح.

د. اسم المؤلف:

يرتكز اسم المؤلف في وسط حوارٍ مع سائر العتبات الخارجية، متمثلاً دوراً فاعلاً في تكوين الحكم الجمالي لدى المتلقي، إذ يشكل نوعاً من التنشيط "للإسقاطات النقدية التي تتفاعل معها أحكام القيمة التصنيفية بطريقة آلية، ما بين الاسم الذي يحلّ على الصفة التقديمية، وما بين الاسم العلم الذي ينعت بالمرجعي"^(١). فالفيصل معلوم السيرة بشعره الفصيح والنبطي، وبإجادته لفنّ الرسم، فهذه سمات تقدّمية، قد تحدث تصنيفاً آلياً لجنس النص ونوعه، فتضع المتلقي في أهبة استقبال نص شعري في المرتبة الأولى، ثم يحدث أن يهبه النص لاحقاً كسرّاً لأفق توقّعه عندما يواجه فيه المتلقي نصّاً سرديّاً، محكوماً بالسرد، وإن لم يخلُ من مقاطع شعرية فصحي ونبطية في مفاتيح أو خواتم بعض أجزائه. من جهة أخرى، تبقى المرجعية السياسية حاضرة في تلقي اسم المؤلف، فهو الأمير صاحب السمو الملكي، أمير منطقة مكة المكرمة - حفظه الله -، وهو المعلوم لدى المتلقي بتاريخه السياسي الطويل في خدمة المملكة العربية السعودية، الوطن الكبير. وهذا سيجعل الحكم القبلي تقدماً تصنيفياً للمرجعية

السياسية، فيتوقع من النص سيرة سياسية وحكايات للوطن من خلال عيون الفيصل، ومن خلال تنقلاته في مناصب حكومية متعددة، لا تخفى عن أي مواطن. لكنّ النص بين الإسقاطة النقدية في تلقي اسم المؤلف، التقديمية، والمرجعية، لن يحرم المتلقي من مساحة حرّة لتذوق جمالية اسم المؤلف باعتباره عتبة خارجية. إذ سينال تموضع هذا الاسم شيئاً من جاذبية التضافر اللوني. بل وسيتمّ ضمّه لرحابة العتبات الخارجية مجتمعة من خلال اللون الذهبي الذي اختير للاسم بداية، ثم من خلال حضور الاسم بدون تقديمية مرجعية، أي بدون لقب "الأمير".

فأما اللون الذهبي، فهو من معالم الحضارة الإنسانية اللونية الأولى، ومصدره هو المعدن النفيس: الذهب. ولقد "عرف الإنسان الذهب منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد في آسيا الصغرى ومصر، وكان وجوده خراً في الطبيعة ولم يكلف الإنسان نفسه وسعا للحصول عليه، فهو يوجد على شكل عروق أو كتل أو قشور أو على شكل حبيبات صغيرة في الرواسب النهرية وبين الرمال"^(٢). ويزعم بعض الباحثين ألا يستطيع أحد أن يحدّد بداية علاقة الإنسان بالذهب، وقد ربطوه بقرص الشمس من عام ألفين قبل الميلاد، وألبسوه قداسة مستمدّة من بعض الديانات الوثنية القديمة التي كانت تعبد الشمس، فجعلوه لون الخلود، الذي لا يصدأ ولا يتغير مع الزمن^(٣). وقد قيل: "

(٢) الأسدي، محمد أمين، الأحجار الكريمة وجواهر الدرر الثمينة، ط ١، (بغداد: الوراق للنشر، ٢٠١٢م)، ص: ٢٨٧.

(٣) BBC A History of Art in Three Colours Episode 1: Gold,

(١) أشبهون، مرجع سابق، ص: ١٧.

الظهور. كلّ هذا يقوله الاسم الذهبي الذي سيُبوَح بالمسكوت عنه في نص الكتاب، فيأخذ النص موطنًا مقدّرًا في وعي المتلقي من قبل أن يقرأه.

هـ. الإشارة النصيّة الخلفية:

إذا ما وصل الحديث عن العتبات الخارجية إلى حدّ الإشارة النصية الخلفية: (كتاب ليس فيه "أنا")؛ يكون البحث قد بلغ آخر محطاته في تحليل وقراءة العتبات الخارجية. وتظهر هذه الجملة في الركن القصي من الغلاف الخلفي للكتاب، بشكل تراتبي عمودي يبدأ بكلمة (كتاب) وينتهي بالضمير ("أنا") بين قوسَي التنصيص وبحجم أكبر بما يزيد عن ثلاث مرّات من حجم خط باقي كلمات الجملة، وفي انعكاس كامل لتموضع اسم المؤلف في الغلاف الأمامي؛ ولكن بحبر أسود. وقد تمّت الإشارة في أكثر من موضع للحركة السطحية التي أجرتها الجملة تضادًا مع الوظيفة الإيحائية للصورة أولاً، ثمّ العنوان المُرَكَّز، ثمّ اسم المؤلف^(٣). لكنّ هذا التضاد الأولي، سيخبر عن حركية داخلية في البنية العميقة للجملة بسبب تموضعها وطريقة رسمها.

والتركيب النحوي لهذه الإشارة جاء في قالب الجملة الاسمية. وقد جاء في كلام عبدالقاهر الجرجاني، ما مفاده أنّ الجملة الاسمية تدلّ على ثبات المعنى، بينما الجملة الفعلية تكون غالبًا أكثر مرونة في قبول التجدّد الذي قد يطرأ على المعنى^(٤).^(١) وهو ما قد

الذهب أشرف المعادن وأرفعها قدرًا وأعظمها سرًّا وأنقلها وزنًا، ومن أعجب ما يكون في هذا الحجر أنّه لا يفنى، ولا يتصدّد ولا يتغير ولو أقام تحت الأرض ما أقام من الزمان"^(١). ولو لم يكن اللون الذهبي مستحسنًا ممدوحًا له من القبول العميق في النفس البشرية، لما وصف الله سبحانه وتعالى به لباس أهل الجنة في أكثر من موضع نعيم^(٢). فلمّا يكون اللون الذهبي، هو اللون الذي يسجّل به اسم المؤلف مدادًا، يكون قد أضفى معنى جماليًا عميقًا، يقع في نفس المتلقي موقع معاني التشريف والرّفعة وتخليد الذّكر الحسن والحكم والمُلك. ولكّنها معانٍ تتحرّر من احتمالية التّفاخر غير الممدوح، وذلك بسبب خلوّ اسم المؤلف في تموضعه هنا من التّقديميّة المرجعية التي أشير إليها آنفًا. وبذلك، يصبح التّضافر اللوني من نصيب اسم المؤلف، عندما يرسل معنى التّواضع مع التّأصيل التشريفي الملكي العميق، فتتكوّن وظيفة تفاعلية ذكية بين اللون الذهبي المختار للمداد، وبين الخلوّ من التّقديميّة المرجعية، مع جعل الاسم في تموضع يمكن رسمه بتموضع (حيّي) في ركن صفحة الغلاف، ليعطي معنى غاية في العمق، هو معنى السموّ والعُلُوّ الممنوح، والتّواضع المختار في

<https://www.youtube.com/watch?v=9Cl2UZiZC9A>

(شاهد في: ٢٠١٨/١/١م).

(١) المغربي، أحمد بن عوض، قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج معارف الأسرار. ت: بروين بدري توفيق، (بغداد: سلسلة خزائن التراث، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م)، ص: ٤٣.

(٢) مثاله، قوله تعالى: ﴿بِهَ هَ هَ هَ هَ﴾ [الكهف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿جَ جَ جَ جَ جَ﴾ [فاطر: ٣٣]

(٣) يُنظر في هذه الدراسة الصفحات: ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧.

(٤) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م)، ص: ٢٠٠.

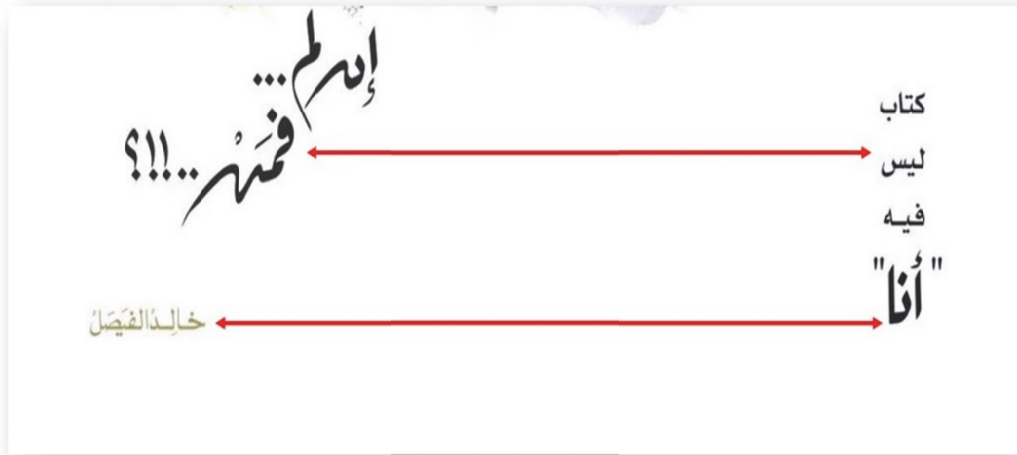
القارئ في تتبع مسيرة الوطن في النص السردى للكتاب.

و("أنا") هذه تصنع إشكالية جمالية من عدة جهات، فهي موجودة بخط غير الخط الذي كتبت به كلمات سائر الجملة، فالظاهر بأن الجملة مكتوبة بخط النسخ^(٢)، بينما ("أنا") جاءت مكتوبة بخط الرقعة الذي هو الخط المختار للعنوان المركز في الغلاف الأمامي، وهو كذلك الخط الذي كتب به النص كاملاً في الكتاب. كما أنها جاءت بين علامتي التنصيص ("أنا")، وبحجم أكبر من سائر الكلمات. وحقيقة، هذا ساهم في إحداث جلبة جمالية عميقة، تجعل القارئ يقارن بين الكلمات كلها في الغلافين، فيقوده الأمر إلى إيجاد علاقة تناغمية بين هذه الكلمات بسبب التركيب النحوي لها من جهة، ثم بسبب الرسم الخطي لها من جهة أخرى ووفق المعطيات التي احتملتها ودونما أي إسقاطية، وقد بدت لأول وهلة كما يظهر في الشكل الآتي:

يوشي بثبات هذه الجملة، والمعنى الذي فيها، لكنها تكسر أفق توقّع المتلقي بحركية عميقة مخاتلة تماماً للمتوقع. فعند إعمال القراءة أكثر، سيلاحظ بأننا أمام جملة اسمية تبدأ بخبر محذوف المبتدأ، فيكون التقدير: (هذا كتاب). ثم تتلوه جملة فعلية -في محل رفع خبره- فعلها جامد ناف (ليس)، أي لا يقبل التصريفات الزمنية، بل يأتي على صيغة واحدة هي الماضية، ومفيداً النفي. فيصبح النفي هنا قراراً زمنياً لا جدال فيه، ثابتاً لا يتزعزع، وهو ما يوصد دون المتلقي أي باب للاحتمالية نفي النفي. فيكون الخبر المحذوف لهذا الفعل متقدماً، تتعلق به (في) المكانية دلالة مع الضمير الذي خضع للقيام بدور الاسم المجرور والعائد على (كتاب). فيكون نفي الخبر مكانياً بدلالة (في)، فلا مكان للاسم والخبر في هذا الكتاب، أعني اسم وخبر (ليس)، ومن ثمّ، ثبات النفي متحصل من جهتين: الجملة الاسمية الابتدائية، و(ليس) النافية الجامدة. وهذا يدعمه آلياً وقوع جملة (ليس) الفعلية في محل رفع نعت للخبر (كتاب)، والنعت لا يفارق المنعوت بل يتبعه كما هو معلوم، ومن ثمّ يثبت النفي في ذاته، ثم يثبت لغيره، وهذا كله يفيد معنى انتقاء (أنا) عن النص. وهو ما يحقق أقصى دلالة التسامي عن حصره في (أنا) فردية، ويصبح مشروع (أنا) كبرى هي ما يلقاه

(٢) "خط النسخ هو الذي شاع استعماله في كتابة المصحف الشريف، حيث حل محل الخط الكوفي وخط الثلث، وهو من القرن الرابع الهجري، ووضع قواعده الوزير ابن مقلة وطوره ابن البواب". يُنظر: محيسن، مرجع سابق، ص: ٦٩، سمي النسخ بهذا الاسم "لأن الكتاب كانوا ينسخون به المصاحف والمؤلفات، وكان ابن مقلة يسميه البديع. وفي زمن الدولة الأيوبية هو أعلى درجات التحسين، وقد كُتب به على المحراب في المسجد الأقصى المبارك". يُنظر: صالح، روعة، علم الجرافولوجي، ط١، (المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ٢٠٠٨م)، ص: ١٣٦.

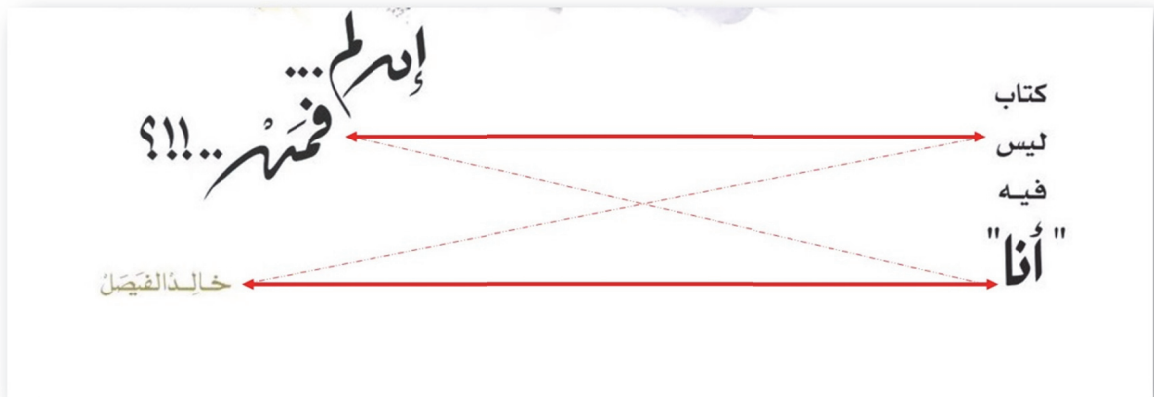
(١) لذلك جاءت معظم أحكام القرآن العقديّة في صيغة الجملة الاسمية، بينما أحكام المعاملات جاءت على صيغ متنوعة بين الاسمية والفعلية وفق مساحة الاجتهاد في الحكم، يُنظر: السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، ط٢، (الأردن: دار عمار، ٢٠٠٢م).



الشكل رقم (٢)

أشبه براية قائمة لافئة للمعنى الباطن في الجملة. ثم تستقرّ (أنا) لتقابل اسم المؤلف: خالد الفيصل. وأمّا ("أنا") المشاكسة بحجمها ورسمها، في حال أعمل القارئ بصره في قراءة حسية تشكيلية لحركة المعنى والكلمة؛ تجعل إمكانية ترتيب الأمر في الشكل رقم (٣) بتفعيل التناسب الخطي والتركيب النحوي لكل العتبات على النحو التالي:

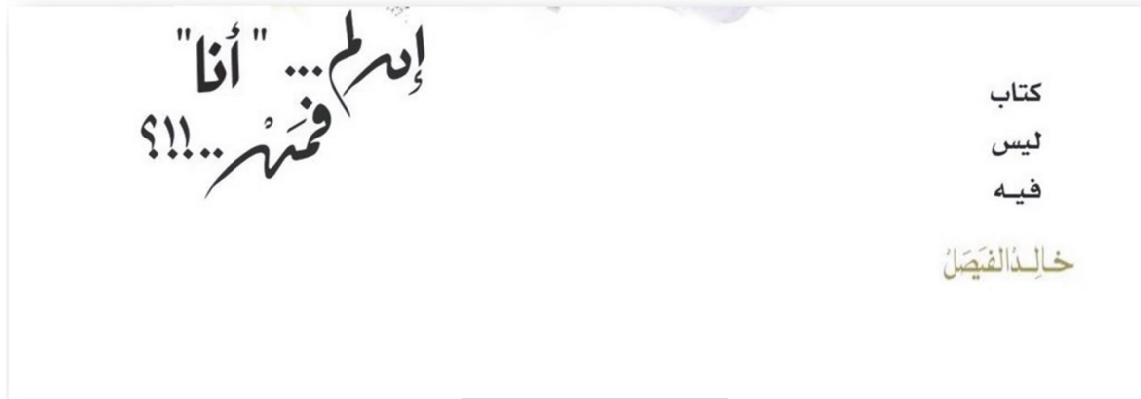
يبدو وكأنّ الجملة الخلفية في حالة تناظر أو ما يشبه العلاقة المرآتية التي تعكس تمامًا تموضع العتبات الأمامية، فتشكل وحدها عتبة خلفية، تتبدّى ضئيلة في حجمها الظاهري، لكن بشيء من العرض والمقارنة بينها وبين العتبات الأمامية، تجد بأنّ هنالك تناسب قوي وتناغم بينهم جميعاً. فأول الجملة (كتاب ليس فيه) قريب جدا في تموضعه التراتبي العمودي من العنوان المركز، هذا الترتب الذي جعله



الشكل رقم (٣)

ما يجعل الذهن يتوجه إلى مشاكسة العتبات هنا بطريقتها هي. فلو أُعْتَبِرَ بأنَّ العتبة الخلفية هي انعكاس عميق للعتبات الأمامية، فسيكون ذلك ممكناً إلى الحدّ الذي يظهره الشكل التالي:

وهنا يتضح الأمر أكثر؛ ف("أنا") أقرب لانتمائها الرسمي إلى العنوان المَرَكز، فهي من ذات الخط والحجم تقريبا، واسم المؤلف أقرب إلى الجملة (كتاب ليس فيه) في شكله وحجمه عدا لونه الذهبي، وهو



الشكل رقم (٤)

فالكتابة هنا نابعة من "أنا" الكاتب، وتكرار الياء في أفعال البداية (أكتبني، أشرحني) دليل على انتمائية النصّ إلى صاحبه بحقّ الكتابة، لكنّ هذا الانتماء تسامى في تبادلية، حين عبّر عن ("أنا") ياء واقعة تحت فعل الكتابة والقراءة في الفعلين (أكتبني، أشرحني) وبذلك، تتحرّر ("أنا") من دلالة الفاعل وسجنها إلى دلالة أرحب، تمتدّ لسائر الجملة الفعلية. وهذا ما صوّر الكاتب في حالة انتماء عالية إلى هذا النص، فلسان حال النصّ هنا يظهر كجسر تعبره الذات للآخر: (لتقرأني، ولتفهمني)، إنه قناة تواصل

إذ يتناسب المعنى والشكل بشيء من تناغم جميل، فيصير البناء: إن لم تكتب "أنا"، فمن يكتب؟ أو: إن لم أكتب، فمن أنا؟ وكلا التقديرين يحملان معنى جليلاً، يؤيده العتبة الداخلية التي أخذت مكان المقدمة، فالكتاب يقول في أول قسم فيه:

"لماذا أكتبني لتقرأني؟

لماذا أشرحني لتفهمني؟

لأنني منك وأنت مني..

وكلانا بأغنية الوطن نغني..". (ص: ٦).

والحجمي والتموضع، هي ما يوحي بذلك، فخالد الفيلصل ليس وحده في الكتاب، بل وطن خالده الفيلصل بأحلامه وآلامه وأفراحه وأحزانه ونجاحه، فكان من البدهي التعبير عنه بـ "أنا" مختلفة، بينما أنا التي تكون في السؤال (إن لم.. فمن...!!؟) هي النفس العظيمة التي تماهت في تواضعها فما عادت ترى (أناها) إلا من خلال وطنها. وبذلك تمّ جواب السؤال قبل فتح الكتاب، وما هذا إلا طور متقدّم جدًّا من الوعي، فالإنسان يمكنه أن يصيغ السؤال حتمًا، لكنّ القيمة المعرفية للسؤال في صياغة إجابته من ذات الإنسان بهذا التركيب إشارة عميقة للقيمة المعرفية التي يريدها السائل بأن تتوالد في ذهن المتلقي عند معايشة هذا النصّ.

وبذلك تكون العتبات الخارجية في حالة من الدوران والحركة والتفاعل ضمن فنون الخط والرسم واللون والحرف، وكأنّها مدوّنة تامّة لخوارج الجمال الذي يسكن الذات، فإذا ما انتقل المتلقي إلى العتبات الداخلية، كان قد تهيأ لذلك الالتحام مع عتبات النص الداخلية المفضية إلى أقسامه وتفصيلاته.

٣.١.٢. العتبات الداخلية:

لا شكّ بأنّ " العنوان ليس هو القلب الذي يختزل كل مضمون النص اليوم، العنوان بغموضه واستقزازه لسؤال: ماذا تخبّي وراءك؟ هو النافذة التواصلية الأقوى في عملية التلقي"^(٤). ولقد تجلّت استقزازات عميقة من العنوان والعتبات الخارجية الأخرى خلال

كبيرة بين روح الكاتب، والمتلقي، بجمالية ميثاق الوطن الذي ييوح به من أول جني الكتاب وحتى آخره. ويصير فعل الكتابة وفعل القراءة منتجًا لـ (أغنية الوطن) التي يشترك فيها الكاتب مع القارئ (نغني) عبر النون الدالة على الفاعل الجماعي وليس الفردي. فتذوب "أنا" بحصول (أغنية الوطن) لتكون أنا كبرى (أنا الوطن) وليس أنا الدالة على الفرد الواحد المجموع بإدراكاته في البدن الحسي، ممّا يجعل وجودها في تموضعها المختلف مقبولا جدًّا، بل مستحسنًا.

وهذا التصعيد في معنى ("أنا") فيه من روح الفلسفة التي باح به فلاسفة الإسلام وعلماء الكلام، ففي إشارة للشيخ الرئيس ابن سينا لمعنى "أنا"، يقول: " الإنسان الذي يشير إلى نفسه بـ "أنا" مغاير لجملة أجزاء البدن، فهو شيء وراء البدن"^(١)، ويقول الراغب الأصبهاني: "أنا ضمير المخبر عن نفسه"^(٢)، ويقول الرازي: " النفس لا معنى لها إلا المشار إليه بقولي "أنا"."^(٣) وهنا، ثمة معنى يستوقف المتلقي بجماليته، فالذات التي حملت العنوان المركز سؤالاً معتمدًا على جودة إيجاز الحذف، هي التي تجيب عن هذا السؤال في العتبة الخلفية التي مثلتها الإشارة النصية. والتبادلية التي تحصلت بالتناسب الخطي

(١) جهامي، جبرار، موسوعة مصطلحات ابن سينا (الشيخ الرئيس)، ط١، (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٤م)، ص: ١٦٦.

(٢) الأصبهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيتاني، ط٣، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠١م)، ص: ٣٧.

(٣) دغيم، سميح، موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، ط١، (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م)، ص: ١١٠.

(٤) أشبهون، مرجع سابق، ص: ١٧.

لم تخلّ في بنائه، بل باشرت بشدّ بعضه إلى بعض في إحداث فردانية قائمة للنص. إذ جعلت فيه بحبوة سردية، والكثير من النصوص الشعرية، دونما الالتزام بخطّ تجنيسي خالق.

ويطلع على القارئ السؤال الذي يتصدّر المقدمة المنفكة من تسميتها بمقدّمة: (لماذا؟)، ليعطي للمساحة الحرة مزيداً من الرّحابة، ومزيداً من التفاعل مع المتلقي، فيكون التقدير: لماذا يكتب خالد الفيصل؟ وهو السؤال الذي اقترن في ليونة مع العتبات الخارجية.

وتتوالى الإجابات هذه المرة، مُعلنةً في هذه المقدمة أنّ الكتابة جاءت استجابة لقارئ واقعي. وهو ما يسمح بالزعم لدى القراءة بأنه أصبح في طور الكتابة قارئاً ضمناً قُصد بالكتابة، لكنّ هذه الاستجابة لهذا القارئ جاءت متفردة غير محدّدة بجنس أدبي، يقول:

"ولكنها ليست مذكرات شخصية

ولم أقصد بها سيرة ذاتية

ولم أكتبها تقارير رسمية...

فما هي إلا تجربة إنسانية" (ص: ٦)

ثم يردف في ذات المقام:

"إنها وقفات في مراحل زمنية

ونظرات تأملية لومضات ذهنية" (نفسه)

وهو ما يعيد القارئ إلى ما رآه وقرأه وتلقاه في العتبات الخارجية للنص؛ فالتأمل والنقاء والمصارحة والمواطنة، وتذويب الأنا، والتحدى، والإيمان، واجتماع الفنون المختلفة من رسم وحرف ثم تغني،

لقاء المتلقي بالنص، حتى وصل إلى العتبات الداخلية فيه. وعلى الرغم من قوة العتبات الخارجية وأهميتها، بيد أنّ العتبات الداخلية هنا، اشتملت الكثير من ركائز ودعائم تدلّ على ما جاء في العتبات الخارجية، بل وتعالقت معها كثيراً. وتمثلت في هذا النص في: الخطاب المقدّماتي، والعناوين الفرعية التي كانت في بداية كلّ قسم من أقسام النص واللون البنفسجي الذي ظهر معها على شكل "لطة لونية" متتابعة في بداية كلّ فصل، وخاتمة الكتاب التي لم تسجّل بأنها خاتمة، وإنما بورقة سمّاها النصّ: شهادة.

وأما **الخطاب المقدّماتي**، فهو ما يكون شهادة على جنس النص، وهو خطاب " متواليات قولية تقضي إلى فكرة/ رؤية بداخلها جينات خطاب آخر يحركها ويوجه عقلها البين بعقل باطني، وهو ما يُصطلح عليه بالحديث الإيديولوجي، والذي يتغلغل باشتهاء داخل الخطابات المقدّماتية الحديثة، وكلّما كان هذا الخطاب مشتملاً على أكثر مما نتصوّر، فإنه يبقى أقل" (١) من النصّ نفسه ارتباطاً بباطنه، فهو يتقدّم تجاهنا أكثر، أكثر مما يتجه إلى النصّ نفسه. والمواجهة في هذا الخطاب، تكون مع (تجنيس النص). فالنص يرفض إلا أن يكون حرّاً من جنس السيرة الذاتية، سواء كان في بناء عتباته الخارجية كما تقدم، أو في بناء عتباته الداخلية كما سنرى. وهذه الحرية التي رامها النص؛ أنتجت إرباكية جمالية

(١) حليف، شعيب، هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م)، ص: ٤٠.

كل هذا يشي به الخطاب، شاهداً على حضور الأحلام والوصول في مسيرة وطنية كبيرة، حتى يصل إلى جملة ختم بها المقدمة قائلاً: "إنها فترة إنكار الذات لبلوغ الغايات" (ص: ٩)، وهو ما يتضافر بإسفار مع تموضع العتبات الخارجية وتحليلها.

ويبقى الجنس الأدبي لهذا النص منفياً عن السيرة الذاتية، فلا يقبل بها، بل يقدم استخدام (أغنية الوطن) على كتابة السيرة الذاتية، ولكن فعل الكتابة ثابت موجود، على الرغم من الصوت المسموع فيه، فأغنية الوطن ما هي إلا سيرته ومسيرته التي التحمت بها الأنا وتماهت حتى صارت هي هي. ومن ثم، تحقق للنص الحضور الفني الشامل عبر إدخال دائرة الصوت الغنائي إليه، فالصوت "هو وسيلة اللمس عن بُعد، وهي مطابقة لطريقة انتقال الصوت بعيداً إلى أذن الشخص كشيء محسوس، مما يثير ردوداً عاطفية وحقيقية، ومن ثم للصوت قوة مؤثرة على الناس"^(١). ولكّنه هنا مسموع في وعي المتلقي بصور مفتوحة لا حدّ لها، وحتى يبقى أكثر، جاء مكتوباً في هذا السرد، فالصوت "يعيش وقته ويتبدد بسرعة، فهو لا يترك أي أثر، ومعرفة التاريخ تحتاج إلى آثار، وهذا هو أهم أسباب وجود الكتابة"^(٢). وهنا تمّت الكتابة مع استحضار جمالية الصوت. لكن بقيت إشكالية تجنيس النص، النص

الذي يرفض في عتباته قبول السيرة الذاتية لـ "أنا" الكاتبة. وبشيء من التنقيب في منطقية رفض النص للتحديد في نوع السيرة الذاتية، يجد المتلقي بأنّ حركة الذات عبر تنقلاتها بين الوطن والنص، وتنقلاتها عبر الفنون الجميلة التي تهيأت أسبابها في العتبات الخارجية للنص بجلاء مدهش، يجعل من قبول تمام التحرر حتى تجنيساً لهذا العمل أمراً متوقّعا. فالذات تكتب نصّاً يتجول في أركان الذاكرة، لكنها ذاكرة تعيش في استدعاء لأحداث وطنية كثيرة، وتفاصيل لم تخرج عن الوطن حتى في أصغرها. ومن المعلوم أنّ الذاكرة هي "جوهر الهوية الذاتية"^(٣)، إذ "ماذا يتبقى من الإنسان من دون ذاكرة"^(٤). وتبدو الذات في استدعاء كبير للذكريات، من ساعة الطفولة وحتى الكهولة كما تذكر في الخطاب المقدّماتي، تقول:

"فما أكتبه لا يعدو كونه تأملات مواطن

ليس لها مراجع إلا ذاكرة مُسنّ" (ص: ٩).

فتشخص الذاكرة إذن مصدراً للنص، وهي نوع من "تكبير الصور الفوتوغرافية الصغيرة"^(٥) التي تغيب تفاصيلها عن عيون الراشدين بينما يدركها الأطفال فيكون وعيهم بكل تلك التفاصيل. وفي حالة التذكر تعاد هذه التفاصيل إلى المشهد البصري المتأمل بعين الراشد لترى ما رأت من قبل، ولكن هذه المرة

(٣) سكانلان، جون، الذاكرة: لقاءات مع الغريب والمألوف، ت: طارق عليان، (أبوظبي: كلمة، ٢٠١٧م)، ص: ١٤.

(٤) المرجع السابق، ص: ١٥.

(٥) المرجع السابق، ص: ٦٥.

(١) هندي، ديفد، الضجيج: تاريخ إنساني للصوت والإصغاء، ت: بندر محمد الحربي، مراجعة: سعيد الغانمي، (أبوظبي: كلمة، ٢٠١٦م)، ص: ٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ٢١.

عالية على الفردانية، ليصبح النص ذا قيمة جمعية وطنية سامية، تقدّم سجل حياة لوطن وليس تجربة فردية سامية فحسب. إنّ ماهية الذاكرة الصانعة هنا لصور وطنية، تدفع بالمتلقي لبناء وعي بالوطن، وبالعالم، هذا الوعي هو نفسه الذي سيشكل وعي المتلقي بالذات المتجذرة، ليدرك أنه امتدادها المرجو، والمتأمل منه استكناه هوية الوطن المطروحة بشفاافية الفرشاة الضاربة باللون الأبيض من أول العتبة اللونية وحتى آخرها في النص. ويكون هو المصور التالي لاستكمال المهمة السامية في تشكيل الصورة المستقبلية اللاتقة بهكذا صور ماضية وحاضر معاش.

ولو تجاوز القارئ كل هذه المعطيات، واعتبر بأنّ هذا النص في آخره هو ليس إلا مدونة لسيرة ذاتية، سيكون قد تجاوز ما صرّح النصّ بنفيه، ليسقطه عليه إسقاطاً عالياً. وهو بذلك معذور لشدة التشابك بين النص المطروح وطبيعة السيرة الذاتية. والسيرة الذاتية هي نفسها "تستعصي على كل محاولات التصنيف"^(٢)، وهي مرتبطة كثيراً بزمان العمر البشري، فالناس تكتب سيرتها في نهاية حياتها، والجمهور عادة يكون على معرفة مسبقة بكتاب السيرة، مع وجود استثناءات لذلك^(٣). وكون النص هنا قابل للجدل كثيراً حول تجنيسه، فإنّ القراءة تميل إلى تركه حرّاً متنقلاً بين الذاكرة، وبين ما يشبه سرد

بوعي مختلف، وفهم ثلاثي الأبعاد. فتحكي عن المحكي القديم لتفهّم الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل الذي هو امتداد لجذور النقطة الصور المكبرة في الذاكرة. فتغدو الذاكرة ملجأ الافتتان برمز ما أو حدث، فتصير للذات بؤرة الطفولة التي يتلمس أثر تكرار تجربتها في اللحظي لعميق أثرها في الماضي، ويصنع أسبابها في المستقبل لتتكرر بنجاحها الباهر.

ولو سلّم بأنّ الحواس هي مناط الذاكرة خاصة البصرية^(١) باعتبار الذاكرة صوراً فوتوغرافية متتابعة فمعنى ذلك أنّ آلاف التفاصيل ستسجلها هذه الذاكرة وتخزنها في شريط فيلمي سينمائي، يخرج إلى النور في حالة الدفقة الفنية التي يقررها المبدع. وهو ما ينقله إلى الأزمنة المتعددة المتعاقبة، ويولد حالة البعث الزمني لكل حدث قد وقع، فينقل الماضي إلى الواقع والميت إلى حي في اعتبارية زمنية خلقها المبدع في لحظة الدفقة الإبداعية، هذه اللحظة ستصنع "عالمًا معيشًا" يتمثل أمام المتلقي وينخرط فيه ليكون فردًا مشاركًا في حيثياته كلها، بل ويتفاعل وجدانيًا مع هذا العالم ولربما ضحك أو بكى أو استعبر أو تعجب أو حتى تألم. وعند تحقق هذه الحالة "الوجدانية" بين يدي النص يكتب للنص أول علامات الخلود الأثري، ويحقق غاية الرسالة التواصلية الجمالية منه، وعبره سيكون إرساء القيمة الفكرية التي يحملها في طياته، وهنا هي قيمة وطنية

(٢) ماي، جروج، السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي وعبدالله صوله، ط٢، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م)، ص: ٤٩.
(٣) المرجع السابق، ص: ٥٠، "بتصرف".

(١) سكانلان، المرجع السابق، ص: ٨٠، "بتصرف".

السيرة الذاتية، دون أن تفرّ فيه ملامح السيرة الذاتية نوعاً أدبياً صارماً، لا بد فيه من العقد القرائي الضمني، أو التحديد النوعي للمتكلم في "أنا". فالقراءة تميل بقوة جهة أن يكون نصّاً شمولياً جامعاً لعدد من ملامح السردية الذاتية، والإحالات

أما العناوين الفرعية مع "اللطخة اللونية" البنفسجية، فقد جاءت فواصل أوحى بتقسيم النص وفق الأحداث والموضوعات، واحتفظت باللون البنفسجي الذي يعطي كلّ ما تمّ الإشارة إليه في الحديث عن دلالاته مع الصورة في العتبة الخارجية^(١). وهي على النحو التالي:

لكل شيء بداية	وهو ما كان حديثاً عن ميلاد المؤلف.
العربة الأولى	وفيها سرد عن الطفولة والنشأة.
العربة الثانية	قدّم فيها سرد عن طلب المؤلف للعلم خارج المملكة العربية السعودية.
رعاية الشباب.. عجاج وضباب	وهنا نلاحظ حضور الصورة الترابية المشوّشة والصورة الهوائية الغامضة وهو ما يفسّره النص في سرد هذا الفصل.
الإمارة.. مسؤولية وأمانة	جاءت جملة اسمية مباشرة.
على شواهد عسير	يظهر حضور قويّ للمكان.
في ظلال الكعبة	وتضمّن هذا القسم صورة تمثّل الطواف، والمركز فيها الكعبة المشرفة، والطائفون كما حركة الكواكب هي مدن منطقة مكة المكرمة، وهو حديث عن منطقة مكة المكرمة في حياة المؤلف.
من الإمارة إلى الوزارة	جملة مباشرة مرة أخرى.
هل يتشكل الإنسان فكراً؟ أم يتشكل الفكر إنساناً؟	سؤال وحثّ من جديد على التفكير.
من نحن.. ماذا نريد؟	سؤال وجودي جمعيّ لتحديد الهوية والمهمة الوطنية.
هل [توطّر] الكلمة فكراً؟	الخط الكوفي ^(٢) جاء مزينا كلمة (توطّر) فقط، مما أوحى بمعنى التنظيم والرسمية لتقديم المعرفة، وهو متناغم مع ما جاء في الفصل من محافل بالمعرفة.

(١) ينظر: ص: ٨ من هذه الدراسة.

(٢) الخط الكوفي هو الخط اليابس الذي تتميز أشكال حروفه بخطوط مستقيمة وزوايا حادة، ظهر بمدينة الكوفة وهو امتداد للخط الحيري الذي ظهر في مدينة الحيرة التي تقع مقربة من الكوفة. وهو الخط الذي دخل قبل كل الخطوط إلى الاستخدامات الرسمية للدولة العربية الإسلامية منذ عصرها المبكر. كما كان له شرف تدوين وتسجيل رسالة الإسلام ومراسلات قياداته وكتبت به النسخة الأولى من المصحف الشريف. وله أنواع كثيرة منها المربع والمورق والمزهر والمظفور والمغربي والبسيط، وذلك نسبة للمزخرفات التي لحقت حروفه. ينظر: محيسن، مرجع سابق، ص: ٤٤-٤٥.

الختام، قابلة لمزيد من سرد وكلام عن مسيرة الذات ومسيرة الوطن في النص الذي لم ينته.

وبكل الحقائق الإنجازية التي يقدمها النص عن الوطن؛ يحسن في استفزاز أسئلة إنسانية كبرى، في ذهن القارئ السعودي والعالمي، وكأنه يسير في تواز مع القارئ الضمني الذي أسهم في إخراجه، فهو وثيقة وطنية، عبرت عن كل سعودي وسعودية، فهو (مجموعة إنسان) يمكن اعتبارها معادلة متوازنة بين مسيرتي: الذات والوطن في تعالق وتضافر سري جلياً في عتباته الخارجية والداخلية. فالذات تتحرك مع وطنها وفي وطنها وإلى وطنها، فمن غربة الإنسان الأولى بخروجه إلى الحياة، وحتى الفقد الأكبر للأحبة، ثم الشهادة المعلنة بصوت الإيمان لكل ما كان في الإنسان، من تحدّ وصراع ووائم وحزن وفرح ونجاح استطاع (إن لم... فمن؟!...) أن يخلق في ذهن المتلقي أجوبة قبل الأسئلة، ووعياً معرفياً وجمالياً، وحراكاً عاطفياً خاطب حواسه قبل عقله، ليؤدي رسالة الاتحاد بين الذات والوطن في النص. وبذلك تحقق للذات ذروة الإحساس بها، حيث تمّ لها أن "تتكشف بكل أبعادها الإنسانية في الحقب التاريخية التي شهدت انتقالات من أوضاع معينة إلى أخرى"^(١)، وقدّمت هويتها وهوية الوطن في وثيقة سرديّة حملت ملامح شمولية لتتأقّف فني متعدد الألوان.

وُخِتم النصّ بشهادة، ولم يختم بالخاتمة التي تضم اعترافاً بنهايته، فالنصّ لازال يكتب كلّ يوم، ولازال منه ذلك الجزء الحرّ المتقل في عالمه وعالم القارئ، يطالعه كل حين بمزيد من سيرة للذات المتماهية مع وطنها وحاضره ومستقبله. فكانت (شهادة) آخر ما ضمّه، وفيها روح سامية للذات، بدت وكأنّها في موقف خطابي:

"أشهد الله أنّه كان لكل أعمامي الملوك الذين تشرفّت بالعمل تحت قيادتهم بالغ الأثر في تكويني الشخصي والفكري" (ص: ٢١٧).

وهنا، بدت الذات في انتمائها الوطني في قوة، أوحّت بها اللغة المستخدمة استنتاجاً (أشهد الله)، فما يشهد عليه الله هو أمر عظيم وفيه من الصدق ما فيه. فكانت فخامة الكلمة تليق بالمقام الذي تنطق في الذات، معددة رموزاً عظيمة للوطن والمتلقي المواطن. بل وهي في حالة الانتماء القدوة الذي تريده من المتلقي، فرغم كل ما سردت عن تاريخ طويل في خدمة الوطن، وكل ما قدّمت من تواضع وتماهي مع الوطن من أول عتبات النص وحتى هذا المقام، هي الآن تقدّم رميتها المصيبة الأخيرة في النص، بأن جعلت خاتمته شهادة بالفضل لأولي الفضل عليها. وجعلت العمل مستمراً في محطة لازالت الذات على درب المسيرة فيها، وهي محطة خدمة المليك والبلاد. فجاءت الخاتمة مفرّغة من

(١) وفكوح، عبدالفتاح، أدب السيرة الذاتية: إضاءات وإضافات، ط١، (المغرب: فضاءات للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م)، ص: ٢٣.

الخاتمة

سعت هذه القراءة في تناولها لنص (إن لم... فمن...!!؟) لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - حفظه الله - إلى تقديم رؤية جمالية فنية للنص، معتمدة على مبادئ نظرية التلقي وجمالية القراءة، ومستعينة ببعض أدواتها. واتخذت من معياري (العتبة) و(التجنيس) آلتين إجرائيتين للقراءة والتحليل، لتثبت فرضية تحرر الذات وتماهيتها في ذات الوطن الكبير، وتعالى النص على قيد النوعية الأدبية، وذلك من خلال مناقشة وتحليل معطيات العتبات بأنواعها الخارجية والداخلية عبر استنطاق الجماليات فيها وربطها بالنص الأساس. وقد وقفت بالتفصيل على دور هذه العتبات في تبلور جدلية تجنيس النص، ومدى التناغم بين المستويات والأنساق الجمالية المختلفة في النص. ويمكن الزعم بأنها حاولت الانفراد بتحرير النص من أي قيد قبلي، يمكن أن يقع عليه عبر التحديد النوعي الأدبي له، وهو ما قدّم للمتلقي فرصة لقراءة البنى العميقة في النص، والانفتاح على مكامن ومواطن يمكن من خلالها فتح قنوات لتحليل النص الداخلي للكتاب في دراسات مستقبلية أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصدر:

- الفيصل، خالد (٢٠١٦) *إن لم... فمن...!!؟*، الرياض: مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ثانياً: المراجع العربية:

- ابن منظور (١٩٩٢) لسان العرب، ت: علي شيري، مج ٣، ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأسدي، محمد أمين (٢٠١٢) الأحجار الكريمة وجواهر الدرر الثمينة، ط ١، بغداد: الوراق للنشر.
- أشبهون، عبدالمك (٢٠١٦) عتبات الكتابة في الرواية العربية، ط ١، القاهرة: رؤية.
- الأصبهاني، الراغب (٢٠٠١) المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: محمد خليل عيتاني، ط ٣، بيروت: دار المعرفة.
- افلام، مارلين دمرجيان (٢٠٠٠) معاني الألوان ورموزها، سنة ٧، ع ٢٦، خريف، دار الحداثة.
- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٨٧) صحيح الجامع الصغير وزيادته، ت: زهير الشاوش، ح ٦-٧، ط ٣، بيروت: المكتب الإسلامي.
- أومون، جاك (٢٠١٣) الصورة، ترجمة: ريتا الخوري، ط ١، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية.
- آيزر، فولفكانك (١٩٩٥) "آفاق استجابة القارئ"، ترجمة: أحمد بوحسن، ضمن كتاب: من قضايا التلقي والتأويل، سلسلة ندوات ومناظرات، ع ٣٥، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- إيكو، إمبرتو (٢٠١٥) تأملات في السرد الروائي، ت: سعيد بنكراد، ط ٢، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- باشا، أحمد زكي (د.ت) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، قدم له: عبدالفتاح أبو غدة، سوريا: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
- بلعابد، عبدالحق (٢٠٠٨) عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرين.

- تمارة، عبدالرحمن (٢٠٠٦) "القارئ وتلقي النص الأدبي بين فولغانغ إيزر وميكايل ريفتر"، ثقافات: مجلة ثقافية فصلية، كلية الآداب، جامعة البحرين، ع١٧، البحرين: مؤسسة الأيام للطباعة والنشر.
- التهانوي، محمد بن علي (١٩٩٦) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم: رفيق العجم وآخرون، ج ١، ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- التهانوي، محمد بن علي (١٩٩٦) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: رفيق العجم وآخرون، ج ٢، ط١، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- الجرجاني، عبدالقاهر (٢٠٠٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت: المكتبة العصرية.
- جهامي، جبار (٢٠٠٤) موسوعة مصطلحات ابن سينا (الشيخ الرئيس)، ط١، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- حليف، شعيب (٢٠٠٤) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- حليف، شعيب (٢٠٠٤) هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- دغيم، سميح (٢٠٠١) موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، ط١، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- الرافي، مصطفى صادق (٢٠٠٠) تاريخ آداب العرب، ط١، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الربيعي، جلال (٢٠١٢) قراءات في التراث: الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي والمقاسبات للتوحيدي أنموذجا، تونس: مكتبة علاء الدين.
- الزركلي، خير الدين (١٩٩٨) الأعلام: قاموس تراجم، ط١٣، بيروت: دار العلم للملايين.
- السامرائي، فاضل صالح (٢٠٠٢) التعبير القرآني، ط٢، الأردن: دار عمار.
- سباع، محمد وآخرون (٢٠١٤) الفلسفة الفينومينولوجية الوجودية عند موريس ميرلو-بونتي: من أولية الوعي إلى مساءلة الوجود، ط١، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
- سكانلان، جون (٢٠١٧) الذاكرة: لقاءات مع الغريب والمألوف، ت: طارق عليان، أبوظبي: كلمة.
- السكندري، ابن عطاء (د.ت) القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، القاهرة: دار جوامع الكلم.
- صالح، روعة (٢٠٠٨) علم الجرافولوجي، ط١، المدينة المنورة: مطابع الرشيد.
- الفراع، سعيد (٢٠١٠) "جمالية التلقي وتجديد تاريخ الأدب"، عالم الفكر، مج ٣٩، ع ١، يوليو-سبتمبر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- ماي، جروج (٢٠١٧) السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي وعبدالله صوله، ط٢، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- محيسن، عبدالجبار حميدي (٢٠٠٥) الخط العربي والزخرفة العربية الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية: المكتبة الوطنية.
- المسكيني، أم الزين بنشيخة (٢٠١٤) تحرير المحسوس: لمسات وجماليات المعاصرة، ط١، بيروت: منشورات ضفاف.
- مطلوب، أحمد (٢٠٠٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط٢، ج ١، بيروت: الدار العربية للموسوعات.
- المغربي، أحمد بن عوض (١٩٩٠) قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج معارف الأسرار. ت: برون بدري توفيق، بغداد: سلسلة خزائن التراث، دار الشؤون الثقافية العامة.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (١٩٥٤) صحيح مسلم، ح ٣-٤، ط١، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان: دار إحياء الكتب العربية-عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- هندي، ديفد (٢٠١٦) الضجيج: تاريخ إنساني للصوت والإصغاء، ت: بندر محمد الحربي، مراجعة: سعيد الغانمي، أبوظبي: كلمة.

- ياوس، هانس روبيرت (٢٠٠٤) جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ت: رشيد بنحدو، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- الوائلي، طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري (٢٠٠٢) ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.
- وفكوح، عبدالفتاح (٢٠١٦) أدب السيرة الذاتية: إضاءات وإضافات، ط١، المغرب: فضاءات للنشر والتوزيع.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- “The Pantone Color of the Year has come to mean so much more than ‘what’s trending’ in the world of design; it’s truly a reflection of what’s needed in our world today.” – Laurie Pressman, Vice President of the Pantone Color Institute. <https://www.pantone.com/color-of-the-year-2018>.
- BBC A History of Art in Three Colours Episode 1: Gold, <https://www.youtube.com/watch?v=9C12UZiZC9A>
- Haines, Jean. (2016), Paint yourself calm, colourful, creative mindfulness through

watercolour. Search press, Wells, Kent. pp: 27-28.
- Massignon, Louis and Kraus, Paul (1936), Akhbār al-Ḥallāj. Paris: Edition Larose, p:16
- Moustafa, Ahmed and Sperl, Stefan (2014). The cosmic script; sacred geometry and the since of Arabic penmanship. Thames and Hudson, first edition, U.K. P:127/1
- What every body is saying, Joe Navarro and Marvin Karlins.2008, Harper Collins, New York.
- Willis, David. (2010), Home Color Bible. Axis publishing Ltd, First edition, New York, p. 37.
- www.mythencyclopedia.com/Fi-Go/Flowers-in-Mythology.html

The Self March between (Motherland) and (Ego) in “*in lam fa man*” by Khalid Al-Faisal Applied Reading for Aesthetic reception

Raniah Mohamed Shareef Alaradhawi

King Abdulaziz University - Jeddah Saudi Arabra

Abstract. This study presents an applied critical view, through the Receiving Theory. It aims to highlight the movement of the Subject in (*in lam... fa man...!!?*) by Khaled Al-Faişal. For this movement of the subject in this book is based on two poles; Home and I, the purpose of this study is to investigate the harmony beauty between this movement and the threshold in the text. Moreover, this study seeks to explore the extent to which the internal and external threshold can role the changes of the subject in the text. It concludes that this text does not enjoy the characteristics of biography genre.

النظرية النقدية انطلاقاً من الوظيفة الاتصالية: دراسة تحليلية لتجربة معاصرة

عادل بن خميس الزهراني

أستاذ النقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة الملك عبدالعزيز، جدة

العلوم الإنسانية أكثر قرباً وتشابكاً، ما فتح الباب واسعاً أمام ما يسمى بالتخصصات البينية. من هنا تسعى هذه الورقة إلى الوقوف على نقاط الالتقاء بين النقد الأدبي الحديث ونظريات الاتصال؛ ويمكن القول إن التقدم الذي أحرزه علم اللغة الحديث في النظر إلى الوظيفة الشعرية كإحدى وظائف الاتصال قد ساهم بشكل مباشر في محاولة النقد الأدبي تأطير نظرية تتطرق من مبادئ وعناصر الاتصال الرئيسية. وتعد تجربة الناقد العربي الأستاذ الدكتور مراد عبدالرحمن مبروك نموذجاً مهماً في هذا الصدد؛ فقد اهتم مبروك، خلال أعماله التي قاربت مئة كتاب وبحث علمي، بنظرية الاتصال الأدبي عاداً إياها إطاراً شاملاً يمكن أن يفيد منه الناقد في تحليل الأعمال الشعرية والنثرية من جانب أضلاع العملية الإبداعية (المبدع والنص عدداً من الأوراق والكتب العلمية في محاولة لبناء صورة متكاملة عن نظرية الاتصال الأدبي، متتبعا جذورها في الفلسفة الإغريقية، وفي النقد العربي القديم، وفي البلاغة العربية، ومحددأ أبعاد ومفاهيم النظرية في النقد الحديث، وعلاقتها بالتطور الحاصل في مجالات الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم المعلومات. كما طرح وقديمة، وأعمال سردية، وإعلانات تجارية أحياناً. يحاول هذا البحث تحليل مشروع مبروك للخروج بفكرة عن طبيعة العلاقة بين مفاهيم الاتصال والنظرية النقدية الحديثة.

المقدمة

في تطور النظرية النقدية الحديثة. ويركز البحث على جهود الناقد العربي الأستاذ الدكتور مراد عبدالرحمن مبروك في تطوير نظرية الاتصال الأدبي من خلال كتبه وأبحاثه التي سعى فيها إلى

يناقش هذا البحث علاقه بين الاتصال وبين النقد الأدبي الحديث كمجالين مختلفين من مجالات العلوم الإنسانية، أصبح التقاؤهما حتمياً بعدما أضحي علم اللغة الحديث أحد المجالات المؤثرة بشكل مباشر

جنباتها أقساماً مختلفة، ومسارات متنوعة، حول مجالات الاتصال وتطبيقاته.

ويكاد يتفق الباحثون على أن غريزة الإنسان في التجمع والانتماء لجماعة من جنسه دعتة لاكتشاف وتطوير وسائل اتصال تساعد على تحقيق أهدافه الاجتماعية. وقد قال الفارابي: "وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة، لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال".^١ كما رأى ابن خلدون أن "الاجتماع الإنساني ضروري"،^٢ لأن "الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة...".^٣ وذلك لسد احتياجات بقائه، "فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون، فلا يحصل له قوت ولا غذاء، ولا تتم حياته...".^٤

من هنا يذكر الناقد ريموند ويليامز أن الفعل (communicate) القادم من اللاتينية، كان يشير إلى دلالات تدور حول المشاركة؛ مثل نقل المعلومات، الإخبار، والتوصيل. فالأصل (communis) يعني (common)، أي معروف، مشترك، متداول بين

صياغة إطار منهجي محكم للنظرية واختبار قدرتها على الصمود بتطبيقاتها على نماذج مختلفة.

يعد د. مراد مبروك أحد النقاد العرب المهتمين بتطور نظريات النقد الحديث، وقد أولى في أعماله المنشورة، التي قاربت مئة بحث وكتاب علمي، اهتماماً خاصاً بنظريات الاتصال، حيث نشر عدة كتب تتناول الموضوع، وتسعى الدراسة إلى تحليل منهج د. مراد مبروك في هذه الأعمال، للوقوف على طبيعة وأبرز سمات العلاقة بين نظريات الاتصال وبين النقد الحديث.

الاتصال: التاريخ والمفهوم

لطالما كان الاتصال، منذ عرف الإنسان الوجود، العصا السحرية التي ساعدته على إدارة حياته، وحل أزوماته، والإجابة على أسئلة البقاء التي صادفته منذ خطواته الأولى على سطح الأرض. ولذلك أولته العلوم - التي تعد في ذاتها وجهاً من وجوهه - أهمية خاصة، في محاولة لاكتشاف كنهه، وتأطير طبيعته، ورصد أثره في تطور البشرية، وتحديد أشكاله وأنواعه. وليس جديداً أن عدداً من المجالات المعرفية تشترك في محاولة الإجابة على هذه الأسئلة، حتى أصبح 'الاتصال' مجالاً مستقلاً، يضم فروعاً مختلفة، تضاعف الاهتمام بها عالمياً، مع دخول العالم في مرحلة الانفجار التكنولوجي والتطور الهائل في تقنيات الاتصال. ولا تكاد جامعة من جامعات العالم اليوم تخلو من كلية تحمل اسم (كلية الاتصال)، أو (كلية الإعلام والاتصال)، تضم بين

^١ الفارابي، أبونصر، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق:

أبيير نصري، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م)، ص ١١٧.

^٢ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط٤، (بيروت: دار القلم،

١٩٨٦)، ص ٤١.

^٣ السابق، ص ٤٢.

اللغويين في أوروبا، والشكلايين الروس في إضافة أفكار جديدة ساهمت في تطوير مفهوم الاتصال، مثل فكرة 'البنى الأساسية التي تحكم اللغات البشرية عموماً'، وهو ما أدى إلى محاولات التأطير النظري لما يسمى بـ 'الأنظمة الدالة'، ليس في لغة ما، بل في كل اللغات. هذه المقاربة للغة امتدت لتطال الأدب، والسرد، والحكايات الشعبية، والسينما، في بحث عن 'الأنظمة الدالة' التي تحكم عناصر الاتصال فيها.^٦

رواد اللغويات المقارنة الأمريكيون نظروا إلى اللغات من زاوية أخرى، باقتراحهم لمفهوم 'القراءة اللغوية'، الذي يجعل 'الواقع نتاجاً للكيفية التي قامت الأنظمة الاتصالية فيها بترتيب العالم'.^٧ بينما ربط الأنثروبولوجي البنيوي كلود ليفي شتراوس الاتصال ببعدين ثقافيين رئيسيين: هما المال والزواج، حيث يرى شتراوس أن 'دورة العلامات' (في اللغة والفن)، والنساء (في أنظمة القراءة)، والنقود (في الاقتصاد) تشف عن بنى متقاربة تكشف العوالم المشكلة للعقل البشري.^٨

وبعد أن يتحدث هارتلي عن عدد من التحولات في مفهوم الاتصال، ينتهي إلى أن الاتصال - كعلم - حقق استقراراً جيداً بعد الحرب العالمية الثانية، التي أظهرت أهمية المخترعات الحديثة في تحديد نتائج

مجموعة من الناس، ومنه جاء الفعل (communicate) ليعني: أن تجعل شيئاً ما معروفاً، متداولاً، أو مشتركاً. ومع التطور الصناعي الذي شهدته أوروبا في القرن السابع عشر، وبروز وسائل مواصلات بمفاهيم حديثة، مثل الطرق البرية، القنوات البحرية، وسكك الحديد، ارتبطت كلمة (communication) بهذا المعنى الحسي للاتصال، حتى شهد العالم بداية التطور في وسائل مشاركة المعلومات والتواصل الاجتماعي في القرن العشرين، ليتحول مفهوم الكلمة للإشارة إلى كل ما يتصل بوسائل الإعلام (media).^٩

ويوفر جون هارتلي في كتابه: *Communication, Cultural and Media Studies: The Key Concepts (الاتصال، والدراسات الثقافية والإعلامية: المفاهيم المفتاحية)*، تلخيصاً مميزاً لأهم المحطات التي مر بها مفهوم الاتصال ونظرياته. يعرف الكتاب الاتصال بأنه: "تفاعل بإشارات (علامات) مشتركة ومتفق عليها"،^{١٠} رغم أنه - كجمال - يتسم بكثير من الضبابية والتشابك منذ نهاية القرن العشرين، لأنه يتقاطع مع كل الأبعاد التي تطل النشاط الإنساني وغير الإنساني، ما جعله أحياناً يضطلع بأسئلة فلسفية تتصل بالوجود الإنساني ككل. يشير الكتاب إلى جهود البنيويين

^٩ Williams, Rymond, **Keywords: A Vocabulary of Culture and Society**, (New York: Oxford University Press, 1985), p. 72.

^{١٠} Hartley, John, **Communication, Cultural and Media Studies: The Key Concepts** (London: Routledge, 2002) p.32.

^٦ السابق.

^٧ السابق، ص ٣٣.

^٨ السابق.

لغوية كالإشارة، والانفعالات والعواطف. ولا شك أن الذوق، ونسميه التذوق، مرحلة مهمة ومركزية في عملية الاتصال الأدبي.

من هنا يرى بعض الباحثين: "أن التواصل اللساني سيرورة اجتماعية مفتوحة على الاتجاهات كافة؛ إذ لا تتوقف عند حد بعينه، بل تتضمن عدداً هائلاً من سلوكيات الإنسان السيمائية تتمثل في: اللغة والإيماءات، والنظرة، والمحاكاة الجسدية، والفضاء الفاصل بين المتحدثين، وعليه لا يمكن الفصل بين التواصل اللفظي، والتواصل غير اللفظي السيميائي؛ لأن الفعل التواصل هو فعل كلي".^{١٢}

وتتنوع تعريفات اللغة وتباين أحياناً وفقاً للتطور الفكري عبر التاريخ، ووفقاً لموقف العلماء من اللغة وتقديرهم لوظيفتها. لكن تعريف ابن جني لها بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"،^{١٣} يعد واحداً من أشهر التعريفات المتداولة لعلماء اللغة العرب. كما ذهب ابن خلدون إلى أن "اللغة - في المتعارف عليه - هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم".^{١٤} ويلاحظ كيف يتفق

الحروب. من هنا كان الدعم غير المحدود لمشاريع الحوسبة وتقنية العلومات، الذي وفر لعلم الاتصال من الوسائل، ومن المخيلة العلمية الواسعة الآفاق، ما جعله يسهم في تحويل حياة البشر من مختلف أعرافهم.^٩

موقع اللغة من الاتصال

يؤكد عبدالرحمن المهوس في كتابه فنون الاتصال اللغوية أن حصر وسائل الاتصال الإنساني أمر غير ممكن، لكنه يذهب إلى تقسيم تقسيم هذه الوسائل إلى قسمين: (١) الاتصال غير اللغوي الذي "يشمل كل وسائل الاتصال التي لا تستخدم اللغة مثل الإشارة والتصفيق والتصفير والشم والذوق وانفعالات الوجه والنظر وغيرها".^{١٠} (٢) الاتصال اللغوي الذي يعتمد "التحدث والكتابة، ويشمل الأول التحدث والاستماع، بينما يشمل الثاني الكتابة والقراءة".^{١١}

هذا النوع الثاني من الاتصال هو ما يهم هنا؛ فالاتصال الأدبي، الذي هو مركز اهتمام هذا البحث، يعتمد على اللغة في عملياته، أي أن الرسالة التي يوصلها تعتمد على اللغة البشرية، التي تتكون من حروف وألفاظ وجمل... رغم أن الرسالة الأدبية اللغوية لا تخلو من جوانب اتصالية غير

^٩ السابق.

^{١٠} المهوس، عبدالرحمن، فنون الاتصال اللغوية، (الخبر: دار الكفاح، ١٠١٣)، ص ١٩.

^{١١} السابق.

^{١٢} القضماني، رضوان & العكش، أسامة، "نظرية التواصل: المفهوم والمصطلح"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٩) العدد (١) ٢٠٠٧، ص ١٤١.

^{١٣} ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، ج ١، ط ٣، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣)، ص ٣٣.

^{١٤} مقدمة ابن خلدون، ص ٥٤٦.

المنفتح على العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع، علم النفس...) هو تلك الموازنة التي أقامها بين اللغة كملكة فطرية بشرية، واللسان كمؤسسة اجتماعية، ثم الكلام باعتباره نشاطاً فردياً.^{١٨} ورغم أن الركيك يقر أن سوسيور لم يشير إلى مفهوم التواصل، ولم يتحدث عن عملية الاتصال، إلا أن مناقشته لثنائية اللغة/الكلام تتضمن إطاراً لمفهومه المعرفي عن الاتصال.

يوضح العالم اللغوي ما يدعوه بـ (مدار الكلام) عبر تمثيله لحوار متصور بين شخصين، حدد خلاله معالم عملية الاتصال كما يتخيلها. وتتجسد عملية (مدار الكلام) هذه، كما يراها الركيك، عبر ثلاثة مستويات: ابتداء بالأعضاء الداخلية والخارجية كالفم، والأذن، والمخ... ثم هنالك الاستعداد السيكلولوجي لدى مرسل الرسالة ومتلقيها على المستوى النفسي، وهو ما يشير إلى تأثير سوسيور بإنجازات علم النفس، وانتهاء بالرسالة التي تصدر من عقل المرسل (عبر لسانه) إلى عقل المرسل إليه عبر أذنه. يخلص الركيك من هذا أن سوسيور "أراد أن يقول إن العلامة عبارة عملية تواصلية بين باث ومخاطب يرغبان في التواصل وتبادل الأخبار والمعلومات".^{١٩}

^{١٨} الركيك، محند، نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة،

ص ٦٧

^{١٩} السابق، ص ٦٧.

العالمان في تعريفهما على الطبيعة الصوتية للغة، وعلى الوظيفة الاتصالية التي يسندها لها جماعة من البشر، وقد روي عن ابن سنان الخفاجي أنه عرف اللغة بقوله: "ما تواضع القوم عليه من الكلام".^{١٥} غير أن التطور الذي شهده علم اللغة في العصر الحديث، منذ محاضرات فيرديناند دوسوسيور، أضاف للغة أبعاداً مهمة، ابتداء من إعادة تعريف اللغة، مروراً بالتركيز على وظيفتها الاتصالية وأهميتها في التطور الإنساني. يعرف سوسيور اللغة بأنها "نظام من الإشارات التي تعبر عن أفكار".^{١٦} ويفرق بينها وبين الكلام باعتبارها نظاماً من القواعد المستقرة تجريبياً في ذهنية جماعة من الناس، بينما يمثل الكلام الاستخدام الفردي الذي ينتقي من هذه اللغة ما يناسبه ويتفق مع أغراضه. يقول سوسيور إن اللغة والكلام "يعتمد أحدهما على الآخر، مع أن اللغة هي أداة الكلام وحصيلته، ولكن اعتماد أحدهما على الآخر لا يمنع من كونهما شيئين متميزين تماماً".^{١٧}

ويؤكد الباحث اللغوي محند الركيك أن سوسيور "أول بنيوي يؤسس لنظرية التواصل من داخل اللسانيات البنيوية، حيث استطاع أن يزواج بين النزعة البنيوية الأرتدوكسية والانفتاح على المجتمع باعتباره المكان الطبيعي الذي ترعرع فيه التواصل؛ وما يدعم توجهه

^{١٥} الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢) ص ٤٣.

^{١٦} دي سوسور، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، ط ٣، (بغداد: آفاق عربية، ١٩٨٥)، ص ٣٤.

^{١٧} السابق، ص ٣٨.

الورقة التي تتناول نظرية الاتصال الأدبي بشيء من التحليل، كما سيأتي. يحدد ياكبسون في *Closing Statement: Linguistics and Poetics* (البيان الختامي: اللسانيات والشعرية) ستة عناصر تتوفر بالضرورة عند حدوث أي اتصال: (١) المرسل، (٢) الرسالة، (٣) الشفرة، (٤) وسيلة اتصال (قناة)، (٥) المتلقي (المرسل إليه)، (٦) السياق.^{٢٢}

يفصل ياكبسون الأمر هكذا: "إن المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه. ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي، بادئ ذي بدء، سياقاً تحيل عليه (وهو ما يدعى أيضاً المرجع باصطلاح غامض نسبياً) سياقاً قابلاً لأن يدركه المرسل إليه، وهو إما أن يكون لفظياً، وأو قابلاً لأن يكون كذلك. وتقتضي الرسالة، بعد سنناً مشتركاً: كلياً أو جزئياً، بين المرسل أو المرسل إليه (أو بعبارة أخرى بين المرسن ومفكك سنن الرسالة). وتقتضي الرسالة، أخيراً، اتصالاً، أي قناة فيزيقية، وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه، اتصالاً يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه".^{٢٣}

تحدد هذه العناصر المترابطة الوظيفة الرئيسية للاتصال القائم. ويميز ياكبسون بين ستة وظائف

لقد فتح سوسيور الباب واسعاً للغويين والنقاد من بعده كي يتوسعوا في دراسة البعد الاتصالي للغة كنشاط

إنساني اجتماعي، أو كما يصفها لغوي بارز مثل روبرت هل بأنها - أي اللغة - "نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتبارية المسموعة-المنطوقة المعاد استخدامها".^{٢٠}

الشعرية: وظيفة الوظائف

لغوي بارز آخر قدم مساهمة مرجعية في تعريف اللغة كوسيلة اتصال متعددة الوظائف؛ ذلك هو رومان ياكبسون الذي ناقش بالتفصيل عناصر الاتصال اللغوي ووظائفه المختلفة. أفاد ياكبسون من التطور الحاصل في المجالات الاجتماعية والرياضية والهندسية في صياغة نظريته الاتصالية، "وقد عبر بشكل صريح عن أهمية هذا العمل الجاد الذي دفع بالتواصل إلى الأمام، ودعا إلى التعاون بين مختلف الحقول المعرفية بغية إغناء وإثراء هذا العلم الجنيني الذي لا يزال يشق طريقه ويبحث لنفسه عن موطئ قدم ومكان داخل العلوم".^{٢١}

إضافة ياكبسون تمثل منعطفاً مهماً في تاريخ اللغويات، كما أنها نقطة مركزية في سياق هذه

^{٢٢} Jakobson, Roman, "Closing Statement: Linguistics and Poetics," *Style in Language*, ed. Tomas A. Sebeok, (New York & London: The Technology Press of Massachusetts of Technology & Jone Wiley & Sons, inc., 1960), p. 353.

^{٢٣} ياكبسون، رومان، *قضايا الشعرية*، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٨) ص ٢٧.

²⁰ Hall, Robert, *An Essay on Language*, (New York: Chilton Books, 1968) p.40.

^{٢١} نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، ص ٦٨.

الوظيفة الشعرية إلى الشعر، أو لقصر الشعر على الوظيفة الشعرية إلا إلى تبسيط مفرط ومخل".^{٢٦}

كرس ياكبسون جهداً كبيراً لتبيان هذه الوظيفة الأخيرة، لتكون أعماله منطلقاً مهماً أفادت منه الدراسات الأدبية الحديثة في الربط بين الاتصال والأدب. وقد سعى ياكبسون نفسه لأن تكون الوظيفة الشعرية باباً لدراسة اللغة، لا يستغله النقاد فحسب، بل واللسانيون أيضاً: "وإذا كان للشاعر رانسوم الحق - وله الحق - في اعتباره 'أن الشعر نوع من اللغة'، فإن اللساني الذي يكون مجال دراسته كل أشكال اللغة، يمكن ويجب أن يدرج الشعر في أبحاثه... وإذا كان هناك نقاد لا زالوا يشككون في كفاءة اللسانيات على أن تشمل مجال الشعرية، فإنني شخصياً أفكر أن عدم قدرة اللسانيين ذوي الأفق الضيق في مجال الشعرية لا يعني عدم كفاءة العلم اللساني ذاته".^{٢٧}

اتصالية هي: (١) الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية (expressive or emotive) التي تجعل المرسل في صدارة اهتمامها، لأنها تهتم بإيصال انفعاله أو التعبير عن انطباعه. (٢) الوظيفة الإفهامية (conative)، وهي تسعى للحصول على ردة فعل المتلقي عبر إثارة انتباهه، بينما تتوجه (٣) الوظيفة المرجعية (referential) "نحو المرجع المشترك بين طرفي التواصل الأساسيين؛ أي ما هو مشترك ومتفق عليه من قبل المرسل والمرسل إليه، وهو المبرر لعملية التواصل؛ ذلك لأننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب بإيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله".^(٢٤) (٤) أما الوظيفة الانتباهية (phatic) فتهدف إلى بدء، أو الإبقاء على، نوع من التواصل، من مثل كلمات (ألو!، معي!؟، فاهمني!). وتركز (٥) الوظيفة الميتلسانية (الشارحة) (metalingual) على الرسالة نفسها، فتهدف إلى شرح أو وصف جانب لغوي معين في الرسالة أثناء عملية التواصل، بينما تستهدف (٦) الوظيفة الشعرية (poetic) الرسالة نفسها، من خلال تركيزها على الوظيفة الجمالية. يقول ياكبسون: "إن استهداف الرسالة بوصفها رسالة والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة".^{٢٥} ويشدد ياكبسون على أن هذه الوظيفة ليست مقصورة على الشعر: "ولا تؤدي كل محاولة لاختزال دائرة

^{٢٦} السابق.

^{٢٧} السابق، ص ٦١.

^{٢٤} نظرية التواصل: المفهوم والمصطلح، ص ١٤٤.

^{٢٥} قضايا الشعرية، ص ٣١.

النقد الحديث وعلم اللغة

لم يكن النقد الأدبي غريباً على المجالات الإنسانية الأخرى أبداً؛ فعلاقة النقد بباقي العلوم كانت على الدوام رافداً في تطوره النظري والتطبيقي، كما كانت عاملاً مؤثراً في تحديد وظيفته ومدى سلطته على العمل الأدبي، ودوره في المجتمع ككل. ولعل ارتباط النقد في فجر مسيرته بالفلسفة خير مثال على هذا؛ ويكفي أن تكون الدراسات الأدبية الأولى قد سطرت بأيدي كبار الفلاسفة الإغريق، ما ربط مهمة - وربما مصير - النقد بالفلسفة عبر التاريخ.

وهكذا استمر تقاطع النقد الأدبي مع باقي العلوم الإنسانية كلما تغيرت الظروف التاريخية والاجتماعية، وتطورت النظرة إلى الأدب. وحينما انبثقت العلوم الحديثة من رحم التجريب والوضعية كان لا بد للنقد أن يجد له مكاناً في هذا العالم، فارتبط بالتاريخ، وحاول تطبيق نظرية التطور الداروينية على النصوص الأدبية، ثم جاءت نزعة فرويد ورفاقه التي وضعت النص الأدبي وصاحبه تحت مجهر التحليل النفسي، فأصبح الناقد الأدبي محلاً نفسياً بارعاً، يشخص عصاب الأديب، ويستقصي سيطرة اللاوعي على شخوص أعماله الشعرية والنثرية.

ولم يطل الأمر حتى بزغ نجم الاشتراكية من الشرق الأوروبي ليقود الأدب - والعالم أجمع - نحو مرحلة جديدة في السياسة، وفي الفكر أيضاً. فكانت النتيجة أن سيطرت الواقعية على الأدب والأدباء، واقتربت

النظرية النقدية كما لم تفعل من قبل من المجتمع، ومن فروع علم الاجتماع وتطبيقاته. وظل الأمر كذلك حتى ظهر علم اللغة الحديث، وظهرت اللسانيات لتفتح آفاقاً جديداً ليس للدراسات الأدبية وحسب، بل للإنسانيات عموماً. يقول كلود ليفي شتراوس، في معنى قريب من هذا: "ظلت العلوم الإنسانية والاجتماعية لقرون تنتظر لعالم العلوم الدقيقة والطبيعية كفردوس لا يمكن لها دخوله أبداً. ثم فجأة، فُتح باب صغير بين العالمين، وكانت اللسانيات من فعل ذلك".^{٢٨}

أحدثت اللسانيات ثورة في علاقة اللغة بالأدب، وجاء ياكبسون ورفاقه من الشكلايين الروس، لفك ارتباط الأدب بكل ما لا علاقة له باللغة، ول يعلنوا للعالم كله أن الأدب فن لغوي جمالي قبل أي شيء آخر. وعليه فلا مناص لأي باحث في الأدب من أن يبدأ مهمته من اللغة، ولا شيء غير اللغة، لتبدأ مرحلة حافلة في العلاقة بين النقد الأدبي وعلم اللغة.

في نهاية بيانه الشهير، يستعير ياكبسون مقولة الشاعر الأمريكي جون هولاندر: "يبدو أنه لا وجود لأي سبب لمحاولة فصل الأدب عن القضايا اللسانية عموماً"،^{٢٩} ليؤكد أن "لسانياً يصم آذانه عن الوظيفة

^{٢٨} هذا الاقتباس مأخوذ من كتاب:

Pettit, Philip, *The Concept of Structuralism: A Critical Analysis* (California: University of California Press, 1975) p. 74.

^{٢٩} السابق، ص ٦١، ومقولة هولاندر مأخوذة من ورقة بعنوان:

(الشعار العروضي). انظر:

العليا بجامعة الملك عبدالعزيز، فقدم محاضراته في نظرية الأدب، وقضايا النقد الأدبي الحديث والمعاصر، والنص الشعري الحديث، والأدب المقارن، وغيرها لطلاب وطالبات الماجستير والدكتوراه بقسم اللغة العربية. وقد كان لمبروك تأثير بالغ في الطلاب والطالبات الذين حظوا بمعرفته؛ فأشرف وناقش قرابة أربعين رسالة للماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات العربية التي عمل بها.

كما ساهم مبروك في وضع الخطط الاستراتيجية العامة لعدد من أقسام اللغة العربية، فكان -على سبيل المثال- عضواً في اللجنة الاستشارية لوضع الخطط والبرامج العلمية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز، وعضواً في اللجنة الاستشارية لتأليف المقررات، ولجنة خطط برنامج الدكتوراه، ولجنة الاعتماد الأكاديمي بالقسم ذاته. وعمل كذلك في عدة لجان مختصة في تطوير وتأليف معايير مناهج اللغة العربية، وتطوير مقررات الدراسات العليا في مؤسسات أكاديمية، وأخرى مسؤولة عن تحكيم أبحاث الترقيات العلمية للأساتذة والأساتذة المشاركين في جامعات ومجلات علمية عربية وعالمية. كما أشرف مبروك على تحرير عدد من الدوريات العربية مثل مجلة الجسرة الثقافية، ورأس تحرير مجلة القاهرة في النقد الأدبي واللسانيات، وأسس مؤسسة القلعة التي تعنى

الشعرية للغة، كما أن عالماً في الأدب غير مبالٍ بالمشاكل اللسانية وغير مطلع على المناهج اللسانية، يعتبران على حد سواء، صورة لمفارقة تاريخية صارخة".^{٣٠}

مراد مبروك ونظرية الاتصال الأدبي

يمكن أن نصف علاقة مراد مبروك بالنقد الأدبي بأنها 'علاقة عمر'؛ فقد تعلق مبروك، الذي يعمل -حين كتابة هذه الورقة- أستاذاً زائراً للنظرية النقدية في جامعة قطر، بالدرس الأدبي منذ سنينه الأولى في الحياة الأكاديمية. بدأ كمدرس مساعد بجامعة قناة السويس، قبل أن ينتقل إلى جامعة بني سويف نهاية العام ١٩٨٩م، ثم ينتقل إلى جامعة قطر في العام ١٩٩٥م، وبعد أن حصل على الأستاذية، انتقل إلى قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبدالعزيز في العام ٢٠٠٥م، ليعمل أستاذاً للنقد الأدبي والنظرية الأدبية لأكثر من عقد.

خلال هذه المسيرة ساهم مبروك في تطوير النظرية النقدية عبر عدة مجالات أكاديمية وثقافية؛ فقد قام بتدريس طلاب البكالوريوس مقررات (النقد الأدبي الحديث، نظرية الأدب، الشعر العربي الحديث، الفن القصصي والمسرحي، علم اجتماع الأدب، تذوق النص الأدبي، مناهج النقد الأدبي الحديث). كما أسند إليه مهمة التدريس في برامج الدراسات

Hollander, John, "The Metric Emblem," the Kenyon Review, Vol. 21, No. 2 (spring, 1959) p. 295.,

^{٣٠} قضايا الشعرية، ص ٣١.

بالدوريات العلمية المتخصصة في لندن منذ العام ٢٠٠١م.

ولطالما كان الدكتور مبروك فاعلاً في المناشط الثقافية والمؤتمرات العلمية منذ سن مبكرة، فكان - على سبيل المثال لا الحصر - مشاركاً في المؤتمرات السنوية لذكرى عميد الأدب العربي طه حسين بجامعة المنيا والقاهرة، وفي مؤتمر النقد الأدبي بجامعة اليرموك الأردنية، ومؤتمر النقد الأدبي بكلية آداب جامعة جرش، وندوة اللغة والثقافة العربية في عالم بلا حدود بجامعة الكويت. وقدم مبروك محاضرات عامة في مؤسسات عديدة منها نادي جدة الأدبي، ونادي نجران الأدبي، ومعرض الدوحة الدولي للكتاب. هذه المسيرة أهلتة لحصد عدد من الجوائز المهمة مثل جائزة الدولة التشجيعية بجمهورية مصر العربية في الدراسات الأدبية والنقدية عن محور (النظرية النقدية) عام ١٩٩٩م، وجائزة شومان للعلماء العرب في فرع العلوم الإنسانية عام سنة ١٩٩٤.

بيد أن النشر العلمي يمثل العلامة الأبرز في مسيرة الناقد مراد مبروك الذي كرس حياته للكتابة العلمية الرصينة خلال مسيرته الطويلة مع الدرس النقدي. ويمكن - بشكل عام - توزيع مشروع مراد مبروك البحثي إلى ثلاثة أقسام: (١) التنظير النقدي والأدبي، (٢) الدراسات السردية، و(٣) الدراسات الشعرية.

يتناول القسم الأول نظرات مبروك في المبادئ العامة التي تخص طبيعة الأدب والنقد، ووظيفتهما في

الحياة، وعلاقتها بالعلوم الإنسانية الأخرى. ولعل أهم الأمثلة على هذا القسم مشروعه الموسوم بـ(النظرية النقدية)، وقد صدر منه حتى الآن ستة أجزاء تناولت الجوانب الصوتية والفنية والدلالية المركزية في النص الشعري، واستراتيجية الخطاب الشعري ودور نظرية الاتصال الأدبي في تحليل ذلك الخطاب. بالإضافة إلى كتب أخرى مثل كتاب (علم النقد الأدبي ومعيارية الخطاب: دراسة في المفهوم)، وكتاب (مدخل إلى نظرية الأدب). وله من الأبحاث ما يمكن تصنيفه تحت هذا القسم، بحث بعنوان (اللسانيات المعيارية وتشكيل المصطلح النقدي)، وآخر بعنوان (النص وعلم الخطاب في النقد العربي المعاصر).

غير أن الدراسات السردية التي أنجزها مراد مبروك تمثل الجزء الأكبر من نتاجه النقدي الغزير، حيث أنجز قرابة أربعين عملاً نقدياً أولى فيها قضايا الخطاب السردى العربي عناية خاصة، وقدم خلالها دراسات معمقة حول جوانب نظرية وفنية تخص الرواية والقصة القصيرة العربية. منها كتاب (آليات المنهج الشكلي في نقد الرواية العربية المعاصرة: التحفيز نموذجاً)، وكتاب (آليات السرد في الرواية العربية المعاصرة)، وكتاب (بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة: رواية تيار الوعي نموذجاً)، وكتاب (توظيف الشخصية العجبية في الرواية العربية المعاصرة)، وكتاب (العناصر التراثية في الرواية العربية: دراسة نقدية).

الاتصال الأدبي)، و(الخطاب الإعلامي الصحفي وتشكيل الهوية: دراسة نصية للغة الإعلانات في ضوء نظرية الاتصال الأدبي).

المنهجية العامة

يمكن إجمال منهج مراد مبروك العام أثناء تناوله نظرية الاتصال الأدبي في استراتيجيتين رئيسيتين: سأسمي الأولى استراتيجية 'التفتيت'، بينما سأدعو الأخرى استراتيجية 'التأطير ثم التصوير'. هذا لا يعني - بطبيعة الحال - عدم وجود بعض المقاربات المتفرقة التي لا تتنظم ضمن هذا السياق، لكن هاتين الاستراتيجيتين تمثلان أبرز التضاريس في الجغرافية المنهجية.

مبروك ناقد صبور وهادئ، يميل إلى تمحيص النظرية تمحيصاً دقيقاً، ولذلك يهتم بالتفاصيل الصغيرة؛ تجده حين يهتم بالكتابة عن ظاهرة ما يبدأ بتفتيتها إلى وحدات صغيرة، لا يمكن الوصول إلى وحدات أصغر منها. فيحرر المصطلحات التي يتعامل معها، ويقلب المفاهيم على كل وجوها المحتملة، قبل أن يرجح مفهومه الخاص الذي يختاره. ولأنه صبور، فهو لا يفوت التفاصيل السياقية التي تؤثر في انحراف دلالة المفهوم، أو في تطوره، سواء كانت التفاصيل تاريخية أو اجتماعية أو غير ذلك. ولعل منبع ذلك إيمان الناقد الواضح بأن المعرفة النقدية معرفة تراكمية بامتياز، وليس هناك ناسخ ومنسوخ في النظرية، بقدر ما يعتمد تطورها على الطرف التاريخي/ثقافي، والتراكمية، وثقافة

فيما يتناول القسم الثالث الأبحاث التي قدّمت لدراسة نصوص وظواهر شعرية من عصور مختلفة وتجارب متنوعة. ورغم أن عدداً من الدراسات قد اهتم بشعراء من عصور سابقة، لكن اهتمام مراد مبروك بالشعر الحديث وقضاياها يبدو بارزاً. من ذلك اهتمامه بقضية موسيقى الشعر العربي في بحث بعنوان (جماليات الهندسة الإيقاعية في النص الشعري)، وقضية (التناص في القصيدة العربية المعاصرة). وقد تركت الفترة الطويلة التي قضاها مبروك في المملكة العربية أثراً واضحاً في نتاجه الذي يُظهر اهتماماً بالشعر السعودي وأهم رواده من أمثال محمد حسن عواد الذي درس مفهوم الشعر لديه بين النظرية والتطبيق، كما اهتم بقضايا الشعرية المكانية واللونارية في شعر التفعيلة بالمملكة، وناقش كذلك (التركيب السياقية عند الشاعر السعودي عيسى جرابا).

وكما سنرى من التحليل التالي، تتوزع الأعمال التي تناولت نظرية الاتصال الأدبي بالتنظير والتطبيق بين هذه الأقسام الثلاثة، فهناك كتاب (نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق)، وكتاب (النظرية النقدية، الجزء الرابع: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب، النص الشعري أنموذجاً). وقد نشر عدداً من الأبحاث المتفرقة حول النظرية من مثل (مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي)، (الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات

الجرجاني حول تلقي العمل الأدبي وتأثيره في النفوس، ويعرج على فكرة (مقتضى الحال) لدى البلاغيين التي تعد اللبنة الأولى "لربط البلاغة بالاتصال الأدبي في الدرس البلاغي".^{٣٠}

يضاعف الناقد هذا السلوك 'التقني' حينما يصل إلى النظرية في الدرس اللساني والنقدي في العصر الحديث؛ يمر أولاً بشيء من التفصيل على إسهامات دو سوسيور، وآراء تشومسكي وديل هايمز كيلر في العملية الاتصالية اللغوية، ثم يرى كيف تتفاعل الأسلوبية الحديثة مع النظرية عبر عدة مستويات تبدأ بالمستوى الشفهي وتنتهي بالتلقي البصري في الاتصال الكتابي، عارضاً لوجهات نظر علماء عرب محدثين كتمام حسان وسعد مصلوح. ولأن الشكلائية الروسية تمثل منعطفاً مهماً في تطور نظرية الاتصال الأدبي يقوم مبروك بتقديم عرض مفصل عن تاريخ الحلقتين الروسييتين وأبرز روادها وأهم مبادئها، كما يفعل الشيء ذاته مع مدرسة النقد الجديد والبنوية.

وبعد أن ينتهي مبروك من تتبع جذور النظرية في التاريخ النقدي والبلاغي، يبدأ في تحليل الأسس والمعطيات المعيارية التي انطلقت منها النظرية، وهو يقسمها إلى معطيات تكوينية، ومعطيات شمولية. وهي أسس تتصل كثيراً بتطور نظرية التلقي في النقد الحديث، على يد المدرسة الألمانية. هنا يقف مبروك ممحصاً مقولات هوسرل وإنجاردن حول

المراجعة العلمية. من هنا لا يميل مبروك إلى إصدار الأحكام المستعجلة، أو النتائج 'الصحفية' المقولبة. هذا السلوك 'التقني' يبرز في الأعمال ذات الطابع التنظيري بوضوح، وبحته مدخل إلى **نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي** مثال مناسب على هذا التوجه.

يبدأ مبروك بمطاردة المعنى المعجمي لكلمة (نظرية) في المعاجم العربية وفي المعاجم الغربية. ثم يورد تعريفاً اصطلاحياً للناقد الأمريكي جونثان كيلر، مفصلاً النقاط الأساسية التي يشملها التعريف. ثم ينتقل لتعريف (نظرية الاتصال الأدبي) تعريفاً عاماً. لكن الحفر في دلالة المفهوم لا ينتهي هنا؛ فالجزء التالي من الورقة يحمل عنوان (المفهوم)، حيث يطارد مبروك أبعاد النظرية وجذورها في الدرس النقدي القديم: فهو يرى أنه "لا يمكن لدارس نظرية الاتصال الأدبي أن يغفل البذرة الجنينية لهذه النظرية في الدرس الأدبي القديم، بدايةً من الأدب المصري القديم، مروراً بالأدب اليوناني القديم، ونهايةً ببذور هذه النظرية في الدرس النقدي والبلاغي في تراثنا العربي".^{٣١} وهكذا يقوم بمناقشة المفاهيم النقدية لفلاسفة اليونان كالمحاكاة والتطهير، وعلاقتهم بنظرية الاتصال، ثم ينتقل للنقد العربي القديم، ليحلل عدداً من رؤى الجاحظ وابن طباطبا وعبدالقاهر

^{٣٠} مبروك، مراد، مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي، المؤتمر الدولي الثاني لجامعة المنيا (الحوار العربي الغربي: اختلاف أم خلاف أم وفاق)، ٣١-٢٩ مارس ٢٠١٠، ص ٢٠١٠.

^{٣١} السابق، ص ٦.

مرحلة البرهان، أو الحكم، أو القرار على النص الأدبي شعراً كان أو نثراً. وكما ظهر في العرض السريع لمحتويات البحث السابق، فإن مبروك يقسم عمله إلى قسمين، يضم القسم الأول العرض النظري المفصل عن نظرية الاتصال الأدبي، ويخصص القسم الآخر لتطبيق ما سبق عرضه على نموذج شعري.

وهو يفعل هذا في كل الأعمال التي يعتمد فيها الاتصال الأدبي كإطار نظري. فيبدأ بحثه الذي شارك به في ملتقى قراءة النص عن حمزة شحاتة تحت عنوان الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي بمقدمة نظرية يقف فيها سريعاً على مفهومي 'الأسطورة'، و'سلطة النص'، ثم يعطي مفهوم 'الاتصال الأدبي' مساحة أكبر، يبرر اختياره له، ويضعه في سياقه التاريخي والنقدي، قبل أن ينتقل في الجزء الأكبر لتطبيق نظريته على نص حمزة شحاتة (رحلة بلا رفيق).^{٣٤} يكرر مبروك هذه الاستراتيجية في أعمال أخرى، مثل كتاب نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، وكتاب النظرية النقدية، الجزء الرابع: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب، النص الشعري أنموذجاً. بالإضافة إلى بحث سلطة النص وخطاب الذات في

مفاهيم التلقي المركزية مثل مفهومي التعالي والقصدية، ويبسط أبرز إسهامات هانز ياكس في دفع النظرية للأمام، بجديته عن الأسس والأركان العامة لنظرية التلقي، موضحاً كل خطواته بالأشكال البيانية التي تساهم في إيضاح ورسم الصورة الكاملة للنظرية. كما يناقش في المعطيات الشمولية أركان عملية الاتصال الأدبي بدءاً من المرسل (المؤلف)، مروراً بالرسالة (النص) ووسيلة الاتصال، وانتهاءً بالمستقبل (القارئ)، ومدى ما يحدثه النص من تأثير على هذا المتلقي، فيما يدعو (الارتداد العكسي). تسع وعشرون صفحة يشغلها هذا الجزء من ورقة مبروك، قبل أن ينتقل إلى الجزء الذي يطلق عليه (البرهان)، وهو مبحث تطبيقي على نموذج شعري للشاعر المصري محمد عفيفي مطر، يحاول فيه وضع أركان النظرية التي تحدث عنها موضع التطبيق. وهو في تطبيقه صارم في تتبع التفاصيل، لا يفوت ركناً تحدث عنه إلا يتتبع أثره في النص المطبق عليه، في محاولة منه كي يقيس مدى صلاحية، ومعيارية نظريته التي أرسى قواعدها في الجزء الأول.^{٣٣}

هذا يقود إلى الاستراتيجية الأخرى التي يعتمد عليها مبروك في منهجيته العامة، خلال تعامله مع نظرية الاتصال الأدبي، ولعلي ألمحت إليها خلال الحديث عن الاستراتيجية الأولى؛ فقد ألمحتُ إلى أن مبروك يميل إلى وضع الأطر لموضوعه قبل أن يدلف إلى

^{٣٤} انظر: مبروك، مراد، الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي، علامات، (جدة: نادي جدة الأدبي، ٢٠٠٦).

^{٣٣} السابق، ص ٣٠-٥٩.

مرثية عبد يغوث: قراءة في ضوء نظرية الاتصال الأدبي.

ولعل هذا يأتي متسقاً مع سلوك مبروك الحذر والدقيق في تعامله مع النقد الأدبي، وقد شدد في أعماله على أن النقد علم معياري تطورت أدواته العلمية خلال الزمن عبر ظروف تاريخية واجتماعية وثقافية ساهمت في صفقه وتحديده. وهو يخصص كتابه علم النقد الأدبي ومعارية الخطاب: دراسة في المفهوم لإثبات هذه الفرضية، متتبعاً التقدم الذي أحرزه النقد معيارياً منذ النقد الإغريقي، وحتى يومنا هذا.^{٣٥}

يبقى أن أشير هنا إلى ملاحظتين تتصلان بالاستراتيجية الثانية: يرتبط أولاها بالمساحة التي يتركها مبروك للجزئين (التنظيري والتطبيقي)، وهي مساحة يحكمها التوجه العام للعمل المقدم؛ فإن كان الهدف ذا طابع تنظيري، يعطي مبروك المساحة الأكبر لبسط الإطار النظري، وإن كان التركيز على النموذج التطبيقي، فتكون الحصة الكبرى للتطبيق. الملاحظة الثانية تتصل بنزعة مبروك نحو تكرار مقولاته النظرية في أعمال متفرقة، وهو أمر له ما يبرره حين نربطه بشخصية مراد مبروك النشطة والفعالة في المناسبات العلمية والثقافية؛ فعندما يشارك بموضوع يتصل بالنظرية، سواء كان مقالة

في مجلة علمية، أو ورقة في مؤتمر، أو محاضرة في نادٍ أدبي، تفرض عليه المناسبة، ويفرض عليه الظرف، أن يكرر مفاهيمه وأطره النظرية، ليضع متلقيه من القراء والسامعين في الصورة الكاملة، لا سيما وأن استراتيجيته النقدية العامة تعتمد على الشمولية وإشراك المتلقي دوماً في الاعتبار النقدي. ولماذا الاتصال الأدبي؟

لا يخرج تعريف مراد مبرك لمفهوم الاتصال عما هو موجود لدى علماء الاتصال، فيشير إلى الأصل اللاتيني الذي يفيد معنى الاشتراك، مشدداً على أن الاتصال "أقدم وجه النشاط الإنساني، وهو سمة إنسانية أساسية، تبدو بسيطة في الظاهر، ويرى اللغويون أنها عملية معقدة جداً، ولذلك احتاج الباحثون في تحليل هذه العملية وتبسيطها إلى الاستعانة بمفاهيم نظرية علم المعلومات ومصطلحاتها".^{٣٦} ويركز مبروك على عناصر الاتصال ووظائفها في عملية الاتصال الذي يعده "موقف إدارك مشترك بين شريكي الاتصال، المتكلم والسامع حيث يدرك كلاهما الأشياء في البيئة بشكل خاص".^{٣٧} كما يبسط في مباحثه التنظيرية تطور مفهوم الاتصال عبر التاريخ، ويحدد موقف كل المجالات الإنسانية التي تتقاطع مع عملية الاتصال في الثقافتين الغربية والعربية، مثل الفلسفة، والنقد

^{٣٦} مبروك، مراد، نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، (جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٣)، ص ٨٤.
^{٣٧} السابق، ص ٨٦.

^{٣٥} انظر: مبروك، مراد، علم النقد الأدبي ومعارية الخطاب: دراسة في المفهوم، (جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٣).

ويكرر مبروك مبرر تفضيله لنظرية الاتصال الأدبي التي تعنى بجوانب وأطراف العملية الاتصالية، فتحقق للناقد نظرةً أشمل للنص الأدبي، في عدة مواضع من مشروعه؛ فهو يؤمن بأن النظرية مرتبطة بالفكر الأدبي منذ بدايات التاريخ، فمبدع النص الشعري أو المسرحي أو الملحمي مرتبط بالمتلقي الذي يستقبل عمله هذا ويتفاعل معه، لأن الظاهرة الأدبية لا تتم إلا بتوفر الأركان الثلاثة: مبدع النص، النص الأدبي، ومتلقي ذلك النص الأدبي. ويرى مبروك أن النظرية تطورت عبر الزمن لتكون "الرؤية الشمولية للمعالجة النقدية"، تلك المعالجة التي "تتجاوز نقاط القصور التي شابت المعالجات النقدية المرتكزة على آليات التلقي دون غيرها".^{٣٩} من هنا تشكل النظرية الاتصالية "ضرورة علمية في معالجتها لكل جوانب النص الأدبي بداية من المرسل ونهاية بالارتداد العكسي".^{٤٠}

بالإضافة إلى الشمولية توفر نظرية الاتصال الأدبي للناقد ميزة أخرى، من وجهة نظر مبروك؛ تلك هي الصفة الموضوعية والمعارية، فهي "تعتمد على معايير علمية دقيقة، تبدأ بالنص عبر الوسيلة الاتصالية، ونهاية بالمتلقي وما ينتج عنه من نص عكسي ارتدادي، ونستطيع من خلال هذه المعايير الحكم على العمل الأدبي وأبعاده حكماً أقرب إلى

الأدبي القديم والحديث، وعلم المعلومات، وعلم الإنشروبولوجيا.

وقد قدم الناقد مراد مبروك أعمالاً نقدية مهمة، اعتمد فيها على مناهج ونظريات مختلفة، يمكن أن تكون النظرية النصية في القراءة أبرزها، بالإضافة إلى دراسات تحليل الخطاب الأدبي. غير أنه وجد في نظرية الاتصال الأدبي ضالته، وهو يذكر ذلك في أول أبحاثه التي تناولت النظرية، إذ يؤكد أن قراءته لنص حمزة شحاتة في الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة تتخذ من نظرية الاتصال الأدبي منطلقاً لها، "تلك النظرية التي تعتمد على الرؤية الشمولية فهي لا تعني بالمؤلف فحسب مثلما عنيت به المناهج التقليدية لا سيما المنهج الاجتماعي كما أنها لا تعني بالنص فحسب مثلما عني بها أصحاب المنهج الشكلي ولا تعني بالمتلقي فقط مثلما عني به أصحاب نظرية التلقي. لكنها تعني بالأضلاع الثلاثة للمثلث النقدي. ذلك أن الاعتماد على ضلع واحد للمثلث وإغفال الضلعين الآخرين قد لا يفي بمقتضيات النص الأدبي، لكن الاعتماد على الأضلاع الثلاثة سوف يحقق الرؤية الشمولية التي تضيء كل جوانب النص وزواياه المختلفة، لأن تسليط الضوء على ضلع واحد للمثلث النقدي سوف يحجب الضوء النقدي عن الضلعين الآخرين ومن ثم تصبح مساحة الرؤية في زاويتي النص واهية وضعيفة".^{٣٨}

^{٣٨} الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي، ص ٧٣٤.

^{٣٩} مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي، ص ٢١.

^{٤٠} مبروك، مراد، النظرية النقدية، الجزء الرابع: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب .. النص الشعري أنموذجاً (القاهرة: دار الأدهم، ٢٠١٥)، ص ٦.

شاملة وإطاراً عاماً للنقد الأدبي مهما تنوعت اتجاهاته.^{٤٣}

من هذا المنطلق ألف ناقد شهير هو روجر دي سل كتاباً مهماً في هذا السياق هو *Literature as Communication* (الأدب بصفته اتصالاً)، محاولاً تطبيق النموذج اللغوي على العملية الأدبية متخذاً من شعرية ياكبسون مدخلاً لفهم علاقة الوظيفة الاتصالية الشعرية بالدور الجمالي للأدب، ليس بصفته الفنية وحسب، بل بصفته الإيصالية في الحياة اليومية أيضاً. لذلك يمثل الكتاب محاولة جادة في التوسط بين الأدباء والمتلقين.^{٤٤}

مفاهيم نقدية اتصالية

ليس الاتصال الأدبي، كآلية لغوية، محل مساءلة أو تشكيك؛ فلا أظن أحداً ينكر أن ما يدور بين المبدع ونصه ومتلقيه ضرب من التواصل المحكوم بقوانين الاتصال العامة، إضافةً إلى قوانين خاصة بالطابع الأدبي للرسالة. من هنا يحرص مبروك على ما يمكن تسميته بـ (تقليب) مفاهيم النقد المركزية على جمر نظرية الاتصال الأدبي؛ أي أنه يتناول المصطلحات الشهيرة في الدرس النقدي، ليضيء ما تؤديه من مهام خلال هذه الوظيفة الاتصالية. وسأقف على أبرز هذه المفاهيم وقفات سريعة، وهي

^{٤٣} السابق، ص ٥٢٦.

^{٤٤} Sell, Roger D., *Literature as Communication: the Foundations of Mediating Criticism* (Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 200).

روح العلم منه إلى الفن في المراحل الزمنية والمكانية المختلفة".^{٤١}

يتفق مبروك في توجهه نحو هذه النظرية، وفي التأكيد على طابعها الشمولي مع نقاد آخرين سبقوه؛ فقد كانت مساهمة ياكبسون في وضع الوظيفة الشعرية ضمن سياق الوظائف العامة للاتصال اللغوي منصة انطلق منها نقاد غربيون لمحاولة تأطير نظرية تنطلق من فكرة ياكبسون. من أولئك - على سبيل المثال - الناقد الأمريكي والتر ميرز الذي نشر في العام ١٩٦٩م ورقة علمية في مجلة *القنصلية الوطنية لمعلمي الإنجليزية تحت عنوان Literary Terms and Jakobson's Theory of Communication* (المصطلحات الأدبية ونظرية الاتصال عند ياكبسون). يشير ميرز إلى أن ياكبسون جعله لا يحتاج أن يطرح طرقاً منهجية جديدة في ورقته، بقدر ما يحتاج للمّ شتات مجموعة المفاهيم والطرق التي هي بحوزة النقد أساساً. لذلك يرى أن تحليل وظائف الاتصال الياكسونية يوفر الإطار لفعل ذلك.^{٤٢} وبعد أن يعرض ميرز فكرته نظرياً وتطبيقياً، ينتهي إلى أن نظرية الاتصال الأدبي كما اقترحها ياكبسون يمكن أن تكون نظرية

^{٤١} مبروك، مراد، سلطة النص وخطاب الذات في مرثية عبد يغوث: قراءة في ضوء نظرية الاتصال الأدبي. محاضرة ألقاها المؤلف في نادي نجران الأدبي، ضمن مهرجان (قس بن ساعده)، في الفترة ٥-٧ مايو ٢٠١٣.

^{٤٢} Meyers, Walter E., "Literary Terms and Jakobson's Theory of Communication," *College English*, Vol. 30, No. 7 (Apr., 1969), p. 518.

إلى 'متلقٍ ضمني' أو 'قصدي'.^{٤٧} يشير مبروك هنا إلى رأي أرسطو في أن الشاعر حينما يحاكي الواقع يضع نفسه مكان المتلقي حينما يستقبل عمله الأدبي؛ "إن الشاعر من منظور أرسطو يعيش الواقع من ناحية والأشخاص الذين يريدون التعبير عنهم من ناحية ثانية، ومن ثم يأتي النص تعبيراً عن هؤلاء، أي أنه يتمثل المتلقي لنصه الشعري".^{٤٨} بعيداً عن التعقيد الذي تبدو عليه هذه الفكرة، وعلاقتها بالنظرية، فإن مبروك يعتقد أن اللبنة الأولى لنظرية الاتصال الأدبي انطلقت من رؤية أرسطو للمحاكاة، التي تحتل من العملية الشعرية موطن اللب، وبالتالي تكون العملية الاتصالية "جوهر العملية الشعرية".^{٤٩}

(٢) **التطهير**: وهو المفهوم الثاني الذي يطوره أرسطو في مشروعه النقدي، ولعله الأهم بينهما، في سياق هذه الورقة على الأقل. يختصر 'التطهير' عملية التأثير التي يحدثها العمل الأدبي في المتلقي، ليصل هذا لأخير بعد ذلك إلى نوع من التوازن النفسي، بعد أن يتخلص من عواطفه السلبية، لذلك يدعوها أرسطو بالتطهير (Catharsis).^{٥٠} وبما إنها كذلك، فإن مبروك يعدها خطوة مهمة باتجاه متلقي النص الأدبي؛ ولذلك نجد نظرية التطهير تقوم على المتلقي في

بطبيعة الحال مجرد أمثلة توضيحية، فمن الصعب حصر كل المصطلحات والمفاهيم التي 'قلبها' مبروك في أعماله محل الدراسة. يبقى أن أشير سريعاً إلى أن إيمان الناقد بنظرية الاتصال، وتركيزه المكثف عليها، قاد أحياناً إلى نوع من المبالغة، في ربط هذه المفاهيم بالطبيعة الاتصالية:

(١) **المحاكاة**: يرى مبروك أن إرهافات نظرية الاتصال الأدبي تبلورت منذ عصر الأدب الإغريقي القديم، ومنذ تطوير أرسطو لمفهوم (المحاكاة)، "فالمحاكاة عنده محاكاة منقحة للطبيعة، والمحاكاة بدورها على تقوم على فنان يحاكي الواقع وينقله للمتلقي".^{٥١} أي أن المبدع المحاكي للأشياء في ملحمة، أو مسرحيته، سواء كانت مأساةً أو ملهاةً - وفقاً لنظرية المحاكاة- يمثل المرسل، كما يمثل المستقبل أيضاً، لأنه يقوم باستقبال الموضوع المحاكي. هذا يعني أن "تعبير المحاكاة نفسه يشير إلى أطراف ثلاثة هي: المحاكي (المرسل) والشئ المحكي (الرسالة أو النص) والمحكي له (المرسل إليه)".^{٥٢} فالشاعر عندما يحاكي الأفعال والأشياء سواء سلبية أو إيجابية، يكون في وضعية المتلقي الذي يتلقى هذه الأفعال من الواقع، ثم يقلدها، ويعبر عنها بأسلوبه الشعري، فيتحول من مرسلٍ

^{٤٧} السابق، ص ٦.

^{٤٨} السابق.

^{٤٩} السابق، ص ٧.

^{٥٠} انظر: أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، (القاهرة:

دار الأنجلومصرية، دون تاريخ نشر)، ص ١٤٠-١٤٤.

^{٥١} النظرية النقدية، الجزء الرابع: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل

الخطاب .. النص الشعري أنموذجاً، ص ١٦.

^{٥٢} نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، ص ٥-٦.

المقام الأول؛ لأنه هو الذي يعايش حالة التطهير عند تلقيه للعمل الأدبي؛ لأن التطهر تحرير للنفس من الانفعالات، والتسامي بها من خلال الأعمال الفنية".^{٥١} من هنا يكون 'التطهير' مكماً لعمل المحاكاة. ويوضح مبروك الفكرة بشكل بياني/ يبدؤه المبدع (المرسل) بإنشاء النص، وإرساله عبر وسيلة اتصال، فيقوم المتلقي (المرسل إليه) باستقبال النص، ليحدث بعد ذلك التأثير الذي هو تطهير نفسي من الانفعالات.^{٥٢}

(٣) **الإقناع الخطابي**: يعتقد مبروك أن الخطابة "أكثر الأجناس الأدبية اقتراناً بعملية الاتصال الأدبي"،^{٥٣} لأنها تقوم في الأساس على تقنية الإقناع بالاعتماد على الأدلة العقلية التي تناسب وعي المتلقين وتراعي مستوياتهم ودرجاتهم. ويفصل أرسطو في كتابه (الخطابة)، مفهوم الخطابة وأنواعها وأهدافها التي تقوم على العدل والحق. لذلك يرى مبروك أن "خصائص الخطابة لا سيما الإقناع تشكل إرهاباً لعملية الاتصال الأدبي في الدرس النقدي".^{٥٤} ويشدد على أن أرسطو بتفصيله القول في أهمية الإقناع، الذي لا يتم إلا بتجويد الخطيب لنص الخطبة ليحقق لها التأثير المطلوب لدى جمهورها، يجمع العناصر الرئيسية لعملية الاتصال.

^{٥١} نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، ص ١١.

^{٥٢} السابق، ١٢.

^{٥٣} السابق.

^{٥٤} السابق، ص ١٤.

(٤) **الرواية**: تعد الرواية، شفوية كانت أو كتابية، الوسيلة التي حفظت الشعر العربي عبر العصور، وبعد أن كانت السيطرة للأولى، جاء عصر التدوين ليفتح المجال واسعاً أمام الكتابة لتكون أداة لرواية الشعر. وقد اهتم النقاد العرب الأوائل بالرواية كظاهرة أدبية مهمة، ليس لحفظ الشعر وحسب بل لبناء الشعراء المجيدين أيضاً. وهو "ما يبرهن على أن النقاد القدامى أدركوا ماهية الاتصال الأدبي في آرائهم النقدية من خلال التفاعل بين النص والقارئ، فنجد معظم الآراء النقدية حول قضية الشعر لدى النقاد القدامى يكون المتلقي حاضراً فيها".^{٥٥}

(٥) **التلقي**: يمكن أن يكون مفهوم التلقي أكثر المفاهيم التي اهتم بها الناقد مراد مبروك خلال مشروعه التنظيري، حتى ليخيل للمدقق في أعماله، أنه يقصد بمفهوم الاتصال مفهوم التلقي، لولا أنه أعلن أن هذا الأخير لا يحمل شمولية الأول، كما ورد في هذا البحث سابقاً. ويرتبط مفهوم التلقي في النقد العربي القديم بمفهوم الرواية والانتحال كما يرى مبروك،^{٥٦} لذلك شدد النقاد الأوائل أمثال ابن قتيبة وابن سلام والأصمعي على أهمية تمحيص الرواية وإتقانها. الراوي هو المتلقي الأول للنص الأصلي، وتوازي الرواية الأمانة الاتصال المتعادل، بينما يكون

^{٥٥} السابق، ص ٢٧.

^{٥٦} السابق، ص ٢٤-٢٨.

الاتصال منحرفاً في حال كان النص منحولاً.^{٥٧} وبعد أن يستعرض مبروك جهود النقاد والبلاغيين العرب في محاولة تفسير ظاهرة استقبال الأعمال الأدبية ينتهي إلى أن اهتمامهم بهذه القضية، يعكس "إلى حد كبير إرهابات نظرية الاتصال في تراثنا النقدي القديم، من حيث استحضار النقاد لشخصية المتلقي في نصوصهم النقدية".^{٥٨} والحق أن التلقي لا يمثل إلا جزءاً واحداً من العملية الاتصالية، وقد تحدث النقاد بإسهاب عن الأجزاء الأخرى التي تتصل بالمبدع والرسالة الأدبية والسياق الذي تدور فيه.

وحين ينتقل إلى النقد الحديث، يواصل مبروك الربط بين الاتصال والتلقي، بدءاً من النقد الجديد الذي ساهم في وضع بعض الأسس المعيارية في عملية القراءة والتلقي،^{٥٩} كما يشير إلى وقوف ياكبسون عند دور القارئ في النص عبر حديثه عن عناصر الاتصال،^{٦٠} وإلى تطور نظرية التلقي وتفصيلها في دور القارئ وأنواعه ووظائفه، وصولاً إلى ما يدعو روبرت هانز ياكوبس بأسس جماليات التلقي، ثم مساهمة فوفجانج آيزر الذي "رأى أن القارئ يجب أن يقوم بدور المشارك في إبداع العمل، وذلك باستكمال الجزء غير المكتوب من العمل، وهو جزء موجود في العمل

ضمنياً".^{٦١} إن تطور نظرية الاتصال الأدبي - كما يعتقد مبروك - مرهون باقترانها بتوسع الدرس النقدي في فهم وتأطير عملية التلقي، وإضاءة دور القارئ في التفاعل الأدبي؛ فقد كان اهتمام المناهج السابقة منصباً على المبدع أو على النص بعيداً عن الركن الثالث في العملية، رغم أن دوره لا يقل أهمية عنهما.^{٦٢} يقول مبروك: "ولعلنا لا بنعد عن الحقيقة حين القول إن نظرية الاتصال الأدبي التي نحن بصدد معالجة أبعادها ووضع أسسها وتراكيبها خرجت من معطف نظرية التلقي الآيزرية... لا سيما ما يتعلق منها بجانب التفاعل بين القارئ والنص أو ما أطلق عليه بالبنية الاتصالية للأدب الخيالي".^{٦٣}

(٦) **النقد الاتصالي:** يأخذ مبروك خطوة إضافية في ربطه بين الاتصال والنقد حين يفرد جزءاً من كتابه **علم النقد الأدبي ومعيارية الخطاب: دراسة في المفهوم** لما يدعو به (علم النقد الاتصالي) الذي جاء "امتداداً للنقد البنائي حيث اتجه النص في الآونة الأخيرة إلى إبراز دور المتلقي أو المستقبل للنص".^{٦٤} ويرى أن التقارب بين العلوم والإنسانية والتطبيقية مؤخراً، نظراً لتطور وازدهار

^{٦١} السابق، ص ١٢٢.

^{٦٢} السابق، ص ١١٧.

^{٦٣} مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي

والعربي، ص ٢٧.

^{٦٤} علم النقد الأدبي ومعيارية الخطاب: دراسة في المفهوم،

ص ١٥٢.

^{٥٧} السابق، ص ٣٠.

^{٥٨} السابق، ص ٤١.

^{٥٩} السابق، ص ١٢١.

^{٦٠} النظرية النقدية، الجزء الرابع: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل

الخطاب .. النص الشعري أنموذجاً، ص ١٠٣.

التكوينية، وهو ما يجعل الأعمال التي تتناولها نادرة وغير كافية.^{٦٧}

الاتصال الأدبي كاستراتيجية قراءة

لعل التحليل الذي سبق أظهر أن الاتصال الأدبي يمثل إطاراً نظرياً عاماً تتحرك ضمنه العملية الأدبية، أكثر من كونه منهجية نقدية محددة، ولعل هذا ما برز من الجزء التطويري الذي يحتل مساحة كبرى من مشروع الناقد مراد مبروك. ورغم ذلك فقد سعى مبروك منذ بدايات اهتمامه بالاتصال إلى صياغة نموذج محكم قدر الإمكان ليمثل استراتيجيته الخاصة في قراءة النصوص الشعرية والنثرية، وأحياناً الإعلامية. تتكون استراتيجية القراءة، التي يعتمد عليها مبروك في مختلف الدراسات المنجزة، من خمس مراحل، ، ويجملها الشكل التالي:^{٦٨}

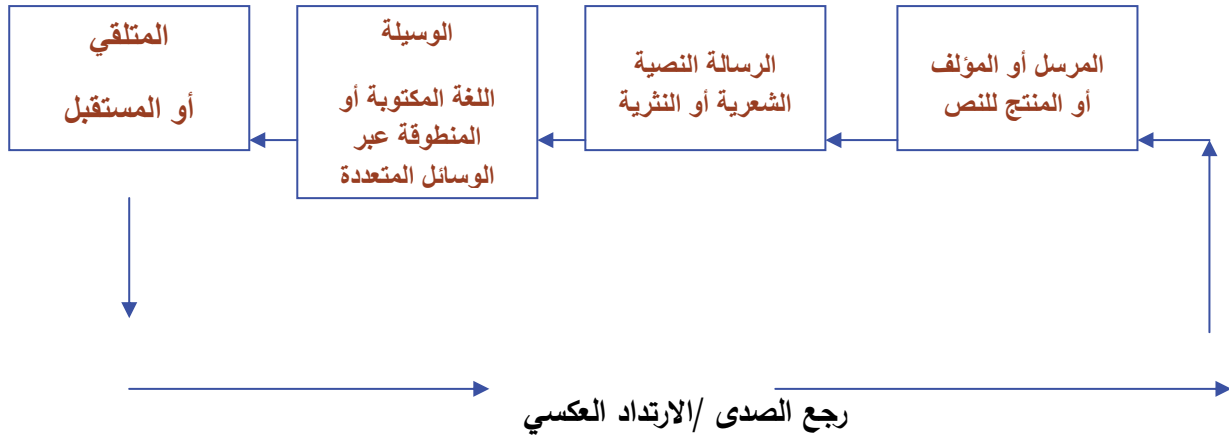
الدراسات في مجالي تكنولوجيا الاتصال والإعلام، كان عاملاً خلف بروز هذا المفهوم. جاءت بداية هذا العلم على يد رومان ياكبسون - كما سبق الإشارة - ثم توسع مع اهتمام نظريات النقد بالنص الأدبي وعلاقاته مع المبدع والمتلقي: "وقد توسع هذا النص النقدي الاتصالي كما ذكرنا بداية من جاكبسون مروراً بالمدرسة النصية ونهاية بنظرية التلقي عند آيزر وياوس".^{٦٥} يسرد مبروك بعد ذلك عدداً من الدراسات التي 'عنيت بالنص الاتصالي' في النقيدين الأوروبي والعربي، ويلاحظ مجدداً أنه لا يفرق بين التلقي والاتصال في هذا الجانب، فكثير من الدراسات المقترحة كأمثلة تناولت عملية التلقي في المقام الأول، عدا دراسة للباحثة نسيم الغيث عن البؤرة ودوائر الاتصال، تحدثت في جزء منها عن البلاغة والاتصال.^{٦٦} من هنا لا يظهر أن مفهوم النقد الاتصالي يعني أكثر مما سبق وركز عليه مبروك حين تلمس الجوانب الاتصالية في مفاهيم ونظريات النقد قديمها وحديثها، ويفسر مبروك لهذا بأن علم النقد الاتصالي لا يزال في مراحله

^{٦٧} السابق، ص ١٥٦.

^{٦٨} الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي، ص ٧٣٤.

^{٦٥} السابق، ص ١٥٣.

^{٦٦} السابق، ص ١٥٤.



يلاحظ هنا أن أولى هذه المراحل تتناول مرسل الرسالة الذي هو مؤلف النص من زاويتين: زاوية الرؤية التكوينية التي تهتم بالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية التي تكون شخصية المبدع وتؤثر في إنتاجه الأدبي، بينما تركز الزاوية الأخرى على علاقة الذات المبدعة بموضوع النص محل التحليل.

قد تكون ديواناً مطبوعاً أو مخطوط رواية ما أو حتى نصاً مسموعاً: "مثلما نجد في المجال الإعلامي تعدد وسائل الاتصال ما بين المذيع أو التلفاز أو الكتاب أو الصحافة، أو شبكة المعلومات الإنترنت أو السينما أو المسرح أو غيرها. فإن وسائل الاتصال الأدبي متعددة أيضاً فقد تكون الوسيلة مسموعة وذلك بسماع القصيدة بصوت الشاعر عبر وسيلة إعلامية معينة، وقد تكون الوسيلة مكتوبة مثل الكتاب المطبوع الذي يطبع فيه الشاعر قصيدته أو صحيفة مطبوعة أو صحيفة إلكترونية أو غيرها".^{٧٠}

وفي المرحلة الرابعة يوضع المتلقي تحت مبطع الناقد الذي يشرح دوره في التعامل مع النص بشيء من التفصيل، فيحدد أدواره في استكشاف المعنى،

يتوقف مبروك في الخطوة الثانية عند النص، أو الرسالة، حيث يعالجه من عدة جوانب تهتم بخاصيته النصية، ومدى تفاعله الداخلي بالتناص، وتفاعله الخارجي عبر العلاقة مع متلقي النص. كما يقف الناقد في تحليله عند البنية النصية التي يقسمها إلى بنية سوسيونصية، وأخرى سيكولوجية. "ومن حيث المستويات تنقسم إلى المستوى الداخلي ويعنى بتتابع البنى الداخلية للنص، والمستوى الخارجي ويعنى بتتابع البنى الخارجية من خلال قراءة النص المغلق والمنفتح".^{٦٩}

ثم يعرج مبروك على وسية الاتصال التي يعدها القناة التي تساهم في إيصال محتوى الرسالة النصية إلى المرسل إليه، قارئاً كان أو سامعاً. هذه الوسيلة

^{٧٠} الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي، ص ٧٥٤.

^{٦٩} مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي، ص ٢٧.

الي يصل بها تأثير النص في المتلقي إلى أن ينتج نصاً موازياً، " أي يكون هناك نصان: الأول هو الذي أنتجه الكاتب والآخر هو الذي أنتجه القارئ أو المتلقي للنص الأول".^{٧٣} وفي هذه الحالة يصبح المتلقي مبدعاً لنص جديد "قد يكون عكسياً أو توافقياً مع النص المقروء، لكنه في النهاية نص ارتدادي عكسي، لأنه جاء رد فعل لنص مقروء".^{٧٤}

الخاتمة

لعل التحليل الذي أنجز في الصفحات الماضية أبرزَ العلاقة الوطيدة بين الاتصال والنقد الأدبي؛ ليس لأن الأدب والنقد - بصفتهما نشاطين اجتماعيين - يمثلان صوراً من صور الاتصال ويؤديان وظائف اتصالية مهمة وحسب، بل لأن الدرس النقدي أدرك - منذ البداية - أهمية هذه الوظيفة ومركزيتها، فكان تطوره التاريخي مرتبطاً بعناصر الاتصال (المبدع، النص، القناة، السياق، والمتلقي)، وبوظائفه التي تأتي في مقدمتها الوظيفة الشعرية. وهذا ما سعى إلى إثباته الناقد مراد مبروك في مشروعه بصبر وأناة، وأحسبه قد وفق إلى حد بعيد.

وملء فراغات النص، وربط الأجزاء غير المترابطة مع ضبط البنى المتحولة في النص الأدبي ليقوم بتأسيس بنية النص في صورتها النهائية. كذلك يحدد مبروك نوع القارئ ضمناً كان أو قصدياً، ويقسم الاستراتيجية القرائية للمتلقي إلى خمسة أبعاد هي: (البعد الذاتي والبعد الوظيفي، والبعد الجدلي، والبعد الصوري، والبعد الباطني الذي يهتم بالبنية الباطنية للنص)،^{٧١} ليصل في نهاية هذه المرحلة إلى ما يدعوه استراتيجية الاتصال التي تنتشر إلى نوعين من الاتصال: (١) اتصال متعادل: "وفيه تكون رؤية القارئ متوافقة ورؤية النص، أي يكون القارئ في تفسيره متوافقاً مع الأبعاد التي يطرحها النص. (٢) واتصال منحرف "تكون رؤية القارئ أو المتلقي [فيه] مخالفة للرؤية المباشرة في النص، وغالباً ينتج هذا الانحراف نتيجة أمرين هما عدم إدراك القارئ لفهم النص أو انعدام السياق الضابط بين النص والقارئ وهناك سبب ثالث يتمثل في تعدد دلالات النص مما يصعب تحديد معنى أحادي يتفق عليه كل الدارسين أو النقاد، ولعل السبب الثالث هو أبرز الأسباب للانحراف النصي".^{٧٢}

خامس المراحل في هذا النموذج النظري يدعوه مبروك 'الارتداد العكسي للنص'، ويقصد به النقطة

^{٧١} مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي، ص ٢٨.

^{٧٢} الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي، ص ٧٦٦.

^{٧٣} السابق، ص ٧٦٧.

^{٧٤} مبروك، مراد، "الخطاب الإعلامي الصحفي وتشكيل الهوية: دراسة نصية للغة الإعلانات في ضوء نظرية الاتصال الأدبي"، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٦، ص ١٨.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

(الحوار العربي الغربي: اختلاف أم خلاف أم وفاق)، ٣١-٢٩ مارس ٢٠١٠.

- ---- الأسطورة وسلطة النص في شعر حمزة شحاتة: قراءة أولى في آليات الاتصال الأدبي، علامات، جدة: نادي جدة الأدبي، ٢٠٠٦.

- ---- علم النقد الأدبي ومعيارية الخطاب: دراسة في المفهوم، (جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٣).

- ---- نظرية الاتصال الأدبي بين التنظير والتطبيق، (جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠١٣).

- ---- النظرية النقدية، الجزء الرابع: نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب .. النص الشعري أنموذجاً (القاهرة: دار الأدب، ٢٠١٥).

- ---- سلطة النص وخطاب الذات في مرثية عبد يغوث: قراءة في ضوء نظرية الاتصال الأدبي. محاضرة ألقاها المؤلف في نادي نجران الأدبي، ضمن مهرجان (قس بن ساعده)، في الفترة ٥-٧ مايو ٢٠١٣.

- ---- "الخطاب الإعلامي الصحفي وتشكيل الهوية: دراسة نصية للغة الإعلانات في ضوء نظرية الاتصال الأدبي"، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٦.

- المهوس، عبدالرحمن، فنون الاتصال اللغوية، (الخبر: دار الكفاح، ١٠١٣).

- ياكيسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٨).

ثانياً: المراجع الإنجليزية

- Hall, Robert, *An Essay on Language*, (New York: Chilton Books, 1968).
- Hartley, John, *Communication, Cultural and Media Studies: The Key Concepts* (London: Routledge, 2002).

- أرسطو، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة، (القاهرة: دار الأنجلومصرية، دون تاريخ نشر).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، ج ١، ط ٣، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣).
- الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢).
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط ٤، (بيروت: دار القلم، ١٩٨٦).
- دي سوسور، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، ط ٣، (بغداد: آفاق عربية، ١٩٨٥).
- الركيك، محند، نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة.
- القضماني، رضوان & العكش، أسامة، "نظرية التواصل: المفهوم والمصطلح"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٩) العدد (١) ٢٠٠٧.
- الفارابي، أبونصر، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق: ألبير نصري، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م).
- مبروك، مراد، مدخل إلى نظرية الاتصال الأدبي من المنظورين الغربي والعربي، المؤتمر الدولي الثاني لجامعة المنيا

- Hollander, John, "The Metric Emblem," the Kenyon Review, Vol. 21, No. 2 (spring, 1959).
- Jakobson, Roman, "Closing Statement: Linguistics and Poetics," Style in Language, ed. Tomas A. Sebeok, (New York & London: The Technology Press of Massachusetts of Technology & John Wiley & Sons, inc., 1960).

- Meyers, Walter E., “**Literary Terms and Jakobson's Theory of Communication**,” College English, Vol. 30, No. 7 (Apr., 1969).
- Pettit, Philip, **The Concept of Structuralism: A Critical Analysis** (California: University of California Press, 1975).
- Sell, Roger D., **Literature as Communication: the Foundations of Mediating Criticism** (Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 200).
- Williams, Rymond, **Keywords: A Vocabulary of Culture and Society**, (New York: Oxford University Press, 1985).

Critical Theory Based on the communicative function: Analytical study of contemporary experience

Adil Khamees Alzahrani

King Abdulaziz University - Jeddah Saudi Arabia

Abstract. With the rapid development in communication technology nowadays, humanities disciplines have become closer and interconnected, which led to the flourishing of interdisciplinary fields. This paper attempts to survey the relationship between modern literary criticism and communication theories; it can be said that the progress that modern linguistics have witnessed in considering the poetic function among other communication functions has contributed to frame a literary theory based on the fundamental acts of communication .

The works of Arab critic Murād Mabruk could serve as a good example in this matter; he has been, in his hundred books and papers, interested in literary communication theory, which he thinks could be a comprehensive framework for the critics to analyse literary works, in regard to the texts, and in regard to their creators and readers.

Mabruk's interest in this theory began in the early years of the current AD century, as he published several books and articles trying to draw a clear image of literary communication theory. He traces the roots of the theory in ancient Greek philosophy, classical Arabic criticism and rhetorics. He also follows the theory's dimensions and concepts in other fields such as Anthropology, Sociology, and Information Science. Not only that, but Mabruk suggests his own reading strategy of literary works, applying it on classical and modern poems, novels, and even commercial adds. It is the aim of this research to study Mabruk's project in order to understand the nature of the relationship between concepts of communication and modern critical theories.

الأنا و الآخر في قصيدة: "قراءة في وجه لندن" للشاعر غازي القصيبي مُقاربة موضوعاتية

أشجان محمد هندي

أستاذ مشارك في الأدب و النقد العربي الحديث
قسم اللغة العربية و آدابها-كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المملكة العربية السعودية- جدة، جامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص. يُعدّ موضوع (الأنا والآخر) في الشعر من الموضوعات المهمة التي شغلت الدراسات النقدية الغربية و العربية الحديثة. إن بين (الأنا والآخر) علاقة لا يمكن إلغاؤها أو تجاهلها؛ إذ تقوم طبيعة الحياة على هذه الثنائية، و بالتالي، فإنه لا يمكن فهم الأنا بمعزل عن الآخر. و سيتم تناول هذا الموضوع، هنا، من خلال قصيدة الشاعر غازي القصيبي: "قراءة في وجه لندن" كنموذج مُكثّر بهذه العلاقة.

تقوم هذه الدراسة على فرضية تجادل بوجود أزمة تقود إلى صراع بين (الأنا) و (الآخر) في القصيدة (عينة الدراسة). و إذ تُمثّل الموضوعات في هذا النص، فكرة الجذر أو النواة أو الخلية التي ينشأ منها وعي الذات بالآخر، و هي فكرة اعتمد عليها الناقد الفرنسي جان بول وبيير في نقده الموضوعاتي الذي يقوم على فكرة الواحدية أو النواة أو الخلية التي ينشأ منها وعي (الفنان)، أو الإنسان بنفسه و بالكون من حوله؛ فإن هذه الدراسة تقوم على منهج تحليلي يهتم بالموضوعاتية التي تبحث في النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي، و تفسّر قضيته المحورية التي تلعب دورًا رئيسًا بصفتها قانون منظم لوحده العضوية. و بالتالي، ستم معالجة علاقة (الأنا و الآخر) في (عينة الدراسة) من خلال تناول الموضوعاتي (الشمي) لعلاقة الفرد، أو (الأنا/ الذات الشاعرة) بالواقع المحيط (الفضاء - الزمكاني) الذي يشمل المكان و الزمان و ما بينهما، إلى جانب تناول تشابك هذه العلاقة مع موضوع (الحب و المرأة).

المقدمة

يُعدّ موضوع (الأنا والآخر) في الشعر من الموضوعات المهمة التي شغلت الدراسات النقدية الغربية و العربية الحديثة، و تقوم علاقة (الأنا) ب (الآخر) على افتراض (الغيرية) التي يتألف منها الوجود الإنساني المُشتمل على أقطاب الالتحاق و التماثل و التشابه، و أقطاب الاختلاف أيضًا؛ ضمن منظومة واحدة تتأسس على الغيرية؛ حتى في حالة الالتحاق أو التماثل أو التشابه.

إن بين (الأنا والآخر) علاقة لا يمكن إلغاؤها أو تجاهلها؛ إذ تقوم طبيعة الحياة على هذه الثنائية، و بالتالي، فإنه لا يمكن فهم الأنا بمعزل عن الآخر؛ فهما طرفان منفصلان متصلان، مفترقان متحدان في ذات الوقت.^(١) و من هنا تأتي أهمية موضوع (الأنا و الآخر) من حيث قدرته على كشف و تحليل طبيعة العلاقات الإنسانية الأثرية المتشابكة، المتقنة

(١) يُنظر: حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٩.

النص؛ للوقوف على ماهية الخيط العلائقي الذي يربطهما ببعض. و ذلك على اعتبار أن تلك الموضوعات تُمثل، في هذا النص، فكرة الجذر أو النواة أو الخلية التي ينشأ منها وعي الذات بالآخر. و هي فكرة اعتمد عليها الناقد الفرنسي جان بول ويبيير في نقده الموضوعاتي الذي يقوم على فكرة الواحدة أو النواة أو الخلية التي ينشأ منها وعي (الفنان)، أو الإنسان بنفسه و بالكون من حوله.^(٢)

و تتوسل الدراسة إلى تحقيق ذلك باستخدام منهج تحليلي يهتم بالموضوعاتية التي تبحث في النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي، و تفسر قضيته المحورية التي تلعب دوراً رئيساً بصفتها قانون منظم لوحده العضوية. فالموضوع يساوي بنية دلالية كبرى تتحدد في نطاق النقد الموضوعاتي "على شكل شبكة من الدلالات، أو عنصر دلالي مُتكرر لدى كاتب ما في عمل ما".^(٣) و يعد التكرار و التواتر من الاشتراطات المهمة للموضوعاتية التي يفسر رولان بارت ارتكاز مفهومها على تكرار الموضوع بقوله: "الموضوع مكرر، بمعنى أنه يتكرر في العمل، و يُعدّ هذا التكرار تعبيراً عن خيار وجودي".^(٤)

منها و المختلفة؛ سواء بين البشر و بعضهم ببعض، أو بينهم و بين الأمكنة أو الأزمنة، أو الحيوانات، أو الجمادات. ممّا يُكوّن في مجموعه مقارنة لفهم الأفراد و المجتمعات المختلفة باختلاف مرجعياتها التاريخية و الدينية و الثقافية و غيره؛ من خلال تقاطعاتها الأزلية و الدائمة مع بعضها بعضاً في هذا العالم الكبير.

و سيتناول هذا الموضوع، هنا، من خلال قصيدة الشاعر غازي القصيبي: "قراءة في وجه لندن" كنموذج يُمثل عينة الدراسة، التي يؤمل لها أن تكون ضمن سلسلة دراسات لاحقة تناقش موضوع (الأنا و الآخر) في الشعر السعودي؛ انطلاقاً من رغبة و حاجة إلى إثراء مكتبة الأدب السعودي الذي لمّا يزل يعاني من ندرة الدراسات النقدية الخارجية، و قلة الأخرى المحلية التي تعالجه شعراً و نثراً.

تقوم هذه الدراسة على فرضية تجادل بوجود أزمة تقود إلى صراع بين (الأنا) و (الآخر) في القصيدة (عينة الدراسة)، و تنطلق من التساؤلات التالية: ما أنواع (الأنا) و (الآخر) في هذا النص؟ و ما طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما؟ و هل يمكن تفسير هذه العلاقة من خلال مقارنة نقدية للفكرة أو الرسالة المتكررة و المهيمنة على العمل الأدبي باعتبارها بنية صغرى ترتبط ببنية دلالية أكبر؟ أو بعبارة أخرى، هل يُمكن لهذه القصيدة باعتبارها فضاءً نصياً خاصاً موازياً للواقع أن تُشكّل علامة دلالية صغرى من شأنها أن تُحيل إلى علامة دلالية كبرى قد تُفسر علاقة الأنا بالآخر داخل الفضاء العام؟

و لإثبات الفرضية السابقة أو نفيها؛ ستنشغل الدراسة بالإجابة عن الأسئلة السابقة من خلال مقارنة مفهوم (الأنا والآخر) و تجلياته عن طريق تحليل أوجه تعالقهما داخل الموضوعات التي جمعتهم في

(٢) يُراجع: محمد السعيد عبدلي، (البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، ٢٠٠٣م، ص ٩٧.

(٣) يوسف و غليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار الريحانة، القبة، الجزائر، (د.ت)، ص ١٨.

(٤) يوسف و غليسي، السابق، ص ١٩.

هذه العلاقة مع موضوع (الحب و المرأة). و سيكون تناول الزمان و المكان، لا كما هما في الواقع، كما يذكر الجنداري، بل كما يتحققان داخل النص بصفتهما مخلوقين و مُحَوِّرين من قبل الكاتب، يُسهمان في تخصيص واقع النص و في نسج خصوصية بنيته الدالة.^(٧)

و تأسيساً على ما سبق، ستقف هذه الدراسة، فيما يلي، بمفهوم (الأنا) و (الآخر) لغةً و اصطلاحاً، مروراً بإيضاح أنواعهما، و مواضع تظهريهما في القصيدة (عينة الدراسة)، و وصولاً إلى مناقشة الموضوعات التي أظهرت تعالقهما، و كشفت طبيعة و نوعيّة العلاقة التي تربط بينهما، و انتهاءً بالنتائج التي سيتم الوصول إليها.

في مفهوم (الأنا و الآخر):

١-١ الأنا لغةً:

جاء في تعريف (الأنا) في معاجم اللغة العربية أنها: "اسم مُكَنَّى، و هو للمتكلم، و إنما يُبنى على الفتح فرقاً بينه و بين أن التي هي حرف ناصب للفعل، و الألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف".^(٨) و جاء في تعريفها أيضاً أنها: "ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكراً و مؤنثاً، مُتَنَاه و جمعه

و في إطار هذه الرؤية النقدية الموضوعاتية، كما يذكر علوش، يُمكن للموضوع أن يدل على مشاكل متعددة، و يُمثّل الفاعل أو القضية القاعدية في عملٍ ما؛ كعلاقة الفرد بالمجتمع، أو موضوع الحب و المرأة مثلاً. و يضيف بأن كل تكرار في عمل ما يكون دوره كدور الحافز أو المُحرِّك، و بأن المنهج الموضوعاتي هو مقارنة النقاط الحساسة في العمل الأدبي و الكشف عن تحولاتها و إدراك روابطها، في انتقالها من مستوى تجربة معينة خاصة إلى أخرى شاسعة.^(٩) بالإضافة إلى أن المُقاربة النقدية الموضوعاتية تدرس العمل الأدبي عن طريق وصف و تحليل عناصره المُكوّنة التي تُمثّل بؤرة التقاء بين منطقة الواقع و الخيال، أو منطقة الوعي و اللاوعي؛ فالموضوعاتية "في النقد تعني وصف عناصر الأثر بشكل يتّفق مع وجوده في العالم الواقعي والخيالي".^(١٠)

و بالتالي، ستنتم معالجة علاقة (الأنا و الآخر) في (عينة الدراسة) من خلال تناول الموضوعاتي (التي) لعلاقة الفرد، أو (الأنا/ الذات الشاعرة) بالواقع المحيط (الفضاء - الزمكاني) الذي يشمل المكان و الزمان و بينهما، إلى جانب تناول تشابك

(٩) يُنظر: سعيد علوش، (وضعية النقد الموضوعاتي)، وزارة الثقافة و الاتصال، المملكة المغربية.

<http://www.minculture.gov.ma/index.php/2010-01-11-01-40-04/etudes-essai/560-said-allouch-situation-de-la-critique-thematique>

(٧) يُنظر: إبراهيم الجنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، تموز للطباعة و النشر، دمشق، ٢٠١٣م، ص ٣٦.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١، ص ٣٨.

(١٠) محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي (الأسس و المفاهيم)، مؤسسة واحة الدرر، (dorarr.ws)، ٢٠١١م، ص ١.

نحن".^(٩) و عُرِّفت كذلك بأنها: "ضمير رفع مُنفصل للمتكلم أو المتكلمة".^(١٠)

٢-١ الأنا اصطلاحاً:

تداخل مصطلح (الأنا) عند الفلاسفة العرب مُتموضعاً بين مفهومي النفس والعقل. يذكر عباس الحداد أن (الأنا) قد تأرجحت بين العقل والنفس في الفلسفة العربية حتى أصبحت أقرب إلى النفس منها إلى العقل.^(١١) ويشير الفلاسفة إلى (الأنا) بالمعنى التقريبي له و هو (النفس)، و من ذلك قول الفيلسوف الفرنسي ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود"^(١٢)؛ إشارةً إلى مفهوم (الأنا) المُفكَّرة التي لا وجود للذات بدون وجودها. و في الفلسفة الوجودية يرتبط السؤال عن الأنا بالسؤال عن الوجود؛ فالوجود تبعاً لهذه الفلسفة: "هو أولاً وجودي أنا، أنا الذات المتقرّدة".^(١٣)

و لقد اهتم علماء النفس بالجانب الشعوري من الشخصية بوصفه جانباً مهماً في فهم السلوك الإنساني؛ حيث يرى فرويد، مثلاً، أن لسلوك الإنسان دافع داخلي تقف خلفه قوى لا شعورية تم تكوينها

عبر تاريخ الشخص، خاصةً ما يتعلق منها بعلاقته بوالديه، و أن سلوك الفرد فعل ينتج عن الجهاز النفسي المكوّن من: الهو، و الأنا، و الأنا الأعلى.^(١٤) و هناك من يرى بأن (الأنا) تُمثّل "الجانب الشعوري للنفس، ويتميز بأنه أكثر الجوانب التصاقاً بالحقبة الخارجية".^(١٥) ف (الأنا) هي: " الذات المُدرّكة التي تتحكم بدوافع الهو بما يتفق مع الواقع الاجتماعي والقيم الأخلاقية في المجتمع".^(١٦)

من جهة أخرى، تُمثّل (الأنا) ذات الإنسان و ما يمر به من تجارب و خبرات، و تعكس داخله و طريقة حياته و طموحاته و قدراته و رأيه حول نفسه أيضاً.^(١٧) بالإضافة إلى أن مصطلح (الذات) قد ورد للدلالة على معنى يشمل أفكار الإنسان و مشاعره التي ترتبط بدورها بخصائصه البيولوجية و العقلية،^(١٨) كما يشمل معتقداته و قناعاته و رؤيته الماضوية و المستقبلية.^(١٩)

أمّا من الناحية الفنية؛ فهناك من يرى بأن (الأنا) تُمثّل: " اكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية

(١٤) يُنظر: مأمون صالح، الشخصية بنائها، انماطها، اضطراباتاها، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٨م، ط١، ص21

(١٥) حسن شحاتة، زينب النجار، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، مراجعة: حامد عمار، (د. ط)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٠.

(١٦) محمد قاسم عبدالله، الأنا والآخر مقارنة سيكولوجية - أنثروبولوجية معاصرة، مجلة آفاق المعرفة، العدد ٥٥٣، ٢٠٠٩، ص ٢٨١.

(١٧) يُراجع: عزت قرني، الذات ونظرية الفعل، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠.

(١٨) يُنظر: عبد الله تريسي، ثنائية (الأنا) و (الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، مجلة التراث العربي (دمشق: اتحاد الكتاب العرب ٢٠١١م)، العدد ١٢٠-١٢١، ص ١٧٥.

(١٩) يُنظر: السابق، ص ١٧٥.

(٩) بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م، ص ١٨.

(١٠) يُنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ص ٢٨.

(١١) عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض نموذجاً، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٩م، ط٢، ص187.

(١٢) احمد ياسين سليمان، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٩م، ط١، ص١٩٢.

(١٣) عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ط٢، النهضة المصرية، مصر، ١٩٦٦م، ١٩.

يمكن لها أن تتحقق في عالم الوجود.^(٢٣) بمعنى أن (الآخر) هو من يقوم بتحديد الأنا مما يجعل وجودها مُحققاً؛ ذلك أن معرفة الأنا لا يمكن أن تتم بمعزل عن وجود الآخر و تحديده و معرفته.^(٢٤) فعلاقة (الأنا) بـ (الآخر) علاقة حتمية تحكمها الضرورة؛ حيث لا تستطيع (الأنا) معرفة كنهها و طاقاتها إلا عن طريق (الآخر)، و بالتالي يتحتم على (الأنا) الخروج من فكرة الأعلى و الأدنى و الأفضل، و الأقل؛ فجميعنا "آخر بنظر الغير، كما أن الغير هو آخر بنظرنا".^(٢٥)

و يتحدد مفهوم (الآخر) حسب (الذات) تبعاً لتلازمهما الحتمي؛ سواء أكانت طبيعة العلاقة التي تجمعهما قائمة على الاتصال، أو على الانفصال. مما يجعل الآخر يأتي في صور متنوعة و متعددة، لا في صورة واحدة فقط، و ذلك وفقاً لاختيار وفهم (الذات) لذلك (الآخر) الذي قد تُشكّله ليأتي في صورة صديق، أو في صورة عدو.

و قد ربط الفيلسوف و الروائي الفرنسي سارتر بين (الآخر) و بين الجحيم في مقولته الشهيرة التي جاءت في نهاية إحدى مسرحياته: "الآخر هو الجحيم"؛ إذ يرى أن الوعي الوجودي للذات يتشكّل بناءً على الطرف الآخر، و هو في الوقت ذاته

في الفنان أو الأديب، وبروزها بوضوح، وتعبير متميز من خلال الآثار التي يبدعها، ولا يتحقق الأمر إلا بالغوص في الأعماق، واكتشاف ما بها من كنوز عبقرية، وعرضها فنياً".^(٢٠)

١-٢ الآخر لغةً:

وردت كلمة (الآخر) في (لسان العرب) بمعنى "أحد الشيئين وهو اسم على أفعل، والآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر و ثوب آخر".^(٢١) كما تشير في (المعجم الوسيط) إلى أن: "الآخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد".^(٢٢) مما يُمكن معه القول بأن (الآخر) يعني (الغير) و إن كان الشيئين من جنس واحد، و أن (الغير) هو ما يقف خارج (الأنا/الذات)، أو مقابلاً لها؛ و إن جاء في صورة مطابقة، أو مشابهة، أو جاء في صورة أخرى مُغايرة، أو مُخالفة.

٢-٢ الآخر اصطلاحاً:

يُمثّل (الآخر) كل ما هو خارج (الأنا)، أو خارج الذات المُدركة، أو بمعنى آخر كل ما هو مُغاير أو نقيض لها، أو مستقل عنها. و في الفلسفة يرى الفيلسوف الألماني هيدجر أن (الآخر) هو كل ما نكتشف وجودنا و نحققه عن طريق وجوده؛ فبدونه لا يُمكن لـ (الأنا) أن تظهر و أن تكتشف نفسها، بل لا

^(٢٣) يُراجع: عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ١٣.

^(٢٤) يُنظر: سلاف أبو حلايس، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص ٨.

^(٢٥) حسن المصطفى، (التباس الآخر في الثقافة العربية الإسلامية)، جريدة الرياض، ١٨ نوفمبر ٢٠١٦.

^(٢٠) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١١٦.

^(٢١) ابن منظور، مرجع سابق، ص ١٣.

^(٢٢) إبراهيم مصطفى و آخرون، مرجع سابق، ص ٩.

ضمن دائرة ما سبق من تعريفات و استنادًا عليها؛ فإن مفهوم (الأنا) في هذه الدراسة يتركز حول (الذات الشاعرة) التي تُمثّل هنا (الشاعر/الرجل) تحت مظلة وجودها كذات منفردة، مستقلة عن (الغير) أو عن (الآخر) حتى وإن ارتبطت به، أو تداخلت معه ضمن منظومة علاقات إنسانية في قطبيها، أو في قطب واحد منها فقط؛ كما هو الحال في علاقة الإنسان بالمكان و الزمان.

أما مفهوم (الآخر) المقصود في هذه الدراسة؛ فيتحدد في: (الغير)، أو كل ما هو خارج دائرة (الأنا) أو الذات؛ سواء في حالة اتصاله بهذه الذات، أو انفصاله عنها، و سواء أكان حقيقيًا، أو مُتخيلاً في ذهن (الأنا) أو الذات الشاعرة. حيث تظهر علاقة (الأنا) أو الذات الشاعرة بـ (الآخر) من خلال علاقتها بالبيئة المحيطة و بالأفراد و ذلك من خلال اللغة و الصورة الشعرية و غيره مما يُشكّل لُحمة النص الشعري. فلغة العمل الأدبي، كما يرى الأسلوبيون، مُجسّدة لذات صاحبها، و كاشفة عن آرائه و أفكاره تجاه الآخر. مع الالتفات إلى عدم النظر إلى العمل الأدبي الذي يُنتج في حالة إبداعية مُحَدّدة كمجرّد سيرة ذاتية يُمكن من خلالها كشف و فهم (الذات) المُنتجة لذلك العمل. لما في ذلك من إغفال للحالة الإبداعية التي يُنتج داخلها؛ و هي حالة متشابكة قد يصعب تفسيرها. حيث تتقاطع و تتماس فيها تارة، و تندمج فيها تارة أخرى (ذات المبدع) المُنتجة مع حالته الشعورية و أدواته الفنيّة من لغة و

يتضمّن عداءً من شأنه أن يدمّر (إنسانيتين) ارتبطتا ببعضهما على نحو جبري غير مُستقل؛ مما يجعل الكينونة، أو (الأنا) محكومة برأي (الآخر) الذي يحول بينها و بين الاختيار.^(٢٦) و قريبٌ من رؤية سارتر ما يذكره الساورى من أن الآخر قد يكون المخالف للذات و الثقافة و العقيدة، و أنه قد يأتي في صورة مستعمر لـ (الأنا) ضمن علاقة توطّرها حتميّة المواجهة و التصادم.^(٢٧)

من ناحية أخرى؛ فقد يكون الآخر مُتخيلاً دون وجود حقيقي له، بمعنى أن (الأنا) هي من تقوم بإيجاده و اختراعه عن طريق فعل الخيال الذي يحوّله إلى حقيقة ماثلة، و بالتالي لا يكون الآخر هو (الغير)، أو ما هو حقيقي فقط، بل يمكن أن يكون، أيضًا، نتاج فعل الصورة المتخيلة في ذهن (الأنا).^(٢٨) مما يمنح ذلك (الآخر)، أو (الغير) وجودًا موضوعيًا في الذهن، أو في الفن، على نحو خاص، حيث تلعب الصورة الفنيّة دورًا مهمًا في خلق و تشكيل ذلك (الآخر) داخل إطار إبداعي.

^(٢٦) يُنظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، 2007م، ط ٥، ص 22.

^(٢٧) يُراجع: بو شعيب الساورى، تمثيلات الهوية والآخر: قراءة ثلاثية نصوص في الرواية الجزائرية، رابطة أهل العلم، 2008م، ط 1، ص ٥٢.

^(٢٨) يُنظر: نادر كاظم، تمثيلات الآخر "صورة السود في المتخيّل العربي الوسيط"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٠.

أو الصديق، أو القريب، أو الأجنبي، أو العدو، أو سواه. و تبعاً لاستقصاء تجلياته في القصيدة (عينّة الدراسة)؛ فقد ظهر في صورة: (الرجل/ الذات الشاعرة)، و صورة: (المرأة/ الحبيبة).

أما (غير الإنساني)؛ فإنه يظهر في الحياة في صور عدّة؛ من أهمّها و أبرزها صورة: الحيوان، و الجماد، و المكان، و الزمان. و يتمحور في هذه الدراسة في صورة: (المكان)، و (الزمان).

كلّ لونٍ .. يتلوّن

يُصبحُ الأخضرُ بُنيّاً ..

و تغدو زُرْقُهُ الأفقَ رماداً ..

يتعرّى الفحمُ .. من وهجِ الشررِ

و يسيرُ القلبُ من حالٍ إلى حالٍ

و يخلو الجفنُ من أدمعِهِ ..

يسرقُ من دمعِ المطرِ

هو أرعنٌ

ذلك الحبُّ الذي يحسبُ أنّ الحبَّ يبقى

فيدومُ العشقُ عشقا

و يظلُّ الشوقُ شوقا

دورةً، كالمَدِّ و الجزرِ، على رقصتها

يرتحلُّ الحبُّ ..

صورة شعرية و غيره ممّا يحكم العمل و يكون نسيجاً فنياً واحداً متكاملأ يستحيل تقسيمه إلى أجزاء منفصلة لا علاقات بينها، و يُسمّى هذا النسيج شديد اللّحمة: العمل الأدبي.

من جهة أخرى؛ فإن مصطلح (الإنساني) الذي يرد في هذه الدراسة يُقصد به: ما يتعلّق بالإنسان، أو الكائن البشري الذي يتمظهر حسيّاً في الحياة في صور عدّة؛ منها على سبيل المثال، صورة: الحبيب، نص قصيدة: "قراءة في وجه لندن" لغازي القصيبي:

وجهُ لندنُ

واجمُ .. تكسوهُ حَبّاتُ المطرِ

وجهُها .. وجهُ حبيبٍ

راعهُ يومُ الفراقِ

فتغضُنْ

و هو يجتازُ تعابيرَ الكَدَرِ

و الشجرِ

ذكرياتُ الورقِ الساقطِ ..

و الطيرِ الذي هاجرَ ..

و الصيفِ الدفيءِ المُختَصَرِ

و على وجهك آثارُ اشتياقٍ

في صراعٍ مع آثارِ الضَّجَرِ

و الفكرُ المؤشَّى .. و البدنُ

افتحي الشُّباك !

ما أجمل إيقاع المطرُ

صوتُ طفلٍ يتكوّنُ

صوتُ مخلوقٍ من الحزن ..

خريفِي .. خُرَافِي .. رقيقٍ .. و وديعٍ

هاربٍ من نَرَقِ الصيف ..

و من طيشِ الربيعِ

آه ! ما أروعَ هذا الحزن ..

هذا الشجنَ الطفل ..

الذي بعثرَ قلبي في المطرِ

و سقى منه ملايينَ البشرِ.^(٢٩)

١- أنواع (الأنا و الآخر) في قصيدة "وجه لندن":

تعدّدت أنواع (الأنا) و (الآخر) في هذا النص؛

فجاءت على النحو التالي:

أنواع الأنا:

و اختصت بـ (الإنساني) فقط، و قد مثّلتها:

١- الأنا الفرديّة، و تنحصر في: (الرجل/ الذات

الشاعرة).

إلى أن يبلغ الأيُنُ السفرُ

حسنًا !

لن ينبضَ الهاتفُ في منتصفِ الليل ..

و لن تسعى الإشاعاتُ

بأسرارِ الخبرِ

كان حُبًّا ..

و عبَرُ

سوف نحزنُ

أو لم نشهدْ، معاً، عُرْسَ القمرِ؟

أو لم نشربْ، معاً، روحَ النهرِ؟

أو لم نقطفْ، معاً، نجمَ العناقِ؟

وجهُ لندنُ

شاحبٌ فيه، كما في وجهك

الشاحبِ، أظفارُ السَّهرِ

وجهُ لندنُ

ظلّ طول الليل .. يشكو

غُرْبَةُ العُشّاقِ في هذا الزمنُ

زمن السوق الذي أصبح فيه

كلُّ شيءٍ .. بئسَ

البُكا .. و الضحكُ .. و الأبناء ..

^(٢٩) غازي عبدالرحمن القصيبي، ديوان: قراءة في وجه لندن، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٧م، ط١، ص ٧-١٢.

١- ظهرت (الأنا الفردية) مرتين في الضمير (كاف الخطاب) المتصل بكلمة (وجهك): حيث تُخاطب (الذات الشاعرة) (أناها) باستخدامه في عبارة: "و على وجهك آثارُ اشتياق"، و في عبارة: "شاحبٌ فيه كما في وجهك الشاحب". و بالرغم من أن ضمير الخطاب (الكاف) قد أتى في النص خالٍ من التشكيل بحركة توضّح (جنس - Gender) الموجّه إليه الخطاب من حيث التذكير و التأنيث، إلا أن السياق الذي أتى فيه في المرتين يُرجّح أنه موجّه إلى (مُخاطَب مُذكّر)؛ فالذات الشاعرة (الرجل) تتحدث من بداية النص إلى نهايته عبر مونولوج داخلي مع (الأنا)، أو مع (أناها)، ممّا يُرجّح دلالة (كاف الخطاب) على المُذكّر في الموضعين السابقين.

٢- أما الموضع الآخر الذي ظهرت فيه (الأنا الفردية) في هذا النص فيظهر في قوله: "افتحي الشُّباك"؛ حيث يوضح فعل الأمر (افتح) أن ثمة طلب موجّه من (أنا فردية) إلى آخر (مؤنث) سيتم إيضاحه في موضع لاحق من هذه الدراسة.

٣- كما ظهرت (الأنا الفردية) في قوله: "هذا الشجن الطفل/ الذي بعثر قلبي في المطر"؛ حيث اتصل الضمير (ياء المتكلم) بالاسم (قلب) في دلالة واضحة على حديث الذات الشاعرة عن أنها التي تُمثل هنا (الأنا الفردية).

مع الالتفات إلى أن (الذات الفردية) تتحدث مع أنها، في هذا النص، عبر مونولوج داخلي، كما

٢- الأنا الجمعية، و تتكون من: (الأنا الفردية التي = الرجل/ الذات الشاعرة) + (المرأة/ الحبيبة). أنواع الآخر:

و شملت (الإنساني)، و غير (الإنساني)، و يُمكن حصرها فيما يلي:

١- (الآخر/ المكان)، و = مدينة لندن، و يندرج تحت (غير الإنساني).

٢- (الآخر/ الزمان)، و = (وقت المطر، وقت الفراق، فصل الخريف، فصل الصيف، وقت الليل، الزمن الحاضر)، و يندرج كل ذلك تحت (غير الإنساني).

٣- (الآخر/ المرأة)، و = الحبيبة، و يندرج هذا النوع تحت (الإنساني).

استنادًا إلى التقسيمات السابقة التي تم رصدها؛ تُجادل هذه الدراسة بأن أنواع (الآخر)، في عينة الدراسة، قد فاقت أنواع (الأنا) عدداً؛ و لعلّ لذلك دلالة تشارك في تفسير علاقة (الأنا) ب (الآخر) في هذا النص كما سيأتي لاحقاً.

أولاً: مواضع ظهور (الأنا) الفردية و الجمعية في القصيدة:

تُوجد (الأنا الفردية)، التي = (الرجل/ الذات الشاعرة) في هذا النص في أماكن يمكن حصرها فيما يلي:

+ الآخر الذي تُمثله المرأة/الحبيبة؛ حيث يُشكّلان باجتماعهما معاً في الأفعال السابقة (أنا جمعية) تعني (أنا و أنت).

٢- تدل كلمة "معاً"، و قد وردت مرتبطة بالأفعال السابقة ثلاث مرات، على ال (نحن) أو بمعنى آخر: على الجمع، لا المفرد.

ثانياً: مواضع ظهور (الآخر) في القصيدة:

سيتم عرض مواضع ظهور (الآخر) في النص وفق تراتبية تراعي تسلسل الدلالة؛ حيث يُفصي كل نوع إلى آخر، و يتولّد منه، و ذلك كما يلي:

١- (الآخر المكان): و يُعادل في هذا النص (مدينة لندن)، و قد أفصح عنه بعبارة "وجهٌ لندن"، التي تكررت في أربعة مواضع؛ منها عنوان النص: "قراءة في وجه لندن".

٢- (الآخر الزمان): و قد تعددت صوره في القصيدة، كما سبقت الإشارة، كما تعددت مواضعه وفقاً لتعدد مكوّناته؛ فظهرت صورة (وقت المطر) في عبارات دالة، هي: "تكسوه حبّاتُ المطر"، و "يسرقُ من دمعِ المطر"، و "ما أجمل إيقاع المطر"، و "الذي بعثر قلبي في المطر". و لقد تكررت صورة (المطر) التي تكاد تُشكّل لازمة من لوازم النص في أكثر من موقع مُسطحبة معها دلالات موحية ، و ذا ما سيأتي الحديث عنه لاحقاً في وقفة خاصة. كما ظهرت صورة (وقت الرحيل و الفراق)، بفعل دال عليها؛ و ذلك في قوله: "يرتحلُ الحبُّ"، كما وردت

سبقت الإشارة، مما يؤكد وجودها في النص، إلا أن ما تشغل هذه الدراسة برصده هو حالات ظهورها في مقابل حالات ظهور الآخر، لا حالات استنثارها. ذاك أن الوجود المُستتر لـ (الأنا الفردية) التي = (الذات الشاعرة) هو وجود حتمي في أي نص من النصوص؛ إذ تقف (الأنا) الفردية، بلا شك، كفاعل لفعل الكتابة خلف كل ما نكتب من كتابة إبداعية أو سواها، و بالتالي فإن ممّا لا طائل منه إثبات وجود هذه الذات المستترة في أي نص من النصوص. مع التنويه إلى أن (الأنا الفردية) قد ظهرت أيضاً في المواضع التي تختص بـ (الأنا الجمعية) كما سيأتي لاحقاً؛ إلا أن ظهورها لم يكن مستقلاً مقارنةً بظهورها في هذه الجزئية.

أما (الأنا الجمعية)، التي تتكون في هذا النص من (الأنا الفردية التي = الرجل/ الذات الشاعرة) + (المرأة/ الحبيبة)، كما سبقت الإشارة؛ فقد ظهرت بدورها أيضاً في عدة مواضع، و ذلك على النحو التالي:

١- ظهرت (الأنا الجمعية) في الأفعال الأربعة التي جاءت متتالية في القصيدة، على النحو التالي: "سوف نحزن"، "أو لم نشهد، معاً، عرس القمر؟"، "أو لم نشرب، معاً، روحَ النهر"، "أو لم نقطف، معاً، نجمَ العناق". في مواضع الاستشهاد السابقة، تأتي الأفعال الأربعة: "نحزن، نشهد، نشرب، نقطف" في حديث يدل على الجمع (نحن)، لا على المفرد. فالأنا الجمعية هنا تتكوّن كما سبق من (أنا الشاعر

في كلمة: "معاً"، و في (بإاء المخاطبة) المتصلة بالفعل (افتح) في قوله: "افتحي الشباك". و قد سبقت الإشارة إلى كل ذلك في الجزئية المتعلقة بـ (الأنا الجمعية).

من الاستعراض السابق لأنواع الأنا و مواضع ظهورها في القصيدة، يتضح أن (الأنا الفردية) قد ظهرت في مواضع أكثر من الأخرى التي ظهرت فيها (الأنا الجمعية)؛ مما يشير إلى غلبة (الأنا الفردية) في النص. كما أن هذه (الأنا الفردية) قد انفصلت في آخر النص؛ في قوله: "قلبي" بعد فترة من التحامها بالأخرى (الجمعية) في دلالة على تأكيد ظهورها المنفرد، أو الفردي، و على فكّ حالة التوحد و الاندماج بالآخر الذي يُعتبر مُكوّنًا من مكونات (الأنا الجمعية). من جهة أخرى؛ فإن مواضع ظهور (الآخر) قد طغت على النص، و ربما كان لذلك دلالة وثيقة بإظهار أوجه الأزمة أو الصراع بين (الأنا و الآخر)، و ذا ما سيأتي تفصيله في الجزئية الآتية وصولاً إلى إثبات الفرضية أو نفيها التي بُنيت عليها هذه الدراسة.

٢- الموضوعات التي ظهرت فيها أنواع (الأنا والآخر)، و علاقاتها ببعضها داخل القصيدة:

دُكرت الموضوعات هنا و فُصلت وفق تراتبية تُراعي غلبة الموضوع على مفاصل النص، و مشيرة إلى كثرة ظهوره و وروده، و تنحصر هذه الموضوعات في:

صراحة بالاسم في قوله: "راعهُ يوم الفراق"، و قوله: "إلى أن يبلغ الأينُ السفر". و ظهرت أيضاً بالمعنى في قوله: "حسنًا لن ينبض الهاتفُ في منتصف الليل"، و "لن تسعى الإشاعاتُ بأسرارِ الخبر"، و "كان حبًا و عبر" في دلالة على معنى الفراق في كل ما سبق. أمّا صورة (فصل الخريف) فقد وردت بالإشارة إليها لفظاً: "صوتُ مخلوقٍ... خريفي"، كما وردت بالمعنى في قوله: "الشجر، ذكرياتُ الورق الساقط، و الطير الذي هاجر"، و قوله: "كلّ لونٍ يتلون، يُصبِحُ الأخضرُ بُنيًا، و تغدو زُرقة الأفق رمادا، يتعرّى الفحمُ من وجهِ الشرر". و تظهر صورة (فصل الصيف) في قوله: "و الصيفِ الدفيء المختَصِر"، و قوله: "هاربٍ من نزع الصيف"، أما فصل الربيع فلم يظهر في النص إلا مرة واحدة، في قوله: "طيش الربيع"؛ في دلالة في كل ما سبق على على تحولات الفصول التي تتعكس بدورها على نحو جذري في الطبيعة. أمّا صورة (وقت الليل) فتظهر في قوله: "في منتصفِ الليل"، و قوله: "ظلّ طول الليل". و بالإضافة إلى ما سبق من أزمنة؛ فإن صورة (الزمن الحاضر) التي يُمثّلها الزمن الذي تعيشه (الأنا/ الذات الشاعرة) فقد عبّر عنها في النص بـ عبارتي: "هذا الزمن"، و "زمن السوق الذي أصبح فيه كلّ شيءٍ بثمن".

٣- (الآخر/ المرأة الحبيبة): و ظهرت صورتها في أسلوب الخطاب بصيغة الجمع الذي تضمّنته الأفعال الأربعة: "تحزن، نشهد، نشرب، نقطف"، كما تمثّلت

١- الآخر الغربي: المؤلف/ المُتَغَيِّر.

٢- المرأة/الحبيبة: الحب و الفراق.

١- الآخر الغربي: المؤلف/ المُتَغَيِّر:

يرتكز النقاش، هنا، على طبيعة العلاقة بين (الأنا و الآخر) في هذا النص، و ينحصر (الآخر) في النوعين رقم (١) + (٢) من أنواعه التي سبق تفصيلها، و يمثلهما: (الآخر/ المكان + الآخر/ الزمان). يحيل العنوان: "وجهُ لندن" عبر دلالة موحية، منذ الوهلة الأولى، إلى (آخر)؛ مؤدياً بذلك وظيفة مهمة و فاعلة في تكثيف شعرية القصيدة و الإحالة إليها. و يُعد تفاعل الفضاء النصّي و عتبة العنوان "من مقومات الشعرية الحداثيّة التي تسعى إلى تعضيد التواشج العميق بين مبنى القصيدة و معناها".^(٣٠) فسيمائية عنوان النص الشعري من حيث حملته الدلالية، كما يذكر قطوس، استراتيجية فنيّة يتوسّل بها الشاعر إلى خلق علاقات موحية تبدأ من عتبة النص، و تتيح للمتلقّي الدخول إلى فضاءه.^(٣١) و ذلك لما للعنوان من رمزية دلالية إيحائية تعين في كشف البؤر المهمة التي تُسهم في تحليل النص و فك خيوطه المتشابكة.

تبدأ هذه القصيدة بإحالة دالّة على (الآخر/ المكان) يشير إليه عنوانها إشارة واضحة؛ كاشفة بذلك عن

أن المكان الذي تتمحور حوله القصيدة تُمثله (مدينة لندن) التي تُعادل آخر: (أجنبي، غربي)، (مُتَغَيِّر) و لكنه، في الوقت ذاته، (مألف) بالنسبة للذات الشاعرة، كما سيأتي. و تتضافر سيميائية (الآخر/ المكان)، المرتبط حتماً بالزمان، و مكوّناته لخلق الأزمة أو الصراع الذي تعيشه (الأنا/ الذات الشاعرة) محدثةً أثراً يبدأ من عتبات القصيدة، و قد لا ينتهي بانتهائها. إن الرمزية الدلالية الموحية في كلمة "وجه" المرتبطة في العنوان بكلمة "لندن" تُحيل إلى مُجسّد خرج من دائرة (غير الإنساني) ليدخل دائرة (الإنساني)؛ إذ استحال المكان إلى شخص له وجه، أو إلى (آخر) ستظهر معالمه في هذه القصيدة التي تضعه في بؤرة الأزمة التي تعيشها الأنا/الذات الشاعرة.

و لأن (المكان) و (الزمان) يكوّنان مجتمعين ثنائية شديدة اللّحمة يصعب، إن لم يكن يستحيل، فكّ قطبيها المُكوّنين لما يُعرف في النقد الحديث بالفضاء الزمكاني، أو بالحالة الزمكانية؛ فإن تناول كل منهما، بصفته (آخر) مؤثّر في إحداث أزمة الأنا في هذا النص، سيأتي ضمن ثنائية متصلة مؤطرة بمصطلح (الزمكاني). إن الزمكاني، أو ما أسماه باختين (الكرونوتوب) (Chronotope) هو مصطلح يدل حرفياً على (الزمان-المكان)، و يشرح تعالقهما و تأليفهما لثنائية يستحيل فكّ قطبيها. و يُشير هذا المصطلح، تبعاً لبختين، إلى الترابط الجوهرى بين العلاقات الزمانية-المكانية التي يُعبّر عنها في

^(٣٠) عصام شرّتح، أفاق الشعرية: دراسة في شعر يحيى السماوي، دار الينابيع، دمشق، ٢٠١١م، ط١، ص ١٣٣.

^(٣١) يُنظر: بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠١، ص ١١٧.

الطقس؛ هو فضاء أجنبي. و ذلك لكونه مُغيّراً بالأساس لبيئة الشاعر المحلية التي ينتمي إليها، و التي جاء منها و لم ينقطع ارتباطه بها. من جهة أخرى، و تبعاً للمعايير السابقة؛ فإن (المكان/ مدينة لندن) تدخل في هذا النص في حكم المألوف؛ إذ تعني بالنسبة للشاعر مكاناً مألوفاً عاش فيه فترة طويلة من الزمن، بل ربّما كتب هذا النص حين كان يعيش فيه.^(٣٤) و مما قد يؤكد هذه الألفة أيضاً، احتواء النص على إشارات كثيرة و صور متنوعة تدل على أن هذا الفضاء (الزمكاني) بتحوّلاته المناخية هو فضاء مألوف بالنسبة للأنا الشاعرة؛ و شاهد ذلك الحديث عن فصل الخريف و موسم المطر و تبدّل الطقس من حال إلى حال، و تأثير ذلك على الفضاء العام.

أما (الآخر: المكان/ المتغيّر) فيظهر من خلال تتابع تغيّراته و تحوّلاته داخل النص؛ و هي تحوّلات تكشف عن وجهه مُفصّحة عن تعددية حالاته المُساهمة في توليد و إشعال أزمة (الأنا/ الذات الشاعرة). إن التكرار الموضوعي (الشمي) مُمثلاً في عبارة "وجه لندن" ثلاث مرات؛ يأتي في كل مرة حاملاً معه دلالات مؤكدة لمحورية هذا (الآخر)، فضلاً عن كونها كاشفة عن ماهيته و دالّة، في المقام الأول، على تحوّلاته المرتبطة بالزمان المشترك

الأدب بطريقة فنيّة. فالكرونوتوب، كما يقول، هو التلازم المستمر بين المكان و الزمان؛ باعتبار أن الزمان يُمثّل البعد الرابع من أبعاد الفضاء. و بعبارة أخرى فإن هذا المصطلح يهتم بتعاليق الزمان و المكان حين يُدمجان ببعضهما مُشكّلين فضاءً واحداً يُسمّى بالفضاء الزماني-المكاني. و يتّصف هذا الفضاء بالتناسق و الوحدة و التداخل العضوي؛ بحيث يصعب الفصل بين الزمان و المكان في هذا الفضاء.^(٣٢) هذه الثنائية كما تقول أويان "توطّر الأساليب التي ننظر بها إلى العالم، و نفكر فيه، و نعبّر عن آرائنا تجاهه، و تجاه الأفراد و الجماعات و الأحداث التي لها علاقة بهذا العالم".^(٣٣)

إن الآخر، هنا، هو أجنبي، غربي، و لكنه مألوف في الوقت ذاته. و بمراعاة القول بأن (الذات الشاعرة) في أي قصيدة من القصائد يقف خلفها (الشاعر/الشاعرة) مؤلّف/ة النص، و بالأخذ بمنهجية لا تفصل المبدع عن نصه فصلاً تاماً: قد يُمكن القول بأن الآخر الذي يمثله، هنا، (المكان/ مدينة لندن) بتحوّلاته الزمانية التي تتحكّم فيها الطبيعة، أو

(32) M. M. Bakhtin, 'Forms of Time and of the chronotope in the novel', in *The Dialogic Imagination*, Four Essays by M.M. Bakhtin, edited by Michael Holquist, translated by Carly Emerson and Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1981), pp. 84-85.

(33) Wen-Chin Ouyang, *Fictive Mode, 'Journey to the West', and Transformation of Space*, 4: 3, 331-358, ISSN 1744-1854, Edinburgh University Press. Available Online October 2007. DOI: <http://dx.doi.org/10.3366/E1744185408000062>, p. 332.

(٣٤) عاش القصيبي فترة طويلة من حياته في مدينة لندن حيث عمل سفيراً لوطنه المملكة العربية السعودية.

معه كقطب و مُكوّن مهم في تشكيل فضاء واحد، أو تقاطبيّة زمكانية يصعب فكّها.

يبدو الآخر (الزمكاني)، مجازًا، في هذا النص: (واجم، مُمطر، كوجه مُحب راحل مُفارق، مُتغصّن، مُتكدّر، خريفيّ الملامح و الصور، زائل، مُفارق، مسافر). ففي السياقات التي تتكشف فيها ملامحه تحت عبارة: "وجه لندن" يظهر، من المرة الأولى، بصورة واجمة تبعث على الكدر و تُسهم في خلق (الأزمة) التي تؤكدُها الصور المتتابعة: "وجه لندن/ واجمّ تكسوه حبات المطر/ وجهها وجه حبيب/ راعه يوم الفراق/ فتغصّن/ و هو يجتازُ تعابير الكدر".

و يتعالق المكان و الزمان لإشعال الأزمة التي أثّرت في نفسيّة (الأنا/ الذات الشاعرة) و أوصلتها إلى مرحلة الضجر من هذا المكان المتعالق مع زمان (خريفي) تتساقط فيه أوراق الأشجار، و يهمل المطر الدفّاق مُعلنًا هجرة الطيور و رحيل موسم الصيف الدافئ و هجوم فصل الخريف: "و الشجر/ ذكريات الورق الساقط/ و الطير الذي هاجر/ (...)/ و على وجهك آثار اشتياق/ في صراعٍ مع آثار الضجر". هذه الصور الخريفية الكئيبة المتلاحقة للآخر (الزمكاني) بتحوّلاته الطبيعية المتغيرة أدخلت الأنا، من بداية عتبة النص، في أزمة نفسية وقودها الضجر و الكآبة؛ كاشفة بذلك عن جذوة الصراع بين (الأنا و الآخر). بالإضافة إلى أن الذات أصبحت ترى ذلك الآخر الغربي (الزمكاني) آخرًا باعًا على الفقد و مؤذّنًا بالنهايات الصادمة غير السعيدة: "كلّ

لون يتلون/ يُصبح الأخضر بُنيًا/ و تغدو زرقة الأفق رمادًا؛ فسيمائية تحوّل لون الطبيعة من اللون الأخضر إلى لون بُني هي إشارة دالّة على فقد الحياة و البهجة. كما أن استحالة لون الأفق أو السماء من اللون الأزرق الزاهي إلى "رماد" في دلالة على اللون الرمادي الشاحب، هي علامة دالّة على الفقد و التحوّل إلى مرحلة النهاية و البعثرة أيضًا، فضلًا عن دلالتها على الأزمة المتولّدة في النفس إثر حالة الفقد المحفوفة بالألم و الحزن و الكآبة. و في الوقت ذاته، فإن هذا (الآخر) يبدو مُهيجًا للفراق و لتحول القلب من حال إلى حال نتيجة لتحوّلاته: "و يسير القلب من حالٍ إلى حالٍ".

يظهر (الآخر)، فيما سبق، في صورة المُسيطر المُتحمّك في الأنا؛ فهو يُغيّر مشاعرها من حال إلى حال و فُعا لتغيّراته المستمرة التي صاحبت أزمة الأنا مع (ضياح الحب و فقد الحبيبة)، إن لم تكن قد تسبّبت فيها. ممّا يحوّلُه إلى ما يُشبه "الجحيم" على حد تعبير (سارتر)؛ فسلطة تحوّلته تسلب (الأنا) حرية الاختيار، و تؤثر سلبيًا على (نفسيتها)؛ ضمن علاقة مأزومة يوطرها صراع مبني على الرفض، و مُفضي إلى رغبة في الهروب.

أمّا في الوقفة الثانية من الوقفات التي تكررت فيها عبارة: "وجه لندن" في النص؛ فيظهر الآخر بصورة شخص شاحب الوجه و الملامح: "وجه لندن/ شاحب فيه، كما في وجهك/ الشاحب، أظفار السهر". و مرّة أخرى يتعالق الأنا، و الآخر (الزمكاني) ضمن حالة

"ذلك الحب الذي يحسبُ أنَّ الحبَّ يبقى"، و "يرتحلُ الحبُّ"، و "كان حُبًّا و عَبْرًا"، كما يظهر في كلمة دالّة عليه في قوله: "وجه حبيب". كما يأتي لفظ (الحنن) مختلطاً بحالة الحب، و يتكرر في ثلاثة مواضع: "سوف نَحزن"، و "صوت مخلوقٍ من الحزن"، و "آه! ما أروع هذا الحزن". مع التنبيه على أن تشابك علاقة (الأنا) مع جميع أنواع (الآخر)، في النص، لا يمكن فصلها عن بعضها؛ فالآخر (الزمكاني) يأتي متشابكاً مع الآخر (المرأة/ الحبيبة)، و يأتي الاثنان أيضاً متشابكين مع (الأنا/ الذات الشاعرة) ضمن علاقة تُحيل أقطابها إلى بعضها تأثراً و تأثيراً.

لقد اتخذت العلاقة الإنسانية الأزلية بين الرجل والمرأة، إحدى صور علاقة الأنا بالآخر، أشكالاً عدّة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، وصولاً إلى العصر الذي نعيشه اليوم؛ فتعددت و تنوّعت مرتكزة على الجانب العاطفي الحسيّ في العلاقة تارة، وعلى الجانب المعنويّ تارة أخرى، و مُنتقلة في الحالتين بين مفردات الحب و العشق و القرب، و الفراق والهجر و الصد. و في النص الذي بين أيدينا تظهر علاقة الرجل (الأنا/ الذات الشاعرة) بالآخر (المرأة) مكتنزة بمشاعر الحب، و الرحيل المؤذن بالفراق في آن. و يظهر ذلك من بداية النص في تضاعيف صورة (مدينة لندن) التي يشبه وجهها وجه الحبيب المُفارق: "وجهها وجهُ حبيبٍ/ راعهُ يوم الفراق/ فتغصّن/ و هو يجتاز تعابير الكدر".

تُشعل الأزمة. فضلاً عن تعالق الأنا و الآخر (الزمكاني)، هنا، بالآخر (الحبيبة) ضمن دائرة تضع كل تلك العلاقات في بؤرة الأزمة و الصراع.

و في الوقفة الثالثة و الأخيرة من تكرار عبارة: "وجهُ لندن"؛ يظهر الآخر (الزمكاني) الشاكي مُنبئاً عن غربة العشق و العاشقين في الزمن الحاضر القاسي. و كأنه هنا ينسلُّ مُحيلاً إلى واقع إنساني حاصر تغلب عليه لغة المصالح كمتسبب حقيقي في ضياع الحب: "وجهُ لندن/ ظلّ طول الليل يشكو/ غربة العشاق في هذا الزمن/ زمن السوق الذي أصبح فيه/ كلُّ شيءٍ بئس/ البكا و الضحك و الأبناء/ و الفكرُ الموشى و البدن". إن تضافر تعالق المكان بالواقع الإنساني المؤلم المرتبط به في الزمن الحاضر تسبب في أزمة الذات نتيجةً لضياع الحب و الشعور بالغربة في زمن تتحكّم فيه لغة المصالح، أو ما سُمي في النص بـ "زمن السوق"، الذي "أصبح فيه/ كلُّ شيءٍ بئس"، بما في ذلك الحب. مع الالتفات إلى تكرار تعالق الآخر (الزمكاني) مع الآخر/ الحبيبة، مرة أخرى، ضمن علاقة واحدة تجمعهم بالأنا/ الذات الشاعرة في بؤرة جديدة من بؤر الصراع في النص، كما سيأتي.

٢- المرأة/ الحبيبة: الحب و الفراق:

يتناول هذا الجزء النوع رقم (٣) من أنواع (الآخر) التي سبق تفصيلها، و = في النص: (المرأة/ الحبيبة)، و يتكرر لفظ (الحب) في خمسة مواضع:

القلب من حالٍ إلى حالٍ". كما يُظهر، في الوقت ذاته، شدة التعالق، و الألفة بين (الأنا و الآخر- الزمكاني) متوسلاً بشاعرية الصورة التي ترسم اندماج الذات الشاعرة بالطبيعة؛ عاقدة الصلة بين الدمع و المطر: "و يخلو الجفن من أدمعه/ يسرق من دمع المطر".

هذه التحولات التي استدعاها الآخر/الفضاء و تجلّى انعكاسها على (الأنا)، تبدو كتحوّلات مُهيمنة تقود، في النص، إلى تحوّلات أكبر تطال العلاقة بين (الأنا) و الآخر/الحبيبة مولدة أزمة يُمثّل الفراق عنوانها العريض. فمشاعر الحب، و العشق، و الشوق للمحبة تبدو كمشاعر (زائلة، مُفارقة) و الرحيل ضالّتها: "هو أرعن/ ذلك الحب الذي يحسب أن الحب يبقى/ فيدوم العشق عشقا/ و يظل الشوق شوقاً". و هكذا: "يرتحلُ الحب/ إلى أن يبلغ الأيُنُ السفر" مؤذناً بسفر الآخر (المرأة/الحبيبة) و رحيلها، و مُعلّناً عن أزمة نتيجة قطع علاقة الوصل بين (الأنا) و بين الآخر مُمثلاً في (الفضاء الزمكاني، و الحبيبة) معاً.

و يشتعل الموقف المُفضي إلى الصراع، و تتضخم الأزمة بين (الأنا و الآخر) الذي تسبب في قطع العلاقة مع الحبيبة الراحلة: "كان حباً/ و عبر". و تنقل الصورة الشعرية مشهد الفراق؛ حيث لا هاتف سيرن في منتصف الليل، و لا إشاعات ستشي بتفاصيل العلاقة التي تجمع الحبيبة الراحلة بالأنا/الذات الشاعرة: "حسنًا/ لن ينبض الهاتف في منتصف الليل/ و لن تسعى الإشاعات/ بأسرار الخبر". هذا المشهد يستدعي بدوره مشهداً سابقاً ظهر فيه (وجهُ مدينة لندن)، على سبيل المجاز، كوجه حبيب راعه الفراق: "وجهها وجه حبيب/ راعه يوم الفراق" تأكيداً على مدى التشابك بين أنواع

و هكذا تتوالى الصور الشعرية كاشفة الستار عن تعالق الآخر (الزمكاني) بالآخر (المرأة/ الحبيبة)، منذ العتبة الأولى، في دلالة موحية بتأثير الفضاء المحيط في علاقة الحب التي تجمع بين الرجل والمرأة في النص؛ فوجه لندن الذي "تكسوه حبات المطر" يتراءى كوجه الحبيبة الذي يكسوه الدمع. و يظهر الفراق أو الرحيل سبباً رئيساً للكدر المثير لتلك الدموع التي تتراءى على الوجهين: (وجه لندن) و (وجه الحبيبة) ضمن صورة شعرية يُستدعى فيها الآخر (الزمكاني) و الآخر (المرأة/ الحبيبة) لرصد علاقتهما المتشابكة التي يتأثر ضمنها كل منهما بالآخر و يؤثر فيه، و يؤثران في الوقت ذاته في (الأنا)؛ مما يدفع إلى التساؤل إن كانت علاقة الحب (في النص) هي من تسببت في خلق الأزمة بين (الأنا/ الذات الشاعرة) و الفضاء الزمكاني، أو العكس.

و تتلاحق الصور الشعرية مُكثّفة دلالة الرحيل و الفراق. كما يستمر التعالق بين الأنا و بين (الآخرين المشتبكين: الزمكاني و الحبيبة) في مشهد يكشف سيطرة (الآخر/ الفضاء- الزمكاني) على (الأنا/ الذات الشاعرة)، و قدرته على التأثير في عواطفها و أحاسيسها، و على تحديد طبيعة علاقتها ب (الآخر/ الحبيبة). فأوراق الشجر المتساقطة و هجرة الطيور تؤذن بالرحيل دالة على هيمنة فصل الخريف و حلوله مُستحضراً مشاعر الضجر المختلطة بالشوق إلى الحبيبة، و المولدة للصراع في آن: "و الشجر/ ذكريات الورق الساقط/ و الطير الذي هاجر"، و على وجهك آثارُ اشتياق/ في صراع مع آثار الضجر". و يسطو الشحوب على فضاء هذا النص الشعري الموازي للفضاء الزمكاني الشاحب في صراع تتأثر أقطابه ببعضها؛ إذ يستدعي القلب و التحوّل في الفضاء المحيط تحوّلًا في المشاعر: "و يسير

مُكوّنات فصل الخريف؛ إذ ورد ذكره في عدّة مواضع حتى كاد يُشكّل لازمة مُصاحبة متكررة.

لقد طغى ظهور مُكوّن (المطر) الذ يُمثّل أحد مكوّنات الآخر (الفضاء-الزمكاني) على أجزاء مهمة من مفاصل النص؛ فقد ارتبط حضوره المُلفت بحضور (الأنا)، و بحضور الآخر (المرأة/الحبيبة)، و بغربة العشق و العاشقين، و بموضوع الرحيل و الفراق، كما في أمثلة سابقة. كما ارتبط بمعاني البراءة و النقاء: "ما أجمل إيقاع المطر/ صوتُ طفلٍ يتكوّن"، و ارتبط بالحزن: "صوتُ مخلوقٍ من الحزن خريفيّ"، و ارتبط بالرقّة و الوداعة: "خُرافيّ.. رقيق.. و وديع". بالإضافة إلى ارتباطه الثاني بالحزن: "أه ما أروع هذا الحزن"، و ارتباطه بالشجن الذي تتداعى معه الذاكرة: "هذا الشجن الطفل/ الذي بعثر قلبي في المطر/ و سقى منه ملايين البشر". و تُظهر شاعرية الصور السابقة مكوّن (المطر) مثيراً أليفاً من صفاته أنه (جميل، و بريء، و رقيق، و وديع، و رائع) بالرغم من كونه متسبباً في الحزن و الشجن و استحضار الذكريات التي تقود إلى البوح و بعثرة ما في القلب، أو كشف ما فيه من مشاعر: "الذي بعثر قلبي في المطر"، مع الالتفات إلى ما في (ياء الملكية-ياء المتكلم) في كلمة "قلبي" من إشارة إلى الانفصال الكامل لـ (الأنا الفردية) عن الأخرى (الجمعية) في آخر النص، في دلالة على تأكيد ظهورها الفردي، و على فكّ حالة التوحّد و الاندماج بالآخر/الحبيبة.

من جهة أخرى؛ فإن حضور مُكوّن (المطر) في الصور السابقة الأخيرة يحمل مفارقة خاصة قد تُقضي إلى إيضاح وجه مهم من أوجه علاقة الأنا بالآخر (الزمكاني)؛ إذ يبدو (الآخر) بالنسبة للأنا، في المشاهد السابقة، أليفاً، جميلاً بالرغم من كونه

(الآخر) في هذا النص؛ على نحو يوضح تأثرهما كقطبين منفصلين، و متّصلين في الوقت ذاته، ببعضهما البعض. كما يوضح من جهة أخرى، مدى تعالقهما و التحامهما بالأنا، و تأثيرهما في تحولاتها.

من جهة أخرى، تظهر، هنا، مفارقة ملفتة قد تؤكد هيمنة الآخر (الفضاء-الزمكاني) و تدخّلاته المُسيطرة على (الأنا) و علاقتها بالآخر/الحبيبة. فهذا الفضاء الذي يبدو الآن طارداً للأنا و خصماً لها، و للآخر/الحبيبة هو ذاته الفضاء المألوف، الأليف الذي جمعهما من قبل، و كان سبباً في التحامهما قبل أن تقوده تحولاته المستمرة إلى التغيّر من حال يجلب السعادة إلى آخر يجلب الضجر و الكآبة نتيجة الشعور بالغربة التي قد تستدعي بدورها الرغبة في الرحيل بما يحمله من فراق جالب للحزن. و يأتي توصيف ذلك الفراق وانقطاع الوصل في خطاب حزين تتداعى فيه الذاكرة، و يأتي لأول مرة في النص على لسان (الأنا الجمعية) : "سوف نحزن/ أو لم نشهد، معاً، عرس القمر؟/ أو لم نشرب، معاً، روحَ النهر؟/ أو لم نقطف، معاً، نجمَ العناق؟".

و تعود (الأنا/ الذات الشاعرة) للانفصال مرة أخرى عن (الأنا الجمعية) مُتحدّثة بلسان المفرد؛ في إشارة إلى اقتراب الانفصال عن (الآخر/الحبيبة) نتيجة لفعل الرحيل، و تعود الدلالة في ارتباط المطر بالحبيبة إلى الظهور مرة أخرى: "افتحي الشباك!/ ما أجمل إيقاع المطر". إن الفضاء (الزمكاني) العام المسيطر على النص هو فضاء يتخذ من صورة (فصل الخريف) الكئيبة المعادلة للفقد و الرحيل صورة دالة عليه، و هي صورة تستحضر مكوّناتها في النص على نحو متكرر ذووب الضرب. و من ذلك تكرار حضور (المطر) الذي يُمثّل أحد أهم

إلى دلالة عامة تشير إلى واقع إنساني حاضر تغلب عليه لغة المصالح التي تتحكم حتى في العواطف الإنسانية.

كما أظهر النص مفارقتين ملفتتين كشفتنا مدى هيمنة الآخر (الفضاء-الزمكاني) و تأثيراته في (الأنا) و علاقتها (بالآخر/الحبيبة). و تمثلت أولى المفارقتين في كون الفضاء الذي بدا طارداً و خصماً للأنا و للآخر/الحبيبة هو ذات الفضاء الأليف الذي جمعهما من قبل، و كان سبباً في التحامهما، ثم سبباً، فيما بعد، في فراقهما برحيل الحبيبة الجالب للحن.

أما المفارقة الثانية؛ فقد لفت إليها تكرار حضور مكُون (المطر) الذي يُمثل أحد أهم مكُونات الآخر (الفضاء الزمكاني) في النص، و ارتباط حضوره الملفت بحضور (الأنا)، و بحضور الآخر (المرأة/الحبيبة) في موضوع الحب و الفراق. وتكمن المفارقة في تصوير (المطر) بهيئة حانية وديعة أليفة بالرغم من كونه قد تسبب في الحزن و الشجن و استحضر الذكريات التي قادت في النص إلى البوح بما في القلب من مشاعر؛ ممّا يظهر ما يُشبه التصالح بين (الأنا)، و بين هذا المكُون تحديداً.

بالإضافة إلى ما سبق، تُجادل هذه الدراسة بأن العلاقة بين الأنا و الآخر (الغربي) مُمثلاً هنا في الفضاء الزمكاني لـ (مدينة لندن) تميل إلى الصراع الهادئ، لا الصراع الثائر؛ حيث حضرت عناصر: الضجر، و الكآبة، و الحزن، و الشعور بالغربة، و الرفض، و الهروب تحت غطاء الرحيل، في الوقت الذي غاب فيه عنصر المواجهة الصدامية. فالآخر لم يتحوّل في نظر الأنا إلى عدو، و لم يتخذ صفة الجحيم (على حد تعبير سارتر)؛ بالرغم من أن الأنا ممثلة في (الشاعر و حالته النفسية) قد تأثرت

باعثاً للحزن و الشجن و مثيراً للذكريات. و في هذا ما يكشف عن علاقة تصالح و ألفة بين (الأنا)، و بين هذا المكُون (الزمكاني) تحديداً، ممّا قد يشير إلى أن (الأنا) في هذا النص لا تتطّلع في صراعها مع الآخر إلى إلغائه، أو تحييده التام.

الخاتمة و النتائج

تأسيساً على ما سبق، تُجادل هذه الدراسة بأن (الآخر الغربي) قد ظهر في صورة (الزمكاني) متغيّر الأحوال، و ذلك بالرغم من كونه، في الوقت ذاته، مألوفاً بالنسبة للأنا؛ إلا أن هذه الألفة و الاعتقاد لم تكن مدعاة، كما قد يُتوقع، لنشوء علاقة أكثر ودّاً و أقل صراعاً بينهما، و لو على سبيل الاعتقاد.

كما تُجادل بأن (الآخر) الفضاء (الزمكاني) العام المسيطر على النص قد ظهر في صورة (مدينة لندن) في (فصل الخريف) التي استدعت مكُوناتها على نحو متكرر. و تبدو علاقة (الأنا/ الذات الشاعرة) بذلك الآخر (الزمكاني) علاقة مضطربة و مولدة للصراع بين الأقطاب المتعاقبة داخل النص؛ نتيجة لظهور الآخر بصورة المتغيّر، المتحوّل، المسيطر على (الأنا)، و القادر على تغيير مشاعرها من حالة إلى أخرى نتيجة لتغيّراته (المناخية) المتتابة. في مقابل رفض (الأنا) لسلطته، و رغبتها في الهروب من نطاق سيطرته.

من جهة أخرى؛ فقد صاحبت أزمة الأنا مع الآخر (الزمكاني) أزمتها مع ضياع الحب و فقد (الآخر/الحبيبة) في إشارة إلى تأثير تحولات (الآخر) المولدة للصراع، ضمن علاقة مأزومة تُحيل أقطابها إلى بعضها تأثراً و تأثيراً. و ذلك في دلالة خاصة موحية بتأثير الفضاء المحيط في علاقة الحب التي تجمع بين الرجل و المرأة في النص، و محيلة بدورها

تُشارك بالضرورة على نحو متعمد، في سياسة (الحدث)، و تقود عمليات التحديث، و تُحدد المقصود بالحديث؛ ولتحقيق ذلك فإنها تكشف عن الطرق المعقّدة و المتشابكة الخاصة بتفاعل الخيال مع الواقع؛ فالتاريخ و الجغرافيا (المكان و الزمان) عندما يمارسان نفوذهما على طُرق عمل الخيال؛ فإن الخيال بدوره يقوم بإعادة تشكيل المكان و الزمان، و إعادة هيكلة أسس العلاقة التي تربط بينهما،^(٣٥) و التي تربط، في الوقت ذاته، بينهما و بين الأفراد و الجماعات، و تعمل على تأطير الطرق التي يُنظر بها إلى العالم.

المراجع العربية

- إبراهيم الجنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، تموز للطباعة و النشر، دمشق، ٢٠١٣م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ط١.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا.
- أحمد ياسين سليمان، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٩م، ط١.
- بو شعيب الساوري، تمثيلات الهوية والآخر: قراءة ثلاثة نصوص في الرواية الجزائرية، رابطة أهل العلم، ٢٠٠٨م، ط١.
- بترس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م.
- بسّام قطوس، سيميائ العنوان، وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠٠١م.
- جبرور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

بتقلباته التي لم تتم وفقاً لاختياراتها. فضلاً عن أن الأنا لم تنطلق في صراعها مع الآخر من رغبة في تحييده أو إلغائه على نحو تام، بل من رغبة في التعبير عن عدم قدرتها على التعايش معه في ظل تحولاته المستمرة. و ذلك بالرغم من تعلّقها الودّي ببعض مكوناته الأليفة، أو بعبارة أخرى ببعض معطياته بوصفه واقعاً أو فضاءً أجنبياً (غربي) يُبحث داخله عن حالة توافقية يتعايش ضمنها (الأنا و الآخر).

لقد شكّل الآخر في هذا النص وعي (الأنا/الذات الشاعرة) بنفسها و كينونتها؛ فكشفت عن وجودها، و تحقّقت داخل النص، حاملة معها أفكارها و رؤاها. من جهة أخرى؛ فقد قامت الأنا بدورها حيث كشفت وجود الآخر، و جعلته مُتحقّقاً عن طريق فعل الخيال الذي حوّله إلى حقيقة ماثلة؛ فجاء في النص، الذي حمل الديوان عنوانه، نتاجاً لفعل الصورة المتخيلة في ذهن الذات الشاعرة.

و أخيراً، لقد اشتبكت (الأنا و الآخر) في صراع داخل فضاء (إبداعي) خاص يُمثّله هذا النص الشعري الموازي للفضاء الزمكاني العام. و بالتالي فإن هذا الفضاء (الإبداعي) الخاص قد أسهم بشكل أو بآخر في رسم الفضاء العام الذي يُمكن داخله مناقشة موضوع علاقة (الأنا و الآخر) على نحو عام. ممّا يُكوّن في مجموعته مقاربة لفهم علاقات الأفراد بالمجتمعات المختلفة باختلاف مرجعيّاتها من خلال تقاطعاتها الدائمة مع بعضها في هذا العالم.

و هكذا كشف هذا النص (الحديث) من خلال التعبير الأدبي الإبداعي عن نوع من العلاقات التي توطّر نظرنا إلى الآخر، و تُشكّل طرق تفكيرنا فيه و تعبيرنا عن مشاعرنا تجاهه. و هذا ما أشارت إليه أويان، من أن النصوص الحديثة، الأدبية و غيرها،

(35) Wen-Chin Ouyang, ibid, p. 332.

<http://www.minculture.gov.ma/index.php/2010-01-11-01-40-04/etudes-essai/560-said-allouch-situation-de-la-critique-thematique>

عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ط٢، النهضة المصرية، مصر، ١٩٦٦م.
عزت قرني، الذات ونظرية الفعل، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

عبد الله تريسي، ثنائية (الأنا) و (الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، مجلة التراث العربي (دمشق: اتحاد الكتاب العرب ٢٠١١م)، العدد ١٢٠-١٢١.

عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض نموذجًا، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2009م، ط2.

عصام شرتح، آفاق الشعرية: دراسة في شعر يحيى السماوي، دار الينابيع، دمشق، ٢٠١١م، ط١.

غازي عبدالرحمن القصيبي، ديوان: قراءة في وجه لندن، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٧م، ط١.

المراجع الاجنبية

M. M. Bakhtin, 'Forms of Time and of the chronotope in the novel', in *The Dialogic Imagination*, Four Essays by M.M. Bakhtin, edited by Michael Holquist, translated by Carly Emerson and Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1981).

Wen-Chin Ouyang, *Fictive Mode, 'Journey to the West', and Transformation of Space*, 4: 3, 331-358, ISSN 1744-1854, Edinburgh University Press.

Available Online October 2007. DOI:

<http://dx.doi.org/10.3366/E1744185408000062>.

حسين العودات، الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، دار الساقى، بيروت، ٢٠١٠م.

حسن شحاتة، زينب النجار، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، مراجعة: حامد عمار، (د. ط)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

حسن مصطفى، (إلتباس الآخر في الثقافة العربية الإسلامية)، جريدة الرياض، ١٨ نوفمبر ٢٠١٦.

محمد السعيد عبدلي، (البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، ٢٠٠٣م.

يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار الريحانة، القبة، الجزائر، (د. ت).

محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي (الأسس و المفاهيم)، مؤسسة واحة الدرر، (dorarr.ws)، ٢٠١١م.

مأمون صالح، الشخصية بنائها، انماطها، اضطراباتاها، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٨م، ط١.

محمد قاسم عبدالله، الأنا والآخر مقارنة سيكولوجية - أنثروبولوجية معاصرة، مجلة آفاق المعرفة، العدد ٥٥٣، ٢٠٠٩.

ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، 2007م، ط ٥.

نادر كاظم، تمثيلات الآخر "صورة السود في المتخيل العربي الوسيط"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.

سلاف أبو حلايس، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٨م.

سعيد علوش، (وضعيّة النقد الموضوعاتي)، وزارة الثقافة و الاتصال، المملكة المغربية:

Self and the Other in the Poem “*Qira’a fi Wajh London*” by The Poet Gazi Al-Gusaibi

Ashjan Mohamed Hindi

King Abdulaziz University - Jeddah Saudi Arabia

Abstract. The theme of (Self and the other) may be considered as one of the important topics concerned in modern western and Arabic critical studies. Relationship connects (Self) to the (Other) is not a marginal issue in which can be ignored because the (Other) whether a person or environment or things may be understood as a basis of subjectivity.

This study examines the relationship related (Self) to the (Other) in the poem of the Saudi poetry Gazi Al-Gusaibi titled (*Qira’a fi Wajh London*). It is based on argument indicates crisis leads to debate or controversy accrued between the (Self) and the (Other) in this poem.

In this poem, themes represent the idea of (the root, the nucleus or the cell) from which the self-consciousness of the other arises, an idea on which the French critic Jean-Paul Weber relied in his critique of subjects (theme). However, this study is based on analytical approach considers themes that focus on main and pivotal points of literary work and explain its central issue, which plays a major role throughout the work. Thus, the thematic approach is employed to illustrate the relationship connected (Self/the poet) to the (Other/the chronotope) and to interpret intertwining of this relationship with the theme of (love and woman) in this poem.

فاعلية النشاط غير الصفّي في تنمية المهارات اللغوية للناطقين بغير العربية

خالد محمد حسين اليوبي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز، جدة ، المملكة العربية السعودية

مستخلص. يولي الدرس اللغوي التطبيقي الحديث النشاط غير الصفّي في برامج ومناهج تعليم اللغات عناية كبيرة باعتباره إستراتيجية مهمة للتعلّم، وقد أثبتت الممارسات الفعلية والتطبيقات العملية فاعليته في تطوير التعلّم اللغوي بما يحققه من تواصل وتفاعل؛ إذ يربط المتعلمين بالواقع الثقافي المجتمعي، ويسهل عليهم تنمية مهاراتهم اللغوية اعتماداً على الممارسة والاتصال المباشر بالمستخدمين الطبيعيين للغة. ناقش البحث أهمية النشاط غير الصفّي من حيث تحقيقه لمبدأ الانغماس الثقافي اللغوي ومفهوم التعلّم بالخدمة المجتمعية اللذين ثبت أثرهما في تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلمين، والعوامل المؤثرة في فاعليته، وأبرز التطبيقات العملية للمهارات اللغوية استقبالا وإنتاجاً.

المقدمة

إلى منطق تراتبية الاستخدام؛ فيُبتدأ بمهارة الاستماع لتدريب أذن المتعلّم على سماع لغة جديدة في أصواتها وجرسها ومفرداتها وتراكيبها وقواعدها وأساليبها، ثم مهارة التحدث إذ يعمل المتعلّم على إعادة نطق ما سمع ومحاكاة المتحدثين الأصليين في

يحظى تعليم المهارات اللغوية وتعلّمها باهتمام اللغويين وعلماء التربية والمناهج وغيرهم من الممارسين والمهتمين بقضايا اللغات وأساليب التلقي والتعليم، ويتم الاستناد في تعليم المهارات - غالباً -

ومخرجاتها، وذات أهمية في اكتشاف الثقافة التي تمثلها^(٢).

وللأنشطة اللغوية غير الصفية وتطبيقاتها المختلفة في تعليم مهارات اللغة العربية وتعلّمها دور فاعل ومؤثر في تنمية الكفاءة اللغوية لدى المتعلمين، إذ تسهم هذه الأنشطة بصورة واضحة في تحقيق الهدف من تعلّم اللغة العربية، وتشعر المتعلمين بالثقة في استخدامها وتوظيفها بفعل التدريب على استعمالها وممارستها في مختلف المواقف المجتمعية التي تتطلب التواصل والتفاعل مع أهلها.

يناقش البحث أهمية النشاط غير الصفّي في تعلّم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والعوامل المؤثرة في فاعليته، وأبرز التطبيقات العملية للمهارات اللغوية (الاستماع والتحدث، والقراءة والكتابة).

أهمية النشاط غير الصفّي في تعليم اللغة العربية

تبين الممارسات التطبيقية أن امتلاك قدرة التواصل المجتمعي يتم عبر تنمية المهارات اللغوية مجتمعة غير منفصلة، ويبقى الفصل بين المهارات ذا هدف تعليمي إجرائي يلجأ إليه لتنظيم مواد التعلّم والأنشطة المرتبطة به من أجل مساعدة المعلمين على تحديد الهدف من درّسهم، واختيار المادة أو المهارة والإستراتيجيات المناسبة لكيفية تدريسها وتقديمها

معظم الكلام، ومن خلال تكرار تلفظه بمفردات اللغة وعناصرها وتعابيرها واستخدامها في التحدث يتكون لديه رصيد معجمي وصيغ وتراكيب وأساليب لغوية تسعفه في التعبير والتواصل والإبلاغ، لتأتي بعد ذلك مهارة القراءة التي تنعكس فيها مفردات اللغة وتراكيبها وقواعدها وأساليبها في شكلها المكتوب، ثم مهارة الكتابة التي توظف فيها هذه الحصيلة اللغوية المكتسبة من المهارات السابقة، والملاحظ أن ما كان من المهارات شفهيًا يتحول إلى مكتوب وما كان منها استقباليًا ينتقل إلى إنتاج، فما نسمعه نتحدث به، وما نسمعه ونتحدث به ينعكس في إنتاجاتنا القرائية والكتابية، ولأجل هذا التكامل يعتمد المعلمون إلى دمج المهارات في برامجهم وخططهم التعليمية وإن ركز البعض منهم على مهارة دون أخرى تبعا لأهداف التعلّم وحاجات المتعلّم ومستواه^(١).

ويهتم اللغويون التطبيقيون بالمتعلّم ودوافعه الثقافية وحاجاته اللغوية، وأصبح المتعلّم عنصراً محورياً تركز عليه جل التطبيقات المعنية بعملية تعليم اللغات الأجنبية، كما اعتبرت هذه الحاجات والأهداف والدوافع عوامل مؤثرة في نتائج تعلّم اللغة

^(١) - Mckenzie-Brown, Peter (2012): Reflections on Communicative Language Teaching: A Course Book for Teaching as a Foreign Language. Published as an e-book by the author.

^(٢) - SIL International. (1999). *The Four basic language skills*. Available from: <http://www.sil.org/lingualinks/languagelearning/OtherResources/GudlnsFrALnggAndCltrLrnngrPrgrm/FourBasicLanguageSkills.htm>

لتوجيهين تطبيين ثبت أثرهما في تنمية المهارات اللغوية لدى المتعلمين، يتعلق أولهما بمبدأ الانغماس الثقافي اللغوي ويختص الثاني بمفهوم التعلّم بالخدمة المجتمعية، وهما تطبيقان مترابطان يشتركان في معظم الإستراتيجيات والتطبيقات غير الصفية المعتمدة في تنمية المهارات اللغوية.

أ) الانغماس اللغوي

يُتحدّثُ حاضراً في مجال تعليم اللغات عن مبدأ "الانغماس الثقافي اللغوي" Linguistic-Cultural Immersion، وقوامه أن التعلّم الناجح والمفيد هو ما يتم بالتجربة والمشاركة والفعل، وهذا يعني أنّ تعلّم اللغة تجربة تمارس بشكل فعلي تتداخل فيها السياقات الاجتماعية والخصائص الثقافية للغة المتعلّمة^(٣).

يهتم التوجه الحديث للسانيات التطبيقية في تعليم اللغات وتعلّمها بالفعل التواصلّي والممارسة الفعلية للغة، بوصفه منحى اتصالياً تفاعلياً يؤدي إلى امتلاك كفاية لغوية تمكن من الطلاقة في التواصل مع المتحدثين الأصليين، وهو تواصل وتفاعل يتجاوز القدرة على المفاهمة والإفهام بين المتحدثين إلى فهم الثقافة التي تحملها هذه اللغة^(٤).

بأسلوب تعليمي تدريجي للمتعلّمين، كما يمكن تقسيم كل مهارة إلى مهارات فرعية، بحيث يتم التركيز على الاستماع أو التحدّث أو القراءة أو الكتابة، ولكن الغالب في الأنشطة غير الصفية هو إمكانية ممارسة جميع هذه المهارات معاً لأنها تطبق في الحياة الحقيقية وفي الواقع المجتمعي الذي تستخدم فيه اللغة.

وتعد مسألة تكثيف الأنشطة غير الصفية في مجال تعلّم اللغة العربية عاملاً مشجعاً للمتعلّمين لممارسة كفاءتهم اللغوية وتنمية مهاراتهم بفعل الاتصال المباشر مع المجتمعات المتحدّثة باللغة العربية، كما أنّ التعلّم من خلال برامج غير صفية يمكن المتعلمين من إغناء تجربتهم اللغوية والثقافية خارج الصفوف الدراسية لتمتد خارج المؤسسة التي ينتمون إليها، وبذلك يتحقق التواصل المجتمعي والفهم الدقيق لجوانب من الثقافة المجتمعية بواسطة ما تنتجه الأنشطة غير الصفية من تفاعل مع المحيط الاجتماعي الثقافي الذي تمارس فيه اللغة، وهو الأمر الذي يسهم أيضاً في معالجة بعض أوجه القصور في التعليم الصفّي، ويعمل على سرعة إزالة الحاجز المحتمل بينه وبين الأداء الفعلي الواقعي للغة.

كما تبرز فاعلية النشاط غير الصفّي في الدرس اللغوي التطبيقي الحديث من خلال معاشة المتعلّم للواقع الطبيعي الخاص باللغة المتعلّمة وتحقيقه

(٣) - see Genesee, Fred. (1985). Second language learning through immersion: A review of U.S. programs. Review of Educational Research, 55, 541-561.

(٤) ينظر: دوكلاس، براون (١٩٩٤): مبادئ تعلّم وتعليم اللغة، ترجمة إبراهيم القعيد وعيد الشمري، إدارة النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، الرياض، ص: ٣٣٥.

يعد الانغماس اللغوي من الأساليب الحديثة والفعالة في تعلّم اللغات وتطوير مهاراتها من خلال ممارستها في البيئة الثقافية التي تستخدم فيها، وهو "أفضل فرصة يمكن أن تقدمها مذاهب تعليم اللغات"^(٥)، والهدف من التأكيد على ممارسة الانغماس الثقافي اللغوي هو تطوير المهارات اللغوية التواصلية، وتنمية المعرفة اللغوية والثقافية من خلال التفاعل الإيجابي مع المجتمع الذي يتم فيه تعلّم اللغة، فقد يعزى الفشل في تحقيق الكفاءة اللغوية الشبيهة بالمتكلمين الأصليين في القواعد النحوية وغيرها من السمات إلى "عدم توفر الفرص للمتعلّمين لاستخدام لغتهم بالانغماس، ففي بيئة الصف الدراسي يقوم المعلمون بمعظم الكلام بينما يستمع الطلاب؛ فيحصلون على فرص قليلة للتحدث ويميلون إلى إعطاء إجابات قصيرة على الأسئلة التي توجه إليهم"^(٦).

وقد بحثت "كرامش" في كتابها عن "السياق والثقافة في تعليم اللغة" (Kramsch, Claire, 1993) مكانة الثقافة في تعليم اللغة، ورأت أنها ليست مجرد معلومات تنقلها اللغة، وليست فقط سمة للغة نفسها، وإنما هي متداخلة معها، وتشكّل ممارسة اجتماعية

ذات هدف مشترك في تعلّمها وتعليمها؛ إذ تصبح الثقافة محورَ تدريس اللغة، كما اعتبرت أن دراسة اللغة تمثل بداية لنوع من الممارسة الاجتماعية في حدود ثقافتين أو أكثر، وأن المهم - بالنسبة لها - هو تأسيس واقع لغوي داخل الصف الدراسي وخارجه، تتولّد عنه بيئة تتحدث اللغة الأولى للمتعلّمين وبيئة اجتماعية للمتحدثين الأصليين للغة الثانية، ولكنها ثقافة أخرى في حد ذاتها^(٧).

لقد انتقل تعليم اللغة - مع مفهوم الانغماس اللغوي - من تدريس النظام اللغوي وفق منهج انتقائي إلى "التركيز على المدخلات التواصلية وعلى أهمية الإنتاج وإستراتيجياته الشكلية والتفاعلية، وبهذا التركيز تتطور الممارسة الفعالة لكن من خلال منظور أوسع"^(٨).

يتعلّم الطلاب في الانغماس اللغوي الثقافة والقيم الاجتماعية من خلال الأنشطة غير الصفية والمهام التعليمية التي يقومون بها في المحيط الاجتماعي الثقافي، والمهم في هذه الممارسات أنهم لا يكتفون بالحصول على مستويات متطورة في اللغة التي يتعلّمون؛ بل يزداد شغفهم ومعرفتهم دون الإضرار بلغتهم الأم أو بتطورهم الأكاديمي أو المعرفي^(٩).

^(٧) كوك، قاي (٢٠١٤): علم اللغة التطبيقي، ترجمة يوسف الشميمري، جامعة الملك سعود، الرياض. ص. ١٣٩-١٤٠.

^(٨) McKendry, Eugene (2006): Immersion Education: A Short Guide for Teachers School of Education Queen's University, Belfast, P.24

^(٩) - see Met, Mimi. "Teaching Content Through a Second Language." (1994) In Genesee, F. (ed.) Educating Second Language Children: The

^(٥) هامرلي، هكتر (١٩٨٥): النظرية التكاملية في تدريس اللغات ونتائج العملية، ترجمة راشد الدويش، جامعة الملك سعود، الرياض، ص: ٤٣.

^(٦) McKendry, Eugene (2006): Immersion Education; A Guide for Teachers. Adapted from *An Tumoideachas / Immersion Education*. School of Education, Queen's University, Belfast P.11

وضمن سياق اجتماعي ثقافي واقعي، لأنه يحمل معنى ومضمونا إضافة إلى كونه "تعلّما عمليا يستند إلى ممارسة أنشطة فعلية تعطي للمتعلمين فرص التعلّم النشط، واستخدام الطاقات الشخصية والحركة البدنية، والتركيز على طرق الاستخدام للأشكال اللغوية والأنماط الأسلوبية"^(١١).

وتتدرج تطبيقات الانغماس الثقافي اللغوي ضمن المشاركة في الأنشطة المجتمعية المتعددة، ومحاولة الاندماج في البيئة اللغوية والثقافية كما هي مُعاشة؛ وتتجلى مظاهرها في المناسبات والمناقشات الاجتماعية، والأحداث الثقافية، والملتقيات العلمية والمحاضرات الأكاديمية، وغيرها من أشكال الفعل الاجتماعي، وجميعها أنشطة وأحداث غنية ومتنوعة توفر للمتعلمين مجالات واسعة للفعل والتفاعل الاجتماعي، ومن شأن هذه الإستراتيجية أن تكسب المتعلمين معارف وخبرات تؤثر تأثيرا فاعلا في تنمية مهاراتهم اللغوية والثقافية، وزيادة فهمهم للقيم والاتجاهات الاجتماعية.

ب) التعلّم بالخدمة المجتمعية

يمكن إرجاع مفهوم التعلّم بالخدمة إلى ما كان يصطلح عليه بالتعلّم التجريبي، وهو التعلّم الذي يقوم على الاكتشاف والتجربة، وعلى أساس من الفعل والممارسة التجريبية المفضية إلى التعلّم العملي

وتقوم الأنشطة غير الصفية بدور فاعل في استثمار الانغماس اللغوي والثقافي إذ تجعل المتعلّم متفاعلا ومندمجا في البيئة التي تستخدم فيها لغة غير لغته الأم وغير لغة الصف الدراسي المحصورة، وبهذا التفاعل يجد المتعلّم متعة في الأنشطة المنظمة من قبل المؤسسة التعليمية أو المعلم، وتتطور مستوياته اللغوية والتواصلية والثقافية مجتمعة بفعل ما يعيشه من ظروف ومواقف اجتماعية طبيعية ويومية تعزز تقدمه بوتيرة أسرع، لكونه يستخدم جميع إمكاناته وطاقاته ليس لفهم واستيعاب اللغة والتواصل أو التحدث مع الناس فقط؛ وإنما أيضا لتنمية مهاراته الإبداعية على المستويات الاتصالية والثقافية والسلوكية واللغوية، "والإنسان عندما يتعلّم لغة أخرى فهو لا يتعلّمها فقط للتحدث بشكل مختلف، وإنما يتعلّمها بشكل شمولي تكاملي من أجل الحياة بما فيها من حراك تفاعلي ونشاط مجتمعي يصف حياة المتكلمين الطبيعيين ونمط تفكيرهم، وهنا تجتمع الكفايات الثلاثة: الكفاية اللغوية والكفاية التواصلية والكفاية الثقافية"^(١٢).

وبهذا يكون للبرامج المبنية على أساس الانغماس اللغوي والأنشطة اللغوية التفاعلية غير الصفية أثر كبير في التحصيل والاستيعاب والفهم والاستخدام؛ لأن أفضل تعلّم للغة هو ما يكون في بيئة تواصلية

^(١١) - Thompson, Peter (2008): LEARNING BY DOING. Department of Economics, Florida International University, Miami, (adapted from Chowan 1999).. P.5

Whole Child, the Whole Curriculum, the Whole Community. Cambridge University Press, New York., pp. 159-182.

^(١٢) هكتر هامرلي (١٩٨٥)، ترجمة راشد الدويش، ص: ٣٦

وأشار جيبس كراهام (Graham, G. 1998) إلى أن التعلم بالممارسة مهم لأنه يمكن الطلاب من ربط النظرية بالتطبيق من خلال الانخراط في الأنشطة غير الصفية، والقيام بالتخطيط للعمل والوصف الدقيق والتحليل والتقييم، وذكر أنه طبق هذا النموذج العملي وكان مؤثراً وبشكل خاص في برامج تطوير المعلمين وفي المهن المرتبطة بالأدوية^(١٣).

تتداخل هذه المفاهيم والمصطلحات وتتعدد تطبيقاتها العملية حسب كل حقل معرفي، ويعني هذا الفهم - في مجال تعليم اللغات - أن تعلم اللغة في سياقها الثقافي المجتمعي من خلال الممارسة والفعل، وهو ما لا يمكن إلا بالمخالطة والمشاركة والمعايشة الإيجابية للناس في مجتمعاتهم وتجمعاتهم، وهو مبدأ إستراتيجي أساسه الاعتناء بالمدخل التواصلية المجتمعي الثقافي في تعلم العربية وتعليمها، وتتجلى مظاهر هذا التعلم للغة في تطبيقات التعلم التشاركي والعملي، وفي التعلم بالمهمة، وفي الأنشطة اللغوية المعتمدة على التعلم بالفعل Learning By Doing LBD^(١٤).

والإبداعي من خلال التفاعل مع المحيط المجتمعي ومعايشة ظواهره وقضياه، وهو ما يعني أن التعلم بشكل أفضل يتم من خلال سلسلة مترابطة من العمليات تبدأ بالتجربة المادية التي تعني الانغماس في تجربة جديدة على المتعلم، وقيامه بالملاحظة والمراقبة لسيروية هذه التجربة وتطورها، ثم تحديده للمفاهيم التي تمكنه من إيجاد شرح لملاحظاته وتسعفه في متابعة التجريب العملي باستخدام ما سبق في اتخاذ القرارات وتنمية التعلم، وقد ناقش ديفيد كولب (David Kolb) الأصول الفكرية لهذا النوع من التعليم كما وردت عند جون ديوي John Dewey الذي دعا إلى ضرورة بناء التعلم على أساس التجربة، وكورت لوين Kurt Lewin الذي أكد على أهمية نشاط الشخص أثناء عملية التعلم، وجون بياجيت Jean Piaget الذي رأى أن الذكاء ما هو إلا نتيجة التفاعل بين الشخص وبيئته، واقترح كولب بناء على هذه الأفكار الأصول نموذجاً أساسياً لعملية التعلم يقوم على تصنيف أنماط التعلم الفردية والأشكال المرتبطة بالمعرفة في مختلف التخصصات الأكاديمية والمهنية ، وأنشأ في عام ١٩٨٠م "المنظمة التعليمية القائمة على الخبرة أو التجربة" Experience Based Learning System لتعزيز البحث العلمي الأكاديمي الداعي إلى التعليم التجريبي المؤسس على الممارسة^(١٥).

Prentice-Hall. "Source of Learning and Development".

^(١٣) - See: Graham, G. (1998): Learning by Doing. Oxford Brooks University. Online edition 2013. P.3

^(١٤) - Graham, G. (1998): Learning by Doing. Oxford Brooks University. Online edition 2013. P.3

^(١٥) - Kolb, David A (1984): See the Introduction of " Experiential Learning: Experience as the

كان الاستماع مرحلة أساسية في تعلّم اللغات الأجنبية ويُعتنى به قبل الحديث، وعادة ما تأتي القراءة مقدمة عن الكتابة- فإنه يُنصح بتعليمها وتعلّمها على أساس من الترابط والتكامل، والترابط بين المهارات قائم دائماً، سواء تعلق الأمر بـ"الاكتساب" أو "التعلّم"، ففي مجال الاكتساب يأتي الاستماع أولاً والكلام بعده، وفي مجال التعلّم تأتي القراءة قبل الكتابة، وهي جميعها مهارات لغوية توظف بنوع من الترابط والتناغم في التواصل والإبلاغ، وفي التفاعل الثقافي والتبادل الإنساني متعدد الأوجه والأشكال.

وتسعى تطبيقات الأنشطة غير الصفّية في حقل تعليم اللغة العربية -إن على المستوى الشخصي للمتعلم أو على المستوى اللغوي- إلى توفير فرص متنوعة للمتعلمين حتى يتعلّموا بالممارسة والانغماس والتجربة، وهي فرص تمكن المتعلّم من:

- اكتساب قدر من الثقة وامتلاك الحافز بفعل التواصل السمعي المباشر مع المتكلمين الأصليين للغة.

- التعرف الصوتي للغة العربية وجرسها الموسيقي وتأمل رموزها ومقاطعها في وضعها الطبيعي حين ينطق بها أهلها.

- فهم الفروق الممكنة ما بين النظامين الصوتيين للغته الأم واللغة العربية.

إن القدرة اللغوية ذات جانبين، جانب فردي عندما يتعلق الأمر بتمكن الفرد من النظام اللغوي مفردات وقواعد وأساليب ومعاني، وجانب مجتمعي وهو يتطلب استخدام النظام اللغوي بفعالية في السياق المناسب حتى يتحقق الهدف الدقيق من الفعل التواصل، وتظهر النتائج الفعلية للممارسة اللغوية المبنية على تكرار خوض التجارب وتنوعها تفعيلاً للتعلّم بالفعل والتعلّم بالممارسة والتعلّم بالخدمة، وتعلّم اللغة بالخدمة المجتمعية يفيد المتعلمين في ممارسة اللغة بتطبيق ما سمعوه أو قرؤوه في حصص الفصول الدراسية بشكل عملي خارجها، وقد زاد الاهتمام في عصرنا الحالي بمقتضيات "التعلّم بالخدمة"، ولم يعد مقتصرًا على فئة أو جهة دون أخرى أو على سن أو جنس دون آخر، وذلك بفعل دواع متعددة مثل التجارة الدولية، والهجرة والحاجة إلى العمل، والعولمة وحرية التنقل، والرغبة في معرفة الثقافات الأخرى، والتبادل الحضاري والمعرفي، وانفتاح التعليم وتعميمه، ويوفر تعلّم اللغة بالخدمة المجتمعية على المتعلمين كثيراً من الجهد والوقت، ويعطيهم ثقة وشعوراً بالتطور في التعلّم.

فاعلية النشاط غير الصفّي في تنمية المهارات اللغوية

يعتمد التواصل اللغوي على اكتساب المهارات اللغوية الأساسية وتعلّمها بشكل ترابطي تكاملي، ونظراً لما بين هذه المهارات من علاقات تكاملية تبادلية -وإن

بغيرها وهناك وعي الآن بأن الاستماع مهارة تسهم بشكل كبير في تنمية المهارات الأخرى^(١٥).

لكل لغة نظامها الصوتي الخاص، والقاعدة العامة المعتمدة في تعليم النظام الصوتي هي تعويد الأذن على سماع النظام الصوتي من خلال التكرار والممارسة حتى يعتاد السامع عليه، فينطق أصوات اللغة الجديدة نطقاً سليماً محاكياً للناطقين الأصليين، وتكرار الاستماع لأصوات اللغة المتعلمة لا يعني فقط الاكتفاء بالترديد وإنما التمثل الأدائي لمستويات التنغيم والنبر التي تتوافق مع الموقف والوقف، أي مراعاة الموقف المجتمعي الذي يتم فيه التواصل اللغوي، والوقف الكلامي الذي يكون بالسكون عند تمام المعنى المراد، وإذا كان الاستماع وسيلة تحقيق الفهم فالكلام وسيلة تحقيق الإفهام، والفهم والإفهام هما مدار العملية التواصلية في شتى صورها.

وكما أن الاستماع يتم في مواقف اجتماعية معينة فإن المحادثة تتطلب مواقف تدفع إلى الحديث وتشجع على ممارسة الكلام، والغاية من تدريس المحادثة هي اكتساب القدرة على التحدث داخل الفصول الدراسية وخارجها وليس الإنصات والاستماع فحسب، ويجد المتعلمون - في الغالب - صعوبة في الاستماع والتحدث بعفوية، وممارسة الأنشطة غير الصفية تعطيهم ثقة أكبر نظراً لما

- ربط المكتوب بالمسموع وفهم العلاقات بين النمطين.

- تنمية الرصيد المعجمي والتشجيع على ممارسة اللغة استماعاً وتحدثاً ثم قراءة وكتابة.

- التجاوب السليم مع مستخدمي اللغة باستعمال لغة مفهومة وأسلوب واضح.

- إغناء المعجم وإثراء الحصيلة اللغوية، وتثبيت القواعد والتراكيب واستعمالاتها في سياقات مختلفة.

- توسيع المدارك الثقافية والاجتماعية من خلال المخالطة والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية.

- تقادي ما يعرف بالصدمة الثقافية إذ تتضح له المعاني المباشرة والمقاصد الضمنية للأساليب اللغوية.

أولاً : فاعلية النشاط غير الصفّي في تنمية مهارتي الاستماع والمحادثة

الاستماع والمحادثة من الأنشطة الأساسية التي تهيمن على التواصل اللفظي، وهما مهارتان متداخلتان، إذ يفيد الاستماع المتحدث في تمثّل نطق الأصوات والمفردات وامتلاك مهارة التعبير الشفهي الذي يتم في غالبه على هيئة حوارية كلامية، ويشكل الاهتمام بمهارة الاستماع في مناهج وبرامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أولوية بحثية لأن "معظم الجهود صُرفت في كيفية تدريس المهارات الأخرى، أما مهارة الاستماع فغالباً ما كانت تُلحق

(١٥) بونجمة، محمد (٢٠١٣): تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها: تدريس الاستماع نموذجاً، منشورات جامعة الأخوين، المغرب، ص: ٨.

وهو ما يسمح لهم بتعلّم اللغة في المجتمع بشكل تراكمي طبيعي وواقعي، فهم يملكون الوقت الكافي ليمارسوا الاستماع المكثف خارج الصفوف، ولديهم الفرص الممتعة للتحدث بحرية أمام زملائهم في الصف عن أنشطتهم التي قاموا بها، وهم يفعلون هذا النشاط بدعم من المعلم لتجويد الفهم وتحقيق الأهداف التواصلية، وهي كذلك فرصة لكل واحد منهم ليكتشف درجة الفهم لديه، ويعمل على تطوير الممارسة اللغوية في القادم من أنشطة ومهام غير صفية.

أ) بعض تطبيقات النشاط غير الصفّي لمهارة الاستماع:

التعلّم الجيد للاستماع هو ما يكون وجها لوجه وبشكل مباشر، حيث ينتبه المتعلّم إلى قسامات وجه المتحدث وحركات جسده، ومن ثم تتدرب الأذن على نبرات الصوت والإيقاع اللغوي والجرس الصوتي للغة المتعلّمة في سياق ثقافي يمتزج فيه اللفظ مع الصوت والحركة المرافقة له، وهو ما يتأكد تحققه من خلال الأنشطة غير الصفية.

تظهر أهمية أنشطة الاستماع غير الصفّي للمستويات المبتدئة والمتوسطة في تعويد أذن المتعلّم على سماع أصوات اللغة العربية والتأقلم مع جرسها الموسيقي، وتنمية قدرته على التمييز بين المتشابه منها والمتجاور، كما تساعده على إدراك العلاقات بين الشكل المكتوب واللفظ المنطوق بناء على

تتيحه لهم من وقت للتخطيط والتفكير والإعادة، وهي أنشطة وممارسات تجعلهم يضيفون إلى رصيدهم اللغوي الشفهي المزيد من المفردات والتراكيب والأساليب اللغوية.

ولكي يكتسب المتعلّم قدرا من الدقة اللغوية في الحديث فإنه بحاجة إلى تكرار تجارب الاستماع، وتكرار التجارب يركز الأنماط اللغوية، "ويمكن لتراكيبك أن تكون أكثر دقة، ولكن جرب الاستماع لمثلها واجعل ذلك ينعكس في إنتاجك"^(١٦)، والترديد والتكرار ينبغي أن يتّمّا في مواقف اجتماعية واقعية يُعبر عنها بجمل كاملة المعنى ليتحقق التوظيف الصحيح للغة صوتا وتركيبا ودلالة.

إن الحرص على ممارسة اللغة استماعا وتحدثا يزيد من تقوية الكفاءة اللغوية والقدرة على استعمالها في السياقات المجتمعية المتنوعة، ولعل حسن تدبير وقت الاستماع والمحادثة في الصف والتخطيط لممارستها في أنشطة غير صفية يزيد من جودة الإنتاجية ويساعد على صقل مهارتين مندمجتين ضمن السياق.

ونظرا إلى ما تتطلبه أنشطة مهارتي الاستماع والمحادثة من الاتصال المباشر بمتكلمي اللغة الأصليين فإنه يفضل إتاحة الفرص للمتعلّمين بتمثيل الوضع الحقيقي الذي تستخدم فيه اللغة ومحاكاتها بدءا بالتدريبات الصفية خدمة للأنشطة غير الصفية،

^(١٦) جيمس، جيل (٢٠٠٣): الدليل الكامل لتعلّم اللغة، ترجمة عبد الله الحسيني، جامعة الملك سعود، الرياض، ص. ٧٨-٧٩.

- تكرار الاستماع للنداءات في المطارات ومحطات القطارات للتمرس على معرفة المواعيد والوقت والاتجاهات والمدن والدول ونحو ذلك.

- تكرار الاستماع إلى نشرات الأحوال الجوية للتعرف على مفردات المناخ والاتجاهات وأسماء الجهات والأماكن الجغرافية.

- الاستماع إلى الحكايات والقصص والمسرحيات، ويمكن أن يُطلب من المتعلم -بحسب مستواه- إعادة ترتيب المعلومات وتسلسل أحداث القصة من خلال تحديد الموقع والمتحدثين والأماكن التي ترد فيها.

- الاستماع إلى نقاش في حفلة أو مناسبة يتناول موضوعاً من المواضيع ذات الصلة بالحياة الاجتماعية، ثم يطلب من المتعلمين التحدث عما استمعوا إليه، وهو إجراء عملي لممارسة النطق بمتعة وتفاعلية.

- الاستماع إلى مناقشات بين متحدثين من أهل اللغة في ملتقى علمي أو نادٍ ثقافي أو مقهى اجتماعي، ومحاولة فهم ما يجري فيها وما يُتناول من أفكار، ومثل هذا النشاط مناسب للمتعلمين المتقدمين حيث يشاركون مستمعين في نشاط ثقافي أو اجتماعي، ثم يأتون بملاحظاتهم وأفكارهم ويعرضونها على باقي زملائهم في الصف، ومن ثم مناقشة النشاط وإبداء الرأي حوله.

- الاستماع إلى ما يدور من محادثات في وسائل الإعلام حول حدث اجتماعي معين وتكليف الطلاب

تخمين معاني الألفاظ والأساليب التي يسمعونها في سياق اجتماعي ثقافي حقيقي طبيعي، وهكذا يبدأ المتعلم -في مراحل متقدمة- بإدراك الأفكار الرئيسية للمسموع والتمييز بينها وبين الأفكار الثانوية ومجمل التفسيرات، ويقوى لديه الحس اللغوي الذي يمكنه من إيجاد الروابط المعنوية بين أجزاء الكلام الذي يسمعه أو النص الذي يستمع إليه.

ومن جملة الأنشطة غير الصفية التي يمكن التخطيط لها نشير إلى بعض الممارسات الاعتيادية وكيفية إجرائها:

- الاستماع إلى اللقاءات والمقابلات والبرامج الحوارية المختلفة المعروضة على شاشة التلفاز، ويمكن تكليف المتعلم بتدوين معلومات محددة خلال الاستماع مثل التواريخ والأرقام والأوقات والأشخاص والأحداث.

- الاستماع إلى الأخبار والبرامج الوثائقية والمحاضرات والعروض المختلفة.

- التكليف بمهمة الاستماع لنشرة أخبار عربية، حيث يطلب من المتعلم تخصيص قدر من الوقت للاستماع للأخبار على قناة عربية، وعرض ملخص لها في الصف ومناقشته مع باقي زملائه.

- التكليف بتخصيص وقت محدد للاستماع إلى برنامج إذاعي مباشر، ومناقشة المتعلم في الصف حول ما تم الاستماع إليه.

وتطوير قدراتهم التعبيرية، ومنحهم الثقة في التحدث باستخدام الجمل والتراكيب والأساليب اللغوية كما سمعوها، ثم توظيفها شفهيًا وكتابيًا في سياقاتها المناسبة مع قدر من السلامة في التعبير والصحة في القواعد النحوية والصرفية.

ولعل من المقبول والمستحسن في الخطاب الشفهي أن يشجّع المتعلمون على ممارسة التحدث وإن اعتري الحديث أو الكلام نقص أو وردت فيه أخطاء كثيرة، لأن معظم المتلقين والمستقبلين للخطاب الشفهي لا يعير سوء استعمال اللغة اهتمامًا طالما أنهم يفهمون القصد من الخطاب الموجه من قبل المُلقّي، "فعندما تجيب كلامًا فإنك لا تحتاج إجابة كاملة، وحتى وإن أعطيت إجابة كاملة وأنتجت تركيبًا خاطئًا نوعًا ما، فالغالب ألا يلاحظ ذلك أحد، طالما تم فهم ما تقصده"^(١٧).

ويمكن إجمال الأنشطة المتعلقة بالمحادثة من وجهة نظر تطبيقية إجرائية في كل أشكال الاتصال المباشر بالناس في مواطن اجتماعية مختلفة تستدعي ممارسة التحدث باللغة المتعلمة، وذلك من مثل:

– التحدث عن النفس بتقديم معلومات عن الذات والعائلة والرد على الأسئلة المتعلقة بذلك.

بإبداء آرائهم والتعليق على ما جرى من محادثات وأفكار تخص الحدث.

ب) بعض تطبيقات النشاط غير الصفّي لمهارة المحادثة:

التحدث بلغة من اللغات مرحلة مهمة في عملية التواصل، وهي مرحلة تلي مهارة الاستماع وتُعزدها، وقد زادت أهمية تعليم المحادثة في تعليم اللغات الأجنبية نظرًا لشدة الحاجة إلى هذه المهارة في الوقت الحاضر حيث ازدادت أهمية الاتصال والتواصل المعتمدين على المشافهة والإقناع والحجاج.

والاعتناء بتعليم مهارة المحادثة للغة العربية يزيد من انتشارها ومن الإقبال عليها نظرًا لحاجة شريحة غير قليلة من المتعلمين الذين يرغبون في تعلّمها للتواصل نظرًا لطبيعة حياتهم المهنية أو التجارية التي تتطلب التفاهم باللغة العربية عن طريق المشافهة.

ومن أهم إستراتيجيات تعليم المحادثة تعويد المتعلمين على ممارسة التحدث من خلال تعريضهم لمواقف اجتماعية طبيعية تستدعي المشاركة في الكلام مع الناس والمشاركة في الحوارات الجارية بينهم، والحوار أسلوب تعليمي يغني المهارات اللغوية وخاصة مهارتي التعبير الشفهي والكتابي، ومن خلاله تبرز أهمية تطبيقات الأنشطة غير الصفية التي تعد مصدرًا غنيًا لتنمية الرصيد المعجمي للمتعلّمين

(١٧) جيمس، جيل (٢٠٠٣): مرجع سابق، ص: ٨٠

واستحضار الأجوبة التي قيلت في المقابلة وعرضها
لزملائه في الصف.

– إجراء مقابلة مع شخصية ذات شهرة وسؤاله عن
المجال الذي يشتغل فيه (كاتب، صحفي، طبيب،
دكتور، سياسي، مخرج فني، عالم رياضي أو
فيزيائي أو ...).

– التحدث بوصف الأشخاص والأعلام، حيث يكلف
المتعلم بالبحث والسؤال عن شخصية مشهورة ومؤثرة
علميا أو اجتماعيا أو اقتصاديا والحديث عنها أمام
زملائه في الصف.

– التحدث بوصف صورة أو منظر طبيعي مع
التركيز على ذكر ما تتميز به من الألوان والأبعاد
الجمالية.

– التعليق على مشهد اجتماعي باستعمال مفردات
تصف الحركة والمشهد وأسلوب السرد والتعليق.

– حضور المناسبات والحفلات الرسمية
والاجتماعية واستخدام مفردات وتعبير الترحيب
والمجاملة والثناء والشكر والتهنئة والفرح والسعادة،
وقد يمتد ذلك إلى المشاركة بالتحدث عن قصة أو
حكاية شخصية أو تقديم فقرة نثرية أو شعرية.

– طلب الحديث عن جهة أو مؤسسة بعد أخذ
معلومات عنها، وذلك كالحديث عن إدارة عمومية أو
مستشفى أو جمعية أو جامعة أو بلدية، أو عن
مسؤولين من مثل رئيس المجلس البلدي أو مدير
المستشفى أو رئيس النادي...

– التعبير عن الحاجات الشخصية باستعمال أفعال
ومفردات وأساليب تخص المشاعر والاختيارات
والاستفسارات (أريد، أحب، أفضل، أبحث عن،
أذهب إلى، ممكن، من فضلك، لو سمحت، عفوا،
شكرا، هل، متى، من أين، بكم، كيف يمكن، هل
تعرف، متى موعد).

– التعريف بصديق، حيث يستعمل المتحدث عددا
من المفردات والتعبير التي تتناول الوضع
الاجتماعي للمعرف به (اسمه، يسكن، يدرس، يعمل،
يهتم بـ، يشارك في، لطيف، ذكي، ممتاز، رائع،
مثقف، حاصل على، يبحث عن)، بالإضافة إلى
مفردات وتعبير الوظائف والمهن (مهندس، طالب،
دكتور، موظف حكومي، أستاذ، طالب، ممرض،
شرطي، عسكري ...).

– القيام بالتعرف على أشخاص أصليين من أهل
اللغة وإجراء محادثات قصيرة معهم طالبا منهم
معلومات معينة تتعلق بالبيئة أو مؤسسة العمل ونحو
ذلك.

– القيام باستطلاعات الرأي والمقابلات الشفهية،
بطرح أسئلة محددة واستخلاص الرأي من الإجابات
المقدمة والحديث عن أبرز النتائج متضمنة
الاهتمامات أو الموافقات أو المعارضات....الخ.

– إجراء مقابلة مع متعلم آخر من خارج الصف،
حيث يقوم المتعلم بعصف ذهني وطرح الأسئلة

باستخدام البطاقات التعليمية وتخمين معاني المفردات والتعابير وكيفية توظيفها في السياق.

وإعداد البطاقات نشاط تعليمي غير صفّي يتميز بالواقعية والممارسة الفعلية للغة، ويجد المتعلمون فيه متعة كبيرة، وفيه يتم تبادل القوائم بين فريقين أو أكثر واستخدامها سماعاً ونطقاً والتحاور بشأنها، وبهذه الطريقة من الاشتغال على المفردات استماعاً ومحادثة تنمو لدى المتعلمين الحصيلة اللغوية، ويزداد رصيدهم المعجمي، ويحصل لديهم الفهم للمعاني، وتحسن لديهم الطلاقة اللغوية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأنشطة المذكورة سابقاً يمكن تطبيقها في تنمية باقي المهارات بالرغم من الارتباط الوثيق بين مهارتي الاستماع والمحادثة، فما يجري الاستماع إليه في نشاط من الأنشطة يصلح لأن يتحدث عنه في الفصل ومع الزملاء، أو مع الناس في مختلف السياقات الاجتماعية، كما يصلح أن يكتب عن الحدث أو النشاط باستخدام مجموعة من المفردات والتراكيب في السياق الذي ترد فيه، أما في مهارة القراءة فيمكن أن تستثمر هذه الأنشطة في قراءة عناوين النشرات والأخبار، وقراءة التعليقات والشروحات التي غالباً ما تتزامن مع النص المسموع أو المشاهد.

ثانياً: فاعلية النشاط غير الصفّي في تنمية مهارتي القراءة والكتابة

- عقد مناقشات حوارية تتناول بعض الأحداث الجارية في المجالات المختلفة، ويستفاد منها في توضيح بعض المفاهيم والمصطلحات ودلالاتها، ومعرفة المفردات ومعانيها واستعمالاتها.

- التسوق في سوق شعبي حيث التفاعلات الاجتماعية الحقيقية، وهنا يُطلب من المتعلم أن يستفسر عن الأثمنة والأسعار والجودة، ليتمكن من الإلمام بمفردات البيع والشراء وأساليب التمييز والتفضيل والإقناع.

- تنظيم زيارات أو رحلات ميدانية للتعرف على المراكز التاريخية والمآثر العمرانية والمواقع الحضارية للمدينة التي يتعلمون فيها وغيرها من المدن الأخرى، والتفاعل مع السكان المحليين من أجل تحسين الاستماع والتمرس على التحدث.

ومن قبيل الأنشطة غير الصفية التي تمارس فيها مهارة المحادثة - بالإضافة إلى غيرها من المهارات الأخرى - نشاط إعداد قوائم لمفردات وتعابير جديدة، حيث يتم تكليفهم بإعداد قوائم لمفردات وتعابير يسمعونها في المحادثات الاجتماعية بقصد تفعيلها فيما بينهم في الصف، أو إعداد قائمة من المفردات والتعابير التي ترتبط بموضوع محدد سبق تدريسه أو يراد تقديمه، وقد يكون هذا الواجب غير الصفّي متعلقاً بمشاهدة فيلم أو الاستماع للأخبار أو حدث اجتماعي معين، وفي الصف يتم استحضار هذه القوائم من المتعلمين وعرضها بشكل تفاعلي بينهم

تسريع التقدم في امتلاك القدرة اللغوية ومن ثم امتلاك مهارة إعادة إنتاجها كتابيا.

وإذا كنا قد أشرنا إلى أهمية الاستماع ودوره في اكتساب اللغة والمعارف فإن من الخبراء من يفضل القراءة ويعتبرها أم المهارات، و"يفضلون وجود الكتابة في كل شيء... وما زال نظام التعليم بكامله يدرس أهمية النماذج المطبوعة والكلمات المكتوبة"^(١٩)، ومن خلال هذا التراكم في المعلومات والمفردات والتعبير والأساليب تتولد الأفكار ويبدأ الفرد المتعلم في الإنتاج الكتابي، وكلما زادت أنشطة القراءة غير الصفية كلما نمت مهارة القراءة وكان لها تأثير على تنمية مهارة الكتابة.

أ) بعض تطبيقات النشاط غير الصفّي لمهارة القراءة:

القراءة مهارة أساسية لتعلم اللغة خارج الصف الدراسي، وتؤدي الأنشطة غير الصفية في ذلك دورا فعّالا في إثراء الحصيلة اللغوية إن على مستوى المعجم الدلالي أو على مستوى التركيب والأسلوب أو على مستوى الفهم الثقافي والإدراك لمضامين النصوص المقروءة.

ونظرا لما للقراءة من وظائف متعددة في تعزيز المهارتين السابقتين (الاستماع والمحادثة) في شكل علامات رمزية مكتوبة تعكس المسموع والمنطوق؛ فهي تحتاج إلى أنشطة وتدريبات متنوعة غير صفية

تتولد لدى المتعلم بعد سماع الألفاظ والنطق بها رغبة في معرفة شكلها المكتوب، وبهذا تصبح الرموز الكتابية تمثيلا صوريا للمادة المقروءة، يتأتى تطويرها لدى المتعلم من خلال سعيه إلى إعادة إنتاج ما سبقته رؤيته مقروءا في قوالب رمزية مكتوبة، وهذه التراتبية مطلوبة خصوصا في المستويين المبتدئ والمتوسط، أما المستويات الأخرى (المتقدم والعالي والمتميز) فيعود أمرها إلى اعتبار ترتيب الحاجات من تعلم اللغة الثانية وإلى المقاصد المرجوة منها.

وينبغي الاهتمام بتدريب المتعلمين على القراءة والكتابة كما يدرّبون على الاستماع والمحادثة لتنمو لديهم مهارة التواصل اللغوي متكاملة استقبالا وإرسالا، فيتمكنوا من التعبير عن أفكارهم وآرائهم كتابة ومشافهة وبقدر من الوضوح والصحة، كما أن امتلاك المهارات مجتمعة يساعد كثيرا على التحكم في الفعل التواصل اللغوي، وهو شيء مهم في ممارسة التعبير وتوصيل الأفكار، وفي الإبلاغ والإقناع، ويحتاج إلى ثروة لغوية غنية^(١٨).

القراءة قاعدة أساسية للكتابة، وكلما زادت القراءة تطورت مفردات اللغة وتنوعت أساليبها، وبهذا تكون القراءة وسيلة لتعلم مفردات وتعبير جديدة، وهي من الوسائل الأكثر فائدة فيما يتعلق بتعلم الجديد من اللغة، وهو المعجم والأسلوب اللذين يمكنان من

^(١٨) ينظر: رضا، أنور طاهر (٢٠١٥): الابتكار في اللغة العربية بين التربية والتعليم والتعلم، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: ٢٠٢.

^(١٩) جيمس، جيل، مرجع سابق، ص: ٦٨.

– التحليل لمضمون النص ولغته ونظمه، وإبداء الرأي بخصوص ما ورد فيه.

ولكي تتم الاستفادة من النشاط غير الصفّي في تنمية مهارة القراءة فإنه ينبغي على المعلم تحفيز المتعلمين على القراءة خارج الصف وتأكيدهم على الفهم العام لما يقرؤونه، وبيان أن ذلك مما يساعد على تحسين مهاراتهم النطقية وتنمية رصيدهم من المعجم وتطوير التراكيب والأساليب اللغوية التي سيستخدمونها في الصف أو في سياقات اجتماعية مماثلة.

تتعدد تطبيقات الأنشطة غير الصفّية في تنمية مهارة القراءة لدى المتعلمين بدءاً من إعداد قوائم المفردات إلى قراءة الكتب والمقالات العلمية، وذلك تبعاً لمستويات المتعلمين وحاجاتهم وأهدافهم، فيمكن أن يوجه المتعلمون إلى قراءة أسماء الشوارع في الحي أو المدينة التي يقيمون فيها، وقراءة أسماء المحلات التجارية والمؤسسات الاجتماعية والحكومية، وكذا قراءة الإعلانات التي غالباً ما تكون مرفقة بصورة تسهل الفهم، وينتقل المتعلمون بعدها إلى قراءة الجمل ومحاولة التعرف على السياق، ثم قراءة النصوص المكونة من فقرات، ثم يوجهون بعدها إلى قراءة بعض الروايات أو المقالات الصحفية والعلمية وتلخيص بعض الكتب، وتكون هذه القراءة تكليفاً أو واجباً يقوم به المتعلمون باعتباره نشاطاً غير صفّي، ويبقى على المعلم والمتعلم أيضاً مسؤولية تحديد

يكلف بها المتعلمون ابتداءً من المستويات الأولى إلى المستويات المتقدمة، انطلاقاً من التعرف على المفردات وقراءة الكلمات في الملصقات التجارية واللوحات الإعلان؛ إلى الجمل والتعابير المبسطة والنصوص القصيرة؛ إلى الروايات والمقالات والنصوص والكتب.

وتؤثر أنشطة القراءة غير الصفّية تأثيراً واضحاً في تنمية المفردات والتراكيب وفهم الدلالات المباشرة والضمنية، وهو ما يدفع المتعلم إلى الشعور والتفكير ثم التصرف وفق سلوك لغوي مقبول، كما أنها تدفعهم للتعرف عن قرب على معلومات ومفاهيم قد لا تتيسر إلا بقراءة النصوص المكتوبة، ومن خلال الممارسة القرائية يمتلك المتعلمون الكفاءة اللغوية التي تسعفهم في التواصل مع أبناء اللغة في محيطهم الاجتماعي الثقافي.

وغالباً ما يركز في تنمية مهارة القراءة من خلال الأنشطة غير الصفّية على أربعة أمور متكاملة تخدم مهارة القراءة وتطويرها لدى المتعلمين، وهي:

- التعرف على المفردات ومعانيها وكيفية استخدامها في السياق.
- فهم الدلالات والعلاقات التي تنظم المفردات والجمل في النص.
- الإدراك لمضامين النص، ولوحداته المنتظمة داخله، واستنتاج ما ورد فيه من أفكار.

الهدف من أي نشاط وتوضيح المهام المرتبطة به، واختيار الإستراتيجية المناسبة لتنفيذه.

ومن جملة الإستراتيجيات العملية للأنشطة غير الصفية التي من شأنها مساعدة المتعلمين في تنمية مهارة القراءة لديهم:

- تكليف المتعلمين بقراءة نص صحفي أو مقال علمي أو فصل من كتاب وتدوين أهم الأفكار، وإعدادها لمناقشتها داخل الصف بهدف تعميق الفهم ومناقشة القضايا الأساسية الواردة في النص مع باقي المتعلمين.

- المشاركة في أنشطة نادي القراءة، والتدريب على بعض الممارسات القرائية من مثل القراءة السريعة، وقراءة الإعلانات، والمسح الخرائطي، وتوقعات أحوال الطقس، وتلخيص النصوص، واستخدام المعجم في البحث عن معاني المفردات.

- الاندماج في مجموعات القراءة: يمكن للمعلم تكوين مجموعة أو مجموعات للقراءة خارج الصف وتوجيهه إلى قراءات متنوعة أفرادها تتناسب مع مستوياتهم، فيقرؤون القصص والروايات والمقالات وكتب السير والتاريخ والعلوم وغيرها، ثم يتبادلون المعلومات بشأنها في المجموعة، وذلك استعداداً لمناقشتها في الصف.

كما يمكن هنا استحضار فكرة إعداد البطاقات التعليمية للمفردات الجديدة مع استعمالاتها في جمل

سياقية لتوضيح المعاني التي ترد بها، ومعرفة كيفية استخدامها في سياقات مماثلة، ويمكن للمتعلّم لصق المفردات الجديدة على مكتبه في البيت أو العمل وتلوينها والتأشير عليها بألوان وأقلام تستدعي الانتباه، وكذلك حملها في الجيب أو في ملف خاص ومراجعتها في أزمّة مرنة حال انتظار الحافلات أو في محطة القطارات والمطارات أو في المكاتب الإدارية أو في أوقات الاستراحة، والاشتغال على مثل هذه الإستراتيجية يساعد المتعلمين على تأسيس معجم لغوي وظيفي غني ومتطور.

(ب) بعض تطبيقات النشاط غير الصفّي لمهارة الكتابة:

تهدف الأنشطة غير الصفية المتعلقة بمهارة الكتابة إلى تمكين المتعلمين من استخدام أنماط من القواعد والتراكيب والتعبيرات التي تخدم المهارات اللغوية السابقة، وتكتسب قواعد التركيب العربية أهميتها في مهارة الكتابة لارتباطها بصحة التركيب وسلامة التعبير وجودة الأسلوب، وهو أمر لا يتأتى إلا بالتمرس على استخدام الأبنية الصرفية والقواعد النحوية المؤلفة للنظام اللغوي ضمن أمثلة مستقاة من محيط المتعلمين وبيئتهم كي يدركوا قيمها ومعانيها ويتفاعلوا معها ويوظفوها في تجويد ملكاتهم اللغوية وزيادة الطلاقة التعبيرية حديثاً وكتابة.

إن فهم معاني الصيغ الصرفية وإدراك قيم القواعد النحوية يسهل عملية التعلّم ويزيد من تنمية اكتساب

والناس والمناظر التي يشاهدونها، ووصف المدينة ومآثرها وشوارعها والإشارة إلى أبرز معالمها ومنشآتها.

– ممارسة الكتابة الأسبوعية وتصحيح الخطأ في الصف مع باقي المتعلمين.

– التسجيل والتدوين أثناء الجولات الإرشادية، حيث يتم تزويد المتعلمين بدليل إرشادي لزيارة المدينة التي يعيشون فيها، ويطلب منهم تسجيل المعلومات الرئيسة التي يقرؤونها على اللوحات وواجهات الأبواب والمحلات والمؤسسات، وتدوين المعلومات المتعلقة بتاريخ المدينة ومعالمها ومآثرها وأسواقها.

– الكتابة التحليلية من خلال عقد مقارنة بين الماضي والحاضر، وذلك كأن يسأل المتعلم أحد كبار السن عن الحياة في الماضي وعن القيم السابقة، ويدون آراءه عنها، ويصف الأحداث التي مروا بها، ثم يكتب موضوعاً في ذلك باستخدام أسلوب المقارنة بين الماضي والحاضر.

تطبيقات عامة للأنشطة غير الصفية:

يدخل ضمن الأنشطة غير الصفية كل مظاهر التفاعل المجتمعي حيث تمارس اللغة وتتداول بشكل طبيعي واقعي، ولا تقتصر الأنشطة غير الصفية – بطبيعة الحال – على ما تم ذكره في ثنايا البحث عند الحديث عن تنمية المهارات اللغوية، بل هناك مجالات عامة وأوجه للنشاط غير الصفّي تسهم

المهارات اللغوية على مستوى فهم المسموع والمقروء، وعلى مستوى توصيل الأفكار وإفهام الآخرين تحدثاً وكتابة.

وفيما يتعلق بتطبيقات الأنشطة غير الصفية لتنمية مهارة الكتابة لدى المتعلمين يمكن أن نشير إلى التطبيقات المتعلقة بالتحليل والفهم (تحليل فقرة أو نص أو صورة)، والتعليق (التعليق على صورة أو فكرة أو مشهد)، والتلخيص (تلخيص فقرة أو حدث أو مشهد)، والوصف (وصف صورة، كتابة تقرير، وصف أحداث معينة، وصف مقابلة)، والتوسيع (توسيع فكرة، توسيع فقرة، توسيع نص)، وأخذ النقط (تدوين نقط أو ملاحظات من محاضرة أو إعلان أو مقال)، والتوضيح للأفكار في نص مقروء، ولهذه التطبيقات وسائل متنوعة نذكر منها على سبيل الإجمال:

– إكمال أو إنشاء قصة قصيرة، فيطلب من المتعلم بعد الاستماع إلى قصة إجراء محادثة مع زملائه عن أهم الأفكار، وإبداء رأيهم فيها، ثم محاولة إكمالها أو إنشاء قصة مشابهة لها.

– كتابة تلخيص، فيطلب من المتعلم تلخيص نص قراءة أو موضوع أو مقالة، كما يمكن حثه على المشاركة في ناد من نوادي القراءة وتلخيص مجريات أحداث القراءة فيه.

– كتابة وصف، ومن ذلك تكليف المتعلمين بإقامة رحلة محلية والكتابة عن الخريطة واستكشاف الموقع

المشاركة فيها أو القيام بها في زيادة الممارسة اللغوية الفعلية للمتعلم ونماء مخزونه اللغوي وقدرته التعبيرية، ومن ذلك:

- المشاركة في المشاريع وإنجاز المهمات الحقيقية، حيث يقوم المتعلم بالمشاركة في الأنشطة المجتمعية المختلفة وخاصة تلك التي لها صلة مباشرة بالمهارات اللغوية أو الجوانب الاجتماعية والأبعاد الثقافية للسلوك المجتمعي، وتخدم هذه المشاركات التعلم بالفعل وبالممارسة الشخصية، ومن أمثلتها المشاركة في تنفيذ بعض المهام التطوعية في مؤسسات الرعاية المجتمعية، أو المؤسسات والجمعيات التي تعنى بالبيئة والصحة والنظافة ونحو ذلك، ويمكن تنفيذ بعض هذه المشاركات من خلال برمجتها في المنهج التعليمي، كما تعد الأنشطة المرتبطة بإنجاز المهمات من أنجع الإستراتيجيات التي يستفاد منها في تعليم اللغة العربية وثقافتها وفي تطوير المهارات التواصلية والثقافية والمجتمعية على حد سواء.

- العمل التطوعي وتقديم المساعدة الاجتماعية، وهو من أنجح الوسائل التي تجعل التعلم اللغوي مشجعا ومثريا، وتضفي عليه الحيوية، وتحفز المتعلمين فيه للتعامل مع محيطهم الاجتماعي والتفاعل مع أهل اللغة في بيئاتهم المتنوعة الغنية بالمعلومات اللغوية والمعطيات الثقافية، وتهدف هذه الإستراتيجية إلى جعل المتعلمين في اتصال مباشر

مع أهل اللغة في البيئة التي يتعلمون فيها، وبواسطته تنمو مهاراتهم اللغوية، ويكتشفون الثقافة ويدركون مكوناتها المختلفة، ويتم تطبيق ذلك من خلال تعاون المتعلم مع الجمعيات التي تقدم المساعدات الاجتماعية أو الرعاية والخدمة لذوي الاحتياجات الخاصة أو غير ذلك.

- المشاركة في الأندية الأكاديمية والتعليمية، وهي أنشطة ممتعة تعزز العمل التعليمي التعاوني، وتشجع على ممارسة اللغة داخل بيئة تعاونية تشاركية، وتوفر معظم المؤسسات والجامعات مثل هذه الأندية الأكاديمية، ومن أبرزها أندية القراءة والخط والصحافة والإعلام والإبداع الأدبي والمسرحي..

- التجارب الشخصية الحرة التي يقوم بها المتعلم، مثل مشاهدة الأخبار في التلفزيون، وإجراء المقابلات الشخصية والمكالمات الهاتفية، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي مع الشركاء اللغويين ومع أفراد المجتمع الثقافي، والتسوق، والسفر والتنقل باستخدام وسائل النقل المتنوعة، وإعداد الطعام باتباع قائمة المحتويات والمكونات، وهذه كلها تجارب يستفيد منها المتعلم في تنمية المفردات والتعبير، وهي فرص حية لمعرفة الثقافة والاندماج المجتمعي.

الخاتمة

يهدف التوجه اللساني التطبيقي في مجال تعليم اللغات إلى تمكين المتعلمين من الكفايات اللغوية

تتم عبر الاتصال المباشر بالمجتمع وثقافته بواسطة الأنشطة غير الصفية كما سبق توضيحه.

تساعد الأنشطة غير الصفية متعلّمي اللغة العربية في التناول والتفاعل والإنتاج اللغوي بأنماطه الشفهية والمكتوبة، وقد أورد البحث جملة من التطبيقات التي تخدم المهارات اللغوية العربية وفق منهج تصنيفي للمهارات أو بشكل تكاملي يخدم الأغراض والأهداف التعليمية المراد تحقيقها، وهو ما يبرز أهمية إدماج التطبيقات والأنشطة غير الصفية ضمن المناهج التعليمية الصفية من أجل بناء محتوى لغوي تعليمي

متكامل يعزز التعلّم في بيئة واقعية طبيعية تتمثل فيها ثقافة المجتمع وعاداته الاجتماعية، وسينقل ذلك المنهج التعليمي المقرر في الصف الدراسي من مجرد منهج تعليمي نظري إلى فضاء مشجع يقدم فرصا عديدة للمتعلّمين لممارسة التواصل المباشر مع المجتمع التي تستخدم فيه اللغة.

يتقدم الباحث بالشكر لعمادة البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز - جدة، على دعمها العلمي والمادي لهذا المشروع بالمنحة البحثية رقم (٤٥٠ - ١٢٥ - ١٤٣٨هـ).

والتواصلية، وأضيفت الكفاية الثقافية لارتباطها الدقيق بالمضامين اللغوية وبالممارسات التواصلية في السياقات الاجتماعية المختلفة، وتهتم إستراتيجيات النشاط غير الصفّي في تعليم اللغة العربية بتعزيز المهارات اللغوية العربية وتنميتها مجتمعة ومتكاملة، وذلك من خلال تعريض المتعلّم للواقع اللغوي الثقافي الاجتماعي، وتوفير بيئة تعليمية مفيدة على المستوى الواقعي ومهمة على مستوى الزمن، تعين المتعلّم على امتلاك قدر كاف من الوقت يمكنه من تكثيف استخدام اللغة العربية، وتنويع فرص التواصل مع أهلها، والحصول على مستوى عال من الكفاءة اللغوية.

وتشمل الأنشطة غير الصفية مظاهر التفاعلات الثقافية في المجتمع الذي تُتعلّم فيه اللغة، بما يتضمنه هذا المجتمع من تراث ومظاهر ثقافية وحضارية، وتتجلى مظاهر تعلّم اللغة من خلال الثقافة المجتمعية في تطبيقات مبدأ الانغماس الثقافي اللغوي وممارسات الخدمة المجتمعية التي تهدف إلى اكتساب الملكة اللغوية بممارسة اللغة في بيئتها الطبيعية، وهو ما تتيحه كثير من المواقف الاجتماعية التي لا تتوفر في الصفوف الدراسية، وتنعكس هذه الممارسات والتطبيقات على مخرجات التعلّم، فتغني تجارب المتعلمين، وتزيد من ممارساتهم التعلّمية وتجعلهم أكثر اندماجا وتفاعلا، وأقدر على التعلّم، لأنه تعلّم عملي وممارسة تطبيقية

المراجع العربية

أعمال مؤتمر: اتجاهات حديثة في تعليم العربية لغة ثانية (١٤٣٥-٢٠١٤)، معهد اللغويات العربية، جامعة الملك سعود، ١٠-١٢ ربيع الآخر.

آل سالم، علي بن يحيى (٢٠١٦): تطوير تدريس مفاهيم ومهارات الدراسات الاجتماعية في ضوء بعض النماذج والنظريات المعاصرة. رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/culture/0/99149/#ixzz4REc1RDq8>

بونجمة، محمد (٢٠١٣): تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها: تدريس الاستماع نموذجاً، منشورات جامعة الأخوين، المغرب.

ثنيان، هند بنت عبد الله (٢٠١٢): الأنشطة غير الصفية في مجال اللغة العربية. رسالة ماجستير، مقدمة لكلية البنات بالرياض.

جيمس، جيل (٢٠٠٣): الدليل الكامل لتعلم اللغة، ترجمة عبد الله الحسيني، جامعة الملك سعود، الرياض.

خرما، نايف وحجاج علي (١٩٨٨): اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، الكويت، سلسلة علم المعرفة.

كتبي، هادية عادل (٢٠١٤): الاستراتيجيات التي يستخدمها الطلبة الأجانب الدارسون للغة العربية كلغة ثانية في مركز اللغات في الجامعة الأردنية طلبة المستوى السادس أنموذجاً. جامعة مرمرة.

دوكلاس، براون (١٩٩٤): مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة إبراهيم القعيد وعيد الشمري، جامعة الملك سعود، الرياض.

رضا، أنور طاهر (٢٠١٥): الابتكار في اللغة العربية بين التربية والتعليم والتعلم، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ريتشاردز، جاك (٢٠١٢): تطوير المناهج في تدريس اللغات، ترجمة الدكتور ناصر عبد الله بن غالي والدكتور صالح بن ناصر الشويرخ، منشورات جامعة الملك سعود بالرياض.

طعيمه، رشدي أحمد (١٩٨٢): الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى.

عطا، أحمد سالم (٢٠١١): الأنشطة الصفية وغير الصفية، <http://www.saspea.com/vb/showthread.php>

كوك، قاي (٢٠١٤): علم اللغة التطبيقي، ترجمة يوسف الشميمري، جامعة الملك سعود، الرياض.

مذكور، علي، وآخرون (١٤٣٦ - ٢٠١٥): مناهج تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية الرائدة. منشورات مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية. مباحث لغوية، ع.٥

هامرلي، هكتر (١٩٨٥): النظرية التكاملية في تدريس اللغات ونتائج العملية، ترجمة راشد الدويش، جامعة الملك سعود، الرياض.

المراجع الإنجليزية

- Brown, Steven (2006): Teaching Listening. Cambridge University Press.
- Devito, Joseph A., (2000) The Elements of Public Speaking , Seventh Edition Addison Wesley Longman.
- Elkhafaifi, Hussein. (2005): The Effect of Prelistening Activities on Listening Comprehension in Arabic Learners. Foreign Language Annals, 38(4), 505-513.
- Genesee, Fred. (1985). Second language learning through immersion: A review of U.S. programs. Review of Educational Research, 55, 541– 561.
- Grabe, W. (2009). *Reading in a Second Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Kraemer, Angelika (2013): Engaging World Language Students through Service-Learning. CLEAR, 17, pp.1-7.
- Kramsch, C. (2006): From communicative competence to symbolic competence. Modern Language Jourl, 90, 249–252.
- Krashen, Stephan. (2003): Explorations in Language Acquisition and Use: The Taipei Lectures. Portsmouth, NH: Heinemann.
- McKendry, Eugene (2006): Immersion Education; A Guide for Teachers. Adapted from *An Tumoideachas / Immersion Education* . P.11. , School of Education, Queen's University, Belfast
- Mendelsohn, D.J., & Rubin, J. (1995). *A guide for the teaching of second language listening*. San Diego, CA: Dominic Press.
- Morley, J. (1991). Listening comprehension in second/foreign language instruction. In M. Celce-Murcia (Ed.), *Teaching English as a second or foreign language* (pp. 81-106). Boston, MA: Heinle & Heinle.
- Nation, I. S.P. (2001). *Learning Vocabulary in Another Language*. Cambridge, Cambridge University Press.
- Omaggio-Hadley, A. (1993). *Teaching language in context* (2nd ed.). Boston, MA: Heinle & Heinle.
- Pennsylvania Department of Education (2010): Academic Standards for Reading, Writing, Speaking and Listening.
- Richards, Jock. C. (1983). Listening comprehension: Approach, design, procedure. *TESOL Quarterly*, 17 , 219-240.
- Richards, Jock C. (2008): Teaching Listening and Speaking: From Theory to Practice. Cambridge University Press.
- Swain, Merrill & Johnson, Robert Keith (1997). "Immersion education: international perspectives". Cambridge University Press
- Tavil, Zkeye Muge (2010): Integrating Listening and Speaking Skills to facilitate English Language Learns Communicative Competence. WCLT 2010, Ankara Turkey, Procedia Social and Behavioral Sciences 9 (2010) 765–770. Open access under: <http://creativecommons.org>
- Thompson, Peter (2008): LEARNING BY DOING. *Department of Economics, Florida International University, Miami*.
- Young, Richard., He. A. (1998): Talking and Testing: Discourse Approaches to the assessment of Oral Proficiency. Philadelphia: John Benjamins. <https://coerll.utexas.edu/methods/modules/listening>

The Effectiveness of Non-class Activity in the Development of Language Skills for Non - Arabic Speakers

Khalid Mohammed Hussain Alyobi

King Abdulaziz University- Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. The modern applied language lesson gives extracurricular activity in language learning programs and curricula great attention as an important learning strategy. The practices and applications have proven the effectiveness of non-class activity in developing language learning in order to realize communication and interaction. This practices make learners in direct contact with natural language users in real society culture, and facilitate improving their language communication skills.

The research discussed the importance of non-descriptive activity in terms of achieving the principle of linguistic cultural immersion and the concept of community service learning, which has been proven to improve the language skills of learners, the factors affecting its effectiveness, and clarify some applications of the four language skills.

الجملة العربية بين نظرية المكونات المباشرة لشومسكي ونظرية التبعية لتينبير

نجيب الربضي و يعقوب الشمري

جامعة الكويت

مستخلص. حاولت هذه الدراسة تبين نقاط الالتقاء والتباعد في تطبيق النظريات اللغوية الحديثة (أي نظرية تحليل المكونات المباشرة في الجملة والنظرية التبعية) على تركيب الجملة في اللغة العربية ممثلة فقط بالجملة الفعلية والجملة الاسمية. كلمات دالة: الجملة العربية . ستيما . الشجرة البينية . المكون المباشر .

Conclusion

Nous avons essayé de décrire un aspect syntaxique de la structure phrastique en arabe. Il s'agit des deux phrases arabes, conventionnellement connues sous le nom de phrase nominale et phrase verbale et, après avoir présenté leurs propriétés, nous les avons analysées sur le schéma de l'Analyse en Constituants Immédiats de la grammaire syntagmatique et sur celui de la théorie de dépendance. Nous avons trouvé que le modèle syntagmatique dispose de rapports symétriques applicables à la nominale seule quant à l'ordre des mots et à la structuration dichotomique de la phrase en syntagme nominale et syntagme verbal ; alors qu'il dispose des rapports asymétriques et non applicables à la verbale. Le modèle dépendanciel, en revanche, assimile bien les deux phrases (nominale et verbale). Cette application nous a permis de montrer que le génie de la langue arabe peut absorber les deux théories sans soumettre ses faits linguistiques à des opérations transformationnelles pour les adapter à un modèle ou à un autre. Nous espérons que cette modeste contribution ouvrirait des pistes nouvelles dans la recherche de la structure phrastique de la langue arabe.

Bibliographie sélective

Ben Gharbia Abdeljabbar, 2011, « *Les schémas de phrase en arabe et en français* », *Syntaxe et sémantique*, N° 12, p. 49-72.

Dina EL KASSAS, 2005, « *Linguistique théorique, descriptive, automatique. Une étude contrastive de l'arabe et du français dans une perspective de génération multilingue* », thèse de doctorat Université Paris 7.

Guérin Françoise, 2009, « *Les fonctions syntaxiques dans la théorie fonctionnaliste d'André Martinet* », *La linguistique*, Vol. 45, p. 81-86.

Guillaume J.-P., 1986, « *Sibawayhi et l'énonciation : une proposition de lecture* », P. 53-62 *Histoire, Epistémologie, Langage*.

J. Dubois , M. Giacomo, L. Guespin L., Ch. J-B. Marcellesi , J-P. Mevel. 1994, *Larousse, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage*. Paris : Larousse.

Maquet, Flot et Roy, 1925, « *Cours de Langue Française, Cours moyen et supérieur* », Hachette, Paris, 1^{ière} éd.

N. Rabadi, 1997, « *La notion de constituant en syntaxe du français. L'interaction des théories linguistiques et des grammaires scolaires de 1843 à nos jours* », thèse doctorat, Université Lumière Lyon II.

Sylvain Kahane, 2001, « *Grammaires de dépendance formelles et théorie Sens-Texte1* », *TALN, Tours*, 2-5 (version revue et corrigée, juillet 2001), Université Paris 7.

TESNIERE, Lucien, 1988, « *Elément de syntaxe structurale* », éd. Klincksieck. (1^{ière} édition 1959, 1988 :39).

Reboul Olivier, 1975, « *Le Slogan* » éd. complexe, Bruxelles.

- **Référence arabe:**

- Ibn Jinny, « *Al-Khassais* », tome 3, p. 84.

علي أبو المكارم، ٢٠٠٧، *الجملة الأسمية* ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة –.

صلاح الدين الزعبلوي، ١٩٩١، *الجملة الفعلية والجملة الاسمية*، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٤٢ و ٤٣ - السنة ١١ - كانون الثاني ونيسان "يناير وابريل"، ص ١٥٢-١٧٢

Salah eddine Al-Za'balawi, 2001, « *La phrase verbale et la phrase nominale* », Majalat Al-tourath Al-a'rabi, Damas.No 42&43,153 -172.

d'analyser les deux types de phrase à la lumière de ces deux modèles.

4. Convergence et divergence d'application

Le précurseur de la théorie syntagmatique a appliqué son modèle uniquement sur la phrase canonique anglaise (SVO), alors que Tesnière a expérimenté le sien sur plus de soixante langues. La phrase nominale arabe, comme nous venons de voir, s'analyse parfaitement au modèle syntagmatique sans problèmes, parce que la structuration positionnelle des éléments constitutifs de cette phrase ressemble à celle de la phrase canonique anglaise: elle commence par un *nom* sujet suivi du *verbe* et son *objet* par la suite.

Par ailleurs, nous avons du mal à appliquer le modèle dichotomique de Chomsky sur la phrase verbale arabe tout simplement à cause de son ordre standard (VSO) : elle commence par un *verbe* suivi directement de son *agent* et ensuite son *objet*.

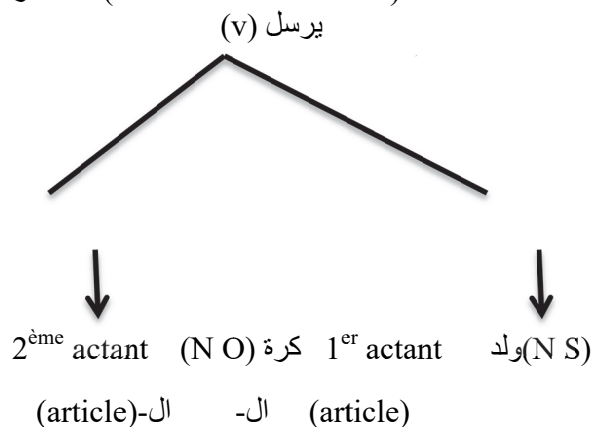
Ainsi, si l'on suit l'analyse formelle du courant syntagmatique sur la phrase verbale, il s'avère que le Constituant Immédiat de la phrase, l'*agent*, tombe entre le *verbe* et son *objet*, qui tous les deux, constituent le deuxième Constituant Immédiat, le prédicat, et qui devraient former ensemble un syntagme, c'est-à-dire une seule unité syntaxique. Le fait d'intercaler l'*agent* entre le *verbe* et l'*objet*, divise l'unité syntaxique du syntagme verbal, et par conséquent, perturbe et déforme la notion même de syntagme. Cette procédure nous semble donc épineuse dans la mesure où ce modèle même postule la division dichotomique de la phrase en partie Sujet et partie Prédicat. Le problème de ce modèle

s'aggrave dans son application sur des langues à ordre libre comme le latin, le russe, le slovène qui n'ont pas d'ordre syntaxique ordonné; on peut dire en latin par exemple : *Filius amat patrem, patrem amat filius, amat filius patrem, amat patrem filius, filius patrem amat, patrem filius amat*. Quel que soit l'ordre des mots, cette phrase latine signifie respectivement en français et en anglais : *le fils aime son père; the son likes his father*. La division dichotomique n'est donc pas pertinente dans les langues casuelles.

De surcroît, pour pouvoir résoudre des faits linguistiques qui vont à l'encontre de cette théorie et qui se trouvent même dans les langues à ordre rigide, le modèle dichotomique nous propose de chercher des procédures de transformation. Pour notre cas, nous n'avons pas besoin de faire appel à une telle procédure car la langue arabe dispose déjà de ce type de structure, à savoir la phrase nominale. Le fait de transformer la phrase verbale, conventionnellement reconnue de phrase canonique en arabe, en phrase nominale pour l'adapter au modèle syntagmatique, nous semble inapproprié. La phrase verbale en arabe n'a apparemment pas eu ce qu'elle mériterait pour qu'elle soit étudiée en tant que telle par les linguistes. Cependant le modèle dépendanciel nous dispense de faire appel à des opérations transformationnelles, car il couvre aussi bien les langues à ordre rigide que les langues à ordre libre ou même les langues à ordre mixte. Le stemma (issu de ce modèle) assimile les deux structures phrastiques en question.

syntactiques entre eux. Pour ce faire, il utilise une représentation graphique qu'il appelle "stemma" :

Soit la phrase verbale suivante : يرسل الولد الكرة (l'enfant lance la balle)



Il s'agit d'une représentation schématique des relations entre les éléments de la phrase. Sur ce *stemma*, les relations entre les éléments de la phrase sont verticales: un *nucleus* (une partie du discours) en régit un autre. Le supérieur est le *nœud régissant* et l'inférieur est le *nœud régi*. Ainsi le verbe (يرسل) dans l'exemple ci-dessus, est le régissant de l'*agent* (ولد) et de l'*objet* (كرة) qui sont les régis. Dans le même temps, (ولد) et (كرة) régissent respectivement les déterminants (ال) et (ال). Tesnière appelle cette relation *dépendance*. Il est important de répéter que, selon cette théorie, le *verbe* occupe la place centrale dans la phrase. C'est pour cela qu'il a été mis au sommet de la pyramide du diagramme. C'est lui qui organise la structure de la phrase et distribue les fonctions des éléments de son entourage. N'ayant pas, lui-même, de fonction syntaxique, le verbe représente le procès d'une pièce de théâtre (si on compare cette dernière à la phrase), l'*agent* et l'*objet* qui sont les acteurs, représentent respectivement le 1^{er}

Actant et le 2^{ème} Actant, selon les termes de Tesnière⁴.

Cette analyse dépendancielle procède en mots isolés pour identifier de près les rapports hiérarchiques se manifestant verticalement entre eux sur le stemma. Le déterminant, par exemple, détermine uniquement le nom auquel il se rapporte et non tout le syntagme. Cette place primordiale donnée au *verbe* par ce courant dépendanciel hiérarchique, nous fait croire qu'on est proche de la phrase canonique arabe qu'est la phrase verbale ayant comme ordre VSO. Ceci est confirmé par Sylvain Kahane (2001: 48) :

« *Bien que la grammaire arabe classique se présente comme une grammaire de dépendance, on ne trouve pas actuellement beaucoup de travaux sur l'arabe dans le cadre des DG. Ceci est peut-être dû au fait que les DG n'ont pas témoigné du même essor que les PSG. La quasi-totalité des travaux récents sur la syntaxe de la langue arabe se classent dans le cadre des grammaires syntagmatiques.* » . C'est nous qui soulignons.

Comme nous pouvons le constater, la phrase nominale répond aux propriétés de la théorie syntagmatique quant à la dichotomie et, la phrase verbale répond à celle de la théorie dépendancielle quant à la position hiérarchique et privilégiée du verbe. Les divergences entre ces deux modèles sont cependant fondamentales. Essayons maintenant

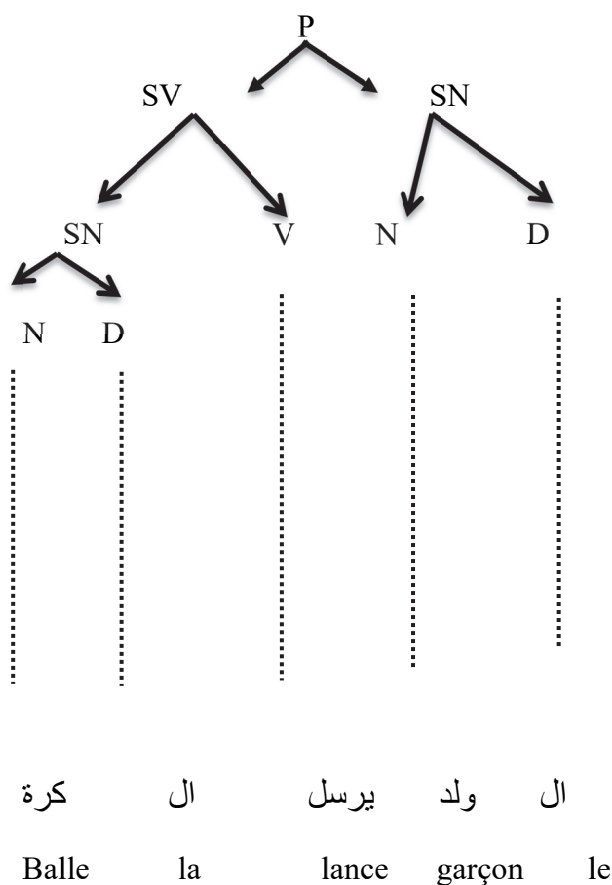
⁴ - Contrairement à ce que l'on croit souvent, la comparaison de la proposition à une scène de théâtre ne serait pas une idée de Tesnière : « *Une proposition, c'est comme une scène où chaque terme joue son rôle. L'un fait l'action : c'est le sujet ; l'autre la supporte, c'est l'objet ; d'autres termes expriment le moment où l'action se fait, ou bien expriment le lieu, la manière....* ». Maquet, Flot et Roy, Cours de Langue Française, Cours moyen et supérieur, Hachette, Paris, 1^{ère} éd. 1925. (Cité par Najib Rabadi, Thèse de doctorat, 1997, p. 181)

nom en relief, il dira (al-waladu ġā'a) et s'il a l'intention d'insister sur l'action, il dira (ġā'a al-waladu). Le locuteur commence donc par le contenu sémantique auquel il attribue plus d'importance. Du point de vue fréquence, il est clair que la phrase verbale est beaucoup plus utilisée que la nominale.

- *particularité syntaxique* :

Cette particularité syntaxique que nous allons analyser ci-après, nous permet de voir clairement les différences entre les deux phrases en question. Commençons d'abord par la nominale.

Soit la phrase nominale suivante³: الولد يرسل الكرة (l'enfant lance la balle)



Nous rappelons que l'Analyse en Constituants Immédiats divise la phrase nominale en deux grands ensembles: le syntagme nominal (SN) et le syntagme verbal (SV). Ces deux syntagmes représentent ce qu'on appelle les Constituants Immédiats de la phrase (P). Ils se décomposent à leur tour en d'autres constituants pour finir avec les unités ultimes qu'on ne peut plus découper en d'autres plus petites. Ce modèle procède donc en groupes ou plus précisément en syntagmes. L'analyse en constituants est horizontale: l'indicateur syntagmatique décompose la phrase en ses plus grands constituants, puis en constituants inférieurs jusqu'à ce que l'analyse atteigne les constituants ultimes: (ال- ولد يرسل ال- كرة). Cela implique que certains constituants sont contenus dans d'autres constituants. Ce courant dichotomique a pour but de montrer les rapports syntaxiques que les constituants de la phrase entretiennent entre eux. Le Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, définit cette théorie de la manière suivante: « *La théorie des constituants en décrit la structure comme la combinaison (concaténation) de deux constituants: un syntagme nominal (l'enfant) et un syntagme verbal (lance la balle). Chacun de ces deux constituants immédiats de la phrase, est à son tour, formé de constituants.* » (p. 114).

Nous rappelons que, malgré les aménagements divers effectués sur les théories de Chomsky: la grammaire de réécriture syntagmatique (GRS), la grammaire générative et transformationnelle (GGT), la grammaire générative et transformationnelle standard (GGT standard) et la théorie, dite X-barre, le principe du point de départ de l'Analyse en Constituants Immédiats de la phrase, basé sur la dichotomie (*noun phrase* et *verbal phrase*), n'a pas été affecté.

En revanche la thèse de Tesnière découpe la phrase en mots isolés pour repérer les liens

³ - Il est à rappeler que l'arabe s'écrit de droite à gauche.

Le verbe dans la phrase verbale est toujours au singulier quel que soit le nombre de l'agent :

- ġā'a al-waladu (vient l'enfant)
- ġā'a al-waladān (vinrent les deux enfants)
- ġā'a al-awalādu (vinrent les enfants).

Dans la phrase nominale, le verbe change de forme :

- Al-waladān ġā'ā (les deux enfants vinrent)
- Al-awlādu ġī'ū (les enfants vinrent).

Ici, nous constatons que la morphologie du verbe change en fonction du nombre du sujet, s'il est duel ou pluriel.

- *particularité fonctionnelle* :

al-waladu dans la phrase verbale (ex .2, ci-dessus) est l'*agent* du verbe ġā'a, mais al-waladu dans la phrase nominale (ex.1, ci-dessus) n'est pas l'agent, il a la fonction de *mubtada* ? (inchoatif) et le verbe ġā'a est *ḥabar* (attribut).

- *particularité de l'emploi* :

Nous avons pu relever quelques situations qui favorisent plutôt l'emploi de la phrase nominale : *les slogans, les titres de la presse et la traduction simultanée*.

- « *Le slogan*, selon O. Reboul (1975 :28), *est une formule concise et frappante, ..., destinée à faire agir les masses tant par son style que par l'élément d'autojustification, ...* », (C'est nous qui soulignons). Les circonstances discursives du slogan privilégient vraisemblablement l'emploi de la phrase nominale. Car cet emploi situationnel nous pousserait à croire qu'elle est beaucoup plus proche des faits énonciatifs, communicationnels que la phrase verbale. Sylvain Kahane (2001 : 55) conclut son exposé dans ce sens et confirme que « *La structure communicative joue un rôle essentiel dans la hiérarchisation du graphe sémantique (notamment le choix de la tête syntaxique de la phrase) et dans la linéarisation. Dans les langues à ordre des mots relativement libre comme le russe ou l'allemand, la structure communicative (notamment la partition thème*

rhème et la focalisation) contrôle fortement l'ordre des mots et la prosodie. »

Pour construire un slogan, on s'investit plutôt dans la phrase nominale:

الشعب يريد الديمقراطية (le peuple veut la démocratie)

الشعب يريد رحيل النظام (le peuple veut le départ du régime)

الشعب يريد اسقاط النظام (le peuple veut la chute du régime)

Pour *les titres de la presse*, nous avons réuni un ensemble d'énoncés réels représentant des informations et transmis sous forme de titres au téléjournal. Ces énoncés qui sont liés au discours direct, sont tous exprimés par des phrases nominales. En voici quelques exemples authentiques :

مستوطنون يقتحمون المسجد الأقصى= Des colons assaillent la Mosquée Al-Aqsa.

قوات الاحتلال تعتدي على المتظاهرين=Les forces de l'armée occupante agressent les manifestants.

وزير الداخلية يقدم إستقالته= Le ministre de l'intérieur présente sa démission.

موسكو تدين انفجارات السعودية= Moscou condamne les attentats en Arabie Saoudite.

المسلمون يحتفلون بعيد الفطر السعيد= Les Musulmans fêtent le l'd Al-fider.

Pour *la traduction simultanée* d'une langue à ordre rigide vers une langue à ordre mixte, l'emploi de la phrase nominale devient souvent obligatoire. Il n'est pas du tout pertinent, par exemple, d'attendre l'apparition (l'écoute) du verbe *reçoit* dans cette phrase française : *Le directeur de la Société Nationale des Chemins de Fer Française, Monsieur X. Y., qui vient d'être nommé à la tête de l'établissement, reçoit les délégués syndicaux*, pour commencer à traduire un tel syntagme nominal aussi riche d'éléments et d'expansions. Il est donc indispensable de la traduire par une phrase nominale en commençant directement par le syntagme sujet.

A ces particularités, nous pouvons également ajouter d'autres, tel que l'aspect modal, c'est-à-dire si le locuteur a l'intention de mettre le

phrase verbale quel que soit l'emplacement du verbe :

"...فإن التقديم والتأخر لا يغير – ولا ينبغي أن يغير- من نوع الجملة وانما يمتد عن رعاية الظروف المصاحبة للموقف اللغوي المحيط بها، ولذلك عدلنا عن هذه التفرقة جاعلين الجملة التي يقع المسند فيها فعلاً فعلية تقدم الفعل أو تأخر." (٢٠٠٧ : ٥٦)

Ainsi, il fait fondre la phrase nominale dans la phrase verbale. Un autre courant, en revanche, tout en partageant l'opinion des linguistes déjà mentionnés ci-dessus, à propos de cette non pertinence, opte pour une position inverse : il s'agit, cette fois, de la fusion de la phrase verbale dans la phrase nominale.

Ce courant est représenté par des linguistes, tels que 'Awwad (1973), Shehadeh (1986), Harroum (1989), qui trouvent que *l'ordre canonique des phrases verbales arabes (VSO) doit être obtenu à partir d'une transformation permettant le déplacement du verbe avec ses auxiliaires... et la phrase arabe s'analyse en base en un groupe nominal suivi d'un groupe verbal*, note A. Ben Gharbia (2011). Leur argument principal peut être ramené au principe selon lequel une prédication doit être constituée d'un sujet et d'un prédicat quel que soit l'ordre de mots.

D'autres linguistes vont plus loin en dissolvant la phrase verbale (VSO) dans la phrase nominale (SVO) pour justifier leur croyance en une grammaire universelle :

« Dans le cadre de la grammaire universelle (GU), Fehri (1982 et 1993) élabore une description interprétative de la structure de la phrase en ASM (arabe standard moderne). Dans l'approche GU, interprétative signifie expliquer les faits d'une langue en vue d'esquisser le système grammatical sous-jacent. La description se base sur l'existence d'une asymétrie d'accord entre un ordre SVO et un ordre standard non marqué VSO et propose un ensemble de règles de montée pour accommoder l'ordre VSO dans une séquence SVO ». Cité par El Kassas 2005 : 49, qui ajoute que « l'approche GU suppose l'existence d'un ordre SVO universellement reconnu par toutes les langues naturelles. Nous ne pensons pas que cela soit

vraiment le cas : beaucoup de langues démentent cette supposition; ».

D'autres encore qui se réclament de la linguistique d'inspiration fonctionnaliste, affirment que l'ordre canonique n'est pas VSO, mais plutôt SVO, car c'est le verbe qui dépend du sujet et non pas l'inverse. Leur argument se base sur l'antériorité existentielle du nom sur le verbe. Ibn Ġinnī écrit à ce propos : « *Les noms sont les premiers et les verbes en dépendent* », (*Al-Khassais*, tome 3, p. 84). Les fonctionnalistes et en particulier les générativistes, adoptent plus ou moins la même opinion en donnant la priorité au nom.

Notre propos ne s'accorde ni avec les uns ni avec les autres. Nous pensons qu'au lieu de dissoudre la phrase verbale dans la phrase nominale ou l'inverse, il serait plus pertinent de chercher l'individualité de chacune de ces deux phrases qui, à notre avis, constituent deux structures phrastiques autonomes et distinctes ; c'est ce que nous allons essayer de montrer dans les lignes qui viennent.

3. La phrase verbale et la phrase nominale

Traditionnellement parlant, la phrase verbale et la phrase nominale, deux structures phrastiques coexistent et sont d'usage dans le système linguistique de la langue arabe. Encore une fois, selon cette tradition grammaticale, est nominale la phrase commençant par un *nom* suivi d'un *verbe* ; et est verbale la phrase commençant par un *verbe* suivi de son *agent*. Nous allons essayer de montrer les particularités morphologique, fonctionnelle, sémantique, syntaxique, etc... de ces deux types de phrase. Analysons ces deux exemples :

1- Al-waladu ġā'a

L'enfant vient. = phrase nominale

2. ġā'a al-waladu

Vient l'enfant = phrase verbale

- particularité morphologique :

rapport de subordination. Une fonction grammaticale est une relation à sens unique qui s'établit de déterminant à déterminé, du subordonné vers un élément plus central, ou, en d'autres termes, d'une expansion vers un noyau ».

Tesnière (1988 :39) insiste sur cet aspect fonctionnel qui constitue avec l'aspect syntaxique l'essence même de sa théorie : il ne peut y avoir structure qu'autant qu'il y a fonction et, ... la syntaxe structurale est en même temps la syntaxe fonctionnelle ». Alors que la pratique des constituants immédiats attribue à la fonction une place secondaire, moins importante que la syntaxe. Pour notre part, nous essayerons d'appliquer les deux modèles, à savoir le modèle syntagmatique dichotomique et le modèle dépendancier, à la phrase arabe. Mais avant, il nous faut identifier de quels types de phrase dont il s'agit.

2. La phrase en arabe

Les langues naturelles se classent en catégories selon leur système syntaxique et leur propriété morphologique qui se manifestent dans l'unité phrastique. Ainsi Steele (1978) divise les langues en trois catégories :

«... les langues à ordre rigide ou syntaxiquement contraintes comme l'anglais, les langues à ordre libre ou communicativement contraintes comme le finlandais, et les langues à ordre mixte », ... « Si l'on emploie la terminologie de Steele, l'arabe se classe comme une langue à ordre mixte. », cité par D. Kassas, p.269.

Ces trois catégories correspondent respectivement aux langues, dites configurationnelles (l'anglais, le français), aux langues non-configurationnelles (le latin), et aux langues semi-configurationnelles (l'arabe). L'arabe est donc une langue à ordre mixte ou semi-configurationnelle : parce qu'elle est morphologiquement riche et nous présente plusieurs structures phrastiques plus ou moins ordonnées.

Le champ de notre recherche se restreint à la distinction de la grammaire traditionnelle entre « phrase verbale » et « phrase nominale ». Selon cette grammaire, est nominale la phrase commençant par un nom. Est verbale la phrase commençant par un verbe. Bon nombre de

grammairiens trouvent cette distinction non pertinente.

Certains linguistes arabes, tels que, Ahmad Abd al-Sattār Al-Jawārī, Mahdi Al-Makhzūmī, Al-Samarra'ī, entre autres, ne trouvent pas de différence entre les deux phrases : la phrase, dite nominale, n'est, pour eux, qu'une phrase verbale, étant donné que le sujet et le prédicat sont respectivement les mêmes dans les deux structures phrastiques. Pour ces linguistes, la nature de la prédication est la même dans les deux phrases et, l'emplacement initial du sujet n'a de raison d'être que pour la focalisation de ce dernier. Al-Jawārī le confirme dans cette citation en langue arabe, empruntée à (Salah eddine Al-Za'balawi 1991) :

"وحقيقة الأمر أنه لا فرق بين نحو قام زيد، وزيد قام، من حيث طبيعة التركيب. فالمسند فعل في الجملتين، وإن فطبيعة الإسناد فيهما واحدة، يقصد فيها إلى النص على معنى الزمن. والفرق بينهما ينحصر في تقدم المسند إليه في الجملة الثانية للاهتمام به، وتأكيد الحكم عليه. أما الجملة الأولى فهي الجملة الفعلية على رسلها، وعلى الوجه المألوف بينها ٢٠ و ٢١".

Il est à rappeler aussi que cette position a été déjà adoptée par les grammairiens arabes du courant Al-Kūfa, comme le montre le passage suivant :

"وهكذا يرى الأستاذ الجوّاري أن تقديم الفاعل بالابتداء لا يغير من تركيب الجملة فيقول: "وليس تقديم الفاعل بالأمر الغريب، فقد أجازته نحاة الكوفة، وهو في اللغات الحديثة وما تحذرت عنه من اللغات القديمة، هو المألوف/٨٥ (ibid)".

Abou Al-Makaarim Ali (2007:56) s'aligne à ces grammairiens en adoptant la même conception à propos de la non-pertinence de cette distinction. Pour lui, cette non-pertinence relève d'un fait fonctionnel : la fonction syntaxique du nom tête de la phrase nominale est *mubtada'* (inchoatif), tandis que la fonction syntaxique du nom postposé dans la phrase verbale est fâ-il (agent). Le problème réside donc dans l'antéposition et la postposition du nom dans ces deux types de phrases. Pour lever cette ambiguïté de fonction, Abou Al-Makaarim rejette cette distinction traditionnelle et considère que la phrase dont le prédicat est un verbe sera

constitution du (logos) ou de la phrase décomposée en noms et en verbes, n'a guère changé. Tout au plus, les concepts onoma (ce dont on parle) + rhema (ce qu'on en dit) auraient pris différentes appellations selon la discipline envisagée: Sujet / Verbe, Sujet / Prédicat, Sujet / Attribut, Groupe nominal / Groupe verbal, Syntagme nominal / Syntagme verbal, etc... Les paires de Thème / Rhème, Topique / Commentaire, Support / Apport, ont plutôt un sens plus pragmatique. Nous devons ainsi la naissance de cette notion dichotomique à Platon et à Aristote, formalisée ultérieurement par Noam Chomsky en particulier.

En revanche, la notion de rection (gouvernement) et la notion de fonction introduites par les grammairiens-philosophes de Port-Royal (Arnauld Antoine et Lancelot Claude) en 1660, et avant eux, Sibawayhi, l'auteur d'*Al-Kitāb*, premier ouvrage de syntaxe arabe qui nous est arrivé, parlait déjà (in Sylvain, 2001 : 80) au VIII^{ème} siècle, du *gouvernant* et *gouverné*¹:

« Les grammairiens arabes du 8^{ième} siècle, comme Sibawaih, distinguaient déjà gouverneur et gouverné en syntaxe et utilisaient cette distinction pour formuler des règles d'ordre des mots ou de rection »². Owens 1988:79-81

Ainsi la notion de gouvernement et la notion de fonction, auxquelles s'ajoute la position centrale, attribuée au verbe dans l'énoncé par Condillac 1746, ont vraisemblablement préfiguré la conception dépendancielle, formalisée par la suite par Lucien Tesnière.

Cette littérature linguistique oppose aujourd'hui au moins trois études différentes portant sur l'analyse de la phrase: une

conception dichotomique, une conception polytomique et une conception dépendancielle. Ces courants linguistiques divergent dans le découpage syntaxique de l'unité phrastique et, par conséquent, ne donnent pas les mêmes résultats, comme nous allons le montrer dans les pages qui viennent.

La conception polytomique qu'est le fonctionnalisme (le fonctionnalisme d'A. Martinet en particulier), aurait la possibilité d'être ramenée à l'un ou à l'autre courant. Vu son adoption de la description, dite structurale et de la composition de l'énoncé en deux éléments obligatoires, à savoir le sujet et le prédicat, (même si le complément du verbe est parfois considéré comme une expansion, susceptible d'être supprimée), ce courant pourrait être rapproché à l'analyse en constituants immédiats. Cependant, nous le trouvons plus proche de la théorie de dépendance car d'un côté, Martinet (1960), lui-même, trouve que les critères de la « distribution » et de la « transformation », introduits par la théorie syntagmatique dichotomique, ne sont pas suffisants pour la description d'une langue : « Il (Martinet) critique l'idée de la distribution comme étant un critère insuffisant pour bâtir une description de la langue. La transformation non plus : elle ne peut pas expliquer, sans un informateur, ni la raison des transformations, ni leur justesse », c'est nous qui soulignons, (Dina Kassas, 2005 : 36). Notons au passage que la syntaxe transformationnelle est née à cause des problèmes que la syntaxe distributionnelle ne parvient pas à résoudre.

D'un autre côté, le principe même de la dépendance est clair chez les fonctionnalistes ; Guérin Françoise 82-83 le confirme dans ce passage :

« Une fonction syntaxique sera le rapport qui est établi dans l'énoncé entre deux monèmes appartenant à des classes compatibles tel qu'un monème est déterminant de l'autre et qu'il existe entre les deux monèmes un

¹ - Pièce maîtresse dans l'histoire de la grammaire arabe, *Al-Kitāb* constitue un texte fondateur. Quant à son auteur, Sibawayhi mort en 177 du calendrier lunaire islamique (fin du VIII), il pose le premier matériel descriptif et systématique d'une grammaire de l'arabe.

² Cité par Sylvain Kahane 2001 dans son Introduction.

« La phrase arabe entre la théorie de l'analyse en constituants immédiats de Chomsky et la théorie dépendancielle de Tesnière »

Rabadi Najib and Alshammari Yaqoub

Université du Koweït
n.rabadi52@hotmail.com

Résumé. Cette recherche étudie les convergences et les divergences dans l'application des courants linguistiques contemporains, (à savoir le modèle de l'Analyse en Constituants Immédiats et le modèle dépendanciel), sur la structure phrastique arabe, exprimée par la phrase verbale et la phrase nominale.

Mots-clés : Phrase arabe ; Stemma ; Arbre binaire ; Constituants immédiats ; Syntaxe ;

Abstract. This research studies the convergences and divergences in the application of the contemporary language currents (in the model of the Analysis in Immediate Constituents and the dependent model), on the Arabic phrastic structure, expressed by the verbal sentence and the nominal sentence.

Key words Arabic sentence, Stemma, binary tree, Immediate constituents, Syntax,

Introduction

Notre contribution a pour objet d'étudier la problématique concernant la place de la phrase arabe exprimée par ses deux types, traditionnellement appelés la phrase verbale, *ḡumla fi 'liyya*, et la phrase nominale, *ḡumla ismiyya*. Cette problématique sera abordée à la lumière des courants linguistiques contemporains, plus précisément le modèle dichotomique et syntagmatique de la grammaire générative, introduit par son précurseur, Noam Chomsky, d'un côté et, le

modèle dépendanciel, introduit par son précurseur, Lucien Tesnière, de l'autre. Cet exposé essaie de montrer les convergences et les divergences dans l'application de ces deux modèles sur la structure phrastique arabe, à travers la représentation schématique de chaque modèle, à savoir l'arbre binaire pour le premier et le stemma pour le deuxième.

1. Aperçu théorique

De nos jours, nous constatons que chez beaucoup de linguistes contemporains, la conception aristo-platonienne sur la

اكتساب التناوب بين مفعولي أعطى وأخواتها من قبل متعلمي العربية كلغة ثانية أنور بن سعد الجدعاني

أستاذ مساعد في علم اللغة التطبيقي - قسم المواد العامة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. هذه الدراسة التجريبية تناقش قدرة متعلمي اللغة الثانية في اكتساب تراكيب اللغة الثانية الغير اللغوية في اللغة الأولى. شارك في هذه الدراسة أربعون طالبا إنجليزيا ممن يدرسون اللغة العربية كلغة ثانية في المستويين: أقل من المتوسط وفوق المتوسط. قام المشاركون بتحكيم أربعة وعشرين جملة تشتمل على الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر والتي تقدم فيها المفعول الثاني على المفعول الأول. تمت مناقشة البيانات التي تم جمعها استنادا إلى النظريتين اللغويتين (the Full-Transfer/ Full Access approach and the Feature Reassembly Hypothesis). أظهر التحليل الإحصائي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتحدثين الأصليين ومتعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها في تقييم الجمل المحكمة. وبناء على هذه النتيجة يمكن القول بأن متعلمي اللغة الثانية يمكنهم اكتساب تراكيب اللغة الثانية الغير اللغوية في لغته الأولى.

- Gil, K. H., & Marsden, H. (2013). Existential quantifiers in second language acquisition: A feature reassembly account. *Linguistic Approaches to Bilingualism*, 3(2), 117-149.
- Hassan, A. (1974). *Al-Nahwu Al-Waafii*, Cairo. Egypt Daar Al-Ma'arif.
- Ibn S-Saraaj, M. B. S. (1996). *Al-Aušool fi Al-Nahwi*, Beirut, Al-Resalah Publishers.
- Inagaki, S. (2001). Motion verbs with goal PPs in the L2 acquisition of English and Japanese. *Studies in Second Language Acquisition*, 23, 153-170.
- Jäschke, K. & Plag, I. (2016). The Dative alternation in German-English Interlanguage. *Studies in Second Language Acquisition*, 38, 2016.
- Kang, S. (2008). The acquisition of English dative constructions by Korean EFL children. In *Proceedings of The 16th Conference of Pan-Pacific Association of Applied Linguistics*, pp. 62-67.
- Koopman, H. & Sportiche, D. (1988). Subjects. Ms., UCLA, Los Angeles, California
- Lardiere, D. (2008). Feature assembly in second language acquisition. In: Licerias J, Zobl H and Goodluck, H. (eds) *The role of formal features in second language acquisition*. New York: Lawrence Erlbaum, 106-40.
- Lardiere, D. (2009). Some thoughts on the contrastive analysis of features in L2 acquisition. *Second Language Research* 25: 173-227.
- Lardiere, D. (2013). Linguistic approaches to second language morphosyntax. In S. Gass & A. Mackey (Eds.), *The Routledge Handbook of Second Language Acquisition* (pp. 106-126). Routledge.
- Mazurkewich, I. (1984). The acquisition of the dative alternation by second language learners and linguistic theory. *Language learning*, 34, 91-108.
- Radford, A. (2009). *Analysing English sentences: A minimalist approach* Cambridge University Press.
- Schwartz, B. D. (1996). Now for some facts, with a focus on development and an explicit role for the L1. *Behavioral and brain sciences*, 19, 739-740.
- Schwartz, B. D. & Sprouse, R. (1994). Word order and nominative case in nonnative language acquisition: a longitudinal study of (L1 Turkish) German interlanguage. *Language acquisition studies in generative grammar*, 31, 71-89.
- Sibawayh, A. B. O. *Al-kitaab*. Edited by Abdussalaam Haroon (1988), Cairo, Maktabat Al-khanagii.
- White, L. (1991). Argument structure in second language acquisition. *Journal of French Language Studies*, 1, 189-207.

What may seem from the interpretation of such a result when the L2 is a superset of L1 argument structures, is that positive evidence should usually be sufficient to assist L2 learners to broaden their inter-language grammar. Positive evidence must be consistent, frequent, and clear to L2 learners to appreciate and understand it accurately. It is likely that positive evidence can be clear, but not frequent, or very frequent, but not clear or misleading in its meaning. Consequently, positive evidence must be both clear and frequent, for it to be effective in assisting L2 learners to overcome the impact of the L1 and comprehend L2 grammar.

The key point to highlight here is that the English learners of Arabic ultimately recover from the issue of under-generalisation. White (1991) argued that it is easier to overcome the issue of under-generalisation in the acquisition of L2 argument structures, than the issue of over-generalisation. Initially, once the L2 learners assume a restrictive grammar, L2 positive evidence will probably draw their attention to the extension of L2 grammar. Once the English learners of Arabic at the pre-intermediate level perceive the grammaticality of sentences such as *Ali gave the book Mohammed* in Arabic, they will restructure their grammar to incorporate the Arabic SDOD1 structure, which is not allowed in their L1.

10. Conclusion

The current study attempts to investigate the extent to which English learners of Arabic are influenced by their L1 or can access L2 grammar and acquire structures that are not possible in their L1. This study examined the

acquisition of SD structures in Arabic by English native speakers. Arabic (L2) allows the SD structures, whereas English (L1) does not.

Overall, the results showed that there is no significant disparity between the participants on the assessment of the Arabic SD structures. According to the findings of this study, it can be claimed that the current L2 learners majoring at pre-intermediate and upper-intermediate levels seemed to acquire L2 structures, even though such structures are not possible in their L1. The findings could be interpreted to say that L2 learners would acquire L2 syntactic configurations, once the input cannot be analysed by the L1 grammar.

Bibliography

- Al-Oqaili, A. *Sharh Ibn Aqeel*, Damascus Dar al-Fikr.
- Anderssen, M., Rodina, Y., Mykhaylyk, R. & Fikkert, P. (2014). The acquisition of the dative alternation in Norwegian. *Language Acquisition*, 21, 72-102.
- Chomsky, N. (2005). *On Phases*. Ms. MIT.
- Compagnon, B. L. (1984). Interference and overgeneralization in second language learning: the acquisition of English dative verbs by native speakers of French. *Language Learning*, 34, 39-57.
- De Cuypere, L., De Coster, E. & Baten, K. (2014). The acquisition of the English dative alternation by Russian foreign language learners. *PHRASIS (GENT): Studies in language and literature*, 187-212.

pre-intermediate participants, due to their high proficiency level in L2 grammar.

According to this empirical data, it was revealed that English learners at the upper-intermediate level did accept the Arabic SDOD1 structure as good in Arabic. Their ratings were lower than those of the native speakers (2.70 vs. 1.98). Further, those who were at the pre-intermediate level statistically could not realise the grammaticality of the SDOD1 structure. No significant disparity between the assessment of the experimental groups and the native speakers' assessment on this structure was revealed, as seen in Table 3. These results may be explained by the fact that these learners noticed the overlap between the L1 grammar (English) and the L2 grammar (Arabic) and assumed these languages to be the same to a great extent, if not identical. Consequently, the SDOD1 structure should be unacceptable in both English and Arabic. These findings support the hypothesis of this thesis, which was that the English learners of Arabic could acquire the SDOD1 structure even though such structure is not allowed in their L1. It could be a contribution to the FA approach as L2 learners accepted this structure despite its absence in their L1 grammar. These learners will gain a better understanding of the extension of the Arabic structures, once they possess a higher proficiency level and are exposed more to Arabic grammar. It might be suggested that these learners would be able to learn this structure, once sufficient positive evidence on such construction is available to them.

Moreover, it was found that the English learners of Arabic accepted the SPD structures. The findings showed no differences between the English participants. This finding was predictable and suggests that the participants had the ability to learn the SPD constructions which do not exist in their L1, since such constructions are found and available in the L2 input. These learners may then perceive the use of the SPD structures, assisting them to obtain a wide understanding of the Arabic representation. Although the English learners did not accept these structures as high as the native speakers of Arabic did. It is likely that the English learners of Arabic reach a higher rating for such structures, when they possess greater proficiency in their L2, owing to the increased exposure these learners will receive. The findings of the acquisition of the SPD structures in Arabic are in accord with the idea indicating that L2 learners can learn structures that do not exist in their L1.

The results of the acquisition of the SD structures seem to be consistent with some of the previous studies. An example of these studies is the one by Mazurkewich (1984), who found that French learners acquire the DOD structure in English despite its ungrammaticality in their L1.

It also supports the finding of Inagaki (2001), who investigated how Japanese learners at the intermediate level acquire the manner of motion verbs with PPs expressing a goal in English, with such a structure as *John walked to school*. The result showed that these learners acquired such a structure which is absent in their L1.

Table 5. One-way ANOVA on Arabic SPD2 and SDOD2 structures

Source	DF	MS	F	Sig.
SPD2	2	.596	2.387	.103
SDOD2	2	1.911	6.608	.003

As shown in Table 5, there is no significant disparity between the participants on the assessment of the SPD2, $F(2.387) = .596$, $p = .103$. Nevertheless, a significant difference was found in the assessment of the SDOD2 structure, $F(6.608) = 1.911$, $p = .003$. The assessment of the SDOD2 structure ought to be further investigated by t-test to identify the

significant result. The following two tables show the comparison between the native speakers and the non-native speakers' ³⁴³ It is obvious that there is a significant variation between the native speakers group and the experimental groups in the judgement of the SDOD2 structure, as shown respectively in Table 6 and Table 7.

Table 6. Comparison between Arabic native speakers and upper-intermediate English learners of Arabic assessing the SDOD2 structure in Arabic

Groups of participant	N	Structure	Mean	Sig.
Arabic native speakers	10	SDOD2	1.08	.014
Upper-intermediate English learners of Arabic	20		1.58	

Table 7. Comparison between Arabic native speakers and pre-intermediate English learners of Arabic assessing the SDOD2 structure in Arabic

Groups of participants	N	Structure	Means	Sig.
Arabic native speakers	10	SDOD2	1.08	.000
Pre-intermediate English learners of Arabic	20		1.84	

To conclude, the statistical investigations showed that the participants varied significantly on the assessments of the SDOD2 structure due to the disparity between the participants' L1 and L2.

9. Discussion of the results

It was anticipated that the L2 Arabic learners will acquire the SDOD1 structure, especially those at the upper-intermediate level, owing to the availability of positive evidence. It was also predicted that the upper-intermediate participants would perform better than the

sell, hand, tell and show} vs. group two {pay, read, write, throw, kick, toss and shoot}) as within-subject variables, showed all variables revealing significant disparities, as illustrated in Table 2. The interaction between structures, verb group and group also revealed a significant difference $F(17.759) = 2.149$, p

$= .000$. However, the interaction between structure and group showed no significant disparity $F(1.037) = .470$, $p = .362$. Two-way ANOVA analysis should be run to realise the disparity level of each variable. Table 3 illustrates the statistical analysis of the Arabic SPD1 and SDOD1 structures

Table 3. Tests of within-subjects effects on the Arabic SPD1 and SDOD1 structures

Source	DF	MS	F	Sig.
Structures	1	5.184	22.054	.000
Structures * group	2	.414	1.760	.183

Table 3 compares participant groups (native speakers of Arabic, upper-intermediate learners and pre-intermediate learners of Arabic), within structures (SPD1 vs. SDOD1) as within-subject variables. No disparity was found within the combination of structures and group $F(1.760) = .414$, $p = .138$, as

illustrated in Table 3. Therefore, there is no interaction between group and structure to analyse any further. Turning to the statistical exploration of the Arabic SPD2 and SDOD2 structures, Table 4 shows the analysis of the investigation of the Arabic SPD2 and SDOD2 structures.

Table 4. Tests of within-subjects effects on Arabic SPD2 and SDOD2 structures

Source	DF	MS	F	Sig.
Structures	1	33.698	99.395	.000
Structures * group	2	2.205	6.504	.003

An additional two-way ANOVA, which compares participant groups (native speakers of Arabic, upper-intermediate learners and pre-intermediate learners of Arabic), within structures (SPD2 vs. SDOD2), showed a significant disparity not only with structures $F(99.395) = 33.698$, $p = .000$, but also within the interaction between structures and group $F(6.504) = 2.205$, $p = .003$, as revealed in Table

5. These divergences need to be further explored by one-way ANOVA to realise the value of the interaction.

‘tell’ and ‘show’). The second class included seven non-alternating Arabic verbs (‘pay’, ‘read’, ‘write’, ‘throw’, ‘kick’, ‘toss’ and ‘shoot’). These two classes come with two different structures: SPD structure and SDOD structure. As a result of this classification, the study has four categories: SPD1 structure (‘give’, ‘sell’, ‘hand’, ‘tell’ and ‘show’), SDOD1 structure (‘give’, ‘sell’, ‘hand’, ‘tell’ and ‘show’), SPD2 structure (‘pay’, ‘read’, ‘write’, ‘throw’, ‘kick’, ‘toss’ and ‘shoot’) and SDOD2 structure (‘pay’, ‘read’, ‘write’, ‘throw’, ‘kick’, ‘toss’ and ‘shoot’). The first category was taken to demonstrate how the means were obtained. Each participant’s response was summed up and divided by five,

8. Results

Figure 3. The mean responses on the acquisition of the Arabic scrambling constructions

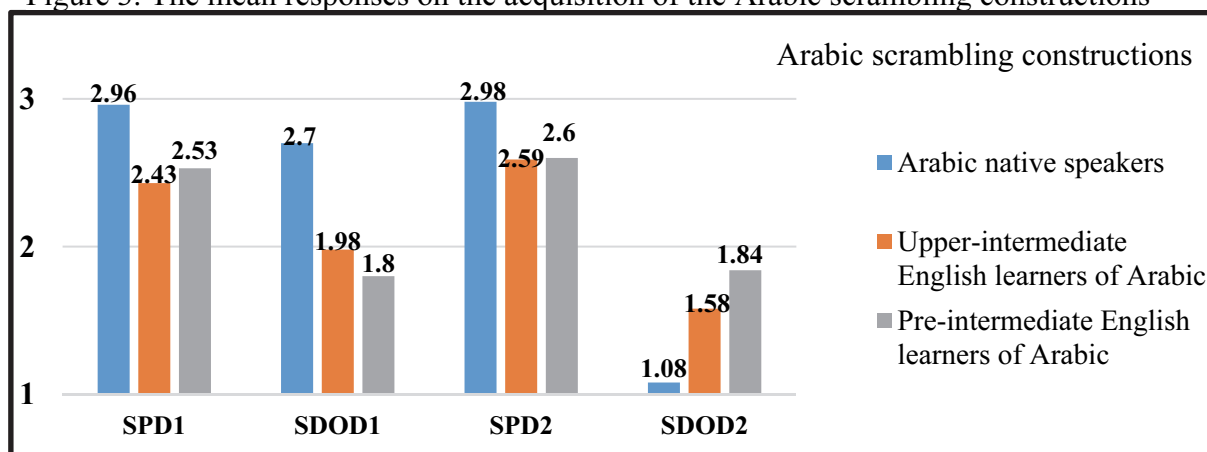


Table 2. Tests of within-subjects effects on Arabic scrambling structures

Source	DF	MS	F	Sig.
Structures	1	11.530	69.863	.000
Structures * group	2	1.202	7.281	.002
Verb group	1	7.200	101.876	.000
Verb group * group	2	1.275	18.043	.000
Structures * verb group	1	15.995	182.413	.000
Structures * verb group * group	2	1.080	12.318	.000

A three-way ANOVA repeated measure, which was run among participant groups (native speakers of Arabic, upper-

since this group contains five verbs. After that participants’ means were summed up and divided by their total number to obtain the mean values.

In the second stage, the statistical analysis was built on value means of each structure. The comparison between the participants’ groups was based on three-way ANOVA repeated measures followed by the t-test, to determine whether the means of the participant groups were statistically different from one another. Finally, the charts and tables were prepared in an Excel file, providing the reader with a wide view of the participants’ responses.

intermediate learners and pre-intermediate learners of Arabic), within structures (SPD vs. SDOD) and verb groups (group one {give,

structure with some verbs like ‘give’, ‘tell’ and ‘show’, as they are available in both the languages. Second, they need to reassemble features that are not available in their L1 based on the positive evidence such as the EF that allows the lower object move to a higher position. Learning such a syntactic feature based on the positive evidence may facilitate them in acquiring the SD structures. Overall, they should receive positive evidence to realise the superset of their L2.

7. Research Methodology

7.1 Participants

The sample of this study consisted of two groups, the Arabic group who acted as controls with 10 native speakers of Arabic and the English learners acquiring Arabic, who acted as experimental participants. A

total of 40 English-speaking learners of Arabic was involved, 20 learners at the pre-intermediate level and the rest at upper-intermediate level.

7.1 Design and Material

The target items were composed of 12 verbs expressed in two different structures. These 12 verbs were *a'ta* ‘give’, *ba'a* ‘sell’, *dafa'a* ‘pay’, *nawala* ‘hand’, *akbara* ‘tell’, *qara* ‘read’, *kataba* ‘write’, *araa* ‘show’, *rama* ‘throw’, *rakala* ‘kick’, *qazafa* ‘toss’ and *saddada* ‘shoot’. A total of 24 sentences were investigated in this study. Each pair of sentences presented an investigated verb. The sentences were presented with a picture and followed by a three-point Likert scale from 1 (bad example) through 2 (not sure) to 3 (good example). *a'ta* ‘give’ is taken as an example, as illustrated in Table 1.

Table 1: Examples of the Arabic SD constructions

The abbreviation of each structure	language	Example
SPD1	Arabic	باع سالم لأحمد السيارة.
	English	Salem sold to Ahmed the car.
SDOD1	Arabic	أعطى أنور الكتاب مجدى.
	English	Anwar gave the book Majdi.
SPD2	Arabic	دفع هاني لسمير عشرة دراهم.
	English	Hani paid to Samar ten pounds.
SDOD2	Arabic	رمى فايز القلم فوزا.
	English	Fayez threw the pen Fawaz.

2.3 Data analysis

The experimental participants were classified into two groups: pre-intermediate level and upper-intermediate level.

The picture judgment task was divided into three groups of participants: native speakers, upper-intermediate learners and pre-

intermediate learners. Then, the data were analysed in two stages. In the first stage, the data were entered into SPSS (version 21.0) to attain the means. The data were organised in the following way to attain the means. The verbs used in the study were classified into two classes. The first class comprised of five alternating Arabic verbs (‘give’, ‘sell’, ‘hand’,

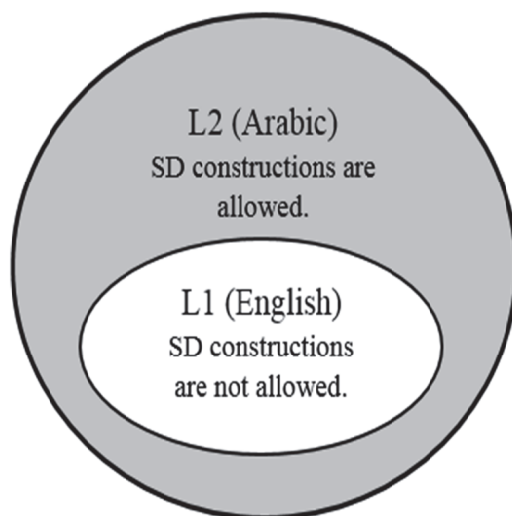
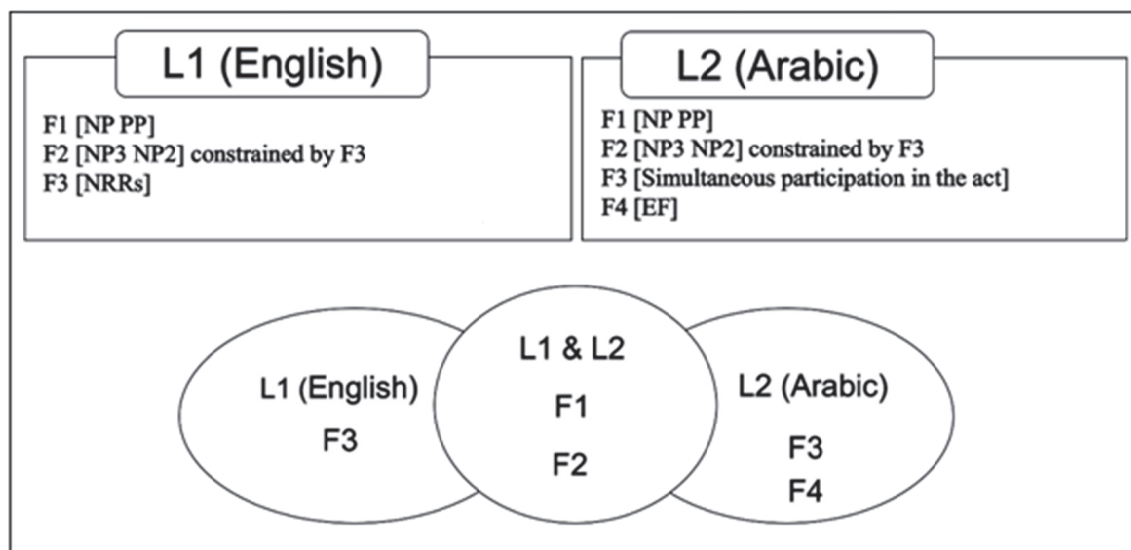


Figure 1. Superset L2 (Arabic) - subset L1 (English)

This study explores how well L2 learners are capable of realising the extent of L2 argument structures compared to their L1. It investigates the acquisition of the SD

structures in Arabic by native speakers of English, since all the SD structures are permitted in Arabic, but not in English, as shown in Figure 1.



An important question that may arise is: how can L2 learners of Arabic acquire the SD structures. According to the superset and the subset of English and Arabic dative features as illustrated in Figure 10, English learners of

Arabic have a twofold task to be achieved, to acquire their L2 grammar. First, they have to map their L1 grammar to the equivalents in the L2 grammar, i.e., they should map the PD structure with all dative verbs and the DOD

implies that constructions which are easiest to process will be learned earlier than constructions which are harder to process, despite the convergences between the L1 and the L2.

Jäschke and Plag (2016) examined the acquisition of the English dative alternation by native speakers of German. They intended to investigate the preference of the dative structures, the PD or the DOD in English by advanced German native speakers. They also investigated the extent to which German learners' preferences are affected by the same constraints as assumed to affect L1 learners' preferences. It was revealed that the PD construction was slightly preferred by the participants. They argued that L2 learners are effected by the same factors, as for instance, animacy of the recipient, pronominality of the theme and definiteness of recipient as L1 learners, but to a lesser degree. The results suggested that L2 learners initially do not make use of probabilistic constraints, despite the constraints being effective in the L1 and only gradually learn a sensitivity of the constraints that govern the preference of the two structures.

5. Research questions

Due to the cross-linguistic disparities existing between Arabic and English, the researcher endeavored to explore whether or not English learners of Arabic at different proficiency levels show acquisition of the SD structures in the target language. It is assumed that with an increase in the proficiency level of English learners, there will be a corresponding increase in their acquisition of the Arabic SD structures. Consequently, it is expected that pre-intermediate learners may face difficulties in acquiring structures that are not allowed in their L1 grammar, as they are not exposed enough to the required positive evidence to arrive at the L2 grammar. However, upper-intermediate learners may acquire properties that are not allowed in the L1 due to the availability of positive evidence. To explore these expectations, the current study proposes to investigate whether these L2 learners can realise the grammaticality of the SD structures in Arabic as in the following examples:

- (11) a. أعطى أحمدُ إلى محمدٍ الكتابَ
a'ta ahmed-u ela mohammed-in alkitaab-a
gave Ahmed-Nom prep Mohammed-Gen the book-Acc
'Ahmed gave the book to Mohammed.'
- b. ركلَ أحمدُ إلى محمدٍ الكرةَ
rakala ahmed-u ela mohammed-in alkorat-a
kicked Ahmed-Nom prep Mohammed-Gen the ball-Acc
'Ahmed kicked the ball to Mohammed.'
- c. أعطى أحمدُ الكتابَ محمدًا
a'ta ahmed-u alkitaab-a mohammed-an
gave Ahmed-Nom the book-Acc Mohammed-Acc
'Ahmed gave Mohammed the book.'

6. The current empirical study

dative structures as it allows both the PD and DOD structures, whereas French allows only the PD structure. She found that French learners of English accepted the DOD structure despite its absence in their L1, as they became more proficient in English, supporting the view that L2 learners would be able to realise the grammaticality of structures not allowed in their L1.

In a series of studies, Le Compagnon (1984) investigated the extent of L1 influence on the acquisition of the English dative alternation by native speakers of French. The data were collected from two case studies as well as two judgment tests done by four French native speakers. It was expected that French learners of English would accept the PD structure based on the L1 knowledge and the positive evidence and would be categorised as an unmarked structure. However, an example such as *I gave the book to you*, which shows the indirect object pronoun in the PD structure, would be expected to be ungrammatical. On the other hand, the DOD structure will be categorised as a marked structure and will not be acquired without positive evidence. However, the DOD structure with indirect object pronoun as *I gave you the pen* would be expected to be judged as a grammatical sentence, since the indirect object follows the verb. Generally, the results showed that the DOD structure was accepted as a grammatical structure with a pronoun indirect object. Moreover, the PD structure was accepted as grammatical with the noun indirect object. The overgeneralisation made by these L2 learners is due to the wrong assumption concerning marked and unmarked structures in English, for which there is positive evidence in both L1 and L2. These results were interpreted as evidence of the influence of the grammatical structure of L1 on the acquisition of L2.

A further study was carried out by Kang (2008), who investigated the acquisition of

the English dative alternation by Korean EFL children. English is close to an isolating language where the DOD structure is assigned by a word order, which means that English has a fixed word order and the SD structures are impossible in English. On the other hand, Korean is an agglutinative language, where most words including the arguments of the dative verbs are assigned by adding a morpheme. The morphemes are more important than the word order. This means that the SD structures are possible in Korean. Regarding language typology and L1-transfer, it was predicted that Korean EFL children would acquire the PD structure earlier than the DOD structure, as well as transfer the SD structures into English. It was found that Korean EFL children not only acquired the PD structure earlier than the DOD structure, but also transferred the SD structure into English.

Anderssen et al. (2014) looked at the acquisition of the Norwegian dative alternation by Norwegian children. They explored the pragmatic principle (given-ness) which led the native speakers of Norwegian syntactically to choose one word order over another. They found that children preferred the PD structure to the DOD structure as the basic word order, in various discourse contexts. They (2014: 72) suggested that:

‘Children’s behaviour is not a result of a pragmatic deficit or an immature syntactic component per se but rather a failure to consistently integrate the two.’

De Cuypere et al (2014) reported an investigation of the acquisition of the English dative alternation by Russian native speakers. An acceptability judgement test was conducted to investigate the choice of one dative structure before the other. A subtle preference for the use of the PD structure was revealed and this was attributed to the language acquisition process as suggested by the Processability Theory (PT), which

that the initial stage of the acquisition of L2 is the final stage of the L1 grammar and L2 learners will transfer the L1 representations to the L2 grammar (FT). This means that the initial stage of L2 is divergent from the initial stage of L1. Later, L2 learners will have to restructure their interlanguage and resort to principles and operation constrained by UG, once the input cannot be analysed by the L1 grammar (FA). In certain circumstances, the restructuring will occur possibly rapidly, while in other circumstances, much more time may possibly be required. The course that L2 development takes is partly determined by the initial state, input, UG and learnability considerations.

The FRH argues that successful L2 acquisition proceeds by means of reassembling sets of lexical features drawn from the L1 lexicon into feature bundles appropriate to L2. The feature reassembly process follows ‘initial mapping’ as argued by Gil and Marsden (2013:118):

‘L2 acquisition proceeds by means of the learner perceiving correspondences between lexical items in the L2 input and items in their own L1. This results in the L2 form being mapped to the L1 feature set for the item that is perceived to be equivalent. Once this initial mapping is established, ‘feature reassembly’ can occur, if required: features can be added or deleted from the L1-based feature set, as motivated by evidence in the input.’

The FRH follows the FT/FA approach by assuming that adult L2 learners bring the formal features, which are assembled into the L1 lexical items to the task of L2 acquisition. It could be said that the FRH is a modulation of the FT/FA approach, as it insists that the successful acquisition of L2 relies on reassembling the sets of feature bundles of L1 lexical items into feature bundles

appropriate to the L2, in circumstances where divergences occur.

The learning task for L2 learners is twofold: mapping features and feature reassembly. Firstly, L2 learners have to map a lexical item to its closest equivalent in L2, then, they reassemble the features that do not correspond within both L1 and L2. During the first stage, which is the mapping of the sets of lexical items in L1 to those of L2, Lardiere (2009:191) remarked,

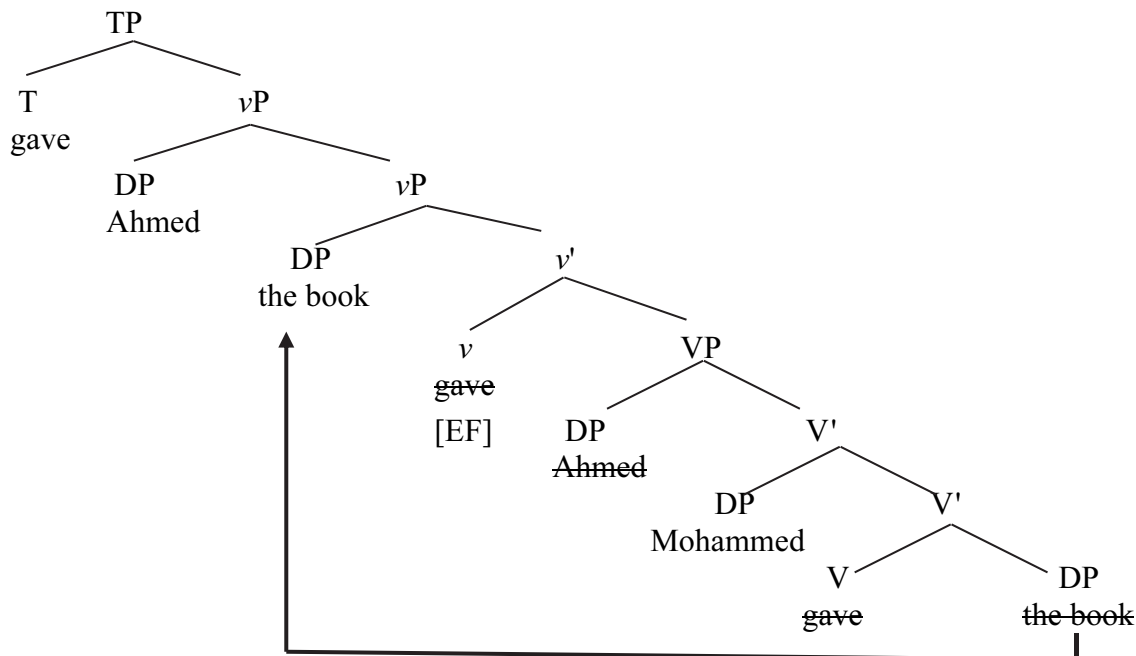
‘It seems plausible to assume (and the feature re-assembly approach indeed rests on the assumption) that learners will look for morpholexical correspondences in the L2 to those in their L1, presumably on the basis of semantic meaning or grammatical function (the phonetic matrices will obviously differ).’ Consequently, the FRH assumes that L1 transfer is the initial attempt to directly map between L1 and L2 lexical items. However, in the case of failure of mapping, L2 learners need to refine the combined features which were transferred from their L1 and reassemble features that are attributed to different feature bundles in L1 and L2.

At the second stage which is feature reassembly, L2 learners may need either to learn new features, or abandon features allowed in their L1, but not in their L2. As a consequence, interlanguage development might be conceptualised by the FRH as a process of incorporating L1 features into those of L2.

3. Previous studies investigating the acquisition of the dative alternation

Under this umbrella, certain previous studies examining the acquisition of the dative alternation, where the L1 grammar is wider than its counterpart in the L2, are reviewed. One of the earliest studies was carried out by Mazurkewich (1984) who investigated how French learners of English acquire the dative alternation. English presents a wider range of

b. The tree of the Arabic SDOD structure



However, what is obvious with regard to SD structures is that non-alternating verbs such as the equivalent of ‘kick’ are not allowed to occur in the SDOD structure, but are permissible in the SPD construction, as in the following example:

- (10) a. ركل أحمد إلى محمد الكرة (Goal) (Theme)
 rakala ahmed-u ela Mohammed-in alkorat-a
 kicked Ahmed-Nom prep Mohammed-Gen the ball-Acc
 ‘Ahmed kicked the ball to Mohammed.’
- b. ركل أحمد الكرة محمدًا (Theme) (Goal)
 *rakala ahmed-u alkorat-a mohammed-a
 kicked Ahmed-Nom the ball-Acc Mohammed-Acc
 ‘Ahmed kicked the ball Mohammed.’

L2 acquisition theories

This section intends to shed light on the Full Transfer and Full Access (FT/FA) approach, as well as the Feature Reassembly Hypothesis (FRH), proposed by Lardiere

(2008, 2009, 2013), followed by certain related studies investigating the acquisition of dative constructions in L2 contexts.

The FT/FA approach, formulated by Schwartz and Sprouse (1994, 1996), states

gave Ahmed-Nom the book-Acc

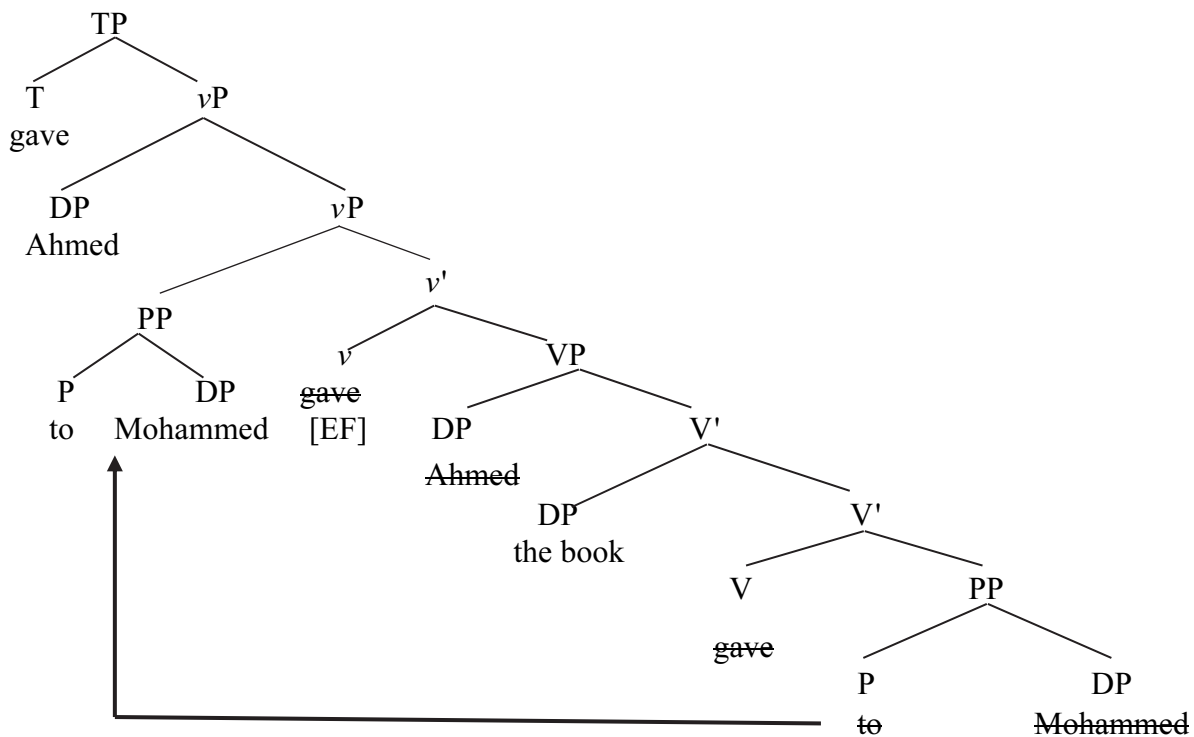
Mohammed-Acc

‘Ahmed gave the book Mohammed.’

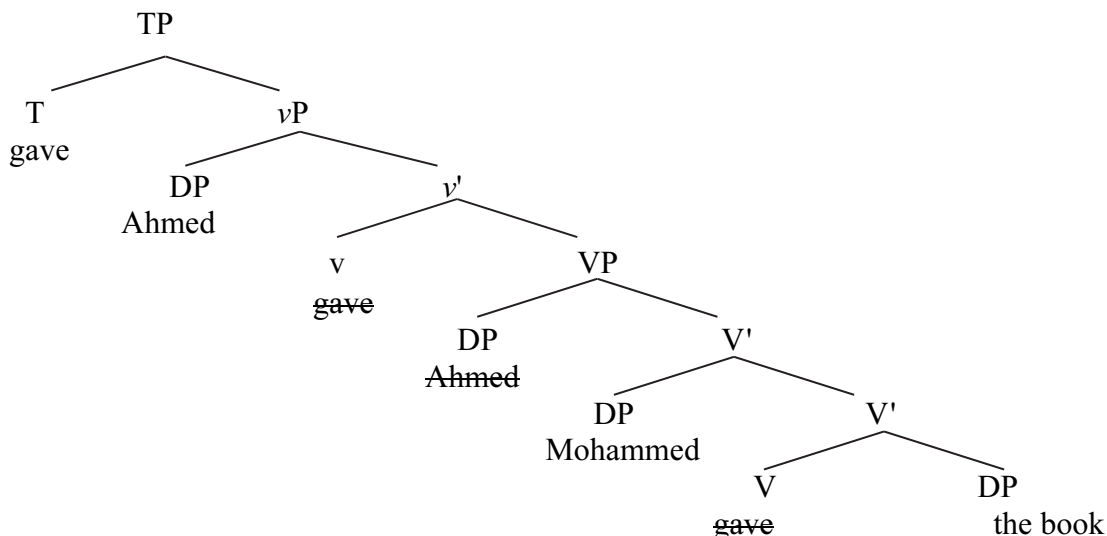
The indirect object ‘to Mohammed’ in the SPD as in (8a) as well as the direct object in the SDOD ‘the book’ as in (8b), must raise and land in a position higher than the direct object ‘the book’ and the indirect object ‘Mohammed’ respectively. Meanwhile, the subject which is in *spec-vP* should be higher than both the moved objects. Therefore, the indirect object in the SPD structure as in (8a) and the direct object in the SDOD structure as in (8b) move to the edge of *vP*, while the subject

adjoins the out edge of the *vP*. The fronted movement of the objects is motivated by the edge feature in *v* heads of the *vP* phase (Chomsky 2005). He proposed that phase heads *C* and *v* are endowed with the Edge feature (EF) which requires *C*, *v* to attract elements to their edge *CP*, *vP* as he applied it to the movement of the *wh*-phrase to *spec-CP* by the EF of the head *C*. Examples (9a & 9b) show the diagrams of the SD structures:

(9) a. The tree of the Arabic SPD structure



b. The tree of the Arabic DOD structure



The Arabic DOD structure's arguments and the Theme argument in the PD structure are marked by the accusative case. However, the Goal argument in the PD structure is marked by the genitive case, since it is prefixed by benefactive/allative preposition *ela* 'to'. Therefore, the final case marker can be a fundamental element in allowing Arabic to have a great deal of freedom between the two internal arguments: the Goal and the Theme. This means that SD constructions are grammatically well-formed. Numerous Arabic grammarians, for instance, Sibawayh

(1988), Ibn S-Saraaj (1996), Hassan (1974) and Al-Oqaili (1985) have argued that the Goal/Theme order in (6) is the basic, and the Theme/Goal order, as illustrated in (8) is derived by scrambling. Thus, the examples in (6) show what are called the basic structures and the examples in (8) illustrate those referred to as the scrambling structures. These grammarians also argued that the scrambling structure is not as widespread as the basic structure.

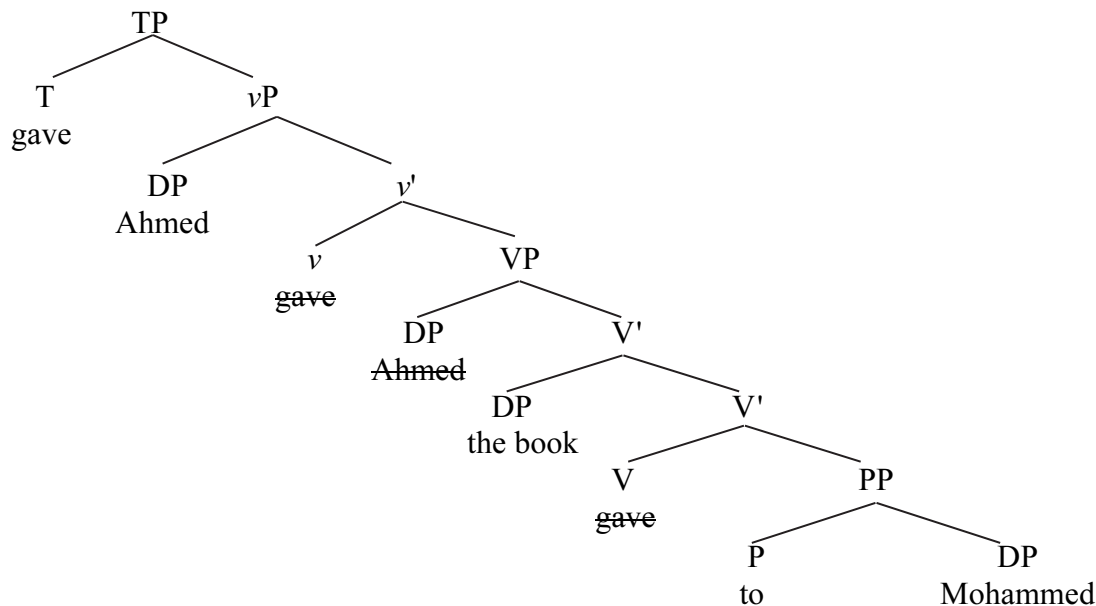
- (8) a. أعطى أحمدُ إلى محمدٍ الكتابَ (Goal) (Theme)
 a'ta ahmed-u ela mohammed-in alkitaab-a
 gave Ahmed-Nom prep Mohammed-Gen the book-Acc
 'Ahmed gave the book to Mohammed.'
- b. أعطى أحمدُ الكتابَ محمدًا (Theme) (Goal)
 a'ta ahmed-u alkitaab-a mohammed-an

- (6) a. أعطى عمرُ الكتابَ إلى عليٍّ (Theme) (Goal)
 a'ta omar-u alkitaab-a ela ali-in
 gave Omar-Nom the book-Acc prep Ali-Gen
 'Omar gave the book to Ali.'
- b. أعطى عمرُ عليًّا الكتابَ (Goal) (Theme)
 a'ta omar-u ali-an alkitaab-a
 gave Omar-Nom Ali-Acc the book-Acc
 'Omar gave Ali the book.'

To show the structures of the PD as in (6a) and the DOD as in (6b), I will assume that the direct and indirect objects are base generated inside the VP projection; the former occupies an intermediate position of VP, while the latter occupies the complement of the VP. This can be supported by the VP-Internal Subject Hypothesis, which is formulated by Koopman & Sportiche (1988). They assumed that the subject of the simple clause is generated in the specifier of the VP, whereas the objects are generated inside the VP. Therefore, in the PD structure as in (6a), the direct object 'the book' adjoins to V' and the

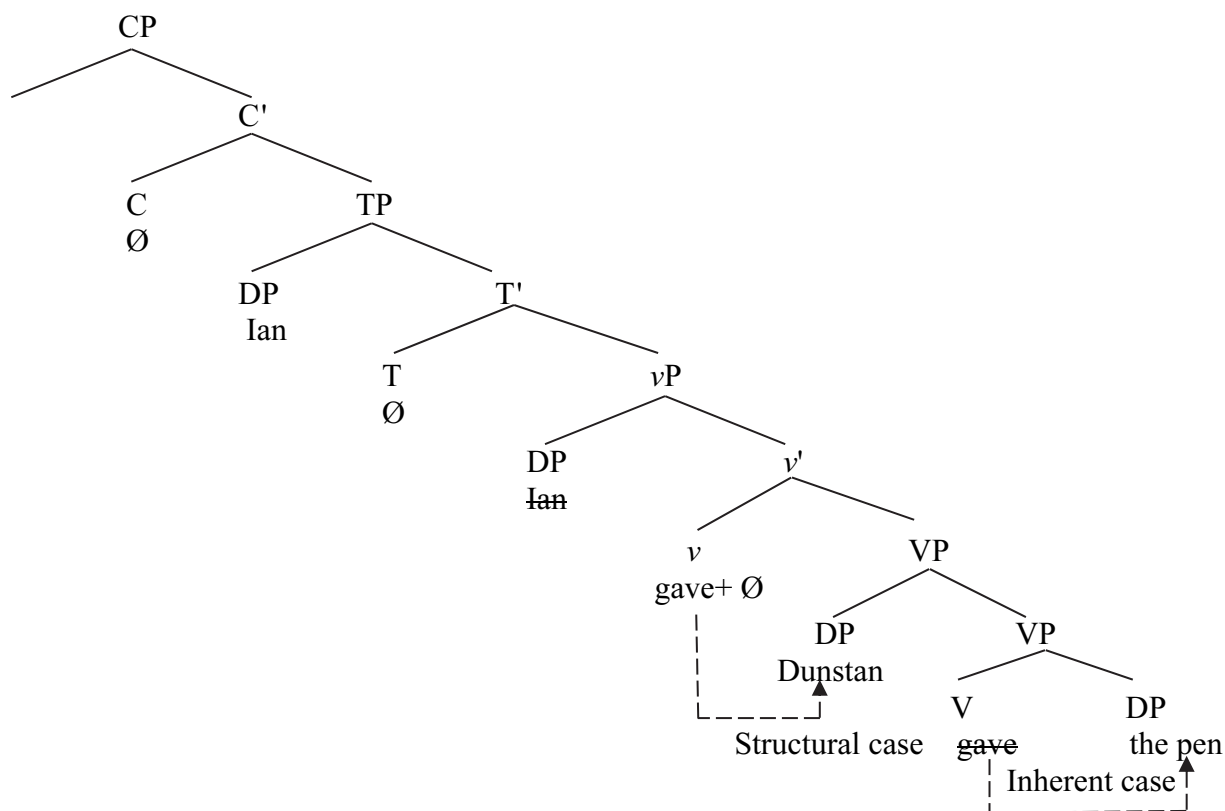
indirect object 'to Mohammed' has its own PP projection below the V. Similarly, the DOD structure as in (6b) has the indirect object 'Mohammed' adjoining the V' and the direct object 'the book' is in the lowest position of the clause structure. The verb merges in the V and then moves to the T position via the v , while the subject merges in the spec-VP and moves to the spec-vP to receive the nominative case with the T 'gave', as shown in structure (7a & 7b):

(7) a. The tree of the Arabic PD structure



(4) a. Ian gave Dunstan the pen.

b.



Therefore, English has a fixed word order, which means that, unlike Arabic, English does not allow SD constructions as in (5):

(5) a. *Sue gave to Ben the pencil.

b. * Sue gave the pencil Ben.

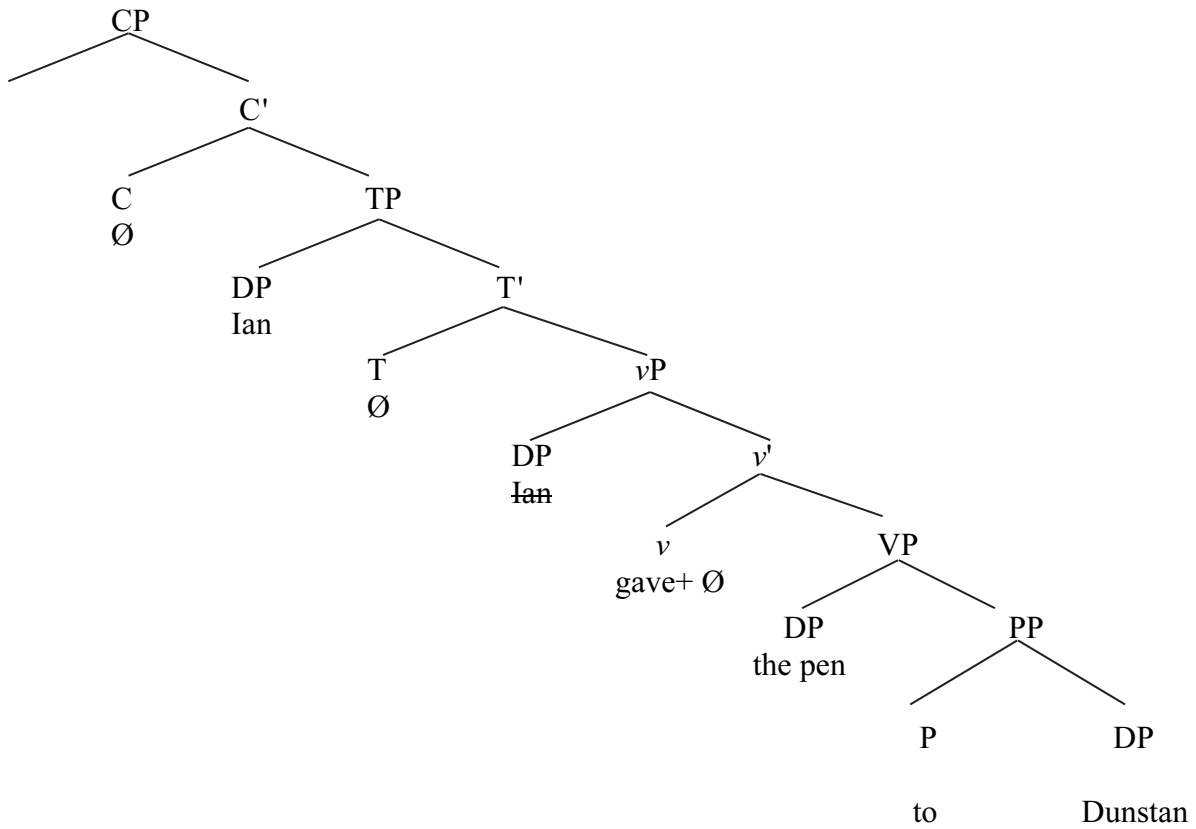
2.2 The syntactic features of dative structures in Arabic

A variety of Arabic verbs permit what is known as the dative alternation, as shown in the pair of sentences in (6). Example (6a) shows the Arabic PD structure and example (6b) illustrates the Arabic DOD structure. Dative verbs in Arabic are those which appear with two objects that cannot form a

separate verb-less sentence by themselves. This definition was built on the base of the relationship between the two internal arguments of the dative sentence. In other words, the relationship between the indirect object (the Goal argument) such as 'Ali' in example (6b) and the direct object (the Theme argument) such as 'the book' in example (6b) does not have to be like the relationship between the subject and its complement in case of a verbless sentence.

(3) a. Ian gave the pen to Dunstan.

b.



(1) a. باع عمر لفاطمة القلم

ba'a	omar-u	li	fatimat-a	alqalam-a
sold	Omar-Nom	prep	Fatimah-Gen	the pen-Acc

‘Omar sold to Fatimah the pen.’

b. باع عمر القلم فاطمة

ba'a	omar-u	alqalam-a	fatimat-a
Sold	Omar-Nom	the pen-Acc	Fatimah-Acc

‘Omar sold the pen Fatimah.’

English, on the other hand, has a fixed word order, which means that the SD structures are grammatically unacceptable, as illustrated in (2):

(2) a. *Ray sold to Peter the book.

b. *Ray sold the book Peter.

2. A comparative analysis of the syntactic features of dative structures in Arabic and English

2.1 The syntactic features of dative structures in English

In the English Prepositional Dative (PD) construction, the Noun Phrase (NP) must precede the Prepositional Phrase (PP), as shown in (3). Also, in the English Double Objective Dative (DOD) construction, both the Goal argument and the Theme argument have accusative case, since the Goal argument occupies the closest position to the functional head *v*, whereas the Theme argument is assigned inherent accusative case (Radford 2009: 407-8); however, the Goal argument should be followed by the Theme argument, as illustrated in (4):

Examples (1) and (2) present a challenge which probably faces English learners of Arabic to acquire the SD constructions, due to their ungrammaticality in L1. This illustration provides an example of the difficulty for English learners of Arabic in noticing the grammaticality of this structure in the L2.

This article is organised as follows. In section 2, a comparative analysis of the syntactic features of dative structures in English and Arabic is presented. Section 3 is an overview of SL hypothesis under examination, as well as previous acquisition studies of the dative alternation. Section 4 is a discussion of main research questions and predictions. The following section presents the experimental study, and the sixth section presents the analysis of the results, followed by a discussion of the results and conclusion.

The Acquisition of Arabic scrambling dative structures by English learners

Anwar Saad Al-Jadani

King Abdulaziz University- Jeddah, Saudi Arabia

Abstract This paper represents an empirical study to investigate the ability of L2 learners to acquire structures that are not allowed by their L1 grammar. An experiment was made with 40 native speakers of English majoring at two proficiency levels: pre-intermediate and upper-intermediate. These participants completed written judgment tasks, which included 24 scrambling dative sentences, to judge their grammaticality in Arabic. The collected data was discussed based on the Full-Transfer/ Full Access approach and the Feature Reassembly Hypothesis. The statistical analysis showed no significant disparities between native speakers and L2 learners in acquiring L2 structures, which can be indicated as a sign of the fact that L2 learners acquired the structures that are not allowed in their L1.

Keywords: Dative alternation, prepositional dative construction, double objective dative construction, scrambling dative sentences, second language learners, the Full-Transfer/ Full Access approach, the Feature Reassembly Hypothesis.

1. Introduction

During the past decades, the effect of First Language (L1) on the acquisition of Second Language (L2) has been explored extensively. One of the issues addressed in L2 research concerns the influence of the divergence between the L1 and the L2 argument structures, which is one of the difficulties that confronting L2 learners. The focus of the current study is to investigate how L2 learners

deal with divergence between the grammars of L1 and L2 and specifically, how English learners of Arabic deal with the wide range of dative structures, compared to their L1 dative structures. An example of the challenge facing them is the acquisition of the Scrambled Dative (SD) structures in Arabic. There is a disparity between Arabic and English in the allowance of a variety of dative word orders. Arabic allows the SD constructions, as presented in (1):

• The Self March between (Motherland) and (Ego) in “<i>in lam fa man</i>” by Khalid Al-Faisal Applied Reading for Aesthetic reception Raniah Mohamed Shareef Alaradhawi	269
• Critical Theory Based on the communicative function: Analytical study of contemporary experience Adil Khamees Alzahrani	295
• Self and the Other in the Poem “<i>Qira’a fi Wajh London</i>” by The Poet Gazi Al-Gusaibi Ashjan Mohamed Hindi.....	317
• The Effectiveness of Non-class Activity in the Development of Language Skills for Non - Arabic Speakers Khalid Mohammed Hussain Alyobi.....	340
• The Acquisition of Arabic scrambling dative structures by English learners Anwar Saad Al-Jadani	341
• « La phrase arabe entre la théorie de l’analyse en constituants immédiats de Chomsky et la théorie dépendancielle de Tesnière » Rabadi Najib.....	361

Contents

English Section

	<i>Page</i>
• Islamic institutions and their role in establishing social peace Haney Ahmed Abdul shakur	17
• The Provisions of Financial Penalties Related to the People of the Book in Islamic Countries Mazin Abdulaziz Al harthy.....	45
• Monotheism among the Christians its concept and Creed implications (Critical Study) Badriah Mohamed Abdullah Alfozan	75
• Mecca at the beginning of the seventh century AH (13 AD) Through the journey of the Son of the Neighbor (History of the Clairvoyant) Nawaf Abdul Aziz Al-Jahmah	98
• The Project of the French Government Mission to Mecca During the Reign of Sharif Hussein Bin Ali in 1334 AH / 1916 (A Historical and Documentary Study) Saeed Mushabbab Saeed Alqahtani.....	138
• Social Dimensions of Adolescents' Use of Social Media: A Descriptive Study on a Sample of Secondary School Students in Jeddah Abdal rahman Abdallah Abdal Rahman Al-Omri.....	171
• Comprehension and awareness of the youth in Saudi Arabia on the Saudi Vision 2030 - Field study on University Students. Anmar Hamed Matawi	191
• Remodelling Books by Hadith Narrators Maessa Ali Rawabdeh.....	214
• The structure of narrative discourse in the novel: Saq al-Bamboo Hessah Ahmad ALDossary	239

■ Editorial Board ■

Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Mohamed Jafar Arif Marif@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi msalghamdi1@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari sbukare@kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny@kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@kau.edu.sa	Member



Journal of KING ABDULAZIZ UNIVERSITY Arts and Humanities

**Volume 26 Number 3
2018 A.D.**

**Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
<http://spc.kau.edu.sa>**



IN THE NAME OF ALLAH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING